

ديوان السليمانيات

(الجزء السابع)



نحو شعر عربي أصيل وهادئ وبناء وجاد ومخترم

وزوى البيان وأمسكت أحناني

صمت القريض ، وأطرقت أوزاني

وبكى الخيال بدمعه الهتان

وبكت علي قصائدي وفرائدي

حالا توشح بالمصير الآني

ونحيب أسنلتني يرجع ثاويأ

لتحد من مرثية الأحزان

هذي دواويني تشاطرنني الأسى

الطبعة الأولى

1 من وحي الذكريات



ديوان السليمانيات

(الجزء السابع)

من وحي الذكريات (1)

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

والله ولي التوفيق

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته الصادق الوعد الأمين ، بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على المعاندين ، وأيده بالآيات والمعجزات والبراهين ، فعلم به من الجهالة ، وهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وفتح به أعيناً عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غفلاً ، وجعله حرزاً للأمم ، ولم يزل منذ بعثه الله برسالته قائماً بأمر ربه على أكمل الوجوه وأفضلها ؛ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويبين للناس ما نزل إليهم من ربهم غاية التبیین ، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين ، وما من شيء يقربهم من الجنة إلا وقد أمرهم به ، وما من شيء يقربهم من النار إلا وقد حذرهم منه ؛ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، والله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ، فجزى الله عنا نبينا أفضل ما جزى أحداً من الأولين والآخرين ، فلقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح أمته غاية النصح ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين. صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه دائماً إلى يوم الدين ، وعلى سائر إخوانه من المرسلين والنبیین ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وبعد ، فإنني أهدي هذه الباقة الشعرية لكل المؤمنين الموحدين في شتى بقاع الأرض! وأتمنى أن تستثير الهمم والعزمات لتتصدى لما يواجهه الإسلام من تحديات في زماننا هذا! يقول الأستاذ أنور الجندي في مقال له عنوانه: (أقدم لك الإسلام) ما نصه: (الإسلام منهج رباني جامع ، يعمل على بناء الفرد والأسرة والجماعة على أساس الإيمان بالله ، وعلى أساس التكامل والتضامن والعدل والرحمة والإخاء الإنساني ، وهو دعوته إلى بناء مجتمع ومنهج حياة يقام لإسعاد البشرية ، وهو مختلف تماماً عن المناهج والأيديولوجيات التي قدمها الإنسان لنفسه ، والتي ما تزال تضرب وتتخبط ولا تحقق للبشرية شيئاً إيجابياً ، وها نحن نرى كيف يعيش المجتمع العالمي حياة مأزومة مضطربة ، لأنها خلت من الاستمداد من الله والتماس منهجه! ولما فصلت المناهج البشرية نفسها عن دين الله المنزل عجزت عن تحقيق الأمن للناس ذلك أن هذه المناهج فصلت بين الروح والمادة وبين السياسية والأخلاق وبين الدنيا والآخرة ، وما تزال المجتمعات العالمية تضرب منذ أربعمئة عام وتتخبط ، عندما أقامت المنهج المادي العلماني الذي يمزق وحدة الإنسان الجامع بين الروح والمادة ، فأنت أيها الأخ الكريم ترى كيف نتخبط هذه المناهج ، وتضيف وتحذف ، ولا تستطيع أن تحقق شيئاً. وقد نشأت في المجتمع العالمي تلك الأزمة العميقة: تلك الغربة والتمزق والغثيان نتيجة الانفصال عن الإيمان بالله وأخلاقية المجتمع والحضارة ، وقد ثبت لصيحات الأعلام والبارزين من المفكرين الغربيين بأنه لا طريق صحيح للبشرية إلا بالإسلام وحده وقد اعتنق هؤلاء الأعلام العقيدة الإسلامية بعد أن بحثوا سنوات طويلة وعجزوا عن أن يجدوا سبيلاً إلا عن طريق هذا النور الإلهي (وإسلام الدكتور بوكاي والفيلسوف جارودي) من العلامات التي سبقتها علامات كثيرة. ولقد جرب الغرب مذاهب ودعوات مختلفة من الشرق والغرب ، وقد فشلت جميعها والعالم يتطلع إلى منهج جديد يحرره من العبودية والإباحية والشك والتمزق ، وليس غير الإسلام هو الذي ينقذ البشرية ، ولكن كيف يمكن ذلك وأهل الإسلام أنفسهم مكبلون بقيود وثيقة للنفوذ الغربي بشقيه ، أنهم لا بد أولاً أن يتحرروا من هذه القيود وأن

يقيموا مجتمعهم ثم يقدموا الإسلام للبشرية. والحقيقة أن الإسلام يواجه تحديات خطيرة اليوم ، ويطالب المؤمنين به بأن يؤمنوا حتى يقوم الصف المسلم القادر على حماية الأمة من الانهيار والتمزق والسقوط في حلقة التبعية الخطيرة ، وهي المؤامرة التي تعمل الحضارة العالمية لتذويب المسلمين فيها بعد أن تفسد مفهومهم الصحيح لعقيدهم ، وإثارة الشبهات حولها حتى يضيع ذلك النور القوي الذي يملأ القلوب ويدفعها إلى العمل لحماية بيضة هذا الدين ، والدفاع عنها والإعداد لمقاومة كل من يفكر في السيطرة عليها! وذلك بالمرابطة في ثغور الإسلام المادية والمعنوية لحماية الأمة من مؤامرة إذابة هذه الأمة في بوتقة الأممية ، فليس للمسلمين اليوم من مهمة في الحقيقة أكبر من الحفاظ على ذاتيتهم الإسلامية وشخصيتهم التي كونها لهم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ، حتى يظلوا مسلمين حقيقة ، وليسوا صورة ممسوخة من الأمم الأخرى ، وفي سبيل حماية هذه الذاتية يجب أن يحافظ المسلمون على عقيدتهم وعبادتهم ومفاهيمهم في المجتمع والسياسة والاقتصاد والتربية ، حقيقة واضحة ، فلا يقبلون بالتبعية لفكر غير فكرهم ، أو الانبهار بمذاهب أو مناهج غير مذهبهم ومنهجهم الأصل الذي كونهم منذ أربعة عشر قرناً وحماهم من الذوبان أو التمزق في حضارات أخرى ، فلن تستطيع أي أيديولوجية وافدة أن تعطي المسلمين قوة لتمكنهم من امتلاك إرادتهم وقد حدثت التجربة خلال السنوات الماضية وعجزت عن أن تحقق لهم شيئاً ، بل كانت سبباً للأزمة والهزيمة والنكسة وسقوط بيت المقدس وفلسطين في أيدي أعدائها ، وقد جرى ذلك نتيجة الخداع الذي كان يخدع هذه الأمة بأن التبعية للغرب هي التي ستمكنهم من الوصول إلى القوة وامتلاك الإرادة ، وقد ظهر كذب هذا ، وكانت كل الخطوات ترمي إلى إذابتهم في البوتقة العالمية وإضاعة ذاتيتهم ووجودهم الخاص المستقل ، كافة تحمل رسالة التوحيد الخاص ، إن المحافظة على الذاتية الإسلامية بعيدة الانصهار في بوتقة الأمم الأخرى هي أساس عميق من أسس الإسلام الذي جاء ليعيد الإنسان إلى الفطرة بعد أن أفسدته المطامح والشهوات التي غيرت كلمة الله ، وأن أكبر الأخطار التي تواجه المسلمين هي خطر النفوذ الغربي والصهيوني والماركسي (مجتمعين) على إذابة المسلمين في بوتقة الحضارة الغربية التي تمر بأسوأ مراحل انهيارها).هـ. وصدق الأستاذ أنور الجندي فيما قال! ونحن على ذلك من الشاهدين ، وينبغي على المسلمين أن يعتزوا بإسلامهم ويتقدموا للغرب والشرق بهذا الدين العظيم الذي سوف ينقذ البشرية من المصائب التي تحتويها ومن الدمار الذي يحيق بها. ذلك أن حضارة الرجل الأبيض قد استهلكت وأصبحت عاجزة عن أداء ذلك الدور العظيم! وقد أعطتها البشرية الفرصة تلو الفرصة لتصنع ذلك فما فعلت! لأن الله لا يصلح عمل المفسدين! وإسهاماً مني في إيجاد الشعر الإسلامي البديل كانت هذه المجموعة الشعرية التي احتواها ديوان: (من وحي الذكريات (1)! والجزء الثاني منه سوف يتأخر كثيراً لبحث مادته وتحقيقتها وتنقيحها والإلمام بكل شواهدا وشواردها! وكنت قد جعلته على جزأين لتجاوزه الألف صفحة ، الأمر الذي يعضل بالقارئ! كما أنني أردت انفصال القصيدة الملحمية التي تجاوزت الألف وخمسمائة بيتاً لنلا تكون مملة على القارئ! كما أنني أردت أن أجمع لها المعلومات الكافية التي تثبت صدق ما أوردنا فيها من الآراء والأفكار! وعسى الله أن يعيننا على إخراجها وقد أعطيتها ذات العنوان: (من وحي الذكريات (2) لأنها امتداد لديوان: (من وحي الذكريات) ، وجعلتها صدقاً آخر ما أكتب! وهو - سبحانه وتعالى - الهادي إلى سواء السبيل.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً به ، وتوحيداً بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً ، أما بعد: فهذه كلمات صدر بها الدكتور عبد الله عزام كتابه الجميل: (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) أجعلها مقدمة قصيدتنا: (من وحي الذكريات). (ألا إن هذه عقيدتنا وهي عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة) (أهل السنة والجماعة) وهي: الإيمان بالله وملانكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره. * الإيمان بالأسماء والصفات: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ولا تشبيه ، بل نؤمن ونعتقد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فنحن نثبت لله عز وجل أسماءه الحسنى وصفاته العليا التي وردت في الكتاب والسنة الصحيحة. ونعتقد أن السلف (رضوان الله عليهم) وأهل السنة والجماعة يعلمون معنى الصفات ، ولكنهم يفوضون علم الكيفية والكُنه إلى الله عز وجل ، فنحن نعتقد كما اعتقدوا أن الله عز وجل موصوف بهذه الصفات حقاً لا مجازاً على الوجه الذي يليق بجلاله ، من غير أن يشابه خلقه شيء من صفاته. وكما قال مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن كيفية بدعة) ، فنحن نؤمن أن الله يداً ليست كأيدينا ، وله بصر ليس كأبصارنا ، ونؤمن بنزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا ، فنقول: النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عن كيفية بدعة. * الاستواء والوقفية: ونحن نؤمن أن الله عز وجل مستو على عرشه بائن عن خلقه فوق السماء السابعة (ولا نقول الاستواء بمعنى الاستيلاء أو الهيمنة أو السيطرة) ، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يحد بزمان أو مكان. المعية: وهو تعالى معنا بسمعه وبصره وعلمه. * الإيمان بالقدر: ونؤمن أن الله خالقنا وخالق أفعالنا مع كون العبد مختاراً في أفعاله ، ونؤمن أن الله فعال لما يريد. ونؤمن ألا يكون شيء إلا بإرادته عن تقديره ، ولا يصدر عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدد ، ولا يتجاوز ما خطه له في اللوح المحفوظ ، وعقيدتنا وسط بين القدرية التي تسند الفعل إلى العبد وتجعله خالفاً لفعله من خير أو شر ، ونخالف الجبرية فلا نقول العبد مجبور على فعله من خير أو شر ، بل كما قلنا نعتقد أن الله خالقنا وخالق أفعالنا ، والعبد مختار بفعله. * الإيمان: نحن نعتقد أن الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان ، تزيده الطاعة وتنقصه المعصية. * الذنوب والكبائر: وعقيدتنا وسط بين المرجئة والحرورية (الخوارج) والمعتزلة ، فنحن لا نقول كالخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر ، إلا إذا استحلها ، ولا نقول كالمرجئة أن الإيمان لا يضر معه معصية ، ولا نقول كالمعتزلة أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ، بل نرجو للمحسن العفو ونخاف على المسيء العقاب ، وإن مات ولم يتب فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. * الصحابة: وعقيدتنا وسط بين الروافض (الشيعة) والخوارج ، فنحن نعتقد بفضل الصحابة كلهم ولا نغلو في أهل البيت ، بخلاف الخوارج فإنهم قد كفروا عثمان وعلياً وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص والعياذ بالله ، ونؤمن أن أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق

ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي رضي الله عنه ، ثم بقية العشرة (سعد وسعيد وطلحة والزبير وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف) ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة (بيعة الرضوان) ، ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم. ونتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ، ونستغفر لهم ، ونذكر محاسنهم ، ونكف عن مساوئهم ، ونسكت عما شجر بينهم ، ونقر بفضلهم ، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، أو يعمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر ، مثل السجود للصليب ، ونرجو للمحسنين أن يغفو الله عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء. * الأولياء: ونقر بكرامات الأولياء ، والمؤمنون المتقون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن والسنة. * التشريع بغير ما أنزل الله: ونرى بأن التشريع بغير ما أنزل الله كفر ينقل عن الملة ، ونرى القوانين الوضعية باطلة لا تلحقها الإجازة ولا التصحيح ، ونعتقد أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة (منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم) إلى أن يقاتل آخر أمته الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل. وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخلدون في النار إذا ماتوا موحدين - وإن لم يكونوا تائبين - فهم في مشيئته وحكمه ، إن شاء غفر لهم بفضلهم وإن شاء عذبهم بعدله. ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ، وعلى من مات منهم ، ولا نشهد على مسلم بكفر ولا نفاق ولا شرك ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ، وندع سرانهم إلى الله تعالى ، ولا نصدق كاهناً ولا عرفاً ، ونكره أصحاب البدع ، ونرى أن الاستغاثة بالأموات وطلب الحاجات منهم شرك! وأما التوسل بأي أحد من الخلق فهو غير جائز ويجب تركه. ونرى أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها ووضع السرج فوقها والرايات وتعليق الستور عليها وإقامة السدنة حولها من البدع المحرمة التي يجب محاربتها. ونؤمن بفتنة القبر ، ونعيه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، وبقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً ، وينصب الموازين ، وتنشر الدواوين ، ونؤمن بالصراط المنصوب على سفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم ، ونؤمن بحوض نبينا صلى الله عليه وسلم وبشفاعته ، وأنه أول شافع ، وأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان وأنها الآن موجودتان ، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين وخير الخلق أجمعين. وأن الله تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات ، ونؤمن أن العرش والكرسي حق ، وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، فمن اعتقد عقيدتنا وصلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ما لنا وعليه ما علينا. ونعتقد أن القرآن منزل من عند الله ، وهو كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأنه سبحانه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمين وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم). هـ. ورحم الله الدكتور عبد الله عزام وأسكنه فسيح جناته ، فلقد كفاني تلخيص كل هذه النقاط! وأنا أوردتها هنا بشئ من التعديل اليسير ، لأدلل على أنها عقيدتي أدين الله بها ، وأحيا عليها وأموت عليها وألقى ربي - سبحانه وتعالى - عليها. وأحب العمل للدين لأنه حياة الإنسان المسلم الذي يعبد الله سبحانه وتعالى على بصيرة. والأمر كما قال الأستاذ محمد المنجد في محاضراته: (استنهاض الهمم للعمل للإسلام) حيث يقول: (العمل وترك البطالة والكسل

هو منهج حياتنا. العمل للإسلام واغتنام الفرص واجب لأجل ذلك. العمل لإعزاز دين الله. العمل لرفع راية لا إله إلا الله. إن العمل هو ما ينبغي علينا أن نقوم به ، لأن من حق الله عز وجل علينا أن نعمل لدينه ، وأن نقوم بما يريده منا سبحانه وتعالى ، ولذلك خلقنا لأجل أن نعمل. إن العمل للإسلام واجب لا مفر منه ، وإن المعوقات عن هذا الواجب لا بد من إزالتها والتغلب عليها ، والعمل للإسلام في جميع مراحل العمر ، فإن من نعم الله علينا في هذا الدين أن العمل له صالح في كل الأعمار ، للصغير والكبير، والذين يقولون: إن السن قد تقدم ولا مجال للعمل ، وقد رق العظم ، وظهر الشيب ، فلنتركه للشباب. إن هؤلاء ما فقهوا دين الله تعالى ، وقد قال عز وجل: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ). قال الحسن البصري رحمه الله: [لم يجعل الله للعبد أجلاً في العمل الصالح دون الموت]. فالنهاية التي نقف عندها هي الموت ، ألم تر أن ورقة بن نوفل رضي الله تعالى عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ). هذا مع كبر سنه وذهاب بصره ، وتمنى أن يكون فيها جذعاً قوياً عندما يظهر أمر الدعوة ، ليقوم بالواجب. إن مثل هذه الأمنية تنفع صاحبها عند الله ، لأن نيته حسنة. وقال أبو طلحة الأنصاري لما قرأ سورة براءة ، وأتى على هذه الآية: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال: [أرى ربنا عز وجل استنفرنا شيوخاً وشباباً ، جهزوني أي بني. فقال بنوه: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات ، ومع عمر رضي الله عنه حتى مات ، فنحن نغزو عنك ، فأبى ، فجهزوه فركب البحر ، فمات غازياً في البحر في سبيل الله ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ، ولم يتغير ، فدفنوه فيها]. إن العبد لا يجوز له أن يطعم طعم الراحة التامة والنهاية من العمل ولا يستريح إلا بالموت ، بل قال الإمام أحمد رحمه الله لما سئل: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة. وهؤلاء الأنبياء بعثوا بعد الأربعين ، وعملوا إلى الموت ، وهذا عمر رضي الله عنه يعمل في مصالح المسلمين ، وهو مطعون وجرحه يثعب دماً! إن الدنيا تشغلنا عن العمل للإسلام كثيراً ، وإن أوقات الكثيرين لتذهب في قضايا الدنيا ، وبعضهم يعمل مع أنه يكسب أكثر من حاجته ، لكن الطمع في الدنيا يجعله يعمل زيادة ، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له ثان ، وهكذا ... فإذا قنعك الله - يا عبد الله - بما رزقك ، فاستعمل بقية وقتك في خدمة دينك ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (فاتقوا الله وأجملوا في الطلب). وإن الانهماك التام في الأعمال الدنيوية يضيع على العبد فرصاً عظيمة لنيل الأجر والثواب ، فكيف بمن ينشغل بالدنيا عن عمل الآخرة؟! وقد مدح الله المؤمنين الذين يتركون عمل الدنيا عند حضور عمل الآخرة ، فقال: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رَجُلًا لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ). وترى بعض الطلاب ينهمكون في دراسات قد لا تعود عليهم بفائدة في أمتهم ودينهم ، ويعملون أكثر من المطلوب ، ويستهلكون وقت اليوم كله في أمور الدنيا ، كما يستهلكه أولئك التجار وغيرهم من العاملين للدنيا ، من عمل إلى عمل ، ومن قضية إلى قضية ، إلى آخر اليوم. فماذا بقي للآخرة إذا؟ أين العمل للآخرة في برنامجك اليومي؟ هذه الصلوات تؤديها ، لكن العمل لإعزاز الدين ونشره والدعوة إليه أين هو في حياتك؟ أين إقامة الإسلام؟ أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أين تعليم الشرع؟ أين نصح الناس في حياتك؟ لما تخاذل أكثر المسلمين عن نشر الدين ؛ صرنا في هذه المنزلة الوضيعة بين الخلق ، وكثير من الموظفين لا يغتنمون مجالات

الدعوة في وظائفهم لنشر الإسلام ، والدعوة إليه ، ونصح الخلق. خذ على سبيل المثال: هؤلاء الأطباء الذين يحتكون يومياً ويتعاملون مع المرضى ، ومن أسهل شيء عليهم أن يقوموا بدعوة المرضى للتمسك بالدين ، من خلال المعالجة التي يقومون بها ، فماذا قدم هؤلاء وغيرهم من أصحاب المكاتب لأجل الدين ، حتى في وسط العمل ، وفي وسط الموظفين الذين يعملون معهم؟ كم أمروا شخصاً بإقامة الصلاة؟ وكم نهوا شخصاً عن منكر ومعصية؟ وكم نصحوا للدين وأخلصوا لله؟ إنها مسئولية سوف نحاسب عليها، يقول تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ). إن بعض الناس أتوا من فساد تصورهم ، فتركوا العمل للدين ، وقالوا: إن القضية ليست قضيتنا ، ونحن نتركها للدعاة العاملين ، وأنا مقصر لست ملتزماً بكثير من الأحكام ، فليست الدعوة من شأنى ولا من وظيفتي ، وليس إقامة الدين والنصح من أمري. كيف تقول ذلك؟ إن نشر الدين ليس مقتصراً على طبقة دون طبقة ، ولا على مستوى دون مستوى ، ولا على نوعية من المسلمين دون أخرى ، بل كلنا دعاة وكلنا ناصحون ، وكلنا يجب أن نقوم بأمر الدين ، قال الله: (وَفِي ذَلِكَ فَايْتِنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ). أين المسارعة في الخيرات؟ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ، كل واحد يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، فإذا لا بد لكل إنسان أن يقوم بذلك ، ليس نهياً عن المنكر فقط ، وإنما أمر بالمعروف أيضاً ، وإنما هو تعليم للدين ، وإرشاد ونصح. كم من الخلل والعيب يكون عندما ينشغل الإنسان عن العمل بنقد الآخرين ، فيكون شأنه أن يلتمز هذا ، ويسخر من هذا ، وينتقص هذا من الدعاة العاملين ، وهو لا يعمل شيئاً؟! إن الذي يعمل هو الذي يخطئ ، والذي لا يعمل قد لا يرى منه خطأ ، فلا يغرنك ألا ينتقد شخص ، فربما يكون سبب عدم انتقاده أنه لا يعمل أصلاً. إن حساسية بعض الناس من النقد تجعله يترك العمل ، ويقول في نفسه: لماذا أصبر على لوم الناس؟ وما الذي يجبرني على تحمل هذه الانتقادات؟ فيتترك العمل ، وهل الدين إلا مناصحة ، ودل على العيوب؟ كما قال عمر رضي الله عنه داعياً ربه: [رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا]. وكذلك كان الصالحون يطلبون النقد لأعمالهم والتصحيح ، ولذلك قال ميمون بن مهران رحمه الله: قولوا لي ما أكره في وجهي، لأن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره. وليس المقصود إساءة الأدب ، ولا التناول والتعدي ، ولكن يكون النصح في بعض الأحيان ثقيلاً على النفس ؛ لأن فيه نوع انتقاد ، ألا فلا ينبغي أن يمنع هذا ، أو أن يترك الإنسان العمل لأجل خوف نقد الآخرين ، فإن شخصية المسلم ليست شخصية هزيلة ، وإن مرضاة الناس لا تقدم عنده على مرضاة الله عز وجل. ثم إن بعض هؤلاء يقولون: إن الآخرين لا يقدرّون جهودنا. وهل نحن نعمل لأجل أن يقدر الآخرون جهودنا؟ إننا نعمل لوجه الله. (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً) وكل ما لا يراد به وجه الله يضمحل ويذهب. إذا كان القصد أن يثنى الناس على أعمالنا فقد هلكننا والله ، فينبغي أن نعمل سواءً قدر الآخرون جهدنا وأثنوا علينا ، أو لم يثنوا علينا ، ذكرونا بخير أو ذكرونا بغيره). ومن هذا المنطلق كان ديوان: (من وحي الذكريات).

الافتتاحية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه. وبعد ، في كتابه العظيم المعنون له ب: (ماذا يقرأ الشباب؟) للأستاذ أنور الجندي يبين لنا ماذا نقرأ وكيف نقرأ ولمن نقرأ ولماذا نقرأ فيقول ما نصه: (يجب أن يستجيب الكاتب المسلم في هذه الآونة لهذه الدعوة الملحة الموجهة من الشباب تحت عنوان (ماذا نقرأ) حتى تكون في مأمن من ذلك الإعصار الخطير الذي يتمثل في عشرات من المؤلفات ذات مظهر براق و عناوين لامعة وتخفي في أطوائها السموم. يجب أن لا نخدعنا الأسماء ذات الدوي ولا الأثواب البراقة ولا أرقام التوزيع أو براعة الإعلان وأن نكون قادرين على الحكم على الكتابات المطروحة من خلال قيمتها الحقيقية ومن خلال معرفتنا لمدى إيمان كاتبها بأمتهم وفكرهم ، ذلك أن هذه الدعوة: هي بمثابة خطوة أساسية وثابتة على الطريق الصحيح. ذلك أننا إنما أوتينا من قبل الكتب اللامعة والأسماء البراقة. وإن أول علامات الصحة في حكمنا على الأمور أن نحاكم الفكر نفسه بإخلاص وإيمان ، وأن يكون الكتاب المقرون لدينا الموحدين ، نأخذ منهم ونتلقى عنهم ، هو أولئك الذين عرفوا بنصاعة الصفحة وصدق الإيمان وسلامة الماضي ونقاء الوجهة والتحرر من التبعية والولاء لغير هذه الأمة وفكرها. وليكن دليلنا دائماً: أن نقرأ الكاتب قبل كتابه ، فإذا طبقنا علم الجرح والتعديل استطعنا أن نعرف مدى إيمان الكاتب وصدق انتمائه إلى أمته وفكرها ، وهذا هو ما نتقبل منه عطاءه أما غيره فلنكن منه على حذر فإذا قدم شيئاً نافعاً فلنقبله إيماناً بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ولنكن على إيمان كامل بأن الكاتب الصادق يستمد قوته من الحق ويستمد مظهره من تراث الأنبياء والأبرار ويكون في دعوته وهدفه وكتاباته مطابقاً للآية الكريمة: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً". فهو لا ينكر العلم ولا يكتمه ، وهو في نفس الوقت لا يشتري بالحق ثمناً قليلاً. ولا يكون أبداً أداة لتزييف الحق أو تضليل الناس أو إعلاء شأن الأهواء وخداع الناس بها تحت عناوين الفكر الحر أو الانطلاق أو غيرها. إن الكاتب الذي يطمع في أن يكتب ثقة الشباب المسلم المثقف يجب أن يكون قادراً على تحمل أمانة الكلمة مقدراً للأبعاد المختلفة لهذه الأمة وفكرها والتحديات التي تواجهها. وأن يكون من كرامة الشخصية بحيث لا يغش ولا يموه ولا يزدري مقدرات هذا الفكر. وليعلم أنه سوف لا يمر وقت طويل حتى تكشف الحقائق أمره ودوره ونحلته ومن ثم يسقط سقوطاً لا سبيل معه إلى استعادة الثقة. ذلك أن القارئ المثقف في هذا العصر على الرغم من وجوده على حافة الدائرة وليس في قلبها فإنه قد آمن بأن أمته تواجه اليوم تحديات خطيرة عن طريق الغزو الثقافي والتغريب وأن الثقة لم تعد في المستطاع الحصول عليها إلا لعدد قليل ممن برهن تاريخهم وكشفت وقائع حياتهم عن الصدق والإخلاص. إن في الساحة كتاباً كثيرين ، وهناك من قد يستطيعون عن طريق البراعة والذكاء وإحسان العبارة وإخفاء الهوى أن يصلوا إلى بعض العقول والنفوس نتيجة لمرحلة القصور الذاتي الموجودة بين الشباب الذي لم يتعلم من أصول فكره الإسلامي العربي إلا شذرات قليلة ، بينما أتخم بفنون مختلفة من فكر الغرب. إن الكتب البراقة والصحف اللامعة والأسماء الشهيرة قد كانت على مدى هذا العصر الحديث تحطت الأبصار ولكنها كانت عاجزة عن أن تمتلك القلوب والنفوس. أن عشرات من هذه الأسماء التي لمعت لم تلبث أن سقطت وانكشفت زيفها ، وأن عشرات من هذه الكتب التي

أحدثت ضجة لم تلبث أن انطوت ، وظهرت عشرات الكتب والأبحاث في كشف زيفها والرد عليها. إن هناك نظريات كثيرة سادت بسُلطان التغريب زمناً ثم سقطت. فعلى الكتاب الذين يتصدرون اليوم أن يعرفوا هذه الحقيقة. إنهم سوف لا يستطيعون الصمود فوق المسرح وتحت الأضواء إلا زمناً قليلاً ثم ينكشف زيفهم. أما الكتاب الصادقون فإنهم مهما عجزوا عن تسنم المنابر الضخمة والصحف الكبرى ، فإنهم معروفون بأعيانهم أن وجودهم في الظل هو علامة على قدرتهم على التمسك بالحق وصمودهم بعيداً عن مغريات الأضواء. إن الكاتب الذي يصطفيه الشباب المسلم هو القادر على أن يقول الحق ، وأن ينصح للأمة ، وأن يدل على الطريق الصحيح. وأن أخطر أخطاء الكتاب هو التعصب الخفي المستور وراء مظاهر المنهج العلمي ، بينما تبدو الأحقاد واضحة ليست في حاجة إلى من يكشف عنها. وأن أكبر أخطاء الكتاب العجز عن النظرة الكلية والكلمة المنصفة. إن الكاتب القادر على الإنصاف من النفس هو القادر على أن يكسب ثقة القارئ ، ليس من شأن الكاتب أن يجعل نظريته الذاتية قانوناً شاملاً. وليس من شأن الكاتب أن يتطرف إلى جانب أو يقف عند النظرة الجزئية. ليكن الكاتب منتصباً إلى أمته وفكرها وعقائدها. وليكن صادقاً في هداية قومه إلى الحق. ذلك أن الباطل مهما أسبغ عليه من صور العلمية أو بريق العبارة ، فإنه سوف ينكشف ويتعري ، والشيء المصادم لطباع الأشياء لا يدوم. إن كل دعوى إلى نظرية لا تندمج في العقيدة الأساسية للأمة سوف يرفضها هذا الفكر مهما حشد لها من قوى وأقلام كما يرفض الجسم الحي أي جسم أجنبي غريب. إن الكاتب الذي هو معقد المسؤولية والأمانة: من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق. وهو الذي يتعصب للحق وحده ، وينكر ذاته وينكر التبعية عن أي صورة من صورها. ولا قيمة للكاتب الذي يفصل بين القيم فيعجز عن معرفة الصورة الكاملة ، ويجهل أبعاد القضايا. لا قيمة لكاتب بلا عقيدة كاملة ، تستطيع أن تضع كل شيء موضعه ، وتقف من كل الأمور موقفاً حاسماً. إن الكاتب بلا عقيدة كالربان الذي فقد اتجاه الريح ، وعلامات السماء ، لقد استطاع الفكر الوافد أن يخلق طبقة تقول أنني مشغول بالأدب فلا أعرف في العقائد أو المناهج ، بينما كل ما يعرض عليها في الفكر الغربي من وجودية أو علمانية أو مادية أو لا معقول له ارتباط كامل بكل قيم الإنسان. والمجتمع مؤثر فيها ، هادف إلى أحداث آثار بعيدة المدى بالقيم والعقائد. على الكاتب الذي يحمل أمانة هذه الأمة أن يكون قادراً على التحرر من التبعية الفكرية وأن يكافح من أجل تحرير فكره وأمته منها وأن يعرف أن المعرفة الإنسانية عامة وأنة العلم عالمي وأن العقائد والثقافات خاصة بكل أمة. وأن يؤمن بأن هذه الأمة لها رسالة مستمرة ما زالت تؤديها للبشرية. وأنه ليس من عمل الكاتب المسلم تبرير الواقع بل عليه أن يضع المعالجات لإصلاحه وأن يدعو إلى تغييره إذا تطلب التغيير. وأن يرد كل تغيير وإصلاح إلى الإطار الأصيل الذي يتحرك فيه الفكر الإسلامي العربي. وليؤمن الكاتب الذي يريد أن يكسب ثقة الشباب المثقف أن انبعاث الأمم إنما يستمد قوته من فكرها ومقوماتها وأن انبعاث المسلمين والعرب لن يكون من خارج مقومات فكرهم وعقائدهم. وأن الكاتب ليس بهلواناً جاء لإضحاك الناس وإرضاء غرائزهم وهددهة أهوائهم ، ولكنه جاء ليصحح الأخطاء ويكشف الزيف ويضيء الطريق إلى الحق).هـ. ألا وإنني قد آليت على نفسي منذ كتبت الشعر أن أتناول القضايا المهمة وأرسخ للقيم والأخلاق في شعري ، وأن أتقي الله فيما أكتب ، لأن قلوب الناس وعقولهم أمانة يسألني الله عنها يوم القيامة! ومن هنا نفتتح هذه القصيدة ببيان ما ينبغي أن يكون عليه الكاتب المسلم من خلق!

خياران أحلاهما مُر!

(كان أمام ذلك المعلم خياران كل منهما أشد مرارة من الآخر! حيث إنه كان قد خَير بين أن يعمل معلماً في مدرسة جُل طلابها من الذين يدينون دين الحق لكنهم غير مباليين ويميلون إلى الضوضاء وعدم الاحترام ، مع تدني راتب المدرسة! ومدرسة أخرى جُل طلابها من الذين لا يدينون دين الحق ، لكنهم مؤدبون منظمون يميلون إلى الهدوء والسكينة مع علو الراتب إلى ثلاثة أضعاف المدرسة الأولى ذات الطلاب المشاكسين. فاحتر المعلم وفكر ثم نظر ، وخاف أن يسأله الله غداً عن طلاب هم من أبناء جلدته ويدينون بدنه. وأخيراً اختار الأولى. وبما أن الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها ، أو أنى وجدها فهو أولى بها كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فإنني أورد هنا ما قاله الأتبا أرميا الأسقف العام رئيس المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي نصياً عن الحيرة في اتخاذ القرار حيث يقول بتصريف زهيد: (إن الحيرة التي تجتاح نفس الإنسان وأفكاره في أثناء مسيرته في رحلة الحياة ، حيرة متى استسلم لها فترات طويلة كانت عاملاً سلبياً في حياته ، إذ تحمل معها التردد والقلق ، مع التوتر الذي سرعان ما يتحول إلى غضب قد يصل به إلى تعطل طاقاته ومواهبه وإمكاناته! ولكسر تلك الحيرة التي تكون حلقة مُفرغة تسرق الإنسان من الحياة ، علينا أن ندرك أسباب الحيرة ، ومنها: * يُعد عدم فهم الإنسان لما يدور من حوله من أحداث ومواقف أحد الأمور التي تجعله في حيرة من اتخاذ قرار أو موقف ؛ وقد يظهر ذلك في حياة أولئك الذين يهاجرون من بلادهم إلى أخرى ولا يُتقنون لغتها ، فيكونون في حيرة إلى أن يعتادوا الحياة هناك. * الخوف من الخطأ النابع من رغبة الإنسان في عدم الإخفاق أو عدم اختيار الموقف غير المناسب ، كإنسان يجد أمامه عدداً من الخيارات فيتردد أمامها خوفاً من الفشل. وهناك نوع من البشر يعتبر الفشل كارثة كبرى تُنهى أحلامه وآماله ، فيحاول الابتعاد عنه مما يجعله دائماً في حالة من الحيرة والتردد والقلق عند اتخاذ أي قرارات. وأتذكر هنا كلمات الفيلسوف اليوناني "أرسطو" عن الفشل: "الهروب هو السبب الوحيد في الفشل ؛ ولذا فإنك لا تفشل ما دمت لا تتوقف عن المحاولة". * سبب آخر يكمن في عدم وجود قدر مناسب من المعرفة عن موضوع الاختيار ، فهذا النقص من المعلومات التي تشتمل على إيجابيات الخيار وسلبياته يقود الإنسان إلى حيرة شديدة. * عدم الثقة بالنفس أحد الأسباب المهمة التي تجعل الإنسان متردداً وفي حيرة من أمره عند اتخاذ قرارا بشأن موقف. يقولون: "للثقة بالنفس حدود ؛ فالإفراط فيها يسمى غروراً ، والتقليل منها يسمى تردداً". * عدم وجود هدف واضح في حياة الإنسان ، أو حينما يفقد الإنسان رؤيته للأمور ، فيؤدي هذا أو ذاك إلى اهتزاز الهدف الذي وضعه لنفسه ؛ فيجد الإنسان ذاته في حيرة قاسية قد تدمر حياته. * عدم قدرة الإنسان على التعامل مع تقلب المواقف ، أو عدم الاستقرار الذي هو أحد سمات الحياة ، يضعه في حيرة وتردد وتساؤل دائم عن الصواب والخطأ. فقد تأتي الحيرة من أحلام تفوق إمكانات الإنسان الحالية أو وضعه العائلي والاجتماعي غير المستقر ، مما يصبغ حياته وأفكاره بالتردد وصعوبة اتخاذ القرارات الملائمة. * سبب آخر هو محبة البعض الفائقة لذاته ورغبته في الحصول على كل شيء دون خسارة حتى أقل القليل ، في تناس أن إحدى سمات الحياة أنها حياة شركة بين الجميع: يتقاسمه بأفراحها وأحزانها. عموماً أسباب كثيرة قد تؤدي بنا جميعاً إلى الحيرة والتردد ، إلا أننا ينبغي أن لا نتوقف حيالها ونعتذر عن

الاستمرار في الحياة ، بل يجب أن يدرك كل إنسان ما يُسبب له الحيرة والتردد ، ويبدأ في خطوات إيجابية نحو تخطي هذه العوائق).هـ. يقول الأستاذ عبد الرحمن اليحيى – مبيناً أن طلابنا المسلمين أولى بأن يدركوا احترام العلم والمعلم – يقول ما نصه: (لقد ورتنا أحسن الأديان وأحسن اللغات وأفضل العادات فمبادنتنا لا تحتاج إلى صقل ، ولا إلى تركيز! فهي في غاية التركيز والوضوح! فلقد تركنا نبينا على المحجة البيضاء: ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك! إننا نحيا على الأرض لتكون العبادة لله. وذلك بخلاف العالم الآخر ، فهو يحيا من أجل أن يستثمر أمواله للترفيه واللهم وكل ما من شأنه خدمة البدن ، ولم يخطر بباله خدمة الروح. فكان الشقاء والجنون والانتحار والاضطراب في حياتهم. وصدق الشاعر: (أنت بالروح لا بالجسم إنسان). إن الحياة الغربية تعتبر الخمر شراباً روحياً ، في حين أن المسلمون يعتبرون غذاء الروح القرآن والذكر. نحن المسلمين مشغولون بأداء حقوق الله ، لأن من أدى حق الله أدى حقوق عباده. أما الغرب وحضارته فهو يتحدث عن حقوق القطط والحيوان ، وينتهك حقوق البشر ، ولا يتحدث عن حقوق الله ولا أنبيائه. بل يعتبرون شتم الرب والأنبياء حرية تعبير! وإذا كان ذلك كذلك فأين حق الله؟ إنها حضارة لا تتحدث عن حقوق الله ، ولا تقيم لها وزناً! إن عالم اليوم لا يحتاج إلى التسامح فقط ، بل يحتاج إلى من يدلّه على طريق الهداية. إن الحضارة الغربية تعيش في أزمة ، فقد كثر فيها الانتحار والاضطراب بسبب بعدها عن الله والذي يحول بيننا وبين الحضارة الغربية ليس هو التراث لأنه نتاج ثقافي تركه أسلافنا وإنما يحول بيننا وبينهم العقيدة ، ونحن نعتقد صواب الوحي وأنه معصوم من الخطأ. والحضارة الغربية هي في نهاية الأمر صنع إنسان يخطي ويصيب. وحاصل الأمر ما أحوج العالم اليوم إلى الإسلام فينقذه من خرافات عبادة الأوثان أو عبادة العلم ، فلنن ابهر العالم التقدم العلمي فيحسبون أن الطائرة والصاروخ والقنبلة الذرية وجهاز الراديو والغسالة هي التقدم ليس هذا هو المقياس. يقول أحد الباحثين الكبار من الغرب: (إن الغرب يعيش أزمة ، وهي الفراغ الروحي. والإسلام وحده هو العلاج ، وهو الذي يدعوك لتجميع بين الدين والدنيا معاً. فلا يطغى جانب على جانب ، فلا نشغل الإنسان بعالم الحس ونكبت روحه كالحياة الغربية ، ولا نشغله بأمور الروح على حساب كيانه ومطالب جسده كالهندوكية والبوذية) ، ولهذا قال نبينا لبعض المتشددین (ولكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء) متفق عليه. إن الإسلام توازن بين الروح والجسد. وتوازن بين عالم الغيب وعالم الشهادة. وتوازن بين الإيمان بالقدر وبين الأخذ بالأسباب. وتوازن بين جوانب الحياة كما في الأثر: عش لدنياك كأنك تحيا أبداً ، واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً! فمثلاً نحن نؤمن بالقدر ، ومأمورون بالأخذ بالأسباب لأن من عطل الأسباب بحجة التواكل أصابه الفقر والمرض والجهل والعجز ، وإن أخذ بالأسباب كلها وانقطع عن الله. كالحياة الغربية فقد أنتجوا إنتاجاً مادياً ضخماً ، ولكنهم انحطوا أخلاقياً وروحياً إلى الحضيض فأصابهم القلق والأمراض العصبية والجنون والانتحار! وكانت النتيجة أنهم فقدوا الطمأنينة التي يجدها المؤمن في ذكر الله وقدره. فوازن الإسلام بين الحدين المتطرفين فلا نهمل الدنيا على حساب الآخرة فنكون عالة ، ولا نهمل العبادة على حساب عمارة الأرض فنخسر الدنيا والآخرة ، ولكن الجاهل بحقيقة الإسلام كالناظر إلى الشيء من بعيد ويصعب عليه رؤية تفاصيله وفروعه! والعجيب كلام البعض عندما يتحدثون عن التطور فيقولون: انتهى عصر التلقين والحفظ ، ونحن في زمان التطور والعلم والبحث ، فيقولون: إن سبب التخلف والضعف والجهل والمرض هو الدين. ولا بد من نبذه كما فعلت

أوروبا ، فإنها لم تتقدم إلا حين حطمت الأغلال (الدين) والجواب: (متى وقف الإسلام في وجه العلم والمعرفة؟ إن أول ما نزل اقرأ باسم ربك الذي خلق) والتاريخ يشهد لهذه الأمة بأنها كانت تشجع التجارب العلمية ، وتعطي الجوائز عليها في حين كانت أوروبا تعتبر ذلك جريمة وتعاقب فاعلها بالقتل. أما موقفنا من الحضارة الغربية اليوم فهو موقف من كل حضارة سابقة نأخذ النافع وندع الضار. أما جعل التقدم والتطور في الاختلاط وسياسة المرأة للسيارة وعرض الأجساد العارية في الطرقات وإفساد الأخلاق فهذا هدم للدين وللأخلاق وللقيم. وهو مرفوض جملة وتفصيلاً. وأما الإسلام فلا يمنع فتح المصانع ولا تعلم الصناعة ولا غزو الفضاء ، ولكن يمنع الاختلاط والفساد. إن اليابان لما أرادت اللحاق بركب الحضارة أرسلت أبناءها ليتعلموا الصناعات ، وفتحت المصانع وشجعت المبدعين ، فحازوا قصب السبق. والحاصل أن الإسلام يدعو إلى إقامة الدين والدنيا ، ولكن بعض المثقفين يريدون دنيا على حساب الدين فيقولون: انتهى عصر التلقين والحفظ ، ونحن في عصر التطور. ويُجاب عن هذا بأن تعلم الدين فريضة لأن الغاية من خلقنا عبادة الله ، وتعلم علوم الدنيا وسيلة وليست غاية ، فلا نقدم الوسيلة على الغاية ، وفي هذا كفاية لمن له هداية).هـ. وأرسل رسالة عتاب للأبناء يوبّخهم فيها على اللامبالاة وعدم الاحترام! وتخيلته يصف شعوره بين الخيارين المرّين!)

جرتُ بين الخيـور والأرزاءِ	وافتديتُ الهلاكَ بالنعماءِ
قيل: قارنُ ، واعقلُ ، وسددُ ، وقاربُ	وافتكُرُ ، وادرسُ ، فاشتريتُ شقائي
وابتنيتُ الأحلامَ دون اكتراثِ	والسرابُ يودي بعين الرائي
وارتجلتُ الأفكارَ دون تـرو	كارتجال الأغرار والسفهاء
واتخذتُ القـرارَ دون أدكار	فاحتوتني عواقبُ الأرزاءِ
والخيـاراتُ أسـلمتني لظنني	والظنـونُ تغتال جـل الذكاء
والصـحاب لـم يراعوا شعوري	فانزويتُ بين القلبي والجفاء
آثروا الدنيا في سقيم اختيار	واسـتـهانوا بالشـرعة الغـراءِ
نظـروا للدينار يُغـري نفوساً	ويـمـنـي القلوبَ بالعلياء
ثم يـضـفي على الخزايا جلالاً	وعلى الحمقى هيبـة الكبرياء
وعلى العـادين سـحنة عـز	وعلى النـوكى شـيمة الحكماء
جرتُ بين الأصحاب هذا لبيبُ	عالمٌ بالحياة والأحياء!

غارق في الزلات والأهواء
قلت: مرحى بالسيادة النصحاء
يُورث القلب لعنة الأرزاء
ليس فيه للمعتدي من فداء
لا تُطيلوا منظومة الإغراء
مثلما يرجو جحفل الأعداء
فتقبّل يا رب مني مضائي
وعليك التكلان ، فاقبل دعائي

وغبي في الطيش ليس يُبارى
كم أتاني الجميع كي ينصحوا لي
فإذا بي أرى النصيحة هزلاً
أصبر اليوم أتقي سوء يوم
طاعة المولى يارفاقي أولى
لن أبيع الأخرى بدنيا بتاتاً
وعلى ما قلت المليك شهيداً
ذاك جهدي ، وأنت أدري بحالي

حمل بين الذوبان (الأستاذ عبد الكريم)

(إنه ليفترض فيمن يُدير مؤسسة أو مصنعاً أو منشأة أن يكون حكيماً واعياً. وتزداد حِكْمَتَهُ ووعيه إن كان يدير مدرسة! كما يجب عليه أن لا يغلب جانب الأهواء والانتصار لحظ النفس طرفة عين. وإنه عندما تكون المسألة خاصة بالمشاعر والأحاسيس والعواطف تصبح أكثر حساسية وعمقاً. وواقعتنا هذه المرة تتناول مُعلماً أراد أن يصلح فأفسد جزئياً. حيث إنه خير طلابه في إحدى الحصص الفراغية بين أن يسأله فيجيب على أسئلتهم أو يسألهم هو فيجيبون عن أسئلته! فاختاروا أن يسألوه. وبما أنهم في الصف التاسع فقد جاوزوا الخُلم وجرى عليهم القلم. فكان المعلم صريحاً معهم في مسائل تتعلق بالزواج وممارسات المراهقة مستغلاً في ذلك تعطشهم للمعرفة ، ولم يكن يدرى أنهم خبثاء الطوايا وفسدوا النوايا. وإنما سأله ليوقعوه في شرك قد نصبوها وفخاخ قد أعدوها ونيران قد أضرموها! بينما راح الأستاذ يفتح معهم شيئاً فشيئاً حتى أسفوا الحديث فجاراهم في هذا الإسفاف ولم يزرهم ، بل استمر الأمر على ذلك إلى أن تم لهم ما أرادوا. وانقلب للمعلم ظهر المِجَن ، ولم يشفع له 32 دقيقة كان قد التزم فيها بالآية والحديث والحكمة ، وكأنه لم يكن في الحصّة إلا الدقائق الخمس الأخيرة التي فيها الإسفاف. وبدلاً من أن يدافع المدير عن معلمه ويبين حسن نيته ، فتح النار على نفسه وعلى المعلم وعلى المدرسة وعلى الطلاب! ففجأ الجميع واحترق المعلم في أتون الفتنة الضارية التي أوقد نارها وأضرم سعيرها حمقُ مدير الغفلة! فشكا المعلم أمره إلى الله تعالى ، وفوض أمره إليه. وتم إنهاء عقد المعلم من أجل إرضاء لوالد أحد الطلاب الذي كان من أجهل الناس ، ولا أكون مبالغاً إن قلت: كان أجهل من الدواب ، حيث إنه جمع بين الأمر ونقيضه! إذ كيف لأستاذ في الجامعة أن يكون بهذا التفكير وبهذه الانتقامية الغبية! ولقد كنتُ حاضراً وجادلته فألفيته لا يصلح أن يرعى تيوساً في مزرعة فضلاً عن يُعلم أبناء في الجامعة! ولكنه استغل الموقف أسوأ استغلال ، ولم يترث في الأمور. فكان المعلم بين ذوبان لا ترحم: طلاب أوقعوه واستدرجوه ، وإدارة غير حكيمة أدانته زوراً وبُهتاناً ، ووالد أحد الطلاب هدده وتوعده ، إضافة إلى بعض أولياء أمور طلاب تشفوا بالإنابة وحاربوا المعلم بالوكالة! وأشهد بالله أن هذا المعلم مظلوم ولا شك! وأسأل الله أن يعوّضه وينتقم ممن ظلموه عاجلاً غير آجل! إن كل ظالم له نهاية وله حساب! أما المظلوم فلو تأمل في موعود الله: (لأنصرك ولو بعد حين) لهدأت نفسه ، وانبسط خاطره ، وانشرح صدره ؛ وانفتحت أساريره ، لأن الله تعالى لن يُضيعه ، ولو توجّه إلى الله شاكياً فسينتقم له من ظالمه ولو بعد حين: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). هكذا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمعاد بن جبل: (...واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). [متفق عليه]. وليعلم أن المظلوم دعوته مستجابة! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده". (حسنه الألباني). وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمّل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب: لأنصرك ولو بعد حين) ، [أخرجه أحمد وغيره وصححه الألباني]. ورواية أخرى للحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ). رواه

أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب وعزتي لأنصرتك ولو بعد حين). رواه الترمذي. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه). رواه أحمد. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ، فإنه ليس دونها حجاب). رواه أحمد. وروى ابن المبارك عن رياح بن عبيدة ، قال: كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ، فقال عمر: مهلاً يا رياح! إنه بلغني أن الرجل يظلم بالمظلومة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم حتى يستوفي حقه ويكون للظالم الفضل عليه! وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فآكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره). رواه البخاري. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيث حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ، ثم طرح في النار}. [رواه مسلم]. قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه! قيل له: وكيف يلعن نفسه؟! قال: يقول: {ألا لعنة الله على الظالمين} وهو ظالم. ودعوة المظلوم تصعد إلى السماء كالشرار: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار" [صححه الألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً: فعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه". [أخرجه أحمد وغيره ، وحسنه ابن حجر والألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب". (صححه الألباني). ومن هنا يجب الحذر من دعوة المظلوم ، فإنها وصية النبي لأصحابه - وهم أبعد الناس عن الظلم -: (يا معاذ... واتق دعوة المظلوم). [متفق عليه]. (يا علي اتق دعوة المظلوم...). [أخرجه ابن حبان بإسناد حسن]. "ولنتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قوتهم على ضعيفهم ، ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه ، كيف يسלט عليهم من يفعل بهم كفعالهم برعاياهم وضعفائهم سواء ، وهذه سنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويعيدها كما بدأها" (ابن القيم). واحذر عداوة من ينام وطرفه بك يقلب وجهه في السماء يرمي سهاماً ما لها غرض سوى الأحشاء منك... (ابن القيم). ومن هنا تأثرت بالموقف ، وشرعت في الكتابة عنه! ووقع تفكيري وأنا أحاول أن أتخيل كيف أبدأ وعلى أي بحر وعلى أي قافية! واستقر الرأي على محاكاة شوقي في انتصاره للمعلم! ذلك أنني أحاول هنا أن أبين الحق ، وأكشف عوار إدارة لا تستحيي بالمرة ، وأدافع عن المعلم اليوم كما دافع عنه شوقي بالأمس في ثلاثينيات القرن المنصرم! ولشوقي الفضل بعد الله ، ولي شرف المحاولة والمعارضة ، وأجري على الله. هذا ولقد أيدت رؤية شوقي وتبنيها في قصيدة: (جاز المعلم وفه التبجيل!) 111 بيتاً! وتأتي قصيدتنا: (حمل بين الذوبان) لمناسبة خاصة عندما كانت هذه التمثيلية المكشوفة والمؤامرة الدنيئة والمسرحية الهزلية التي حيكت للأستاذ الحبيب عبد الكريم علي رجب أحد كرام أهل (ظفر)

في مدرسته التي جمعنا معاً في دار غربتنا! ولما كانت الإدارة ضعيفة هشة مهترئة حاقدة جاهلة سفيهة تم للأبء والأمهات المغرضين ما أرادوا! والأصل أن يقوم تحقيق عادل ومنصف يستهدف بيان الحق! أما أن يتحكم الأبء والأمهات في القضايا المصيرية للمدرسة فهذا طيش ونزق يتورع عنه أي مدير يفقه ألف باء الإدارة! وعموماً مثل هذه النوع من الإدارات لا يعمر طويلاً! لأن تغول الأبء والأمهات سوف يلحقه ويزاحمه ويقصيه عن منصبه يوماً ما! عندما تحمست للأستاذ عبد الكريم كانت هذه القصيدة ترجمة لهذا الحماس! وأسأل الله أن يجند قلمنا للحق ويؤيده بالحق!

اهـجُ المعلمَ كـي يُرى مَـذلولاً
واضربْ دُفوفك ، واسـبـكِ التـطـبـيـلا
أضحى المعلمُ مُسخةً لُخْثالَةً
هي في احتباكِ الإفكِ أكذبُ قـيـلا
ولقد تزيد على الكذبية كذباً
والكذبُ أخبثُ عادةً وميولاً
هان المعلمُ في زمان جهالةٍ
فمضى يُصارغُ مُغرضاً وجهولاً؟
يا ليت شعري كيف ساءت حاله
حتى بكى دُوراً له مغفولاً؟
أوليت شعري كيف كابد ثاويلاً
في الناس يدابُ لاهثاً ومُجـيـلا؟
بين التلاميذ الألى لم يرحموا
حال المعلمُ مُذْغداً مَـذلولاً
وإدارة لَمَّا تـوَدَّ حُقوقه
كلا ، ولم تجز الجميلَ جَميـلا
في حصاةٍ تاهت معالمُ دربها
ولكل مَن حضرُوا بصائرُ حـولى
لم تتخذ لغة الحوار سَجِيَةً
بل كل غر أشهر التـدجـيـلا
مِن كل تلميذٍ بضاعته الهوى
في الكيد أشهر حُمقه الضـليـلا
وتعقبوا الأستاذ في أقواله
كلَّ يَحْضُر - في المتاهة - سُـولا
خبثت نواياهم ، وأخفق سعيهم
إذ بيّتوا - عند الجدال - نـحوـلا
نصبوا الشباك ، ولم يراعوا حُرمة
والمكرُ أمسى فاضحاً مَرذولاً
وتظاهروا بالعلم يُضفي هالة
قدسية تسـتـعـجـلُ المـجـهـولـا
أما المعلمُ فـانـبـرى لـجـدالهم
وتلا - على طلابه - التـنـزـيـلا

ويحوز سَبَقاً مَنْ يسوق دليلا
ويُزيلُ - بعد بيانهِ - التجهيلا
ليكون إثراء الخبير بديلا
حتى ترشّد أنفساً وُغِقولا
كيلا يَناظر لا هتأاً ومُجَيلا
بعبارةٍ ما جُمِلتْ تجميلا
وتفيد مُعتكِرَ المِزاجِ جَهولا
إذ أشعلوا - للعائدات - فتَيلا
واسـتدرجوه ، ونـاولوه وُحوـلا
عدلتُ عن الحق المبين عُـدولا
ليكون ما هم أمَلوا تـأميلا
فاحتار في أفعالهم مـذـهولا
وكبيرهم أمسى الفتى المـردولا
وأبوك عنها أصبح المـسـوؤولا
إذ أولاً ما قاتله تـأويلا
و(الدلو) مد يد الوشاية طولى
عجباً لنذل يُتقن التمثيلا
مردتُ على حبك الخداع طويلا!
لم تتبغ هدي الرسول سبيلا
ويدُ التجاوز في التخرص طولى

ساق الأدلة مثل شمس أشرقت
ومضى يزودهم بـوافر علمه
ما انفك يُثري بعضَ معلوماتهم
لم يألُ جهداً في النصيحة ساقها
هو ما أراد سوى البيان لسائل
هو ما أراد سوى التبسط مازحاً
حوتِ النكاتِ لكي تسليَ خاطراً
لم يَـذُرْ أن الدارسين ثعالِبُ
مكروا بأستاذٍ تعمّد نصـحهم
فانساق يحسبُهم ضحايا بينةٍ
فرمى بدلوا في النقاش على المـلا
نصبوا الشيباك ، فعرقلوا أسـتاذهم
هو ما توقع أنهم خـدمُ العدا
بك يا (ابن طرشان) غزتنا فتنة
والنذلُ (أرشد) والشقية أمه
طغناك عن قصدٍ بأخبثِ خنجر
و(علاء) جاملهم ليخرج سالماً
بـنس الإدارة أسـندت لحفالةٍ
فغدا المعلمُ بين أخبثِ جوقه
أفتت بلا علم ، وضلت ، واعتدت

للمعضلات الموبقات حُلولا
م) تشفياً ، وتُرى عدمتَ بديلا
وشفى كبيرُ المعتدين غليلا
بنذالةٍ ، هي - في القياس - الأولى
لما يسأل أهل المشاهد سُولا
حتى يُحصَلَ حقه تحصيلا
إذ غلبَ التسفيه والتجهيلا
وعسى تحقق - في الدنا - المأمولا
وجزاك خيراً يا صديقُ جزيلا

وتوشحت بالشائعات فلم تجد
بين الذناب غدوت يا (عبد الكريم)
ظلموك إذ أخذوا القرارَ تعنتاً
وانصاعاً للتهديد ينصُرُ باطلاً
لم يسأل الشهداء ، لم يستفتهم
لم يتخذ لغة التفاهم منهجاً
لما يكنُ فيما أراد موفقاً
(عبد الكريم) رحلت تسبقك المنى
ورعاك ربُّ الناس خيرَ رعايةٍ

مع سبق الإصرار والترصد

(في بقعة من بقاع الأرض مردولة ، تدعي القيم ، والقيم منها برينة! وتدعي الأخلاق ، والأخلاق لا تكاد تمثل شيئاً من أعرافها ولا تقاليدها. وذاد حبات الطين بلة أن سادت فيها عادة من أعرب ما رأيت في حياتي ، وهي أن تجد أمام بيت شقتك أو دارك أو على نافذة سيارتك قد عُلفت بطاقة عليها صورة امرأة شبه عارية ، وقد كتب على هذه البطاقة: (نحن في خدمتك من أجل المساج والتدليك والمتعة) ، ثم وضع بالطبع رقم الهاتف للاتصال! وأسأل أين الغيورون من القامين على أمر هذه البقعة الملعونة التي تجاهر الله بالزنا المقنع المقنن الممنهج؟ إذا كتب على هذه البطاقة شيئاً يعيب البقعة أو القامين عليها هل يمكن أن نتصور أن تبقى هذه البقعة وفيها هذه الظاهرة العُهرية؟ تلك التي إن دلت على شيء فإنما تدل على الدياثة على أعراض الناس! إنه الدعر والتجارة في الأعراض الرخيصة مع سبق الإصرار والترصد! وإلا يكن ذلك كذلك فما هو تفسير الخنوع الأثوي من جانب الطواغي ، والأمر أوضح من نار على علم؟! لقد عمّت البلوى بهذه الممارسات ، وأصبحنا نسمع عن زنا المحارم والزنا بالجارات والقريبات! عن بُريدة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً ، من المجاهدين في أهله ، فيخونه فيهم ، إلا وقف له يوم القيامة (فيقال: يا فلان هذا فلان قد خانك في أهلك ، فخذ من حسناته ما شئت! ثم التفت إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما ظنكم؟ ترون يدع له من حسناته شيئاً؟) (صحيح). وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا شباب قريش ، احفظوا فروجكم ، لا تزنوا ، ألا من حفظ فرجه فله الجنة" ، وفي رواية: "من سلم له شبابه ، فله الجنة". (صحيح). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر". (صحيح). وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما ظهر الربا والزنا في قوم إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله - عز وجل". وعن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "ما تقولون في الزنا؟" فقالوا: حرّمه الله ورسوله ، فهو حرام. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لأن يزني الرجل بعشرة نسوة ، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره" ، ثم قال: "ما تقولون في السرقة؟" قالوا: حرّمها الله ورسوله ، فهي حرام. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات ، أيسر عليه من أن يسرق من [بيت] جاره" (صحيح). وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مثل الذي يجلس على فراش المُغَيِّبة مثل الذي ينهشه أسود من أساود يوم القيامة". (صحيح). وقد خطب الأستاذ محمد بن سليمان المحيبي عن هذا الزنا المُقنع المتدثر برداء المساج والتدليك ، فكان مما قال بتصريف: (إن الزنا من النتائج البدهية للتبرج والاختلاط ؛ فمتى وجد التبرج والاختلاط وجد الزنا ، ومتى فتح السبيل للتبرج والاختلاط فتح السبيل للزنا ، فهما رفيقان لا يفترقان ، وصنوان لا ينفصمان ، وإذا نزل الأول في مكان قال له الثاني: أنزلني معك ، وإذا رحل قال: خذني معك. إن الزنا من أعظم المفسد وأخطر الفواحش التي تهدد المجتمع المتلبس به ، وتندره بالويل والثبور ، وتحفر له المدافن والقبور ؛ فقد نهى الله عباده أن يقربوه ، ورتب عليه أشنع العقوبات العاجلة والآجلة ؛ لأنه يدمر الأخلاق ، ويخلط الأنساب ، ويسبب حدوث الأمراض المستعصية

والمهلكة ؛ ففي الحديث الذي رواه ابن ماجه: «ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا». فالزنا عين الهلاك ، ورأس الفساد ، ومضيعة الأموال والأعراض والأولاد ، كما أنه مُخِلٌ بالشرف والمروعة ، وموَدِّ إلى المرض والخزي والعذاب المهين ، فالخيبة كل الخيبة لمن استعبدته شهوته لامرأة زانية ، والندامة كل الندامة لمن أضع نصيبه من الجنة واستبدل به ناراً حامية ، والذل كل الذل لمن جاء يوم القيامة والصديد يسيل من فرجه. يقول مكحول في تفسير قول الله تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ). "يجد أهل النار رائحة مُنتنة فيقولون: ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة ، فيقال لهم: هذه ريح فروج الزناة". ويقول ابن زيد: "إنه ليؤذي أهل النار ريح فروج الزناة". وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له». وأخرج الطبراني في الأوسط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والزنا فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسخط الرحمن ، ويسبب الخلود في النار». والزناة يُعذَّبون في النار كما جاء هذا في حديث إسراء النبي صلى الله عليه وسلم التي رأى فيها صوراً من عذاب القبر ، فقال: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات ، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عُراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا – أي: صاحوا من شدة حره - فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء هم الزناة والزواني – يعني: من الرجال والنساء - فهذا عذابهم». وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يلج الناس به النار ، فقال: «الأجوفان: الفم والفرج». ولقد وصف بعض الصالحين آثار هذه الفاحشة المدمرة فقال: "عار الزنا يهدم البيوت الرفيعة ، ويطأ الرعوس العالية ، ويسود الوجوه البيض ، ويخرس الأسنان البليغة ، ويبدل أشجع الناس من شجاعتهم جبناً لا يدانيه جبن ، ويهوي بأطول الناس أعناقاً ، وأسماهم مقاماً ، وأعرقهم عزاً إلى هاوية من الذل والازدراء والحقارة ليس لها من قرار ، وهو لطفة سوداء إذا لحقت تاريخ الأسرة ، كما هو عار يطول عمره طويلاً ، فقاتله الله من ذنب ، حماتا الله وذرارينا منه". ويقول ابن القيم رحمه الله: "ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم ؛ فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها ، ونكست رعوسهم بين الناس ، وإن حملت من الزنا ؛ فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل ، وإن أبقته حملته على الزوج فأدخلته على أهلها وأهله أجنبياً ليس منهم فورثهم ورآهم وخلا بهم وانتسب إليهم وليس منهم". وأما زنا الرجل فإنه يوجب اختلاط الأنساب ، وإفساد المرأة ، المصونة وتعرضها للتلف والفساد ؛ ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين ، ولشدة خطره وعظيم قبحه شدد الله عز وجل عقوبة مرتكبه ، فجعل له عقوبة معجلة ، وعقوبة مؤجلة. جعل له عقوبة حسية ومعنوية. فالعقوبة الحسية: العذاب الأليم بالجلد أو الرجم بالحجارة ، والمعنوية: أن لا ترأف به ، ولا نشفق عليه حتى يبرأ من جريرته ، ويتوب منها ، قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني.. خذوا عني! قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم». فزنا الثيب أي: المتزوج - أقبح من زنا البكر. وإن من عقوبات الزنا كذلك: أن الزاني قد تعجل له عقوبة أخرى فيرى غيبتها وأثرها في أسرته ، وهذا قد وقع كثيراً ، فكثير من النساء اللواتي قبض عليهن زانيات أزواجهن ممن يكثرون السفر إلى بلاد الإباحية ، أو ممن لهم سُمعة سيئة وتصرفات وقحة داخل مجتمعهم. إذا حدثتكَ نفسك بالزنا فتذكر مصير أهلِكَ ، وإذا حدثتكَ نفسك بالزنا مرة أخرى فاسأل نفسك: هل ترضى أن يزني أحد

بزوجتك ، أو بابنتك ، أو بأختك؟ ثم اعلم بعد ذلك أن غيرك لا يرضى كذلك. ولقد روى الإمام أحمد عن أبي أمامة: أن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله! ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فرجروه ، وقالوا: مه مه؟ فقال: ادنُ. فدنا منه قريباً ، فقال: اجلس. فجلس ، فقال صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله ، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله ، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله ، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله ، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال: فوضع يده عليه ، وقال: اللهم اغفر ذنبي ، وطهر قلبه ، وأحصن فرجه ، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء». كما أن الله سبحانه وتعالى حرم الزنا ، وشدد في الوعيد على مرتكبه ؛ فقد بين جل جلاله الأجر والخير والفضل لمن عفت عن حرمت المسلمين ، فقال عز وجل: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ). وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله عد منهم: «ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقال: إني أخاف الله». وفي حديث يرويه ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل اسمه الكفل وكان لا ينزع عن شيء» وفي رواية: «كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله ، فأتى امرأة علم بها حاجة فأعطها عطاءً كثيراً» ، وفي رواية: «ستين ديناراً ، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت ، فقال: ما يبكيك؟ قالت: لأن هذا عمل ما عملته قط ، وما حملني عليه إلا الحاجة ، فقال: تغلين أنت هذا من مخافة الله؟ فانا أحرى. اذهبي فلك ما أعطيتك ، والله لا أعصيه أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابيه: إن الله تعالى قد غفر للكفل ؛ فعجب الناس من ذلك ، حتى أوحى الله إلى نبي زمانهم بشأنه». [رواه الترمذي وقال: "حديث حسن"] . وفي قصة يوسف أبلغ دليل على فضيلة العفة وحسن عاقبتها. والحقيقة أن من طبيعة البشر أن يكون لهم نزعات متباينة. فمنها نزعات إلى الخير والحق ، ومنها نزعات إلى الباطل والشر ، كما قال سبحانه: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) ، ولما كانت النفوس الشريرة ، والنزعات الخاطئة ، والأعمال السيئة لا بد لها من رادع يكبح جماحها ، ويخفف من حدتها شرع رب العباد - وهو الرءوف الرحيم - عقوبات متنوعة بحسب الجرائم ؛ لتردع المعتدي ، وتصلح الفاسد ، وتكفر عن المجرم جريمته! فالسارق تقطع يده ، والزاني يجلد إذا كان بكراً ، ويرجم حتى الموت إذا كان ثيباً ، وشارب الخمر يجلد كذلك. وإن من أعظم الحكمة وأجلها: أن وضع الله سبحانه سبلاً للخلاص من كل جريمة تقيه وتحميه من الوقوع فيها وفي شباكها ، فطرق الخلاص من الوقوع في الزنا كثيرة جداً: * أولها: إقامة الحدود ؛ فإن الجاني إذا علم أن هناك رادعاً وزاجراً سيحول بينه وبين ما توسوس له نفسه ؛ فإنه بذلك يقف ويتراجع باذن الله. * ثانياً: غض البصر: فلما كان مبدأ الوقوع في جريمة الزنا من قبل البصر جعل سبحانه الأمر بغض البصر مقدماً على الأمر بحفظ الفرج ، فقال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ) ، فكل الحوادث مبدأها من النظر؛ فكم من نظرة أودت بصاحبها إلى الوقوع في المعصية ، وفتنة الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل! ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركه من مخافتى أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه» ، ويقول صلى الله عليه وسلم: «كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً غضت عن محارم الله ، وعيناً سهرت في سبيل الله ، وعيناً يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله». * ثالثاً: الحجاب للمرأة: وهو ستر وجوههن وأجسامهن صيانة لهن وللرجال

من الوقوع في الفاحشة. * رابعاً: منع الخلوة بالمرأة التي ليست من محارمه ؛ لأن ذلك مدعاة إلى إغراء الشيطان لهما بالفاحشة مهما بلغا من التقوى ، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ" ، فمن خلا بامرأة لا تحل له فقد عصى الله ورسوله ، وعرض نفسه للفتنة ، سواء كانت الخلوة في بيت أو مكتب أو متجر أو في سيارة ، كركوب المرأة مع الرجل في السيارة خاليين ، كما يفعل بعض أصحاب سيارات الأجرة ، وكما يفعله بعض الذين أضعفت المادة غيرتهم ؛ فجعلوا لنسائهم سائقين أجنب تتركب إحداهن مع السائق وحدها يذهب بها حيث شاءت. * خامساً: سفر المرأة بدون محرم ؛ فإن المرأة مظنة الشهوة والطمع ، وهي لا تكاد تقي نفسها لضعفها ونقصها ، وغياب الرقيب من أوليائها عنها ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها» ، سواء كان السفر في طائرة أو في غيرها. * سادساً: تبرج النساء وهو خروجهن بثياب الزينة ؛ لأن ذلك مدعاة لصرف الأنظار المرئية إليها ، ووسيلة لوقوع الفاحشة! وقد خالف كثير من النساء اليوم فصرن يلبسن أفخر الثياب ، ويخرجن إلى الأسواق بكامل زينتهن. * سابعاً: الاستماع إلى الأغاني الماجنة الهابطة الساقطة ؛ فإن استماعها من أكبر دواعي الزنا والفجور. * ثامناً: تحريم مصافحة الأجنبية ، فلمس المرأة باليد يحرك كوامن النفس ، ويفتح أبواب الفساد ، ويسهل مهمة الشيطان ؛ لذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مصافحة المرأة الأجنبية ؛ فعن مغل بن يسار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له». وقد قال صلى الله عليه وسلم وهو أظهر الناس قلباً وأسلمهم نية: «إني لا أصافح النساء» ، وتقول عائشة: «ما مست يد رسول الله يد امرأة إلا امرأة يملكها». * تاسعاً: السفر إلى الخارج ؛ لما في ذلك من تبذل النساء العاريات هناك ، وابتعاد الكثير منهن عن تعاليم دين الإسلام ، ولما في ذلك من توفر دواعي الفتنة بشتى أنواعها من سفور واختلاط. * عاشراً: خروج المرأة متطيبة فإن من دواعي فتنة الرجل بالمرأة ونزوعه إليها: ما يشم منها من الطيب الذي يفوح شذاه ؛ فيجر إلى الفتنة ، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة استعطرت ، ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها ؛ فهي زانية وكل عين زانية». وهناك أسباب أخر لتقي هذه الفتنة والهروب منها: كالعكوف على كتاب الله وسنة رسوله ، وقراءة سير الصالحين).هـ. ولنن كانت دواوين أغلب الشعراء في القديم والحديث - على اختلاف لغاتها وديانات شعرائها - تدعو إلى الزنا وتحببه إلى النفوس من خلال الشعر الماجن ، فلي الفخر أن يُحذر ديواني هذا من الزنا! ويدعو إلى الفضيلة والكرامة والوقار! أنشدتُ في ذلك).

كم عجبنتُ ، وهالني استغرابي!	وانتجبتُ حتى دهاني انتحابي!
وانفعلتُ حتى طواني انفعالي	والبرايا حولي يقولون: ما بي؟
واشـتغلـتُ بالشـعر أنقـذُ وضـعاً	منه طمئت دغاولي وعذابي
كيف نيل الإسلام سراً وجهراً؟	إنني مما قلت له في ارتياب
كيف هذي الشريعة اليوم غابت	والبرايا لم يشعروا بالغياب؟

في القرى هبت ريحه والقصاب؟
وي كئال لم نذر هول المصاب!
والديار عانت عتي الخراب
والتردي من بعض سوء العقاب
ذهبت بالشباب قبل الشباب!
وانحدرنا بدون أي احتساب
بشعور توشحت بالخضاب
طوغ من يبغي ، دون أي اغتصاب!
كي يعيشن كالعاهرات القحاب!
أنها تهدي حسنها للصحاب
حيث تشرى بخساً حسناً الكعاب؟
في يد سوط خلف كأس شراب؟
والإمساء يُذعنّ دون ارتعاب!
فتنة شعوا آذنت بخراب
من إمساء يجرين خلف السراب
بك صارت مُستتقعا للتباب
فاطرح الهزل والهوى والتصابي
إنما النصر مُؤذّن باقتراب

كيف هذي الكفار طوعاً غزانيا
والخنوع أوهى قوانا ملياً
فانبطحنا للغرب لَمَّا ضَعَفْنَا
وانطلقنا نحو السقوط سِيراً
والخطايا أمست تروح وتغدو
والزنا عم الدار في كل وإد
والبغايا يلهثن في كل صقع
بيعت الأعراض الرخيصة جهراً
من وراء المجهول جنن إلينا
كل أنثى تلقي بكارت ودعوى
ياترى هل عصر الجواري دهانا
هل تولى النخاس أمر إمء
ثم في الأخرى كيس أخزى نقود
أيها النخاس المقامر هذي
مع سبق الإصرار تغري بجيش
أيها القواد المرابي دياري
لن يدوم هذا التردي طويلاً
سوف ترمى بالنعل عما قريب

جيرمان جاكسون – ولادة جديدة

(لقد كان اعتناق جيرمان جاكسون - شقيق مايكل جاكسون - للإسلام ولادة ثانية لجيرمان على حد تعبيره! وقصة إسلام جيرمان جاكسون قصة في غاية العجب! ولدعه يحكيها لنا بنفسه! يقول: إن إشهار إسلامي في السعودية قد فاجأ أفراد أسرتي بأمريكا. حيث اشتهرت عائلة جاكسون الأمريكية بالغناء والموسيقى. فقد كوّن جاكسون الأب فرقة غنائية موسيقية من أبنائه. وكانت فرقة "جاكسون فايف" في بادئ الأمر من أشهر الفرق الغنائية الموسيقية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وذاع صيتها في السبعينات ، وحصلت على شهرة عالمية واسعة. وسارت هذه الفرقة الغنائية الموسيقية من نجاح إلى نجاح ، وتربعت على قمة الغناء الموسيقي الشعبي في أمريكا. كما أن اسطواناتها وأشرطتها حصلت على أعلى الإيرادات. وتصدرت أغنياتها قائمة الأغنيات الأكثر مبيعاً في العالم في ذلك الوقت. ومن ثم كبر هؤلاء الفنانون الموهوبون ، وتفرقت بهم سبل الحياة الغنائية الموسيقية ، فكوّن كل واحدٍ منهم فرقته الخاصة. ولكنّ ظلت الأسرة ككل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالغناء والموسيقى. ففي وسط هذا الجو الغنائي الموسيقي نشأ جيرمان جاكسون شقيق المغني الأميركي المعروف مايكل جاكسون. فجيرمان ينتمي لأسرة فنية لا يجهل أحد شهرتها وأثرها في خارطة الأغنية الشعبية الأمريكية. وكانت تنشئته وتربيته في هذه الأجواء الفنية التي تركت أثراً واضحاً في مسار حياته إلى يومنا هذا. لقد بدأ جيرمان جاكسون رحلته الإيمانية التي قادته إلى اعتناق الإسلام من رحلة فنية إلى عدد من دول منطقة الشرق الأوسط ، حيث كان مرافقاً لأخته الكبرى. فهناك عرف حقيقة الإسلام من أفواه الأطفال. قال جيرمان جاكسون: عند زيارتي إلى عدد من دول منطقة الشرق الأوسط في عام 1989م ، بصحبة أختي الكبرى ، حيث زرنا - خلال هذه المرحلة - البحرين ورحب بنا الكثيرون. وكنت مرة أتبادل الحديث مع الأطفال في المنامة خلال تلك الرحلة. فمن جملة أسئلتهم البريئة سؤال كان عن ديني ، فأجبتهم بأنني نصراني ، وسألتهم بدوري عن دينهم ، فأجابوني بصوت واحد أن دينهم الإسلام. وكانوا فخورين جداً بالانتماء لهذا الدين ، وانطلقوا في الحديث عنه. وسألتهم أكثر عنه ، وصار كل واحد منهم يحدثني عن الإسلام بطريقة أدهشتني ، فهؤلاء الأطفال الذين أحببتهم كانوا فخورين جداً بدينهم ، ويتحدثون عنه بسعادة غامرة. وفي حوار أجرته معه مجلة "المجلة" في العدد 966 حيث استهلّ قائلاً: إنني بعد عودتي من البحرين والحديث مع أولئك الأطفال عن الإسلام تيقنتُ من إنني سأصبح مسلماً. وتحدثت مع صديق لي اسمه علي قنبر عن هذا الشعور الذي بدأ ينتابني منذ فترة وأفصحت له عن رغبتني في تعلم المزيد عن الإسلام. وسافرت معه إلى المملكة العربية السعودية لأتعرف على الإسلام أكثر فأكثر ، وهناك أعلنت إسلامي. ولما كان جيرمان جاكسون محباً لأسرته وعاشقاً للغناء والموسيقى منذ نعومة أظفاره ، رأى أنه لن يتخلى عن الغناء والموسيقى ، بل أصبحت له رسالة من نوع جديد ، فبدلاً من أن يعتزل الفن ، بدأ يشعر من خلال إسلامه بدفعة جديدة لتقديم المزيد ضمن مشواره الفني راغباً في الاستفادة من الأضواء وآلاف المشجعين المحبين له ، وذلك بتقديم رسالة من نوع جديد. ويواصل جيرمان جاكسون الحديث عن بداية مشواره في رحلته الإيمانية التي قادته إلى اعتناق الإسلام فيقول: سافرتُ مع صديقي علي قنبر إلى مدينة الرياض لمعرفة المزيد عن الدين الإسلامي ، ومن هناك سافرت إلى جدة واصطحبتني أسرة سعودية كريمة بعد اعتناقي للإسلام إلى مكة المكرمة لأداء العمرة. ويضيف جاكسون أنه بعد إسلامه شعر بأنه ولد من جديد بحق وحقيقة. ويقول: كانت لديّ العديد من الأسئلة الحائرة التي أبحث لها عن إجابات ، خاصة الأسئلة المتعلقة بالنصرانية

وعيسى عليه السلام ، فوجدت إجابات جاهزة ومقتعة لكل هذه الأسئلة لحظة اعتناقي الإسلام. وقد كنت في حيرة من أمري كنصراني نشأ في أسرة متدينة ، إذ كان يُحيرني دائما أن الإنجيل مكتوبٌ على أيدي أشخاص عاديين. وكان دائماً يخطر ببالي أن هؤلاء بشر ، فكل واحد منهم سيراعي نفسه ومجموعته فيما يكتب ، بينما القرآن كتاب الله حفظه الله على مرّ السنين والأجيال! "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". وفي السعودية وجدت أشرطة جميلة جدا للمغني البريطاني السابق والداعية الإسلامي يوسف إسلام ، وفيها مناظرة حول الإسلام والنصرانية ، ومنها تعلمت الشيء الكثير. ويتطرق جاكسون إلى أن هناك حملة إعلامية سيئة ضد الإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومما أعجب له أن الناس العاديين في أمريكا يُصدّقون هذه الحملة الإعلامية الجائرة لجهلهم بحقيقة الإسلام وسماحة هذا الدين. ومن العجيب أيضاً أنه رغم التشابه الكبير بين الإسلام والنصرانية في كثير من الطروحات إلا أن التشويه الموجه ضد الإسلام أكبر بكثير. وقال جاكسون: ان الحملة الاعلامية الجائرة في أمريكا ضد الإسلام والمسلمين لم تقتصر على أجهزة الإعلام المختلفة ، بل إن هوليوود عاصمة صناعة السينما الأمريكية تحاول فيما تنتجه من أفلام أن تصور للناس أن المسلمين إرهابيون وقتلة وأشرار. ولقد عرفت من خلال تجربتي قبل اعتناقي الإسلام وبعده أن الناس عليهم أن لا يصدقوا ما تنتجه هوليوود من أفلام تسيء إلى الإسلام والمسلمين. وأن هذا التشويه يؤلم كل مسلم ، ويجعله يتمنى لو أنه يستطيع تغيير هذه الصورة بصورة الإسلام الحقيقية إسلام الحضارة والنور ، إسلام التسامح والإخاء. وقال جاكسون: لقد قدم لي الإسلام حلولا لكل مشكلاتي ، فأصبحت إنساناً بلا أي مشاكل. وكنت من داخلي أُنغِيز بشكل رائع ، حيث امتنعت عن شرب الخمر تماماً وغيرها من الأشياء المحرمة امتثالاً لأوامر ديني الجديد. وخشية من تأثيري على بقية أفراد أسرة جاكسون وإقناعهم باعتناق الإسلام ، نظمت ضدي حملة واتهموني بأني عدو للسامية ، وأنه بحكم إسلامي لا يمكن لي التعايش مع الآخرين ، وهذا هراء ، فإن الدين الإسلامي دين تعايش في سلام وأمان مع الآخرين. أما عن صدى إسلامه وسط أفراد أسرته ، فيقول جيرمان جاكسون: إن والدته علمت بخبر إسلامه من وسائل الإعلام قبل وصوله إلى الولايات المتحدة الأمريكية من المملكة العربية السعودية ، حيث أشهرت إسلامي وقمت بأداء عمرة في مكة المكرمة. فوالدتي إنسانة متدينة وملتزمة بدينها ، فلذلك كان سؤالها لما جئت إلى المنزل ، إذا ما كنت متأكداً تماماً من هذا الخيار الذي أريده فعلاً وعن اقتناع ، وكان جوابي: إن الإسلام هو الخيار الذي أريده فعلاً. أما عن صدى إسلامه وسط إخوته وأخوانه ، يقول جيرمان: كان قراري باعتناق الإسلام قراراً مفاجئاً لكل أفراد أسرتي ، ولذلك اندهشوا لقراري ، ولما يسمعون عن الإسلام والمسلمين من وسائل الإعلام المختلفة ، منها مثلاً ما يسمعون عن تعدد الزوجات ، فالأمريكيون لا يفهمون أبداً الحكمة من إباحة تعدد الزوجات بالرغم من أن الخيانة الزوجية منتشرة في المجتمع الأمريكي ، بينما يبيح لك الإسلام ما دمت قادراً على الإنفاق على الزواج بأكثر من زوجة واحدة بدلاً من مشاكل الطلاق والخيانة الزوجية. وأضاف جيرمان أيضاً: إن المسلمين في العالم العربي مُحِبون لزوجاتهم وأطفالهم! والمرأة عندهم مُعززة مُكرّمة ، ولكن كثيراً من الأميركيين لا يفهمون هذا ، ولقد أعجبت كثيراً بأسلوب التربية في المجتمعات الإسلامية. وقال بأنه عادة لا يقرأ إلا القرآن الكريم! على الرغم من أنه يمتلك الكثير من الكتب الإسلامية ، لكنه يشعر بأن هذه الكتب تصدر جميعها من القرآن الكريم ، فلذلك يحرص دائماً على قراءة كتاب الله. وجزء من حوار أجرته جريدة الوطن القطريه مع أخ مايكل جاكسون ، جيرمان جاكسون أو محمد عبد العزيز الذي شارك في برنامج الأخ الأكبر في عام 2007م ، وفاز فيه بالمرتبة الثانية. ومن تابعوا «الأخ الأكبر»

كانوا يشاهدون جيرمان وهو يحرص على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، كما كانوا يلاحظون أدبه الجم في التعامل مع زملائه وفي عدم الخوض في «التحريشات العنصرية» ضد شيلبا شيتي والوقوف إلى جانبها وتقديم الدعم المعنوي لها. أكد جيرمان لـ «الوطن» خلال زيارة قام بها للدوحة مؤخراً أنه فخور بأنه من المسلمين. محمد عبدالعزيز تحدث خلال حوار مع «الوطن» عن إسلامه وافتخاره بكونه مسلماً ، وعن الثورات العربية ، ورأيه فيما وصلت إليه الثورات ، كما تحدث عن شقيقه ملك البوب مايكل جاكسون ، وعن أمور أخرى يأتي تفاصيلها خلال الحوار التالي ، والذي نفتبس منه بعض الأسئلة والتي منها: سؤال: هل تابعت الثورات العربية والنتائج التي حققتها؟ جواب: تابعت الثورات العربية وسعدت كثيراً بما وصلت إليه ، وسعادتي أكثر لأن الشباب هو الذي قادها. وكنت أتابع الثورات وأظن بفخر لثوار مصر وتونس الذين حققوا المستحيل وصنعوا معجزة. وأنا من كل قلبي أتمنى لهم التوفيق في قادم حياتهم وأن يكون مستقبل شعوبهم مشرقاً يليق بثورة الشباب. سؤال: وما هو رأيك فيما حققه الشباب العربي من إنجاز؟ جواب: ما حققه الشباب العربي في الثورات العربية دليل على أن الشعوب العربية تمتلك قرارها وبأن الشباب العربي قادر على صنع المستحيل وتغيير حياتهم للأفضل. وأتمنى من الشباب العربي أن يحسنوا استغلال ما حققوه من نجاحات وإنجازات كبيرة خلال ثوراتهم ، وأن يترجموا ما تحقق إلى أشياء ملموسة على أرض الواقع. وبداخلي أمل كبير في أن يساهم الشباب العربي في تغيير الصورة وأن يكون في الصدارة ويغير الفكرة الخاطئة التي يتصورها غالبية الغرب عن الإسلام والمسلمين! فالأفلام الأمريكية مثلا تصور للناس المسلمين على أنهم شرار أهل الأرض وأن المسلمين هم السفاحون الإرهابيون ، وهذا كلام غير صحيح ويؤذي كل مسلم. سؤال: وماذا عن المغني جيرمان جاكسون؟ جواب: أنا أجهز لأحدث ألبوماتي بطريقة مختلفة عن السابق وأسعى لاستفيد من نجوميتي وشهرتي بالشكل الذي يخدم الدين الإسلامي العظيم).هـ. وكما تشير الموسوعة الحرة أن جيرماين جاكسون أو محمد عبد العزيز (ولد في 11 ديسمبر 1954م) ، قرر جيرماين السير على خطى أخيه مايكل ، والشروع في الغناء منفرداً ليشكل ثورة غنائية في أمريكا ، ورشح لجائزة جرامي كأفضل مغني R&B عام 1979 م وذلك عن ألبومه Let's Get Serious أو "لنصبح أكثر جدية". وخلال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي حصلت أغاني جيرماين على مراتب متقدمة ضمن ترتيب أكثر عشرين أغنية شهيرة في الولايات المتحدة ودول غربية أخرى. في عام 2006 م أعلن جيرماين عن تحضيره ألبوماً غنائياً جديداً سيصدر العام الحالي واسمه I'm Back أو "أنا عدت". يعيش جيرماين في مدينة دبي في الإمارات العربية المتحدة مع زوجته الثالثة حليلة رشيد والتي أرتبط بها عام 2004، ويرتبط أيضاً بزيارات متعددة إلى البحرين ، ولد جيرماين كمسيحي تابع لطائفة شهود يهوه وتعرف جيرماين على الإسلام عام 1989 وذلك أثناء زيارة له إلى البحرين ، وفي مقابلة مع مجلة "المجلة" السعودية التي تصدر من لندن قال جيرماين إنه انجذب إلى هذا الدين عندما تحدث مع أطفال في البحرين وشده افتخارهم الشديد بكونهم مسلمين. ثم تحدث إلى علماء مسلمين وبدأ في التعرف أكثر على هذا الدين السماوي ومن ثم اعتنق الإسلام واختار اسم محمد عبد العزيز اسماً له بعد تحوله للإسلام. لكن اسم جيرماين بقي هو الأشهر عالمياً).هـ.

(جيرمان) أبشُرُ بالنعيم جزيلا فعاك تلقى توبة وقبولا

التوب أفضل من مقارعة الهوى والعوذ خير منهجاً وسبيلا

خيراً - على مرّ الزمان - جزيلا
ترجوو الإلهة ، وتقرأ التنزيلا
ودغاولاً وفضائناً ووحوولا
ولقد أقيمت - على الكلام - دليلا
إذ أوغلت في الموبقات طويلا
ليعيش بالعهر المقيت ذليلا
حتى غدا مُستقبلاً مرذولا
فأمات فيه مبادئاً وأصولا
ويدق - حول المفسدين - طويلا
بل عاش منحرف الصوى ضليلا
والفحش شراً عادة وميولا
لا تبغ عن هذي الإله بدليلا
حتى تعيش مُكرماً بهولا
في التيه إذ غدت البصائر حولى
حتى تقود إلى الرشاد عقولا
ويكون سعيداً طيباً مقبولاً!
كي تستطيع إلى البلاغ وصولا
والله خيرٌ - للتقاة - وكليلاً!

والعيش في ظل الحنيفة مُعديق
لا شئ يَعدل أن تعيش مؤخدا
(جيرمان) ودغ عيشة مُلئت أدى
أسنت ، فلم تك بالفساد نظيفة
والغرب يشهد بانحطاط حياته
وتخضبت بالعهر يقتحم المدى
وتوشحت بفجوره أصقاعه
وطغى عليه الدعر دون هواده
وانصاع يُفسد في البسيطة عامداً
لم يلتزم خلقاً ليسطع نجمه
ودعا إلى الفحشاء من يعنوله
(جيرمان) خصك - بالهداية - ربنا
والزم شريعة (أحمد) ونصوصها
وادغ الألى من آل (جاكسون) أوغلوا
علمهم الإسلام ، واصبر واحتسب
حتى تحصّل أجرهم وثوابهم
واضرب بسهم في البطولة ، واحتمل
حيالك ربك ما التزمت بدينه

يا هذه اعدلي بين رضيعك

(احتضنت لقيطاً ، وقالت: أربيه ابتغاء مرضاة الله تعالى! ودفعت به إلى أخت لها مرضع فأرضعته الرضعات المشبعات فصارت بذلك أختها أم رضاعة ، وصارت هي بذلك أم رضاعة وصارت هي خالة من الرضاعة! وفي موقف آخر لها أرضعت أحد الأبناء ذا نسب معلوم أباً وأماً ، جزاها الله خيراً على بذلها وعطائها! ولكن الأمر الذي دفعني للكتابة عنها ولوصيتها بالعدل بين رضيعها هو أنها تدخر التوله والحب والحنان والاحترام والتقدير والإنفاق بسخاء للرضيع اللقيط! بينما الرضيع ذو النسب لم يحظ منها والله بسؤال ولا بكلام ولا بدينار ولا بدرهم ولا بتوله ولا بتعبير! فلما عوتبت في ذلك قالت: على رضيعي ذي النسب أن يطلب مني ما يريد ويشتهي! على حين لم يطلب الرضيع اللقيط شيئاً ، فجميع طلباته مجابة قبل أن يطلبها! والحديث الرابع والأربعون من الأربعين النووية: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب). ونقله من النووي ونقتبس شرح ابن رجب له رحمه الله. روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة. هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية عمرة عن عائشة وخرجه مسلم أيضاً من رواية عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. وخرجاه أيضاً من رواية عروة عن عائشة من قولها ، وخرجاه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرجه الترمذي من حديث على عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أجمع العلماء على العمل بهذه الأحاديث في الجملة! وإن الرضاع يحرم ما يحرمه النسب! ولنذكر المحرمات من النسب كلهن حتى يعلم بذلك ما يحرم من الرضاع فنقول الولادة والنسب قد يؤثران التحريم في النكاح ، وهو على قسمين: أحدهما تحريم مؤبد على الافراد وهو نوعان أحدهما ما يحرم بمجرد النسب فيحرم على الرجل أصوله وإن علون وفروعه وإن سفلن وفروع أصله الأدنى وإن سفلن ، فروع أصوله البعيدة دون فروعهن ، فدخل في أصوله أمهاته وإن علون من جهة أبيه وأمه ، وفي فروع بناته وبنات أولاده وإن سفلن ، وفي فروع أصله الأدنى أخواته من الأبوين أو من أحدهما وبناتهن وبنات الإخوة وأولادهم وإن سفلن ، ودخل في فروع أصوله البعيدة العمات والخالات وعمات الأبوين وخالاتهما وإن علون ، فلم يبق من الأقارب حلالاً للرجل سوي فروع أصوله البعيدة وهن بنات العم وبنات العمات وبنات الخال وبنات الخالات ، والنوع الثاني ما يحرم من النسب مع سبب آخر وهو المصاهرة ، فيحرم على الرجل حلائل آبائه وحلائل أبنائه وأمهات نسائه وبنات نسائه المدخول بهن ، فيحرم على الرجل أم امرأته وأمها من جهة الأم والأب وإن علون ، ويحرم عليه بنات امرأته وهن الربايب وبناتهن وإن سفلن ، وكذلك بنات بني زوجته وهن بنات الربايب ، نص عليه الشافعي رحمه الله وأحمد رحمه الله ، ولا يعلم فيه خلاف ، ويحرم عليه أن يتزوج بامرأة أبيه وإن علا وبامرأة ابنه وإن سفل ، ودخول هؤلاء في التحريم بالنسب ظاهر لأن تحريمهن من جهة نسب الرجل بسبب المصاهرة وأما أمهات نسائه وبناتهن فتحريمهن مع المصاهرة بسبب نسب المرأة فلم يخرج التحريم بذلك عن أن يكون بالنسب مع انضمامه إلى سبب المصاهرة ، فإن التحريم بالسبب المجرد والنسب المضاف إلى المصاهرة يشترك فيه الرجال والنساء ، فيحرم على المرأة أن تتزوج أصولها وإن علوا وفروعها وإن سفلوا وفروع أصولها الأدنى وإن سفلوا من أخواتها

وأولاد الإخوة وإن سفلوا وفروع أصولها البعيدة وهم الأعمام والأخوال وإن علوا دون أبنائهم ، فهذا كله بالنسب المجرد ، وأما النسب المضاف إلى المصاهرة فيحرم عليها نكاح أبي زوجها وإن علا ونكاح ابنه وإن سفل بمجرد العقد ، ويحرم عليها زوج ابنتها وإن سفلت بالعقد وزوج أمها وإن علت ، لكن بشرط الدخول بها. والقسم الثاني التحريم المؤبد على الاجتماع دون الانفراد ، وتحريمه يختص بالرجال لاستحالة إباحة جمع المرأة بين زوجين! فكل امرأتين بينهما رحم محرم يحرم الجمع بينهما ، بحيث لو كانت إحداها ذكراً لم يجز له التزوج بالأخري ، فإنه يحرم الجمع بينهما بعقد النكاح ، قال الشعبي كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لا يجمع الرجل بين امرأتين لو كانت إحداها رجلاً لم يصلح له أن يتزوجها ، وهذا إذا كان التحريم لأجل النسب ، وبذلك فسره سفیان الثوري وأكثر العلماء ، فلو كان لغير النسب مثل أن يجمع بين زوجة رجل وابنته من غيرها ، فإنه يباح عند الأكثرين وكرهه بعض السلف ، فإذا علم ما يحرم من النسب وكل ما يحرم منه ، فإنه يحرم من الرضاعة نظيره ، فيحرم على الرجل أن يتزوج أمهاته من الرضاعة وإن علون وبناته من الرضاعة وإن سفلن وأخواته من الرضاعة وبنات أخواته من الرضاعة وعماته وخالاته من الرضاعة وإن علون دون بناتهن. ومعنى هذا أن المرأة إذا أرضعت طفلاً الرضاعَ المعتبر في المدة المعتبرة صارت أمّاً له بنص كتاب الله ، فتحرم عليه هي وأمهاتها وإن علون من نسب أو رضاع ، وتصير بناتها كلهن أخوات له من الرضاعة فيحرم عليه بنص القرآن وبقية التحريم من الرضاعة استفيد من السنة كما استفيد من السنة أن تحريم الجمع لا يختص بالأختين ، بل المرأة وعمتها والمرأة وخالتها كذلك ، وإذا كان أولاد المرضعة من نسب أو رضاع إخوة للمرضع فيحرم عليه بنات إخوته أيضاً ، وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من تزويج ابنة عمه حمزة وابنة أبي سلمة ، وعلل بأن أبو يهما كانا أخوين له من الرضاعة ، وتحرم عليه أيضاً أخوات المرضعة ، لأنهن خالاته وينتشر التحريم أيضاً إلى الفحل صاحب اللبن الذي ارتضع منه الطفل ، فيصير صاحب اللبن أباً للطفل وتصير أولاده كلهم من المرضعة أو من غيرها من نسب أو رضاع إخوة للمرضع ، وتصير إخوته أعماماً للطفل المرتضع ، وهذا قول الجمهور من السلف ، وأجمع عليه الأئمة الأربعة ومن بعدهم ، وقد دل على ذلك من السنة ما روت عائشة رضي الله عنها أن أفلح أبا القعيس استأذن عليها بعد ما أنزل الحجاب قالت عائشة فقلت: والله لا آذن له حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأته! قالت: فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال: انذني له فإنه عمك تربت يمينك ، وكان أبو القعيس زوج المرأة التي أرضعت عائشة رضي الله عنها. خرجاه في الصحيحين بمعناه. وسئل ابن عباس عن رجل له جاريتان أرضعت إحداها جارية والأخري غلاماً أيحل للغلام أن يتزوج الجارية فقال: لا! اللقاح واحد ولو كان اللبن الذي ارتضع به الطفل قد تاب للمرأة من غير وطئ فحل بأن تكون امرأة لا زوج لها قد تاب لها لبن أو هي بكر أو آيسة. فأكثر العلماء على أنه يحرم الرضاع به وتصير المرضعة أمّاً للطفل قد حكاه ابن المنذر إجماعاً عن أحمد في المشهور المنصوص عنه إلى أنه لا ينشر التحريم به بحال حتى يكون له فحل يدر اللبن من رضاعه وحكي عن الشافعي قول مثله ، ولو انقطع نسبه من جهة صاحب اللبن كولد الزنا فهل ينشر الحرمة إلى الزاني صاحب اللبن؟ هذا ينبني على أن البنت من الزنا! هل تحرم على الزاني أم

لا ومذهب أبي حنيفة وأحمد ومالك في رواية عنه تحريمها عليه خلافاً للشافعي وبالغ الإمام أحمد في الإنكار على من خالف في ذلك فعلي قولهم هل ينشر التحريم إلى الزاني صاحب اللبن فيكون أبا للمرتضع أم لا فيه قولان هما وجهان لأصحابنا واختار ابن حامد أن التحريم لا ينتشر إليه واختار أبو بكر والقاضي أبو يعلى أن التحريم ينتشر إلى الزاني وهو نص أحمد وحكاه عن ابن عباس وهو قول إسحاق بن راهويه نقله عنه حرب. وينتشر التحريم بالرضاع إلى ما حرم بالنسب مع الصهر ، أما من جهة نسب الرجل كامراً أبية وابنه أو من جهة نسب الزوجة كامها وابنتها ، وإلي ما حرم جمعه لأجل نسب المرأة أيضاً كالجمع بين الأختين والمرأة وعمتها أو خالتها ، فيحرم ذلك كله من الرضاع كما يحرم من النسب لدخوله في قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ويحرم هذا كله للنسب فبعضه لنسب الزوج وبعضه لنسب الزوجة وقد نص على ذلك أئمة السلف ، ولا يعلم بينهم اختلاف ، ونص عليه الإمام أحمد ، واستدل بعموم قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وأما قوله عز وجل {وَحَلَائِلُ أَبْنَانِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} النساء فقالوا لم يرد بذلك أنه لا يحرم حلائل الأبناء من الرضاع ، إنما أراد إخراج حلائل الذين تبينوا ولم يكونوا أبناء من النسب كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة بعد أن كان قد تبناه وهذا التحريم بالرضاع يختص بالمرتضع نفسه وينتشر إلى أولاده ولا ينتشر تحريمه إلى من في درجة المرتضع من إخوته وأخواته ولا إلى من هو أعلي منه من آبائه وأمهاته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ، فتباح المرضعة نفسها لأبي المرتضع من النسب ولأخيه وتباح أم المرتضع وأخته منه لأبي المرتضع من الرضاع ولأخيه! هذا قوله جمهور العلماء وقالوا يباح أن يتزوج أخت أخته من الرضاعة وأخت ابنته من الرضاعة ، حتى قال الشعبي هي أحل من ماء قدس ، وصرح باباحتها حبيب بن أبي ثابت وأحمد وروى الأشعث عن الحسن أنه كره أن يتزوج الرجل بنت ظنر ابنه ويقول: أخت ابنه ولم ير بأساً أن يتزوج أمها يعني ظنر ابنه وروى سليمان التيمي عن الحسن أنه سئل عن رجل يتزوج أخت أخته من الرضاعة فلم يقل فيه شيئاً ، وهذا يقتضي توقفه فيه ولعل الحسن إنما كان يكره ذلك تنزيهاً لا تحريماً لمشابهته للمحرم بالنسب في الاسم ، وهذا بمجرد لا يوجب تحريماً ، وقد استثنى كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم مما يحرم من النسب صورتين فقالوا: لا يحرم نظيرها من الرضاع إحداهما أم الأخت فتحرم من النسب ولا تحرم من الرضاع والثانية أخت الابن فتحرم من النسب دون الرضاع ولا حاجة إلى استثناء هذين ولا أحدهما. أما أم الأخت فإنما تحرم من النسب لكونها أم أو زوجة أب ، لا لمجرد كونها أم أخت ، فلا يعلق التحريم بما لم يعلقه الله به! وحينئذ فيوجد في الرضاع من هي أم أخت ليست أم ولا زوجة أب فلا يحرم لأنها ليست نظيراً لذات النسب. وأما أخت الابن فإن الله تعالى إنما حرم الربيبة المدخول بأمها فتحرم لكونها ربيبة دخل بأمها لا لكونها أخت ابنه والدخول في الرضاع منتف ، فلا تحرم به أولاد المرضعة ، ومما قد يدخل في عموم قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب لو ظهر من امرأته فشيئها بمحرمة من الرضاع فقال لها أنت على كأمي من الرضاع فهل يثبت بذلك تحريم الظهار أم لا؟ فيه قولان: أحدهما أنه يثبت به تحريم الظهار وهو قول الجمهور ، منهم مالك والثوري وأبو حنيفة والأوزاعي والحسن بن صالح وعثمان التيمي وهو المشهور عن أحمد. والثاني لا يثبت به التحريم وهو قول الشافعي وتوقف فيه أحمد في رواية ابن منصور. هـ. إن الأم الحقيقية لا تحتاج إلى طلب ، بل تبادر إلى العطاء والسخاء بدون أدنى طلب أو إشارة. فرحت أقول

لها: اعدلي بين رضيعيك. وإذا كنت تؤمنين بأنه يحرم من الرضاعة ما يحرب من النسب فاعدلي! والأصل أن هذه المسائل التي أفضنا فيها وأطلنا فيها النفس وأبدأنا القول فيها وأعدناه مسائل يعلم أغلبها عجايز المسلمين فضلاً عن علمائهم! فكيف غابت عن إنسانة لها حظ من التعليم والعلم؟! ثم إن مجتمع البادية يختلف في تكوينه وحرصه على حرمان الله وتطبيق القيم والأخلاق أكثر من مجتمع المدينة! وبما أن صاحبة قصيدتنا بدوية قحة! نعم بدوية حتى النخاع! فكان لزاماً عليها أن تطبق ما تعلمه من أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب! فإذا كان كل رضيع منهما ابناً لها في الرضاعة فللرضيع ذي النسب حق في الحنان والسؤال والمال ولو من باب الفضل مثل ما ذاك الرضيع اللقيط! ويزداد الأمر إخراجاً لها عندما نعلم أن الرضيع اللقيط تأتيه الكفالة والرعاية من كل صوب وحذب! على حين حرمانها الرضيع ذو النسب! فيا لله ما أحن الطواغي على اللقطاء وأبناء السفاح! وإن كان هؤلاء الأبناء برناء!

إن كان يَعْنِيكَ أمرُ الواحدِ الحكم
ويُشْعِرُ الناسَ بالأفضالِ والنعَم؟
مِنَ المهالكِ والشداءِ والإزم
وذاك واللهِ شرعُ المصطفى الهشم
وضاربٌ حُكْمُه في العمقِ والقِدم!
أم باتِ قلبكِ حقاً غير ملتزم؟
وإن كلاً له وشيجة الرجم
ستُفْلحين إذا عدلتِ في القِسَم!
وقلتِ: تفعلُ مثلَ النسوةِ العُصم
وتبذلُ الحب عن طوع وعن رَغَم
كَيْلا يعيشَ ابنها في فقره الوَحَم
بخاطر في التسامي بالغِ العِظَم
من أن ما صنعتَه جد محترم!
هجرانٌ كارهةٍ فرّت من الغم

أحرى بك العدلُ في التوزيعِ والقِسَم
ما العيشُ إن لم يكنْ عدلٌ يُجَمِّله
وأقسطي إن في القِسْطِ النجاة لنا
أم الرضاعة كالأم التي ولدت!
وذاك أمرٌ عليه الناسُ قد درجوا
وما تغير نصٌّ في شريعتنا
الاثنان كلٌّ بحكم الشرع مرتضع
والعدلُ بينهما يزيدهما
أنتِ التي اخترتِ ، ما أغراكِ من أحد!
تُؤوي الرضيع ، وتسعى في مصالحه
وتنفقُ المالَ في عُسر وفي سَعَة
وتصطفيه بأرجى العطف مُخلصة
وتستطيلُ على النسوانِ واثقة
وليس تهجرُ ، والبيوت دانية!

حب الأمومة في شوق وفي نهم
فلا يلاقي سوى الإيلام والوصم
للعائدات وللهموم والقحوم!
أمسى يُعامل بالتدليل والكرم!
وإن تكلم قالوا: أعذب الكلام!
كأنما صوته لونه من النعم
أباً علمت له في سائر النسم
لكن فاجرة ألقته كالرمم!
وصرت أمأله في شريعة السلم
ترفعنا عن حضيض العيب والتهم
فلا يُعاير بين الدور والأمم
إهمال من أوغلت في الغي والحرم!
فهل برئت من الأعراف والقِيم؟!
ذرعاً ، وعانى من البلاء والسدم
تلك التي ملئت بالضنك والألم
فخاب ظن الفتى في الأم والحشم!
إن كان منقطمأ أو غير منقطم!
من مخبر نضر ، أو مظهر سنم
ولم تضيني له القنديل في الظلم
وأجعل النصيح في بدعٍ ومُختم!

وليس تهمل في ابن يبادلها
وليس تقسو على من أرضعت أبدأ
وليس تجعل من رضيعها هدفاً
من أرضعت أختك الحنان موعده!
ويستشـار ، ولا تُقصي مطالبه
ويطرب الكل إن ناغى بلثغته
رضيع أختك ها ذاك اللقيط ، فلا
وليس أم له كانت مربية
أما الرضيع الذي أرضعته مرراً
هذا الرضيع له أبٌ ووالدة
أمسى بذلك إنساناً له نسب
أراك أهملت من كل مكرمة
أهملته في زها عقدين قد مضيا
وما سألت عن الأحوال ضاق بها
كلا ، وما زرتة تشجين غربته
ولم تمدّي له بالجود كف عطا
ولم تكوني له أمأ يتوق لها
ولم تُعدّي لهذا الشبل غدته
ولم تكوني له رداءً يتيه به
ناشدك العدل يا أختاه بينهما!

نحن بالعدل أولى

(في كتابيهما الرابع: (العدالة في عالم الحيوان - الحياة الأخلاقية للحيوانات) تناول المؤلفان -
مارك بيكون الروسي وجيسيكا بيرس الأمريكية - كثيراً من طبائع الحيوانات المفترسة والأليفة! وأثبتا
للقارئ بما لا يدع مجالاً للشك أن عالم الحيوانات تحكمه إلى حد بعيد أخلاق وقيم لا يكاد يكون لها
وجود اليوم في عالم الإنسان. وقامت بترجمة الكتاب إلى العربية الأستاذة الصحفية فاطمة غنيم
بأسلوب رائع متميز. وأهدى مارك أستاذ علم البيئة وعلم الأحياء التطوري بجامعة كولورادو كتابه
لوالديه! بينما أهدت جيسيكا الأستاذة المشاركة بجامعة كلورادو أيضاً كتابها للحيوانات التي عرفتها
وأحببتها! وكان لي شرف الاطلاع على الكتاب كاملاً ، فألفيته كتاباً لا غنى لمُرب ولا لمعلم ولا لقارئ
مثقف عنه! وقلت: نحن بالعدل والإنصاف والرحمة بين بعضنا البعض أولى من الحيوانات! ورد "أنَّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم عدلٌ صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قَدْحٌ يُعَدَّلُ به القوم ، فمرَّ
بسواد بن غزِيَّة حليف بني عدي ابن النجار قال: وهو مستنتل من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالقدح في بطنه ، وقال: «استو يا سواد». فقال: يا رسول الله ، أوجعتني ، وقد بعثك الله
بالعدل فأقدني. قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقد». قال: يا رسول الله ، إنَّك طعنتني
، وليس عليَّ قميص. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال: «استقد» ، قال:
فاعتقه ، وقبَّل بطنه ، وقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله حضرنى ما ترى ، ولم
أمن القتل ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
له بخير" (رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة) ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة "إسناده حسن. -
قال - تعالى :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا
تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). وقال: (إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذي القربى). وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وأله وسلم: "ما من والٍ يلي رعية من المسلمين ، فيموت وهو غاشٍ لرعيته ، إلا حرم الله عليه
الجنة" (أخرجه البخاري). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من وليَّ أمر عشرة من المسلمين
ولم يعدل بينهم يأتي يوم القيامة مكبلاً ويدها مقيدتان إلى عنقه إما أن يفكهما عدله وإما أن يبقى
مُقيداً". وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلمهم الله في ظله
يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل...". وعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من ظلم قيد
شبر طوّقه من سبع أرضين" ، وفي رواية "....خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين". وفي الحديث
القدسي يقول الحق - تبارك وتعالى - : "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً
فلا تظالموا....يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ،
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "الناس
سواسية كأسنان المشط ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على
أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم..". وعن عبد الله بن عمر بن
الخطاب - رضي الله عنهما - قال: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راعٍ وكلكم
مسؤولٌ عن رعيته ؛ الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته
والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته
وكلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته". وعن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة زوج النبي صلى

الله عليه وسلم: "أَنَّ قَرِيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، فَقَالُوا: مَنْ يَكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَاتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَلِمَهُ فِيهَا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللهُ؟!». فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمَّا كَانَ الْعِشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَطَبَ ، فَأَتْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّمَا أَهْلُكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنِّي - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا» (رواه البخاري ومسلم). ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَطَعَتْ يَدَهَا. وَعَنْ عَطَاءٍ: قَالَ: كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْمُرُ عَمَالَهُ أَنْ يُوَافِقُوهُ بِالْمَوْسَمِ ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ عُمَالِي عَلَيْكُمْ لِئُصِيبُوا مِنْ أَبِيئَارِكُمْ وَلَا مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ لِيَحْجِزُوا بَيْنَكُمْ ، وَلِيَقْسِمُوا فِيكُمْ بَيْنَكُمْ. فَمَنْ فَعَلَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ فَلْيَقْمِ. فَمَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ قَامَ ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ عَامِلَكَ فَلَانًا ضَرَبَنِي مِائَةَ سَوْطٍ. قَالَ: فِيمَ ضَرَبْتَهُ؟ قِمِ فَاقْتَصِ مِنْهُ. فَجَاءَ عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ إِنِ فَعَلْتَ هَذَا يَكْثُرُ عَلَيْكَ وَيَكُونُ سَنَةٌ يَأْخُذُ بِهَا مِنْ بَعْدِكَ. فَقَالَ: أَنَا لَا أَقِيدُ وَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ يَقِيدُ مِنْ نَفْسِهِ. قَالَ: فَدَعْنَا فَلْنَرْضِهِ. قَالَ: دُونَكُمْ فَأَرْضُوهُ. فَافْتَدَى مِنْهُ بِمِائَتِي دِينَارٍ. كُلُّ سَوْطٍ بِدِينَارَيْنِ" (رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى من حديث عطاء). - وَلَمَّا أَتَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِتَاجِ كَسْرَى وَسَوَارِيهِ ، قَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَدَّى هَذَا لِأَمِينٍ! قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ أَمِينُ اللهِ يُؤَدُّونَ إِلَيْكَ مَا أَدَيْتَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فَإِذَا رَتَعْتَ رَتَعُوا". (رواه البيهقي في السنن الكبرى). عَدَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: - افْتَقَدَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَرْعًا لَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَوَجَدَهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ ، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: "الدَّرْعُ دَرْعِي لَمْ أَبْعِ وَلَمْ أَهْبِ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: دَرْعِي وَفِي يَدِي ، فَقَالَ: نَصِيرُ إِلَى الْقَاضِي ، فَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ شَرِيحٍ وَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ خَصْمِي يَهُودِيٌّ لَأَسْتَوَيْتُ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَأَصْغَرُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَصْغَرَهُمُ اللهُ». فَقَالَ شَرِيحٌ: قُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: نَعَمْ ، هَذِهِ الدَّرْعُ الَّتِي فِي يَدِ هَذَا الْيَهُودِيِّ دَرْعِي لَمْ أَبْعِ وَلَمْ أَهْبِ ، فَقَالَ شَرِيحٌ: إِيْشَ (أَيُّ شَيْءٍ) تَقُولُ يَا يَهُودِيٌّ؟ قَالَ: دَرْعِي وَفِي يَدِي. فَقَالَ شَرِيحٌ: أَلَيْكَ بِنَّةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَتَنَبَّرَ وَالْحَسَنُ يَشْهَدَانِ أَنَّ الدَّرْعَ دَرْعِي. فَقَالَ شَرِيحٌ: شَهَادَةُ الْإِبْنِ لَا تَجُوزُ لِلْأَبِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدَّمَنِي إِلَى قَاضِيهِ ، وَقَاضِيهِ قَضَى عَلَيْهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ ، وَأَنَّ الدَّرْعَ دَرْعُكَ" (ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء). نحن أولى بهذا العدل العظيم!

وتفِيدُ أَخْرَقَ - فِي الْحَيَاةِ - جَهَوْلًا	فِي الْكَلِمَاتِ تَنْبِيْرُ عَقْوَلًا
جَلَّ الْمَهْمِيْمُنُ خَالِقًا وَكَفِيْلًا	أَيَّاتٌ خَلَقَ تَبَارَكَ شَأْنُهُ
وَالْبَحْرُ مُنْبَسِطٌ يُقِيمُ دَائِلًا	وَالْأَرْضُ وَالْأَفْلاكُ أَكْبَرُ شَاهِدٍ
وَالْبَعْضُ ذَائِلٌ لِلذَّوْرِ ذَائِلًا	وَالطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مُحَلَقًا

رب الخلائق لاهثاً ومُجـيلاً
مِـيلاً تـسـيـرُ ، وبعـدُ تـضـيـحِ مِـيلاً
يـرـجـو إـلـى سـر الجـمـال و صـولـا
يـلـقـى - لـدى أهـل الوئـام - قـبـولـا
أفـرأـدُهـا لا يـعـرـفـون نـحـولـا
شـرـقاً و غـرـباً ، بـكـرـة وأصـيلاً
فـلـهـم يـدٌ فـي كـل عـدـل طـولـى
كـي يـشـفـي الفـردُ الضـعـيف غـليلاً
مـا العـيـشُ إـمـا الفـردُ عـاش ذـليلاً؟!
قـوت الضـعـيف ، و تـنـهـش المـعـلـولـا!
ولـقـد تُـرـافـق - فـي القـطـيـع دـخـيلاً
لا تـعـرـفُ الفـوضـى ولا التـدـجـيلاً
حـتـى نـكـافـاً بالجـمـيـل جـمـيلاً
و نـنـال خـيـراً - فـي الحـيـاة - جـزـيلاً
إذ نـحـن فـضـلـنا بـهـا تـفـضـيلاً
إـمـا أـتـوـا مـا كُـلـفـوا تـبـتـيلاً
مـن بـالـهـدى خـيـرٌ صـوئٌ و سـبـيلاً؟!
و مـحـمـدٌ خـيـر الأتـمـام رـسـولـا
فـي عـالـم أـمـسـى بـنـا مـرـذولـا؟
وأقـلٌ - عـن ظـلـم الرـفـاق - عـدولـا

والنـجـمُ يـسـبـحُ فـي السـمـاء مـسـبـحاً
وعـوالمُ الحـيـوان تـسـتـبـقُ الخـطـا
وتـبـوـحُ بـالأسـرـار تـذـهـلُ عـاقلاً
وتـمـدّ كـفـاً بـالسـلام مـصـافـحاً
فـي عـالـم الحـيـوان مـمـلـكـة سـمـت!
والعـطـفُ دَـيـدـنـها و طـابـعُ عـيـشـها
وصـوئُ العـدـالـة فـي الوحـوش طـبـيـعة
يـسـتـرـجـعـون الحـق مـمـن غـالـه
لا يـقـبـلـون الضـمـيمَ يـكـبـتُ عـيـشـهـم
لا يـرـتـضـون قـوى الأوابـد تـجـتـنـي
وإذا تـرى الأفيـالَ تـرحـم بـعضـها
والأسـنـدُ تحـيـا فـي بـهـيِّ عـدـالـةٍ
كـنا بـهـذا العـدـل أولـى والـصـفـا
ونـكـون خـيـر النـاس مـن بـين الـورى
واللـهُ حـمـانـا عـظـيم أمانـةٍ
وأمانـة التـكـليـف تـرفـعُ أهـلـها
إنـي لـأسـأل كـل مـن تـبـعـوا الهـدى
مـن آمـنـوا بـاللـه رـبـاً واحـداً
كـيـف اعـتـرى الظـلـمُ البـغـيـضُ حـيـاتـنا
حـتـى غـدا الحـيـوانُ أرقـى رتـبـة

ما نقص مالاً من صدقة

(صلى ذلك الموفق صلاة عيد الأضحى! ثم انطلق إلى سوق الغنم ليشتري أضحية العيد ككل عيد أضحي سبق! ولكن أضحية هذا العيد كانت تحمل في طيات مراسيم شرائها مفاجأة لا يحدها حد ولا يصفها واصف ولا يصورها قلم! ولندع الأحداث التفصيلية للقصة تعرب عما بداخلها فلا نستبقها. تم للرجل الطيب المبارك الشراء بعد أن عمد إلى كبش أقرن أملح ودفع فيه أعلى ثمن. ويمكننا القول بأنه اشترى أعلى أضحية في السوق. وبينما هو يفتح باب سيارته ليأخذ الكبش إلى داره وساعده في ذلك البائع بالطبع ، فإذا بالكبش يغلب الرجلين ويفلت من بين أيديهم وينطلق هارباً إلى الشارع! فعاد التاجر إلى حلاله وقد قبض الثمن كاملاً! وصاحب الأضحية انطلق يعدو خلف أضحيته لا يدري ما الله صانع به ولا بها! وكانت المفاجأة العجيبة عندما دخل الكبش بيت أيتام معدمين لا أقارب لهم ولا معارف ، ويعيشون مع أهمهم على نوال المحسنين! ففرح الرجل أن الكبش عمد إلى بيوت فدخله موقناً أنه والحال هكذا يمكن للحاق به ليس ذلك فقط ، بل يمكن الإمساك به ، ليس ذلك فقط ، بل يمكن أن يساعده أهل البيت ويباركون له العيد ويدخلون معه ذلك الكبش الشرس إلى السيارة من باب المروعة! ولكن القدر كان يدخر للرجل مفاجأة تجعل كل الآمال السابقة هباء منثوراً! إذ البيت كما أسلفنا لأيتام معدمين لا يصلهم أحد ولا يصلون أحداً! وهنا خرج الأولاد الصغار فرحين مسرورين بروية الكبش الأقرن الأملح في دهليز البيت وقد تعب من الجري وكلّ وملّ فانزوى إلى ركن من أركان الدهليز! وصاح الأولاد قائلين: أمي أمي ، لقد وهب ذلك الرجل الطيب هذا الكبش لنا ، لقد جاءتنا أضحية العيد يا أمي. فجاءت الأم ولم تستفسر ولم تسأل ، بل شكرت له ودعت الله أن يخلف عليه وأن يبارك له وأن يتقبل منه! فقال الرجل: آمين يا رب. واستحيا أن يقول لهم الحقيقة ، وجدد نيته على أن يهديه لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى. وذلك على أن يكون صدقة عن نفسه وماله وأهله. وعرض على الأم أن يذبحه لهم إن أرادوا ، فقالت معتذرة: لا ، وجزاك الله خيراً ، نحن سنفعل إن شاء الله ، ويكفي أنك تصدقت به! وعاد الرجل إلى السوق مرة ثانية قاصداً ذات التاجر الذي اشترى منه الكبش ليشتري آخر. ولكن كيف والسوق قد ازدحم عن بكرة أبيه ، إذ اليوم يوم النحر ، وجميع الناس يرغبون في الذبح من الساعة الأولى طلباً لمضاعفة الأجر. لقد أصبح الولوج إلى السوق أمراً مستحيلاً. فطرات للرجل فكرة سهلة ويسيرة ، وهي أن يشتري من الباعة العابرين المصطفين خارج السوق وعلى الدروب المؤدية إليها. فوقف عند ثلاثة تجار ، وأخذ ينظر إلى الحلال ، واحتار بعد هذا الجهد الجهيد ماذا يفعل وأي الأضحي يتخير ، فقال لهم: تخيروا لي أضحية جيدة ولا عليكم من الثمن! فقالوا: اختر لنفسك ، واصعد إلى الحلال لتراه عن قرب ، وكلك نظر وبصيرة. فاختر أضحية ولما هم باصطحابها وقد أمسك بها إمساكاً يدل على أنه قد استلهم الدرس من الأضحية السابقة ، قال لهم: ما ثمنها يا رجال؟ فقالوا في نفس واحد: إنها هبة من صاحب الحلال! فقال: لماذا أي صدقة؟ فأنا لست من أصحاب الصدقات ، أنا موسر ومعني المال يا جماعة! فقالوا وقد أقسموا بالله: نحن لا نمزح معك! الأمر أن صاحب الحلال في كل عيد أضحي يجعل الأضحية الأولى هبة وهدية لصاحبها دون ثمن. وهذا شرطه علينا. فخذ أضحيتك وادع له ولنا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وتقبل الله منا ومنك صالح الأعمال يا طيب! فقال الرجل في نفسه: سبحان الله وصدق رسوله: ما نقص مالاً

من صدقة! لقد أعاد الله إلى أضحيتي التي فرت وتمكنت منها وإذا بي أتركها لليتامى لوجه الله وابتغاء مرضاته! فجعلت نص الحديث الذي أورده ذلك الرجل الميمون المبارك المحترم عنواناً مباركاً ميموناً محترماً لهذه القصيدة التي عمدت إلى جعلها تشبه القصة التي أسردها شعراً لتكون المتعة بها كمتعة الأيتام الذين فرحوا بالكبش ، وكمتعة الرجل الذي عادت له أضحيته على حد تعبيره! وأورد العلامة عبد العزيز السلطان الفوائد المترتبة على أداء الزكاة وبذل صدقة التطوع والمضار المترتبة على منع الزكاة فقال في موارد الظمن ما نصه: (أولاً - امتثال أمر الله ورسوله. ثانياً - تقديم ما يحبه الله على محبة المال. ثالثاً - أن الصدقة برهان على إيمان صاحبها كما في الحديث والصدقة برهان. - رابعاً شكر نعمة الله المتفضل على المخرج بما أعطاه من المال. خامساً - السلامة من وبال المال في الآخرة. سادساً - تنمية الأخلاق الحسنة والأعمال الفاضلة الصالحة. سابعاً - التطهير من دنس الذنوب والأخلاق الرذيلة قال الله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها). ثامناً - أضعاف مادة الحسد والحقد والبغض أو قطعها كلياً. تاسعاً - تخصيص المال وحفظه لحديث: « حصنوا أموالكم بالزكاة ». عاشراً - إن الصدقة دواء من الأمراض لحديث: « داؤو مرضاكم بالصدقة ». حادي عشر - الاتصاف بأوصاف الكرماء. ثاني عشر - أنها سبب لدفع البلاء. ثالث عشر - التمرن على البذل والعطاء. ثالث عشر - أنها سبب لدفع جميع الأسقام لحديث: « باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطأها ». رابع عشر - أنها سبب لجلب المودة لأنها إحصان ، والنفوس مجبولة على حُب من أحسن إليها. خامس عشر - أنها سبب للدعاء من القابض للدافع وتقدمت الأدلة. سادس عشر - أن منع الزكاة سبب لمنع القطر لحديث: « ولا منعوا الزكاة إلا حيس عنهم القطر ». تاسع عشر - الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ، قال الله تعالى: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ، وقد فسّر الفلاح بأنه الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب وهذا من جوامع الكلم. عشرين - أنها تدفع ميتة السوء كما في الحديث: « إن الصدقة تطفى غضب الرب وتدفع ميتة السوء ». واحد وعشرين - أن المتصدق يكون في ظلّ الله يوم القيامة كما في الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله وذكر منهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». وفي الحديث الآخر: « وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته ». اثنان وعشرين - الفوز بالثناء من الله لأن الله مدح المنفقين والمتصدقين. ثلاث وعشرون - الفوز بالأجر من الله والأمن مما يخاف منه ونفي الحزن عنهم قال الله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون). أربع وعشرين - أن أداء الزكاة سبب لنزول القطر كما أن منعها سبب لحبسه. خمسة وعشرين - أنها سبب لمحبة الله لأن المتصدق محسن على المتصدق عليه والله يحب المحسنين). هـ.

ومن تصاريف باري الخلق من عدم

عجبت من قسمة المهيمن الحكم

تلك التي حيرت جداً ذوي الفهم

سبحانه قدر الأقدار أجمعها

كما يضحى تقاة الناس بالغنم

هذا التقى اشتهى للعيد أضحية

بهمة سبقت قطعاً ذوي الهمم

فيمم القصد نحو السوق في عجل

وفيه شرط النبي المصطفى الهشيم
 لأنه في رضا المهيمن الحكم
 بكفه بعد حلّ الحبل والشكّم
 عن القطيع بديلاً لاعج الوصم!
 حُق الفرار من البلاء والنقم
 إلى بُيوت من الجريد والأكم
 والكل من حوله يأوي لسفح دم!
 فهل تراه تبدى غير محترم؟!
 وفي الضرورات لا ترعى صوى الخرم
 وكل فرد له يجد في الخدم!
 وكم غبي يني من وطأة القصم!
 توق إلى الذبح في شوق وفي نهم
 هذا جميلٌ لدينا بالغ العظم
 كنت السخيّ ، وربّي واسع الكرم
 تقول: شكراً ، بلفظٍ جدّ محترم
 والفقيرُ يدمغهم بالقهر والألم
 ما من قريب لهم ، كلا ، ولا رجم!
 من واضح القول ، أو من صادق الكلم؟
 طابت بها النفس عن حب وعن عشم!
 ذبحتها عن رضاً ، أو كان عن رغم

واختار كبشاً يسر العين منظره
 ثم اشتراه ، ولم يستغل من ثمن
 وجره بتروّ نحو مركبة
 فراغ منه ، ولم يقبل بصحبته
 ولم يعقب ، ولم يلمح بعودته!
 ويلجأ الهارب الموتور في شغف
 يرجو النجاة من الحمام يطلبه
 وحرمة البيت لم يرعى شرافتها
 أم أن تلك له ضرورة وجبت؟
 أم أنه الضيف فالإكرام حُق له؟
 أم أنه فرّ من شجوى لقاصمة؟
 واستقبل الضيف بالترحيب يسبقه
 قالوا لراعيه: مقبولٌ تفضلكم
 تقبل الله منكم كل مكرمة
 وجاءت الأم تحدها سعادتها
 تقول: بيتٌ لأيتام بليت بهم
 ووجدك اليوم يُشجّهم ويُفرحهم
 فأخرج الشهم إذ ماذا يقول لها
 فقال: هيا اقبوا مني ضحيّتكم
 وإن قصدم لها القصاب يذبحها

وَمَنْ يُقَسِّمَهُ فِي أَعْدَلِ الْقِسْمِ!
وَلَا ابْتَلَيْتَ بَشَرًا فِي الدُّنَا وَخِمْ
وَأَكْرَمَ اللَّهُ مَنْ تَعَوَّلُ مِنْ حَشَمِ
رَجَاءِ غَفْرَانِ مَا أَتَاهُ مِنْ لَمَمِ
فَلَا هَزَالَ وَلَا شَيْئًا مِنَ السَّقَمِ
بِالضَّانِّ وَالْمَعَزِّ وَالْبَعْرَانِ وَالنَّسَمِ؟
وَلَيْسَ تَرْحَمُ مَنْ كَهَلَ وَمَحْتَلَمِ
إِنِّي أَخَافُ مِنَ الْمَلَالِ وَالسَّامِ
أَحْلَى الْأَضَاحِيِّ الَّتِي عَزَّتْ فَلَيْسَ سَمِي
فَأَخْتَرُ لِنَفْسِكَ ، لَا تَنْقُذْ وَلَا تَلَمِ
وَقَبْلَهُ لَمْ أَكُنْ يَوْمًا بِمَنْفَجِمِ
جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ وَالتَّمْثِيلِ وَالسَّيْمِ
وَلَسْتُ فِي سِعْرِهَا حَاشَا بِمَخْتَصِمِ
وَلَيْسَ إِنْ سَاقَهَا جَهْرًا بِمَحْتَرَمِ
مَهْمَا الْجِدَالِ طَغَى ، أَوْ النُّقَاشِ حَمِي!
كَيْلًا يُبَارِزُنِي الشَّيْطَانُ بِالْغَمِ
فَاضْتِ عَلَيْنَا ، وَذُو فَضْلٍ وَذُو حِكْمِ!

قَالَتْ: حَنَانِيكَ عِنْدِي مَنْ سَيَذْبُخُهُ
تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ الْبَذْلَ يَا رَجُلًا
وَكَانَ سَعِيكَ مَشْكُورًا وَمُبْتَشَّرًا
فَقَالَ: آمِينَ ، وَالسُّرُورُ يُغْمِرُهُ
وَعَادَ لِلسُّوقِ يَرْجُو خَيْرَ أَضْحِيَّةٍ
وَقَالَ: كَيْفَ وَطَرَقَ السُّوقَ مُوصِدَةً
فَمَا دَخُولِي لِسُوقِ سَوْفِ تَخْنَقْتِي
كَفَانِي الْبَاعَةَ الصَّافِينَ خَارِجَهَا
وَقَالَ لِلْبَاعَةِ: اخْتَارُوا لِمُصَاحِبِكُمْ
قَالُوا: نَرَاكَ نَبِيهًا كُلَّهُ نَظَرًا
فَأَفْحَمُونِي بِقَوْلِ لَا جَوَابَ لَهُ
فَأَخْتَرْتُ وَفَقَّ شَرْوِطِ عَزَّ شَارِعَهَا
فَقَالَتْ: كَمْ تَطْلُبُونَ الْآنَ مِنْ ثَمَنٍ؟
قَالُوا: بِلَا ثَمَنٍ هَذَا لِرَاغِبِهَا
رَاعِي الْحِلَالَ قُضِيَ ، وَذِي بَضَاعَتِهِ
فَقَالَتْ: سَبْحَانَ رَبِّي رَدَّ أَضْحِيَّتِي
أَيَقْنَتُ أَنْكَ يَا مَوْلَايَ ذُو مَنَنِ

وهل في مثل هذا مزاح؟!

(مات أبوه - رحمه الله - فرأى ذلك الشاب العشريني أن يرسل رسالة من هاتفه أبيه لكل محبيه وأصدقائه ومعارفه بغير تفريق! يقول نص الرسالة: (صاحب هذا الهاتف يطلب منكم الدعاء له ، حيث أصبح في ذمة الله! وتؤدي صلاة الجنازة الساعة كذا في مسجد كذا وسيكون الدفن في مقبرة كذا الساعة كذا". فكانت رسالته أقرب إلى المزاح منها إلى الجد. والذي أعرفه عن ذلك الشاب الوعي والنضج والذكاء ، فما الذي حدا به ليتصرف هكذا؟ والأساليب الرقيقة أكثر من أن تعد أو تحصى كثرة! فما الذي جعله يختار أغباها؟ وقال - عليه الصلاة والسلام - : (ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويلٌ له ، ويلٌ له). ولا يجوز ترويع المسلم بقصد المزاح معه ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: (حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى نبل معه ، فأخذها ، فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم فقال: ما يضحككم؟ فقالوا: لا إلا أننا أخذنا نبل هذا ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً). قال الإمام النووي: "المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويديم عليه ، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ، ويشغل عن ذكر الله تعالى ، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء ، ويورث الأحقاد ، ويسقط المهابة والوقار ، فأما من سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعله". وقال رجل لسفيان بن عيينة: المزاح هجنة أي مستنكر؟! ، فقال: "بل هو سنة ، ولكن لمن يحسنه ويضعه في موضعه". على العموم حزنْتُ على أبيه الذي هو صديق العمر والعقيدة والغربة ، وأنشدتُ للابن على البحر البسيط! وكانت آخر المسائل التي ناقشتها مع أبيه إثبات عذاب القبر على البدن! ومن هنا رأيت أن أكمل المسألة وكأنه على قيد الحياة لأنه طلب مني الدليل! أقول: لقد وردت إشارات في القرآن الكريم تدل على عذاب القبر ، وقد ترجم البخاري في كتاب الجنائز لعذاب القبر ، فقال: باب ما جاء في عذاب القبر ، وساق في الترجمة قوله تعالى: (إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أخرجوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ) ، وقوله تعالى: (سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ). وقوله تعالى: (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ - النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ). والآية الأولى التي ساقها البخاري إنما هي في تعذيب الملائكة الكفار في حال الاحتضار... والآية الثانية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة ، العذاب الأول ما يصيبهم الله به في الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين ، والعذاب الثاني عذاب القبر ، قال الحسن البصري: سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ: (عذاب الدنيا ، وعذاب القبر) ، وقال الطبري: (والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل والإذلال أو غير ذلك). والآية الثالثة حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر ، فإن الحق تبارك وتعالى قرّر أن آل فرعون يُعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا ، وهذا قبل يوم القيامة لأنه قال بعد ذلك: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ، قال القرطبي: (الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر). هذا على ما ذكره أستاذنا علوي عبد القادر السقاف. يقول شارح الطحاوية: (وقد

تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كلفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كلفيته ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار). وقال في موضع آخر: (واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قبر أو لم يقبر ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب أو غرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ، فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده). عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف. وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم وليلة ، ما رأى أحدهم صاحبه قط". عن خزيمه بن ثابت - رضي الله عنه - قال: (رأيت في المنام أني أسجد على جبهة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرت بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "إن الروح تلتقى الروح ، وأقتع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه هكذا". - قال عفان برأسه إلى خلفه ، فوضعت جبته على جبهة النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: رأيت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرحوا بشيء ، لم أرهم فرحوا بشيء أشد منه ، قال رجل: يا رسول الله ، الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به ، ولا يعمل بمثله ، (وفي رواية: ولا يستطيع أن يعمل كعمله) (1) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: المرء مع من أحب". وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (جاء رجل من أهل البادية إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله ، متى الساعة قائمة؟ ، قال: "ويلك ، وما أعددت لها؟ فإنها قائمة". فكان الرجل استكان ثم قال: ما أعددت لها من كثير عمل من صلاة ، ولا صوم ، ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فإنك مع من أحببت. ولك ما احتسبت". قال أنس: فقلنا: ونحن كذلك؟ ، قال: " نعم ، وأنتم كذلك". قال أنس: فما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أنت مع من أحببت" ، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وأبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ، ولا يستطيع أن يعمل كعملهم ، فقال: "أنت يا أبا ذر مع من أحببت" ، قلت: فإني أحب الله ورسوله ، قال: "فإنك مع من أحببت" ، قال: فأعادها أبو ذر ، "فأعادها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -". وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: النعم تكفر ، والرحم تقطع ، ولم نر مثل تقارب القلوب.

رحم الله صديقي وغفر لولده!

طِيبُ الْفِعَالِ - عَلَى الرَّشَادِ - دَلِيلٌ وَالْعَقْلُ - بِالْفِعْلِ الرَّشِيدِ - كَفِيلٌ
وَالنَّفْسُ بِالْخَلْقِ الرَّفِيعِ مَنَارَةٌ وَالْجِدُّ طَبَعٌ مُسْتَمِعٌ مَعْقُولٌ
وَالرُّوحُ تَزْكُو بِالسَّمَوِّ وَتَزْدَهِي وَالشَّرْحُ عَنِ - دَنْسِ الْفِعَالِ - يَطْوُلُ

في موضع الجدّ الأصل تهوّل
وعميقُ فُكْر ليس عنه بديل
ستراه يَجْهَلُ ما يرى ويقول
أفويت رُشد العاقلين يـزول
ألفيته - للترّهات - يميل
لرأيتها - في الهازلين - تصول
وعلى التـدني الأحييات دليل
والجد في أسـمى الأمور جميل
ومن النكات المضحكات تـكيل؟
ودموغ عين المرء فيه تسيل
هو في المقابر - بعد ذاك - نزيل؟
فيها التقيُّ - بناظرِيه - يجول؟
حتى يقودك صـبرك المأمول؟
لرشاد نفس فوقه القـديل؟
واسـتخلفتُ كـرياً عليك تدول
والحزنُ بينك والهناء يحول
وكان كاتب نصّها مـخبول!
تدرك مرامي بأسـهن وبـيل
فهمّ الذي حملت ، وغمّ القـيل!
فلها - إلى دنيا الغموض - سبيل

لا شيء يُزري - بالرشيد - كمزحةٍ
والمرء إن يجهل فـثمّ مشـورة
والمرء إن غلبته خـفة عقـله
وإذا تحكمت الحماقة والهوى
وإذا تمكّن من ذكي طيشه
وإذا توشّحت النفسُ بهزلها
والجدّ يرفع أهله ، ويـزنيهم
والحزمُ في جـل الأمور سـجّية
أبني هل في الجد تمزح عابثاً
في موضع تأسى القلوب لذكره
أوما اعتبرت بميت في داره
أوما اعتراك جلال أغرب ميتة
أوما اذكرت لـما تعالين ثاويأ
أوما أخذت بما ابتليت فتهدي
في محنة طرحت عليك ظلامها
حتى غدوت هنا ضحية قهرها
فخرفت لم تدرك صواب مقالة
في موقف كنت المعيب به ، ولم
فاجأتنا برسالة لم نستطع
ووجأت أعناق الحروف ، فأشـكت

ما اللغز إن نقش الحروف جهول؟
ولهان حيب في الخفا وعويل
وفجعت أفندة لها تأميل
حتى يخصك - بالقرار - غدول؟
لا ليس يعجز ما لديه السول؟
لتكون - بعد دراستك - خلول؟
أبدأ له التقدير والتبجيل
وسئلت: من هذا؟ فقلت: خليل!
والخبر فيها ضائع مذلول
بعد الإله معيننا وكفيل
ودليننا إما طغى التضليل
إن عربد التغير والتجهيل
إذ ليس فيه هوى ولا تدجيل
لما يكن في نصه تطييل
ما ضاء نجم ، واعتراه أفول
فتواب صبر المبتلين جزيل

وعمدت للإغاز فيما صغته
برسالة يدمي القلوب كلامها
أجرت إذ صغت الرسالة هكذا
هلا استشرت أولي البصائر والنهي
هلا سألت لكي يجيبك جهبذ
هلا درست دراستين لمشكل
أبني فاعلم ما نكن لراحل
في الله أحبنااه حباً خالصاً
في غربة طال ، وطال عذابها
وأبوك كان - على الشدائد - ناصراً
وأخ ورب الناس ينذر مثله
والناصح الفذ الذي نأتي له
والشاعر الفحل المذل بشعره
وأنا سمعت الشعر منه مزرکشاً
فعليه من رب الورى رحماته
ولتصبروا الصبر الجميل على البلا

الحُكم بعد المداولة

(في إحدى جمهوريات الموز تلك التي تجعل من علم الدولة إلهاً يُعبد من دون الله ، كان أحد المسلمين الحنفاء قد حرك يده أثناء تحية العلم ، فاتهم بعدم الولاء وعدم الوطنية ، كما اتهم بالحدق على السلام والأمان الدوليين. وكانت هناك قضية منظورة أمام المحكمة ، فدافع الرجل عن نفسه قائلاً: إنني أحرك يدي للضرورة في الصلاة بين يدي الله تعالى ولا شئى عليّ. وكل الذي أنكره السادة الفقهاء في هذه المسألة هو كثرة الحركة التي تتنافى ابتداءً مع الخشوع في الصلاة ، للحد الذي إذا زادت عنه بطلت الصلاة على أحد قولي العلماء. وجاء في مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين - المجلد الثالث عشر - كتاب الحركة في الصلاة قوله: (الحركة في الصلاة الأصل فيها الكراهة إلا لحاجة ومع ذلك فإنها تنقسم إلى خمسة أقسام: القسم الأول: حركة واجبة. القسم الثاني: حركة محرمة. القسم الثالث: حركة مكروهة. القسم الرابع: حركة مستحبة. القسم الخامس: حركة مباحة. فأما الحركة الواجبة: فهي التي تتوقف عليها صحة الصلاة ، مثل أن يرى في غترته نجاسة ، فيجب عليه أن يتحرك لإزالتها ويخلع غترته ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يصلي بالناس فأخبره أن في نعليه خبثاً فخلعها صلى الله عليه وسلم وهو في صلاته واستمر فيها ، ومثل أن يخبره أحد بأنه اتجه إلى غير القبلة فيجب عليه أن يتحرك إلى القبلة. وأما الحركة المحرمة: فهي الحركة الكثيرة المتوالية لغير ضرورة ؛ لأن مثل هذه الحركة تبطل الصلاة ، وما يبطل الصلاة فإنه لا يحل فعله لأنه من باب اتخاذ آيات الله هزواً. وأما الحركة المستحبة: فهي الحركة لفعل مستحب في الصلاة ، كما لو تحرك من أجل استواء الصف ، أو رأى فرجة أمامه في الصف المقدم فتقدم نحوها وهو في صلاته أو تقلص الصف فتحرك لسد الخلل ، أو ما أشبه ذلك من الحركات التي يحصل بها فعل مستحب في الصلاة ؛ لأن ذلك من أجل إكمال الصلاة ، ولهذا لما صلى ابن عباس رضي الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وسلم فقام عن يساره أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه من ورائه فجعله عن يمينه. وأما الحركة المباحة: فهي اليسيرة لحاجة ، أو الكثيرة للضرورة ، أما اليسيرة لحاجة فمثلها فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدها لأمها فإذا قام حملها ، وإذا سجد وضعها. وأما الحركة الكثيرة للضرورة: فمثل قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ* فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} ، فإن من يصلي وهو يمشي لا شك أن عمله كثير ولكنه لما كان للضرورة كان مباحاً لا يبطل الصلاة. وأما الحركة المكروهة: فهي ما عدا ذلك وهو الأصل في الحركة في الصلاة ، وعلى هذا نقول لمن يتحركون في الصلاة إن عملكم مكروه ، منقص لصلاتكم ، وهذا مشاهد عند كل أحد فتجد الفرد يعبت بساعته ، أو بقلمه ، أو بغترته ، أو بآئفه ، أو بلحيته ، أو ما أشبه ذلك ، وكل ذلك من القسم المكروه إلا أن يكون كثيراً متوالياً فإنه محرم مبطل للصلاة).هـ. فإذا كان ذلك فهل حركة اليد أثناء تحية العلم تؤدي إلى كل هذا ويجرم صاحبها؟ وهل حرمة علم الدولة باتت أعظم من حلامة الله رب العالمين؟ اعلقوا يا قوم! فقال القاضي: لنحكم بعد المداولة. وبعدها حكم ببراءة المتهم وإخلاء سبيله! وكانت حيثية الحكم أن حرمة العلم ليست أبداً كحرمة الله رب العالمين. فتخيلت المتهم البرئ يقول لنا مدافعاً عن نفسه! سئلت اللجنة الدائمة (ما حكم تحية العلم في الجيش وتعظيم الضباط؟) الجواب: لا تجوز تحية العلم بل هي بدعة محدثة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ" [البخاري ومسلم] ، وأما تعظيم الضباط

باحترامهم وإنزالهم منازلهم فجائز ، أما الغلو في ذلك فممنوع سواء كانوا ضباطاً أم غيرضباط. وسئلت أيضاً: هل يجوز الوقوف تعظيماً لأي سلام وطني أو علم وطني؟ الجواب: لا يجوز للمسلم القيام إعظاماً لأي علم وطني أو سلام وطني بل هو من البدع المنكرة التي لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم ، وهي منافية لكمال التوحيد الواجب ، وإخلاص التعظيم لله وحده ، وذريعة إلى الشرك ، وفيها مشابهة للكفار وتقليد لهم في عاداتهم القبيحة ومجاراة لهم في غلوهم في رؤوسائهم ومراسيمهم ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مشابهتهم أو التشبه بهم وبالله التوفيق. وقال سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - عضو هيئة كبار العلماء - وفقه الله: (وأما تحية العلم: فالتحية تأتي بمعنى التعظيم ، ولا تكون تحية التعظيم إلا الله كما نقول في تشهدنا في الصلوات: التحيات لله ، أي: جميع التعظيمات لله سبحانه ملكاً واستحقاقاً ، فهي تحية تعظيم وليست تحية سلام ، فالله يُحْيَا ولا يُسَلِّمُ عليه ، وتأتي التحية بمعنى السلام الذي ليس فيه تعظيم ، وهذه مشروعة بين المسلمين ، قال تعالى: {فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} ، وقال تعالى: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} ، وقال تعالى عن أهل الجنة: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} وقال تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: {ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم} فالسلام إنما يكون بين المسلمين ولا يكون السلام على الجمادات والخرق ونحوها ، لأنه دعاء بالسلامة من الآفات ، أو هو اسم من أسماء الله يدعو به المسلم لأخيه المسلم عليه ليناله من خيراته وبركاته ، والمراد بتحية العلم الآن: الوقوف إجلالاً وتعظيماً له ، وهذا هو الذي أفتت اللجنة الدائمة بتحريمه لأنه وقوف تعظيم ، هذا ما أردت بيانه خروجاً من إثم الكتمان) جريدة الجزيرة عدد 11989 يوم الثلاثاء 1426/6/20هـ. وقال سماحته أيضاً: (طاعة الدولة واجبة فيما لا يخالف الشرع ، وهي لا تريد مخالفة الشرع في جميع أنظمتها ، وأيضاً: تحية العلم قد صدر بتحريمها فتوى شرعية من جهة رسمية نصبتها الدولة وعيّنت فيها المفتين.. وهل القيام للعلم إذاً من باب العبث؟ لا إنما هو نوعٌ من التعظيم ، والتحيات في الأفعال من القيام والركوع والسجود وغير ذلك كلها لله ، كما في الحديث الصحيح: {التحيات لله} قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في آداب المشي إلى الصلاة: أي جميع التحيات لله استحقاقاً وملكاً ، قال الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي البلاد السعودية رحمه الله في شرحه: أي: جميع التحيات لله استحقاقاً وملكاً ، يعني: أن الربَّ جَلَّ وعلا هو المستحق لجميع التعظيمات ، لأنه الكبير الذي لا أكبر منه ، والجليل الذي لا أجلَّ منه ، انتهى... ولَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ جَالِساً لِمَرَضِ أَصَابِهِ ، وَقَامَ مَنْ حَضَرَ خَلْفَهُ يُصَلُّونَ قِيَاماً أَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ اجْلِسُوا ، وَلَمَّا سَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: {كَدْتُمْ أَنْفًا أَنْ تَفْعَلُوا فَعَلَ فَارِسٌ وَارُومٌ ، يَقُومُونَ عَلَى مَلُوكِهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ} فهذا يدلُّ على تحريم التشبه بفارس والروم في قيامهم على ملوكهم تعظيماً لهم ، فدلَّ ذلك على أمرين: تحريم القيام تعظيماً للمخلوق ، وتحريم التشبه بالكفار) جريدة الجزيرة عدد 12017 يوم 1426/7/18هـ. ويسأل الأستاذ سعد بن مطر العتيبي هل تحية العلم محرمة؟ أرجو التفصيل. فيقول ما نصه: (حكم تحية العلم فإنَّ ما يعرف بـ (تحية العلم) أحد التقاليد المشتهرة ، وهو عمل يكون على هيئة معينة ، ويقصد منه التعظيم والإجلال والاحترام ، بوصفه شعاراً للدولة ورمزاً لعزتها وقوتها ، كما هو واضح في شروح التقاليد العسكرية والكشافية ؛ وتعظيم العلم وإجلاله تعظيم لغير الله - عز وجل - وتعظيم لما لم يشرع الله تعظيمه ، والتعظيم عبادة تحتاج إلى دليل ولا دليل عليها من الشرع بل هي على خلاف الدليل ؛ وعليه فهي غير مشروعة ، ومما هو متقرر في قواعد الشرع أنَّ الأصل في العبادات التوقيف ، أي أنه يوقف

في فعلها عند الحد الشرعي ، فإن وجد لها دليل شرعي يشرعها فهي مشروعة ، وإلا فتبقى على أصل التحريم ومنع الإحداث في الدين ؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " . والتعظيم والإجلال في حقيقته عمل من أعمال القلوب ، وقد يظهر في عمل من أعمال الجوارح ، والقاعدة في ذلك أنه لا يجوز للمسلم أن يقوم بعمل يقصد منه التعظيم إلا بشرطين : * الأول: أن يكون التعظيم لله - عز وجل - ، أو لما أمر الله - سبحانه وتعالى - بتعظيمه ؛ كما في قول الله - عز وجل - : " ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ " ، وقوله - جل شأنه - : " ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ " . * الثاني: أن يكون هذا العمل قد ورد به الشرع دليلاً وكيفية للحديث السابق. وتشتد الحرمة ويغلظ في المنع إن تضمنت التحية نوعاً من الانحناء. ومن يتأمل طريقة السلام الشرعية ، وما جاء الشرع بمنعه من طرائق السلام الأخرى ، يجد أنّ الشرع منع من كلّ هيئة سلام تتضمن نوعاً من التعظيم ؛ فقد نهينا عن الانحناء لبعضنا عند السلام ؛ كما في حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال رجل : يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له ؟ قال لا ، قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا ، قال : أفيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم . رواه الترمذي . وكذلك نهينا عن السلام بصمت مع إمكان النطق بعبارة السلام المشروعة ، كما في حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ؛ فإنّ تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف " رواه الترمذي ؛ وقد نصّ بعض أهل العلم على بدعية التحية بالإشارة الخالية من لفظ السلام المشروع.. فكيف إذا كانت تحية العلم من أساسها تشبهاً باليهود والنصارى؟ بل استحباب بعض أهل العلم أن يجعل المصلّي وسط السترة من عمود أو اسطوانة أو نحوها إلى يمينه قليلاً أو إلى شماله ، فيكون على حاجبه الأيمن أو الأيسر ولا يصمد له صمداً ، مع ما هو معلوم من مشروعيتها ؛ فكيف بمن يعمد ويصمد إلى العلم وعموده ويقف أمامه على هيئة معينة؟! .هـ. وأما الشيخ الألباني فقد سئل السؤال ذاته فقال في جوابه ما نصه: (* السؤال: ما حكم الوقوف أمام العلم؟ وما حكم الكف عن الحركة والانتصاب للعلم عند النشيد الوطني؟ * الجواب: هذه - ولا شك - من التقاليد الأوروبية الكافرة وقد نهينا عن تقليدهم بمناهي عامة وخاصة ، ولا يجوز لأي دولة مسلمة حقاً أن تتبنى شيئاً من تقاليد الكفار! لكن الأمر يعود إلى من كان له الخيرة في ألا يسمح بذلك ، ولا شك أن الحاكم المسلم الذي ليس فوقه حاكم في الدنيا ، هو الذي يستطيع أن يغير ويبدل هذه التقاليد والعادات الكافرة بتقاليد وعادات إسلامية ، أما من كان موظفاً أو كان جندياً ، ولا يستطيع إلا أن يتبع هذا النظام المنحرف عن الإسلام ، فهذا يُظهر مراتب الناس ، على حد قوله عليه السلام: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان). فنحن نعلم أن مثل هذه المشاكل يقع الشيء الكثير منها في بعض البلاد الإسلامية ؛ لأنها - كما قلنا - تقاليد أجنبية. مثلاً: في بعض الدول العربية الإسلامية لا يسمح للجندي أن يلتحي ، فالناس على هذه المراتب التي جاء ذكرها في الحديث ، أكثر الناس اليوم عندما يدخلون الجندية يحلقون لحاهم هكذا النظام ، وبعضهم لا يحلقها وإنما هم يحلقونها رغم أنفه ، وبعض آخر - وهذا قليل جداً ، وله أمثلة هنا في الأردن وفي سوريا - يصمد ويصبر ويلقى العذاب والسجن إلخ ، ثم ينصره الله عز وجل ، فتراه جندياً ملتجئاً ، بينما الألوف المؤلفة بدون لحي ، فإذا القضية لها علاقة بقوة الإيمان في المكلف ، هذا الذي يكلف بأن يحيي العلم هذه التحية غير الإسلامية بلا شك أنه يستطيع ألا يحيي ، لكنه يعلم أن أمامه السجن والتعذيب ، وربما أشياء أخرى لا نعرفها ، فالمؤمن القوي الإيمان يصبر ، ثم ما يكون بعد الصبر إلا النصر كما وعد الله

والمسلم الحق بين الناس يغترب
أنا من النصر والتمكين نقترب
والدارُ عرِبُ فيها اللهو واللعب
أعداءُ ملتنا ، وبئستِ العُصْبُ!
والدارُ تشهدُ والتاريخ والكتب
ولا استكنا لما تأتي به النوب
وتشهدُ الخيلُ والأسيافُ واليالب
ولم نكن لحقوق الغير نغتصب
وتلك سابقة دهيالها العجب!
وساورت فعلتي الشكوك والريب
إليه - بين جميع الخلق - ينتسب
عليه ، هل يا ترى أصابه العطب
وفي النقاش لدى التنظير يضطرب
تعقبوني ، وكان الحكم ما طلبوا
وعن محاكمتي كم ألفت خطب!
وزالت الشبهُ الرعناءُ والحُجُب
والسحرُ أصبح فوق الكيد ينقلب
(لو بعد حين) يُلبى عنده الطالب!

الشرع في عصرنا جبرٌ على ورق
ولا بـوادر آمال تطمئننا
ضاعت ممالكنا ، والمجدُ زيلنا
وضاع سُودُنا ، حتى استهان بنا
كنا جهابذة في كل مُعتركٍ
وما استكانت لبلواننا عزائمنا
نحن المغاويرُ في حرب وفي سلم
لم نقبل الضيم في سر ولا علن
واليوم في علم ظلماً تحاكمني
حرکتُ سهواً يدي ، فصرتُ مُتهماً
وقال قومٌ: يُعادي عامداً علماً
ولا يحب بلاداً فضالها عمم
وقال قومٌ: عميلٌ لا اعتدادَ به
حتى إذا اتفقت في الشر كلمتهم
حُكمتُ ظلماً ، بلا جرم ولا خطب
واستونف الحكم ، والقضاءُ أنصفني
والله أسعفني بالنصر مؤتلقاً
سبحان من ينصر المظلوم ، ينصفه

دخلت الإسلام من باب الحجاب ومنه خرجت!

(كانت ممثلة رقيقة تخصصت في تمثيل أغلب أدوار الإباحية والسفول والتهتك والانحطاط! وكانت بذلك أشبه ما تكون بالكلبة التي جعلت من نفسها ملكاً مشاعاً لكل كلب. وأنا أتحفظ بدوري على تشبيهها ومن تمثل معهم بالكلاب ، لأن الكلاب خلقٌ موحدٌ مُسَبِّحٌ مُسَلِّمٌ! (سَبِّحَ اللهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - يَسْبِحُ اللهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ - وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ): كانت هذه شهادة من خالق هذه الكلاب عليها! بينما رقيقة قصيدتنا أخص وأحط وأضل من الكلاب! والمهم وزبدة القول أن هذه الساقطة يوم أقلعت عن التمثيل اقترن ذلك بارتدائها ما يسميه أشباهها بالتدينية ، وقد ينزidon فيسمونه بالحجاب وما هو بحجاب! ولكن من باب مجارة الخصم والنزول له على مراده ، نقول بقولهم لا كثرهم الله ولا أتم لهم ولا بارك فيهم! وأوهمت نفسها والمخرجين والمنجيين وجمهور الساقطين المفسدين ، بأنها قد تابت والتزمت بالإسلام! واقنع أهل العفن الفني بأنه لا سبيل إليها فقد تابت! والأصل أنها لم تدخل من باب الإسلام الذي هو التوحيد والعقيدة! ذلك أنها لو كانت مسلمة مؤمنة موحدة من البداية ، ما سمحت لنفسها يوماً ولا ساعة من نهار أن تتبدل وتتهتك وتزني وتنحل وتسقط باسم الفن! ثم ما لبثت بعد سنتين أن عادت إلى ما كانت عليه من التمثيل ، فراح الجميع يُقرعونها ويلومونها ويؤبخونها على ذلك. يا قوم لقد دخلت من باب التدينية (الحجاب) ومنه خرجت! هذه الساقطة لم تدخل لنقول خرجت! وتبعها ساقطات كثيرات خلعن الحجاب بزعمهن وعُدن إلى محراب الفن! ولست أدري أي محرابية في هذا السفول والانحطاط؟! وصارت موضة قولهم: فلانة خلعت الحجاب وعادت لحرم الفن! وأي حرمة في السفول والانحطاط والرذيلة والعُهر والدعارة؟! وإذن ما كانت عليه من استحلال لما حرم الله ومجاهرة بالتهتك والخلاعة والمجون ، لم يكن منها مرضاً في حد ذاته ، بل كان أعراضاً لمرض أكبر هو غياب التوحيد والعقيدة! والرجل جاء ليسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: يا رسول الله أسلم أولاً أو أجاهد؟ فقال: بل أسلم أولاً! ومعلوم مكانة الجهاد الذي هو الركن السادس من أركان الإسلام ، ومكانة الحجاب الذي هو شعيرة! إن باب الإسلام هو توحيد الله تعالى وليس الحجاب أو الصلاة! روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن عِيَاضِ الْمَجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا؛ كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا. وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ). هكذا كان شأن الناس كلما قلت في أيديهم آثار النبوة ، أتتهم الشياطين فتخطفتهم واجتالتهم عن التوحيد ، وهوت بهم في مهاوي الشرك ، قال الله تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * خُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}. ونحن اليوم (على حد تعبير الأستاذ محمد المنجد) في غمرة بعد كثير من الناس في العالم الإسلامي عن التوحيد ، فضلاً عن الكفرة والمشركين في أنحاء العالم الأخرى ، وظهور طوائف من أهل البدع الذين يقوم دينهم على الشرك ، ينشرونه في العالم شرقاً وغرباً ، والتلبيس الذي حصل

على الناس ، في قضايا مخالفة للتوحيد ، حتى أصحبت دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - غريبة عند الكثيرين ، بل يريدون أن يخلعوا لباسها ويتبرأوا منها ، ولما كانت طوائف من المنافقين ، تريد أن تجتال الناس عن دينهم ، وأن توقعهم في ألوان من التسوية بين الحق والباطل ، والخروج عن الملة الحنيفية والشريعة المحمدية ودعوة التوحيد ، والخلط بين الشرك والتوحيد ، والحق والباطل ، والإسلام والكفر ، والسنة والبدعة ، كان لزاماً علينا جميعاً أن نذكر أنفسنا بالتوحيد وأن نعود إلى التوحيد ، أن نفيء إلى ضلاله ، وأن نبينه ، وأن ننظر إلى الواقع من خلاله ، فكيف يكون نظرنا من الواقع من خلال التوحيد ، وتحليل الواقع بناءً على التوحيد ، واتخاذ الموقف من الواقع بناءً على التوحيد ، وأن تكون خطواتنا ومجئنا ورواحنا بناءً على التوحيد ، هذا أصل التوحيد الذي لا يقبل الله غيره ، أرسل الله به الرسل وأنزل الكتب وهو سر القرآن ولب الإيمان ، هو أساس الخلق والأمر {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} . بالتوحيد ، فهو النهج الذي يسير عليه الكون ، {تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} . وإذن فالتوحيد هو الغاية التي خلق الله الجن والأنس لأجلها: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ، وهو دعوة جميع الرسل ، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} . وهو الحق الذي أوجبه الله عز وجل على العبيد ، الذي قال الله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} . إن جاؤوا به خالصاً فازوا ، وإن زاحموه بالشرك هلكوا. والتوحيد هو الذي يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} . والتوحيد الذي هو سبب دخول الجنة: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} . وهذا التوحيد الذي يمنع صاحبه من الخلود في النار وهو شرط لقبول العمل: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} . وكل عمل لا يقوم على التوحيد فلا وزن له: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ} . وهذا التوحيد الذي يكفر الخطايا ويحط السيئات: {وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً} . رواه مسلم. وبه تُنال به شفاعة الرسول عليه السلام: (أَسْعُدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.)

لكل ثوب مع ايير وأوزان	وللثبات أمارات وبرهان
ويسبق الثوب إيمان يؤيده	ولا بقاء له إن ضاع إيمان
ما الثوب إن لم يكن دين يؤازره؟	فلا يبدله بالعري شيطان!
وما الحجاب إذا نيلت صيانتها؟	فما أتت شرطه - في الدار - نسوان!
ماذا يفيد الحجاب المرأة انحدرت	إلى الحضيض مع العير الألى هانوا؟
وجاهرت بالفجور النفس تمقتة	وشدها لهوان النفس أعوان
وباعت النفس للأوغاد هينة	من مخرجين هم للفسق عبدان
فأفسدوها ، وجدوا في خلاعتهم	وكان في لعبهم بالدين إمعان

وقل دوها من الأدوار أقذرها
وناولوها كؤوس الدعر مترعة
وأغدقوا لامع الألقاب يسبقها
وبالغوا في اصطناع الوصف إذ وصفوا
وأسرفوا في مهاوي الشر دون حيا
وأرخصت عرضها لكي تمتعهم
وأصبحت ساعة تأوي لعاشقها
ولم يكن عاصماً دين ولا خلق
وصدّها عن هدى الرحمن ما ارتكبت
خانوا أمانة مولاهم وخالقهم
أما التي أصبحت عمداً صنيعتهم
فأدخلت نفسها في السالم مخطئة
الباب توحيد رب الناس يسبقه
قالت: تحجبت ، قلنا: ما الحجاب إذا
وكان سهلاً عليها ترك حشمتها
أين العقيدة تحمي ما التزمت به
اليوم غدت إلى الفجور طيعة
وباب أمرك هذا فتنة عظمت
أراحنا الله من مفتونة هزلت

كأنما هم ودعاة العهر إخوان!
فأشربتها ، وأغرى القلب عصيان
سليلاً من المدح بالتزييف مُزدان
ولم يكن في عقول القوم رجحان
فكلهم لفتاة الليل أخدان
فبش للعرض مهتاج وسكران
والعشق يُحسنه صب وهيمان
ولا رشاد ، فما في القلب إحسان
من الكبائر يغشاها الألى خانوا
وعربدوا ، ليتهم في الأرض ما كانوا
وكلهم حولها عير وذوبان
طريقه ، إذ له باب وأركان
خالع الطواغي ولا تكون أوثان
لم تدخل الباب ، هذا الستر عُريان!
فما على الحشمة الصماء سلطان
من الحجاب له التوحيد عُوان؟
والأمر مُشتهر ، ما فيه كتمان!
والناس في فسره صم وعميان
ونال عزمتها هوى وخذلان!

أبتاه لا تفعل!

(طلب ذلك الأب من معلم ما أن يعلم أبنائه على اتفاق بينهما. وبدأ المعلم دروسه منتظراً أجره آخر الشهر ، فإذا بالأب يُدخل الشهر في الشهر الذي يليه ، إلى أن صار المعلم مديناً بمبلغ كبير لدانن لا يرحم! وطالب المعلم الأب أكثر من مرة بالوفاء ولكن لا فائدة. وذلك رغم غنى الأب ولعبه بالملايين. ولما لم تفلح المحاولات ، عمد إلى أحد أبناء الرجل من الذين يدرستهم ، وكان قد آنس فيه رُشداً ورجولة ، فطالب الابن أباه فماتل كعادته. ثم في نهاية المطاف دفع الابن المبلغ كاملاً من مصروفه الخاص ليشتري سُمعة أبيه موهماً المعلم أن أباه كان مشغولاً طيلة الوقت وأنه أعطى أجر المعلم له ويعتذر له! فسُر المعلم بذلك أيما سرور ، وعاد الابن يقول لأبيه: أبتاه لا تفعل مثل هذا بعد اليوم ، لقد أدت عنك من مصروفي الخاص! فكانت صفة على جبين الأب المليونيير لا ينساها الدهر إن كان لديه بقية من شعور أو أريحية! وهنا تخيلت الابن يرسل رسالتين الأولى لأبيه يعظه ويرجو منه أن لا يماطل في دفع أجر المعلم! والثانية للمعلم يحثه فيها على أن يستمر في عطائه ولا يجعل مماطلة الأب مبرراً لعدم إتقان العمل! قال الأستاذ أبو وهيب في (منبر العرب) ما نصه بتصريف زهيد: (يعمل العامل الفني أو المهني عند صاحب البيت أو المشغل وإذ بصاحب البيت أو المشغل يماطل في دفع الحقوق لهذا العامل كالبناء أو الكهربائي أو القصار وغيرهم من المهنيين وغير المهنيين (في أكل الحق) من خلال المماطلة ، وينسى قول الله تعالى للذين ظلموا والذين يأكلون الحقوق وينسون الآخرة حيث لا يملك أحد لأحد فيه نفعاً ولا ضرراً: (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون) ، ويقول عليه الصلاة والسلام: "كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته)" ، اعلم أيها الحابس لقوت من يعمل عندك أن المظل من غير عُسر آفة الجود. لهذا يجب عليك أيها المماطل أن تدفع الحقوق لأصحابها ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه". وهذا الحديث يتردد على ألسنة الناس كثيراً ويعرفونه حق المعرفة ، ولكن لا يعملون به إلا ما رحم ربي. إن هذه الحقوق أمانة في أعناق آكليها ، فيجب أن تُرد الأمانة لأصحابها والوفاء بالعهد هو أيضاً في الأعناق "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له". هذا ما وصانا به الرسول صلى الله عليه وسلم. إن الدين هم قاتل ومذلة وخزي وعار وقاهر للرجال! ومن أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال". وفي حديث آخر "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه". لهذا أذكرك أيها المماطل بقولي: وحاسب نفسك قبل أن تُحاسب ، وزن أعمالك قبل أن توزن عليك ، واتق الله في أبنائك وأطفالك وفي نفسك ورزقك ، اعلم أن الله لا يخفي عليه شيء فهو سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور وما تعلن! إياك والمماطلة وأكل الحقوق. اتق دعوة المُعسر المظلوم ، فإنها لا تُرد! قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالاً من غير حلة فدخل به النار". وقال: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطي بي ثم غدر ، (أعطي بي أي أعطى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه. إن ظلم الأجير أجره من الكبائر).هـ.

مُوسِرٌ يُعْظِمُ جِداً دَرَهْمُهُ وَلَهُ الْإِمْسَاكُ قَدْ أَضْحَى سَمَةٌ!
غَرَّهُ الْمَالُ ، فَأَدْلَى دَلْوُهُ صَفَقَاتِ رَابِحَاتٍ مُبْرَمَةٌ

ويخال الظالم هذا مُكرمة
يُنْفِقُ المال سوى عن حصرمة
أي مجهودٍ بهذي الملحمة
أن عند الله يوماً محكمة
لا تُثبِتُكَ الدعاوى المُبهمّة
قلبه ، حتى غدا مثل الأمة
طوع نفس للهوى مستسلمة
إنه يهوى الردود المفحمة
أنني أرقبُ هذي المظلمة
عندما الوالدُ أكرهه
يجعلُ النفسَ تجافي المرحمة
وتصاريق - دهتهم - مؤلمة
إنني أمقتُ هذي المشأمة
وهو للتخوين أشقى سُلمة
ثم زد أجر الفئات المُعدمة
لاحترام العلم هذي ترجمّة
وهي عن بذل التحايا مُجمّة
إن على سحّك قامت شردمة
عاقب الله النفوس المجرمة

يأكلُ الحق على أصحابه
ويؤاري سؤأة الشحّ ، ولا
أيها الأستاذ لا تندم على
أثمن الشرح بعزم واثقاً
وابذل الجهد ، وأتحفني به
دع لرب المال دنيا استعبدت
دعه في أهوائه مسترسلاً
ليس يُجدي النصح إن ناصحته
واحمد المولى أيما أستاذنا
وأعيدُ الحق من جيبني أنا
يا أباي والشحّ داءٌ مُوبقٌ
في ظروفٍ طحنت أصحابها
لا تكرر مثل هذا يا أباي
إن هذا الأمر كم يُزري بنا!
أد حق الناس دوماً يا أباي
وأرى الأستاذ أولى بالعطا
وجموع الناس طالبت عرضه
أيها الأستاذ ، جاهذ واحتسب
وعلى المولى جزاء المعتدي

نعم الميتة! ونعمت الميتة!

عندما أتاني نبأ وفاة الأخ الشيخ الفاضل محمد عبد الوهّاب صابر من أهل (ظفر) الطيبين ، وذلك صباح يوم الثلاثاء 6 - 3 - 2018م ، حزنتُ حزناً شديداً ، وكانت هذه القصيدة في تأبينه وتشجيعه! حيث إنه وبعد أن صار أطلال جسد ، قد خلفني أطلال روح! لأنه يعتبر آخر الأصحاب المخلصين والإخوة الموحّدين الراسخين في معرفتي وفهمي ، ولا أزكي على الله أحداً! إنه وبعد رحيل الأخ الأستاذ أبو عبد الله إسماعيل علي سليم يكون الأمر قد بلغ ذروته ، فلقد كان الأستاذ إسماعيل أبو سليم الساعد الأول لي في هذه الغربة! وإن كنت أنسى فلست أنسى محبة الأخ إسماعيل وعطفه وحنانه ومروءته والختمة القرآنية الشهرية في بيته هنا في الإمارات! ومناقب الأستاذ إسماعيل لا تعد ولا تحصى ولا أزكي على الله أحداً! ويوم مات الأخ إسماعيل حزنتُ ذات الحزن ودعوتُ لأهله ولأبنائه بخير! وهناك ميزة كانت قد ميزت الأخ إسماعيل وهي سكنه في (عجمان) بجوار بيتي ، بينما كان الأخ محمد عبد الوهّاب في فلج المعلا هنا بالإمارات! وكان حزني على إسماعيل أبو سليم أكبر من الشعر وأوزانه وبحوره وقوافيه ، فلم أكتب في رثانه شيئاً! بينما في رثاء الأخ محمد عبد الوهّاب استطعتُ أن أتماسك وأكتب! فرحم الله صاحبين الجليلين ولا حرماً أجرهما ولا فتننا بعدهما! يقول الله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ}. ويقول: {الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}. ويقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَانِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}. ويقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}. ويقول: {وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}. وقال أبو الحسين الوراق: سألت أبا عثمان ، عن الصُّحْبَةِ ، فقال: "الصُّحْبَةُ مَعَ اللَّهِ بِحَسَنِ الْأَدَبِ ، وَدَوَامِ الْهَيْبَةِ ، وَالصُّحْبَةُ مَعَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ، وَتُرُومِ ظَاهِرِ الْعِلْمِ ، وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْاحْتِرَامِ وَالْحُرْمَةِ وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْأَهْلِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْإِخْوَانِ بِدَوَامِ الْبُشْرِ وَالْإِنْسِيَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْجُهَّالِ بِالذُّعَاءِ لَهُمْ ، وَالرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ ، وَرُؤْيَا نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَنَّهُ لَمْ يَبَيْتِكَ بِمَا ابْتَلَاهُمْ بِهِ". عن أبي ذرٍّ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ؟ قَالَ: (إِنَّكَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) ، قَالَ: "فَأَيُّ أَحِبِّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ: (أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ). وعن أبي موسى قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلٌ ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟" ، قَالَ: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ). وقال رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ؛ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكَ وَالْكَبِيرِ الْحَدَّادِ ، لَا يَغْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمَسْكَ إِذَا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بِدَنَّاكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً). وأقوال الحكماء والأدباء في الصديق والصدقة كثيرة ، فهذا «جبران خليل جبران» يقول: من لم يكن صديقاً لنفسه كان عدواً للناس ، ولا يزال الحكماء والأدباء يتكلمون عن الصدقة والأصدقاء بكلمات يعجز عن وصفها الخيال! وأما «سرفانتس» فيقول: قل لي من تعاشر أقل لك من أنت! والشاعر الفرنسي «فولتير» يقول: أيتها الصدقة لولاك لكان المرء وحيداً ، وبفضلك يستطيع المرء أن يضاعف نفسه وأن يحيا في نفوس الآخرين. وأما

«ليوناردو دافنشي» فيقول: أم صديقك سراً وامدحه أمام الآخرين. وأما «ديموفيل» فيقول: ننتظر ثمرات الطبيعة من فصل إلى فصل ، بينما نقطف ثمرات الصداقة كل لحظة! وهذا «كولتون» يقول: الصداقة الحقيقية كالصحة الجيدة! قلما تعرف قيمتها إلا بعد فقدها! وهذا «بلوطس» يقول: أنت تملك أصدقاء ، إذن أنت غني! وهذا «سكوت» فيقول: الصداقة الحقيقية نبات بطيء النمو. وهذا هو «ميخائيل نعيمة» يقول: متى أصبح صديقك مثلك بمنزلة نفسك فقد عرفت الصداقة. والشاعر «ميلتون» يقول: الصداقة الوجه الآخر غير البراق للحب ولكنه الوجه الذي لا يصدأ. وأما «إبراهام لنكولن» فيقول: ليس هناك منظر أشد قتامة من الصواب عندما لا يكون في جانبنا. وأما «شكسبير» فيقول: كن صادقاً مع نفسك تكن صادقاً مع الناس. وهذا «عباس العقاد» فيقول: إذا عجز القلب عن احتواء الصدق لصديق عجز اللسان عن قول الحق له. وشكسبير يقول: إذا قررت أن تترك حبيباً أو صديقاً فلا تترك له جرحاً. فمن أعطانا قلباً لا يستحق منا أن نغرس فيه سهماً أو نترك له لحظة تشقيه. ما أجمل أن تبقى في روحيكما دائماً لحظات الزمن الجميل. فإن فرقت بينكما الأيام فلا تتذكر لمن تحب غير كل إحساس صادق. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل الجليس الصالح مثل العطار إن أصابك منه ، وإلا أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء مثل القين ، إن أصابك منه ، وإلا أصابك من دخانه). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الوحدة خيرٌ من الجليس السوء! والجليس الصالح خيرٌ من الوحدة ، وإملاء الخير خيرٌ من السكوت ، والسكوت خيرٌ من إملاء الشر). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل الجليس الصالح ؛ مثل الداري إن لم يُحذِك من عطره علقك من ريحه ، ومثل الجليس السوء مثل الكير إن لم يحرقك من شرار ناره علقك من ننته). ولقد كان الأخ محمد عبد الوهاب - رحمه الله رحمة واسعة - نعم الصاحب والصديق ونعم الأنيس والجليس! وإنني لأبتهل إلى الله لنفسي وللمسلمين وللهذين الصاحبين الجليلين فأقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمَا وَارْحَمْهُمَا ، وَعَافِهِمَا ، وَاعْفُ عَنْهُمَا ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُمَا ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُمَا ، وَاعْسِلْهُمَا بِالمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالبَرْدِ ، وَنَقِّهِمَا مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثُّوبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُمَا دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِيهِمَا ، وَأَهْلأ خَيْراً مِنْ أَهْلِيهِمَا ، وَزَوِّجِنِ خَيْراً مِنْ زَوْجِيهِمَا ، وَأَدْخِلْهُمَا الجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُمَا مِنَ عَذَابِ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ). (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيَاتِنَا وَمَيِّتِنَا وَشَاهِدِنَا وَعَانِبِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرْنَا وَأَنْثَانَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ). (اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُحَمَّداً بن عبد الوهاب فِي ذِمَّتِكَ ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ ، فَفِهِ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ ، وَعَذَابِ النَّارِ ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَقِّ ، فَأَغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ العَفُورُ الرَّحِيمُ). (اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ مُحَمَّدُ عبد الوهاب اِحْتِاجٌ إِلَى رَحْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِ عَذَابِهِ ، إِنْ كَانَ مُحْسِناً - وَظَنِي بِهِ كَذَلِكَ - فَزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً - وَظَنِي بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ - فَتَجَاوَزْ عَنْهُ). اللهم أبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ، ومن عذاب النار. اللهم عامله بما أنت أهله ، ولا تعامله بما هو أهله. أنت أهل التقوى وأهل المغفرة! اللهم اجزه عن الإحسان إحساناً ، وعن الإساءة عفواً وغفراناً. واجعل ذات دعائي لعبدك إسماعيل أبو سليم ، اللهم إن كان محسناً فزد من حسناته ، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته. اللهم أدخله الجنة من غير مناقشة حساب ، ولا سابقة عذاب. اللهم آنسه في وحدته ، وفي وحشته ، وفي غربته. اللهم أنزله منزلاً مباركاً ، وأنت خير المنزلين. اللهم أنزله منازل الصديقين ، والشهداء ، والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. اللهم

اجعل قبره روضةً من رياض الجنة ، ولا تجعله حفرةً من حفر النار. اللهم افسح له في قبره مدَّ بصره ، وافرش قبره من فراش الجنة. اللهم أعذه من عذاب القبر ، وجفاف الأرض عن جنبها. اللهم املاً قبره بالرّضا ، والنور ، والفسحة ، والسّرور. اللهم إنّه في ذمتك وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر ، وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحقّ ، فاغفر له وارحمه ، إنك أنت الغفور الرحيم. واجعل ذات الدعاء لعبدك محمد عبد الوهّاب ، اللهم إنّه عبدك وابن عبدك ، خرج من الدنيا ، وسعتها ، ومحبوبها ، وأحبّائه فيها ، إلى ظلمة القبر ، وما هو لآقيه. اللهم إنّه كان يشهد أنّك لا إله إلا أنت ، وأنّ محمداً عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به. اللهم إنه كان يعتلي المنابر ويحاضر في حلقات العلم والدرس منافحاً عن شريعتك وسنة نبيك - صلى الله عليه وسلم - اللهم إنّنا نتوسّل بك إليك ، ونقسم بك عليك أن ترحمه ولا تعدّبه ، وأن تثبته عند السّؤال. اللهم إنّه نزل بك وأنت خير منزلٍ به ، وأصبح فقيراً إلى رحمتك ، وأنت غنيٌّ عن عذابه. اللهم آته برحمتك ورضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه ، وآته برحمتك الأمان من عذابك حتّى تبعثه إلى جنّتك يا أرحم الراحمين. اللهم انقله من مواطن الدود ، وضيق اللّهود ، إلى جنّات الخلود. اللهم احمه تحت الأرض ، واستره يوم العرض ، ولا تخزه يوم يبعثون "يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم". اللهم يمّن كتابه ، ويسرّ حسابه وثقل بالحسنات ميزانه ، وثبت على الصّراط أقدامه ، وأسكنه في أعلى الجنّات ، بجوار حبيبك ومصطفاك صلى الله عليه وسلم. اللهم أمنه من فزع يوم القيامة ، ومن هول يوم القيامة ، واجعل نفسه آمنة مطمئنةً ، ولقنه حجّته. اللهم اجعله في بطن القبر مطمئناً ، وعند قيام الأشهاد آمناً ، وبجود رضوانك واثقاً ، وإلى أعلى درجاتك سابقاً. اللهم اجعل عن يمينه نوراً ، حتّى تبعثه آمناً مطمئناً في نورٍ من نورك. اللهم انظر إليه نظرة رضا ، فإن من تنظر إليه نظرة رضاً لا تعدّبه أبداً. اللهم أسكنه فسيح الجنان واغفر له يا رحمن ، وارحمه يا رحيم ، وتجاوز عمّا تعلم يا عليم. اللهم اعف عنه ، فإتّك القائل "ويعفو عن كثير". اللهم إنّه جاء ببابك ، وأناخ بجنابك فجد عليه بعفوك ، وإكرامك ، وجود إحسانك. واجعل ذات الدعاء لإسماعيل أبو سليم. اللهم إنّ رحمتك وسعت كلّ شيء ، فارحمه رحمةً تطمئنّ بها نفسه ، وتقرّ بها عينه. اللهم احشره مع المتّقين إلى الرّحمن وفداً. اللهم احشره مع أصحاب اليمين ، واجعل تحيته سلاماً لك من أصحاب اليمين. اللهم بشره بقولك "كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية". اللهم اجعله من الذين سعدوا في الجنة ، خالدين فيها ما دامت السّموات والأرض. اللهم لا نزكيه عليك ، ولكنّا نحسبه أنّه آمن وعمل صالحاً ، فاجعل له جنّتين ذواتي أفنان ، بحقّ قولك: "ولمن خاف مقام ربّه جنّتان". اللهم شقّع فيه نبينا ومصطفاك ، واحشره تحت لوائه ، واسقه من يده الشّريفة شربةً هنيئةً لا يظمأ بعدها أبداً. اللهم إنّه صبر على البلاء فلم يجزع ، فامنحه درجة الصّابرين ، الذين يوفّون أجورهم بغير حساب ، فإتّك القائل: "إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب". اللهم إنّه كان مصلياً لك ، فثبّته على الصّراط يوم تزلّ الأقدام. اللهم إنّه كان صائماً لك ، فأدخله الجنة من باب الريّان. اللهم إنّه كان لكتابك تالياً وسامعاً ، فشقّع فيه القرآن ، وارحمه من النّيران ، واجعله يا رحمن يرتقي في الجنة إلى آخر آية قرأها أو سمعها ، وآخر حرفٍ تلاه. اللهم ارزقه بكلّ حرفٍ في القرآن حلاوةً ، وبكلّ كلمة كرامةً ، وبكلّ آية سعادةً وبكلّ سورة سلامةً ، وبكلّ جزءٍ جزءاً. اللهم ارحمه فإنّه كان مسلماً ، واغفر له فإنّه كان مؤمناً. وأدخله الجنة فإنّه كان بنبيك مصدّقاً ، وسامحه فإنّه كان لكتابك مرتلاً. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضللنا بعده. اللهم ارحمنا إذا أتانا اليقين

وعرق منّا الجبين ، وكثر الأئين والحنين. اللهم ارحمنا إذا ينس منّا الطيب ، وبكى علينا الحبيب ، وتخلّى عنّا القريب والغريب ، وارتفع النشيج والنّحيب. اللهم ارحمنا إذا اشتدّت الكربات ، وتوالت الحسرات ، وأطبقت الرّوعات ، وفاضت العبرات ، وتكشّفت العورات ، وتعظّلت القوى والقدرات. اللهم ارحمنا إذا حُمِلنا على الأعناق ، وبلغت التراقي ، وقيل من راق ، وظنّ أنّه الفراق ، والتفت السّاق بالسّاق ، إليك يا ربّنا يومنّ المساق. اللهم ارحمنا إذا ورينا التراب ، وغلّقت القبور والأبواب ، وانفضّ الأهل والأحباب. اللهم ارحمنا إذا فارقتنا النّعيم ، وانقطع النّسيم ، وقيل ما غرك بربّك الكريم. اللهم ارحمنا إذا قُمنّا للسّوال ، وخاننا المقال ، ولم ينفعنا جاهٌ ، ولا مال ولا عيال ، وليس إلّا فضل الكبير المتعال. اللهم إنّك عبدك وابن عبدك وابن أمّتك ، مات وهو يشهد لك بالوحدانيّة ، ورسولك بالشّهادة ، فاغفر له إنّك أنت الغفار. اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنّا بعده ، واغفر لنا وله ، واجمعنا معه في جنّات النّعيم يا ربّ العالمين. اللهم أنزل على أهله وبناته وأبنائه الصّبر والسلوان ، وأرضهم بقضائك. اللهم ثبتهم على القول الثّابت في الحياة الدّنيا ، وفي الآخرة ويوم يقوم الأشهاد. اللهم إن بيت كل منهما كان يتسع لقراءة القرآن ومدارسة سنة الحبيب العدنان فشفع فيهما القرآن يا رب العالمين! اللهم واجعل من أبنائي وأبنائهما من يدعو لي عند موتي بهذا الدعاء! من منا يحب الموت؟ عن عبادة بن الصامت قال: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». فقالت عائشة رضي الله عنها: إنا لنكره الموت! فقال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما. وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عند الله». فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟! إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عند الله. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا. فهل نتمنى الموت؟ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تمنى الموت في حديثين: الأول: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يتمنّين أحدكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان لا بدّ تمّنيا فليقل: اللهمّ أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي» رواه البخاري ومسلم. الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا يتمنّين أحدكم الموت، إمّا محسنا فلعلّه أن يزاد خيرا، وإمّا مسينا فلعلّه أن يستعّيب» رواه البخاري. وخير موسى عليه السلام. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقا عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت! فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له: (يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة). قال: أي رب ثم مه؟ قال: (ثم الموت). قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر». وثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «استحيوا من الله حقّ الحياء». فقلنا: يا نبي الله ، إنا نستحيي. قال: «ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حقّ الحياء فليحفظ الرأس وما

حوى ، والبطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء» رواه الترمذي. وَعَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَيَّ شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا». رواه ابن ماجة. وأجعل قصيدتي مرثية عزاء للكّرام المؤمنين الموحّدين من أهل ظفر في رحيل ابن عبد الوهّاب وإسماعيل سليم. ومما يهون علينا فراق ابن عبد الوهّاب موته ساجداً لله رب العالمين!

أبتتـك اليـوم بالدموع تنـتـحـبـ	والقلـبـ من ألم المأساة مكتـبـ
والنفس تجرغ طعم الحزن ثاوية	إذ أصـبـحت بجوى المصاب تختضب
والروح تفتت صبراً في بليتها	من بعد أن أججت إلامها الكرب
والخاطر التاع من وجد ألم به	وكم تعغر صفو خاطر النوب
أيا (ابن عبد الوهّاب) البعث موعدا	شط المزار بنا ، أو طالت الحقب!
يا من رحلت ، وبني شوق يداعبي	أنـي للقيـاك يا أسـتـاذ أنـجـذب
إن لم يطب ملتقى في (مصر) يجمعنا	فعد رب السورى لكل منقلب
أحنّ والبين يكوي عزيمة صمدت	في غربة ستمتها البلاء والنصب
ذقت الهوان بها في مرّ تجربة	قوامها الضنك والإذلال والتعب
حتى التقينا و(إسماعيل) قدما	كلاً لصاحبه ، فطاب مغرب!
وغرد العيش في أرحابه بكما	ولم أعش بكما آسى وأنتحب
كان اللقاء هنا في بيت مرتزق	برئ العلم - من دنياه - والأدب
في صحبة بقيت عقدين ما أفلت	إذ نورتها رياض العلم ، والكتب
وما التقينا على الأصهار تجمعا	ولم يكن سبباً في حُبنا النسب!
ولم تكن صحبة لنيـل منفعـة	يسوقها الجاه ، أو يُدلي بها حسب
ولم تكن عشرة جاءت لمصالحة	بل كل خل بها يعطي ويحتسب

ويعجبون إلى أن يعجب العجب!
درس وعلم ولهو بعضه لعب
شأن الذين إلى غاياتهم ذهبوا
وتستطيب خطانا البيد والكثب
بعض الجدل ثنا ، وبعضه خطب!
وبعدَه وضع التفاح والعنب!
حتى تلذذ بالسُّلالة الرغب!
وباللحوم يزول الجوع والسغب!
وللأصابع اشكال به قشب
والأرز من فوقه الحساء ينسكب!
وإن يكن في صحاف الطبخ يلتهب
شهد المصفي حواه الصحن والعب!
صوابها ، فغدت بالمرّ تأتشب!
وليس من بينها صحن به عطب
يغشى الأنوف ، وقد تغول له السحب
لاكل يشتهي ما تحمل القضب
القش في أمها والتبين والحطب!
أغرى الذي يشتهيها السمن والخلب!
والأسودان عليها: الماء والرطب!
وكم جواد سمث بجوده الرتب!

والناس تغبط عن قصد ثلاثنا
وللزيرات فحواها ورونقها
ولست أنسى سنا الأسفار يجمعنا
فمن مراتع (عجمان) إلى (فلج)
وكم سهرنا الليالي في مناظرة!
كم استسغنا طعاماً أنت صانعُه
وكم شربنا عطر الشاي عن رغب
وكم أكلنا لحوماً أذهبت سغباً
ولست أنسى من المحشي نكهته
ولا الدجاج زكت فيه توابله
ولا الخضار تفوق الوصف طعمته
ولا الكنافة فاقت في حلاوتها
ولا الكوامخ والملح الكثير غزا
ولا الصحون بها المقبلات شدت
ولا المشاوي زكا دخانها عبقة
ولا المقالي قلت درديها فحلت
فهل طبخت على نيران (موقدة)
ولست أنسى لذيق المعجنات وقد
ولست أنسى على الإفطار مأدبة
بلغت يا صاحبي في الجود مرتبة

بذلت بذل الألى في بذلهم سبقوا
وكم نهلنا من العلوم أعذبها
وكم طربنا إذا طال النقاش بنا
وكم بكينا على أحوال أمتنا
وكم حزنا على غياب شِرعنا
وكم نهضنا بما للحق من طلب
وكم نشطنا نحث القاعدين على
وكم حملنا على الرشاد كوكبة
وكم دعونا لدين الله في ثقة
وكم حلمنا على الجهال نعدرهم
وكم أقمنا على العتاة حُجتنا
وكم بحثنا قضاياها عدد
ويومَ زرتُ وزوجي الأهل في (ظفر)
ورحب القومُ بي ترحيبَ سيدهم
وقدر (البنوي) الشهمُ جيئتنا
وأحسن الطيبُ المضيافُ محتفلاً
وجنَّ ليلٌ علينا في ضيافته
فودع الركبَ ، والدموعُ تخنقه
أيا (ابن عبد الوهاب) اخترت صالحة
ولا نزكي على الرحمن من أحدٍ

مثلاً بمثل كما تزجي العطا الرُبب!
من الذي خطتِ الأعجام والعرب!
وإن تقاصرَ لَمَّا يذهب الطرب!
بكاءً من عضه الإشفاقُ والحدب!
وداهمتنا لما قد نالها اللغب!
وهل سواه هُدى يُرجى ويطلب!
بذل الجهود ، لنا من حثنا أرب!
من الكسالى الألى في غيهم ضربوا!
أن الدعاة لهم رغم الأذى الغلب!
والجهلُ يعقبُه الدمارُ والتبب
لم نخش إن هم رضوا كلا وإن غضبوا
إن ساورتنا شكوكٌ ، أو أتت ريب
ويانغ الزرع في الحقول مُختلب
لأنهم صدقُ في جودهم نخب
وأكرم الضيفَ ، نعم الجودُ والقرب!
بنا كأننا - إلى أهليه - ننتسب
ونحن حتماً إلى الديار ننقلب
والوعدُ في ملتقى عساه يقترب!
كريمة الأصل ، نعم الزوج والنسب!
بل حسبها الله من لديه نحتسب

أنا - على زوجك الفقيد - ننتحب
والصابر الحق لا يزري به الوصب!
حقاً علينا ، وإن صدّوا وإن غلبوا
وكل ما قاتله عنهم هو الكذب!
وقم لهم - في الورى - طوعاً بما يجب
يوماً ، وأعداءهم قد عاش يجتنب
ولا يغيرك إعلام الألى كذبوا
لنارهم ، والألى أصغوا لهم حصب!
لا يستوي الطيش في الميزان واللبب!
وليس في حُجتي هزلٌ ولا صخب
إن ضمت المرء مع أحبابه الترب
إن اللقاء بهذا الميئت مرتقب
أن غاب عنك إلى دار الخلود أب
أن اليقين بتقوى الله يُكتسب
ولا يعقبك عن اجتيازه الرهب
هذا هو الرشاد والإخلاص واللبب
بأس الطواغيت ، لا لوم ولا عتب
لما يكن لاكتساب الدرهم الهرب!
وهل يحل محل الشرعة الذهب؟!

يا (أم عبد الوهاب) الله مطلع
(عبد الوهاب) اصطبّر لما ابتليت به
ولا تنل من رجال الدين إن لهم
سمعت أنك تهجوهم وتشتمهم
فاربأ بنفسك أن تغتاب صادقهم
وأذكر أباك الذي لم يستخف بهم
بني راجع ضميراً غاب وازغاه
واستفت قلبك ، لا تسمع لمن ظلموا
والصمت أبلغ من قول به غلط
(عبد الوهاب) أنا نصحت في وضح
حتى يكون كلامي بعض معذرة
(زهراء) لا تهني أو تحزني أبداً
وأنت يا (هند) لا ألك ثاوية
خوضي غمار لظى الحياة موقنة
شقي الطريق بلا ضعف ولا خور
وشاركي الأهل فيما قد ألم بهم
وسامحوني على التقصير سببه
فررت بالدين من دار تضيق به
ما قيمة المال إما الدين فارقنا؟

شِعْرٌ يُوَيْئِنُ صَاحِبَهُ

(تخيلتُ أنني قد رحلتُ عن الدنيا ، وخلفتُ قصائدي للرقاد الطويل ، تحظى بالإهمال والتضييع والترك! وذلك كما حظي صاحبها من قبل بالإهمال والتضييع والترك! ذلك أن الشعر كغيره من الفنون ، ما لم توجد جهة تتبناه وتتابعه وترقى به ، ورواة يروونه ويتناولونه ومطابع تشرف عليه تدقيقاً وتحقيقاً وتنقيحاً ونقداً ودراسة وطباعة ونشراً وتوزيعاً ، فإنه يحكم عليه بالضياح والإهمال والترك! ولقد حاولتُ قدر المستطاع في خضم الحياة الهائج المتلاطم الأمواج ، وسعيرها اللافح المستعر ، ومشاغلتها اللامحدودة ، وحاجاتها الملحة ، ومطامحي وآمالي وطموحاتي وأمنياتي التي هي أضعاف عمري ، وكنتُ موقناً أن العمر سوف ينقضي يوماً ولم أحقق عُشر معشار هذه الآمال والطموحات والأمنيات ، حاولتُ والحال هكذا أن أنشر هذا الشعر قدر المستطاع ولكنني للأسف لم أستطع حيث عضلتُ بي إمكانياتي والواقع المزري الذي يصغي لشعراء الإسفاف والرديلة وليس يُعنى بشعراء القيم والفضائل والأخلاق! وكان مما يهون علي إحساسي هذا وتجربتي تلك أن أجد في عصري شعراء كثيرين من شعراء القيم والأخلاق كان مصيرهم هكذا! رغم فحولتهم وفحولة شعرهم فلم يكن حال أحدهم يختلف كثيراً عن حالي! ولقد بصرتُ بالواحد منهم ولم أبلغ عشر معشار رصيده الشعري وحسب الفني وإبداعاته الشعرية ، ولم يستطع نظراً لضغوط الحياة وضغوط الواقع الجاهلي المعاش ، لم يستطع أن يجد لشعره روزنة صغيرة ولا مشربية صغيرة يُظلم من خلالها بشعره على الناس! وإن كثيراً من الشعراء على مَرَّ العصور وكَرَّ الدهور كانوا يُعولون على وراثتهم فيعهدون إليهم تلميحاتاً أو تصريحاً بتبني ما كتبوه وطباعته ونشره إن أدركهم الموت! وكان وراثتهم على ضربين: إما مهتم بالشأن تكريماً للوالد ، وإما إيماناً بقضاياها التي ناقشها وقدمها للناس في أشعاره! وإما غير مهتم ولا مبال تماماً بما كتب والده ، حيث إنه أضاف إلى إهماله للشعر عدم إيمانه به ولا بقضاياها! والضرب الأول قليل جداً في الناس ولا شك! ومن هنا تضيغ عشرات بل مئات بل آلاف القصائد كل وقت وحين وتموت بموت شعرائها! وما ذلك إلا بسبب إهمال الشاعر فيها قبل أن يدركه الموت ، وإما لأنه ابتلي بورثة ما تركه أبوه من مال عيني ونقدي أحب وأغلى مما تركه من شعر وفكر وأدب! ولما كنتُ أرى بوادر ذلك آثرتُ أن أجعل شعري أحد أبنائي فأفردتُ له مصروفاً ووقتاً وجهداً لأراه يتبوأ أسمى المقامات وأرقى المكنات! وهو عموماً جهدُ المُقلِّ الضعيف المعوز المُعَدِم! حيث إن الحاجات كثيرة وضغوط الحياة أكثر ، ولا نشكو ما نعايه إلا لله وحده! ولئن كانت القضية قضية المال الذي تكون به الطباعة ويكون به النشر والتوزيع ، فهناك ما هو أكبر وأكبر وهو كم العراقيل والعقائيل التي سنها ووضعها الجبارون للحيلولة بين الناس وبين الشعر القيمي الأخلاقي ، وهناك ما هو أكبر وأكبر وأكبر ألا وهو انصرافُ الناس في عُمومهم عن القراءة ابتداءً ، وإن قوماً يزهدون في قراءة كتب العقيدة والتوحيد والتفسير والحديث ، لهم أزهدُ وأزهدُ في قراءة الشعر والأدب! ونعود لسبب كتابة القصيدة وجوها النفسي فنقول: لقد كان الباعث على كتابه هذه القصيدة هو إحساسي بقرب النهاية وانقضاء الأجل المعلوم والمحتوم! حيث تخيلتُ نفسي - والحال هكذا - أنني قد رحلتُ عن الدنيا وغسلتُ وكفنتُ وحملتُ وشيعتُ وأدخلتُ قبوري! ولم يعد يذكرني أحد ولا يبكييني أحد ولا يحزنُ علي أحد ، إلا أشعاري وقصائدي اللاتي لبسن السواد حُزناً علي ورحن يندبن حظهن وما لقينه من

الإهمال والترك والتضييع قبل مماتي وبعده! وتخيلتُ فيما تخياتُ أن شعري صار هو الذي يؤبني وينعيني ويبكيني كما كنت أؤبن غيري وأنعيه وأبكيه شعراً ونثراً! وذلك لأنه عدم من يؤبني وينعيني ويبكيني ، فانتهزها شعري مبادرة لطيفة منه فأخذ اليراع وبدأ يكتب هذه القصيدة في تأبين شاعره أحمد سليمان ، ذلك الشاعر الذي حظي شعره بالإهمال والترك والتضييع في حياته فكيف بعد موته؟! والأمل في الله تعالى كبير أن يتولى من يحققه وينقحه ويدققه ولو من أحفادنا الأعراء ولو بعد عقود وها أنا ذا أدعو له وقد سدتُ الثرى بأن يُقيل الله عثرته كما أقال عثرة ذلك الشعر البائس! ولعل زمانه يكون أفضل من زمانتي! وكان دوري أن أحافظ له على النص الشعري وقد فعلت! والله المستعان على كل حال ، وله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد! ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين! ولنطالع كيف أبني شعري وقد رحلتُ عن عالم الحياة والأحياء ودنيا الناس! وذلك في قصيدة هي الأغرب في شكلها ومضمونها وموضوعها وعنوانها! ولم يطرق هذا الموضوع شاعر! إذ المعتاد أن يؤبن الشاعر غيره! ولكن أن يؤبن الشاعر نفسه فهو أمرٌ غريب مستبعد تماماً! يقول الأستاذ الفاضل جمال المراكبي عن الموت ما نصه: (فإن الله عز وجل جعل الموت حلقةً من حلقات الحياة يتم به الاختبار والابتلاء؛ فالموت ليس فناء كما يعتقد الجاهلون ، بل هو انتقال من دار إلى دار ، وبرزخ يفصل بين حيتين: حياة الاختبار والابتلاء ، وحياة الجزاء والبقاء. والحياة الحقيقية هي حياة الآخرة وإن أثر أكثر الناس الحياة الدنيا ، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾. وقال: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» (رواه البخاري). والموت هو اليقين حقاً ، وإن أعرض الناس عنه وحادوا ، والحياة الدنيا دار البلاء والاختبار والعمل لما بعد الموت. قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تَحِيدُونَ﴾. وقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت. ولما مات عثمان بن مظعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما عثمان فقد جاءه اليقين». فالموت حق لا يُعرض عن ذكره إلا غافل ، ولا يفر منه إلا جاهل ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكره والاستعداد له ، فقال: «أكثرُوا ذكر هادم الذوات». ففي ذكر الموت فوائد عظيمة: فهو أدعى لقصر الأمل في الدنيا والزهد في زخارفها ، والحرص على العمل الصالح وإحسانه ، ومحاسبة النفس على ما فعلت ، والمبادرة للتوبة النصوح ، وأداء الحقوق إلى أصحابها ، ثم هو يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي ، وذكر الموت في كل حال أدعى لصلاح الحال ؛ ففي صلاتك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أذكر الموت في صلاتك ، فإن المرء إذا ذكر الموت في صلاته فحري أن يحسن صلاته ، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها». (صحيح الجامع). وفي صباحك ومساءك: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لمرضك ، ومن فراغك لشغلك». والموت راحة للمؤمن من تعب الدنيا ونصبها ونهاية سعيدة لهذا الابتلاء الذي عاناه فيها ، أما الكافر فبالموت يبدأ شقاؤه وعناؤه والعياد بالله. مرت جنازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مستريح أو مستراح منه ؛ أما المؤمن فيستريح بالموت من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» (البخاري). وتبدو هذه الراحة في بشارة الملائكة للمؤمن عند الموت لا

تخف ولا تحزن وأبشروا بالجنة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ}. والبلاء الذي يتعرض له المؤمن قبل موته يكفر عنه ذنوبه ويرفع درجته؛ فإنه لا يصيب المؤمن همٌّ ولا غمٌّ ولا نَصَبٌ ولا أذىً حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله عز وجل لملائكته: اكتبوا له صالح عمله، فإن شفاه الله غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه». (صحيح الجامع). هـ. لقد كان مفتاح تعاملي مع الشعر هو احتسابه عند الله تعالى وقصره على أبواب الخير التي واحد منها الدعوة إلى الله! قال ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح: وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ مِفْتَاحًا يَفْتَحُ بِهِ فَجَعَلَ مِفْتَاحَ الصَّلَاةِ: الطُّهُورَ، وَمِفْتَاحَ الْحَجِّ الْإِحْرَامَ، وَمِفْتَاحَ الْبِرِّ: الصَّدَقَةَ، وَمِفْتَاحَ الْجَنَّةِ: التَّوْحِيدَ، وَمِفْتَاحَ الْعِلْمِ: حُسْنَ السُّؤَالِ، وَحُسْنَ الْإِصْغَاءِ، وَمِفْتَاحَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ: الصَّبْرَ، وَمِفْتَاحَ الْمَزِيدِ: الشُّكْرَ، وَمِفْتَاحَ الْوِلَايَةِ: الْمَحَبَّةَ، وَمِفْتَاحَ الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ: الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا. ومفتاح الإيمان: التَّفَكُّرُ فِيمَا دَعَا اللَّهُ عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيهِ، وَمِفْتَاحَ الدُّخُولِ عَلَى اللَّهِ: إِسْلَامَ الْقَلْبِ وَسَلَامَتَهُ لَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ لَهُ وَالْفِعْلِ وَالتَّرَكِّ، ومفتاح حياة القلب: تَدْبِيرَ الْقُرْآنِ وَالتَّضَرُّعَ بِالْأَسْحَارِ، وَتَرْكَ الذُّنُوبِ، وَمِفْتَاحَ حُصُولِ الرَّحْمَةِ: الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ وَالسَّعْيِ فِي نَفْعِ عِبِيدِهِ، وَمِفْتَاحَ الرِّزْقِ: السَّعْيُ مَعَ الْإِسْتِعْفَارِ وَالتَّقْوَى، وَمِفْتَاحَ الْعِزِّ: طَاعَةُ اللَّهِ، وَمِفْتَاحَ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ: قَصْرُ الْأَمَلِ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ: الرَّغْبَةُ فِي اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ: حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ. وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْفَعِ أَبْوَابِ الْعِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَا يُوفِّقُ لِمَعْرِفَتِهِ وَمُرَاعَاتِهِ إِلَّا مَنْ عَظَّمَ حَظَّهُ وَتَوَفَّقَهُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِكُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ مِفْتَاحًا وَبَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَيْهِ كَمَا جَعَلَ الشَّرَّ وَالْكِبْرَ وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالْعَقْلَ عَنْ ذِكْرِهِ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ مِفْتَاحًا لِلنَّارِ وَكَمَا جَعَلَ الْخَمْرَ مِفْتَاحَ كُلِّ إِثْمٍ، وَجَعَلَ الْغِنَاءَ مِفْتَاحَ الرِّئَا، وَجَعَلَ إِطْلَاقَ النَّظَرِ فِي الصُّورِ مِفْتَاحَ الْخَيْبَةِ وَالْحِرْمَانِ، وَجَعَلَ الْمَعَاصِيَ مِفْتَاحَ الْكُفْرِ، وَجَعَلَ الْكَذِبَ مِفْتَاحَ النِّفَاقِ، وَجَعَلَ الشُّحَّ وَالْحِرْصَ مِفْتَاحَ الْبُخْلِ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ وَأَخْذَ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَجَعَلَ الْإِعْرَاضَ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ كُلِّ بَدْعَةٍ وَضَلَالٍ، وَهَذِهِ أُمُورٌ لَا يُصَدِّقُ بِهَا إِلَّا كُلٌّ مِنْ لَهُ بَصِيرَةٌ صَاحِبَةٌ وَعَقْلٌ يَعْرِفُ بِهِ مَا فِي نَفْسِهِ. انْتَهَى. وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَامَةُ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالتَّوَاهِي رِعَايَةَ أَوْقَاتِهَا وَحُدُودِهَا وَالتَّفَتُّيشُ عَلَى أَرْكَانِهَا وَوَأَجَابَاتِهَا وَكَمَالِهَا وَالْحِرْصُ عَلَى تَحْيِيَّتِهَا فِي أَوْقَاتِهَا وَالْمُسَارَعَةُ إِلَيْهَا عِنْدَ جُوبِهَا وَالحُزْنُ وَالكَابَةُ وَالْأَسْفُ عِنْدَ فَوَاتِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِهَا كَمَنْ يَحْزَنُ عَلَى فَوَاتِ الْجَمَاعَةِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ تَفَبَّطَتْ مِنْهُ صَلَاتُهُ مُنْفَرِدًا فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ضِعْفًا. وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا يَغَانِي الْبَيْعَ وَالشَّرَاءَ يَفُوتُهُ فِي صَفْقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي بَلَدِهِ مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ وَلَا مَشَقَّةٍ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا لِأَكْلِ يَدِيهِ نَدْمًا فَكَيْفَ وَكُلُّ ضِعْفٍ مِمَّا تُضَاعَفُ بِهِ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ وَأَلْفٍ وَمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى). هـ.

وزوى البيان وأمسكت أحناني

صمت القريض، وأطرقت أوزاني

وبكى الخيال بدمعه الهتان

وبكت علي قصاندي وفرائدي

حالا توشح بالمصير الانبي

ونحيب أسنلتى يرجع ثاويأ

لتحدّ من مرثية الأحزان
لأبيت من ألم الرحيل أعاني
وأجدت في نظمي بكل تفاني
أطريه في سر وفي إعلاني
فرفلت في منظومة الأوزان
حتى ازدهى بين اللغات بياني
في الخافقين شدا كما الكروان
وغمستها في أبهج الألوان
بترنماتٍ طهمت بحنان
وذكرت ، لم تركن إلى النسيان
فمن الذي تعنيه رفعة شاني؟
ويصدّ ما ألقى من العدوان؟
يبغي ويرفعُ راية الطغيان؟
وأذاقني بالرغم كأس هوان؟
ويُعيد مجداً ضاع ثم قلاني؟
من غربةٍ ذهبّت بعذب صياني؟
ويُعاجلُ الهمج الغشا بطعان؟
لفراق صاحبه اللطيف الحاني؟
ودموعهن سواجم وحوان؟
وفصوله تنعيره كل أوان

هذي دواويني تشاطرني الأسى
ويقول شعري: أنت تاركني لمن
أنت الذي أكرمتني ونفحتني
وبذلت جهداً في الكتابة لم أزل
وأضفت لي بعض الجديد لأستمي
ألبيستني خلل الترفع والعلا
غنيتني لحناً يُغرّد جرسه
أبدعت في رسمي بأظرف ريشةٍ
وحبكت ترتيب الكلام تكافاً
وطرقت أبواب القوافي حادياً
واليوم تتركني ، وترحل صامتاً
ومن الذي يعنيه أمري في الورى
ويرد هجمة حاقِدٍ مستشرق
ويجيزني ممن تطاول واعتدى
ويرد لي بعض الكرامة والإبا
ومن الذي يبكي لما قد نالني
ومن الذي يجتث صائلة العدا
أوما ترى (الديوان) يخنقه الجوى
لمن القصائد قد تركت كسيرة
يندبن حظاً سُودت صفحاته

أَنْ لَيْسَ يَـقْرَأُهُنَّ مِنْ إِنْسَانٍ
وَافِي بِلَا نَذْرٍ وَلَا اسْتِئْذَانٍ
وَأَعَارَهُ خُلَافاً مِنَ التَّبِيَانِ!
وَقَدْ اغْتَدَتْ تَشْكُو مِنْ الْهَجْرَانِ
بِسَمَاتِهِنَّ ، وَمَا لِهِنَّ يَدَانِ!
يَحْمِلْنَ خَيْرَ مَطَامِحٍ وَأَمَانِ
وَالشَّعْرُ يُطْرَبُ كُلُّ ذِي هَيْمَانِ
فِي زُنْهِنَا بِطَالَاةِ الرَّجْحَانِ
أَمْسَى يَقْلِبُ صَفْحَةَ الْبَدِيَانِ
وَيَقُولُ فِي ثِقَةٍ وَفِي اطمْنَانِ:
ذَهَبَتْ بَنُورٌ سَكِينَتِي وَكِيَانِي
وَقَصَائِدِي أَعْلَى مِنَ الْعَقِيَانِ
وَقَصَائِدِي - فِي مَرَّهِن - غَوَانِي
فِي النَّصِّ وَالْأَفْكَارِ وَالْعُنُوانِ
وَأَتَى بِشَّعْرٍ عَاطِرٍ مُزْدَانِ
شِعْرًا يَفُوقُ أَزَاهِرَ الْبَسْتَانِ!
عَنْ قِيَمَةٍ وَمِبَادِيٍّ وَمَعَانِي!
لَيْسَ هَذَا الدِّينُ فِي الْبِلَادَانِ!
مِنْ أَنْبِلِ الْعِلْمَاءِ وَالْخِلَانِ!
يَعْتَدُّ بِالقَوَاتِ وَالسُّلْطَانِ!

مَجَلَاتٍ بِالسُّوَادِ قَوَانِينًا
وَكَأَنَّهُ الْمَوْتُ الْمَمْنُوحُ غِيَاةً
مَاتَ الَّذِي وَهَبَ الْقَرِيضَ حَيَاتِهِ
وَالْيَوْمَ عَشَعَشَ فِي صَحَائِفِهَا الثَّرَى
غَدَتِ الْقِصَائِدُ كَالْيَتِيمَاتِ اخْتَفَتْ
كُنَّ الْغَوَالِي فِي الصِّيَاغَةِ وَالصَّوَى
يَسْلُبْنَ بَعْضُ صَوَابِ كُلِّ مَتَيْمٍ
يَسْكُنُ أَفْئَاقَ الْقَرَارِاحِ وَالنَّهْيِ
كُنَّ الْخِرَائِدُ يَحْتَفِينَ بِعَاشِقٍ
وَالْيَوْمَ نَاحَ الشَّعْرُ يَنْعِي مِنْ قِضَى
تَعَسَّأَ لِحَالٍ لَا أَطِيقُ بَقَاءَهَا
فَجُعَلَتْ إِرْثًا لَا يَطِيبُ لَوَارِثِ
فِي أَرْبَعِينَ مِنَ السَّنِينَ صِيَاغَتِي
لَمْ يَأَلُ جَهْدًا صَاحِبِي فِي نَظْمِهَا
عَانِي وَكَابِدُ ، ثُمَّ سَلَّ يِرَاعَهُ
كَمْ خَصَّه بِسَنِيٍّ عَمَرَ أَثْمَرَتْ
كَمْ جَدَّ فِي نَظْمِ الْقِصَائِدِ ذَائِدًا
كَمْ سَخَّرَ الْأَشْعَارَ تَخْدُمُ دِينَهُ
وَلَكَمْ بِهِذَا الشَّعْرِ أَبْنُ مَنْ مَضَى
وَلَكَمْ بِهِذَا الشَّعْرِ نَاوَأَ ظَالِمًا

أضحى يُحاربُ شرعة الرحمن!
واللومُ يصقلُ دُرْبَةَ الإخوان!
والنصحُ ينفَعُ صاحبَ النسيان!
ما كان في دنياه باليقظان!
والمدحُ يُشعلُ جَذوة الإحسان
ودليله يحتاج للبرهان!
ثقلت عن القدرات والأذهان!
ومن استبدَّ ، وشط في العصيان!
ركنوا لكيّد وساوس الشيطان!
من خيرة الشعراء في الأوطان!
بالممدح والترويج في إتيان!
للخير والمعروف دون تـوان!
لقضنا المليك الواحد الـديان
ماذا تفيّدُ بشاعة النكران؟!
إني أوّبـنُ شاعري المتفاني
مُنحتُ لشـرذمة من الغربان!
وأتموا بما هو ليس في الحسينان!
لأراه بين الناس غير مُدان!
وترسّختُ بالزور والبُهتان
حسب الذي قد كان في الإمكان!

ولكم بهذا الشعر أصلح واقعاً
ولكم بهذا الشعر لام مقصّراً
ولكم بهذا الشعر ناصح غافلاً
ولكم بهذا الشعر أيقظ نائمأ
ولكم بهذا الشعر أطرى مُحسنأ!
ولكم بهذا الشعر فصل مُبهمأ
ولكم بهذا الشعر حلّ عويصة
ولكم بهذا الشعر جاهد من طغى
ولكم بهذا الشعر عرض بالألى
ولكم بهذا الشعر عارض فرقة
ولكم بهذا الشعر خص فضيلة
ولكم بهذا الشعر أرشد قومه
واليوم يسكن قبره مُستسلماً
والموت حقّ ليس يُنكره الـورى
ويقولها شعرُ الفقيد صراحة:
أبكيه فذا لم ينل من فرصة
نعقوا ، وعمّ نعيهم أصقاعنا
أبكيه مظلوماً ، وأنصر حقه
وأفند الشبهات عنه تأصّلت
أبكيه شهماً للمناقب كم دعا

إذ لم يكن بمخادع دهقان
واختار آخرة لنيل جنان
يرجو ثواب المنعم المنان
وأحبة المتفضل المعوان
والحرُّ يُكرمُ جينة الضيفان!
لنوال عفو الله والرضوان
ما عاش يشغف لحظة بحسان!
للغيب مُحتمالاً على النسوان!
لبس الحياء ، وعض طرف عيان
لمّا يقل عشق الكعبان غزاني
عما يميل إليه قلب خصان!
يأتي الهوى بالسوء والخسران
لم تخفها بحبوحه الفستان
بل خصها في التوباستهجان
متجبر مسر تكبر خوآن
والخري أنف عيشة العبدان
وبرغم أنف الظلم والكفران
وأنا لي المولى العظيم الشأن!
وقضيتي في عالم الإنسان!

وجنت عليه صراحة وطبيعة
خبر الحياة بكهفها ورقيمها
أبكيه جاد بما تملك حسبة
والناس أتباع الكريم وحزبه
أبكيه مضيفاً ، يبشّ لضيفه
إذ عاش يتخذ العطاء وسيلة
أبكيه عفاً عن مغالاة النساء
لم يتخذ ولع العذارى حياة
وإذا أتته ولية في حاجة
وأعارها أخلاقه ونواله
وقضى لها ما تبغى مستعلياً
 واحتاط للنفس اللجوج من الهوى!
لمّا يعيش يوماً أسير ذوائب
لم يُغره من غادة تهريجها
أبكيه لم يُخن الجبين لظالم
عاش الأبوي ، وإن تدنى غيره
يا صاحبي مت العزيز ، ولم تزل
فعليك من رب السما رحماته
والله ناشرني ومبلغ حجتني

بين الطالب ومعلميه

(في حفل الطلاب المتفوقين رحبنا أعبّر عن حوار بين طال بين طالب يودع معلميه شعراً لينتقل من مدرستهم إلى أخرى! وتخيلتهم يردون تحيته شعراً كذلك! وقد سألتني ابنا فهد صديق العطار قائلاً: (بم تنصحنى في قابل أيامى بشأن القراءة والتحصيل؟) فقلت: له أكمل دراسة (حلية طالب العلم ليكر بو زيد) فان هذا مشروع بدأته معكم منذ سنة ونصف تقريباً وكنت لا أشعركم به! فقط كنت أدرّس وأبين وأترجم إلى الإنجليزية بالطبع! وكنت أحرص على أن أعدكم لكي تكونوا مثل سلفنا الكرام في اتباعكم للسنة والعمل بها واحترام المعلم! يقول الدكتور بكر بو زيد في مقدمة كتابه الرائع وسفره العظيم: (حلية طالب العلم) ما نصه: (إننا نعيش يقظة علمية تتهلل لها سبحات الوجوه ، ولا تزال تنشط متقدمة إلى الترقى والنضوج في أفئدة شباب الأمة ، مدها ودمها المجدد لحياتها ، إذ نرى الكتاب الشبابة تترى يتقبلون في أعطف العلم مثقلين بحمله يعلون منه وينهلون ، فليدهم من الطموح ، والجامعية ، والاطلاع المدهش والغوص على مكونات المسائل ، ما يفرح به المسلمون نصراً ، فسبحان من يحيى ويميت قلوباً. لكن ، لا بد لهذه النواة المباركة من السقي والتعهد في مساراتها كافة ، نشرأ للضمانات التي تكف عنها العثار والتعصب في مثاني الطلب والعمل من تموجات فكرية ، وعقدية ، وسلوكية ، وطائفية ، وحزبية... وقد جعلت طوع أيديهم رسالة في التعاليم تكشف المندسين بينهم خشية أن يردوهم ، ويضيعوا عليهم أمرهم ، ويبعثروا مسيرتهم في الطلب ، فيستلوهم وهم لا يشعرون. واليوم أخوك يشد عضدك ، ويأخذ بيدك فأجعل طوع بنائك رسالة تحمل "الصفة الكاشفة" لحليتك. فما أنا إذا أجعل سن القلم على القرطاس فائل ما أرقم لك أنعم الله بك عيناً: لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الأدب ، ومكارم الأخلاق ، والهدى الحسن ، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام ، وأن العلم - وهو أئمن ثرة في تاج الشرع المطهر - لا يصل إليه إلا المتحلي بأدابه ، المتخلي عن آفاته ، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه ، وأفردوها بالتأليف ، إما على وجه العموم لكافة العلوم ، أو على وجه الخصوص ، كأداب حملة القرآن الكريم ، وآداب المحدث ، وآداب المفتي ، وآداب القاضي ، وآداب المحتسب ، وهكذا... والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي. وقد كان العلماء السابقون يلقتون الطلاب في حلق العلم آداب الطلب ، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف ، إذ كان بعض المدرسين فيه ، يدرس طلابه كتاب الزرنوجي (م سنة 593 هـ) رحمه الله تعالى ، المسمى: "تعليم المتعلم طريق التعلم". فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق ، فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد ، وفي مواد الدراسة النظامية ، وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في التنبيه على إحياء هذه المادة التي تهذب الطالب ، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحمل العلم ، وأدبه مع نفسه ، ومع مدرسه ، ودرسه ، وزميله ، وكتابه ، وثمره علمه وهكذا في مراحل حياته).هـ. فكانت هذه القصيدة ترجمة لهذا التخليل بين الطالب ومعلميه! وكان البدء بالطالب والختم بالمعلمين!)

جُوزِينِمُ الخَيْرَ ، أَنْتُمْ خَيْرُ مَنْ عَمَلُوا! رَغْمَ العَنَاءِ ، وَأَنْتُمْ خَيْرُ مَنْ بَدَلُوا!
أرشدتموني إلى الخيـور جامعـة و فـيكم انـعقد الطمـوخ والأمل
فكم تحملاً تم الأعباء ما رحمت ضعفاً ، ولا غربـة نـاعت بمن رحلوا!
وكم صبرتم على مريـر تجربتي في العلم أطلبه أصدّ من جهلوا!

وكم أجبتكم على غريب أسئلتني!
وكم تجاهلتكم الزلات سببها
وكم نصحتكم بلا كل ولا ملل
وكم رسمتم لي الدروب واضحة
هناك في (الجرف) صرخ لا يضارعه
(عجمان) توقن أنني لا أجاملكم
وإن (مدرستي الوطنية) انتصرت
وحولها هتوت الصروخ معلنة
بفضل ربي أتى النجاح مرتدياً
ولست أنكر ما أسدى أساتذتي
واليوم في حفلنا أبدي مباركتي
يا قوم هذا الدعا فأمّنوا ، وثقوا
رباه بالخير جند على أساتذتي
رباه واشمل بعز منك مدرستي
يا رب قلت لنا: ادعوني ، ولا تهنوا
وليس أصدق من رب الورى أحد

فزالت الشبّة الرعناء والعِلل
جهلي حقوق الألى لرفعتي عملوا!
حتى استغاث - من النصيحة - الملل!
من بعدما استشكلت أمامي السبل!
صرخ به في التحدي - يضرب - المثل!
شأن الذين - من التدشين - ما خجلوا
نصراً ينبّه من - عن سمتها - غفلوا
سقوطها ، وهوى الشعار والطلل!
ثوب الكرامة ، ما (البشوت)؟ ما الخلل؟
من العطاء به الأصقاع تحتفل
وبالدعاء لهم بالخير أبتهل
في نصر من كنا - عليه - نتكل
إني أراهم ببذل الخير ما بخلوا
إني لأمرك يا رحمن أمتثل
يا من تجيب دعا قوم إذا سألوا
لذا فإني الدعا إليه أرتجل

وأما المعلمون الكرام فلم يقبلوا أن يقفوا مكتوفي الأيدي حيال تحية طالبهم النبيل الشهم فهد صديق العطار
من أهل عجمان ، بل تذكروا قول الله تعالى: (وإذا خيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ، فراخوا
يردون تحيته شعراً على ذات بحره ووزنه وقافيته ورويّه فقالوا:)

رعاك ربك يا ذا المخلص البطل
وخصك الله بالتوفيق ، أنت لة
ونلت ما تشتهي يا أيها الوجل
أهل ، وسعيك - بالإيمان - مكتمل

وصحّ منك الصُّوى والقول والعمل
لها - برغم الضنا - بين الورى ثقل
إننا - من العلم - يا تلميذنا رُسل!
وتلك مسألة يُزري بها الجدل
وعند ربك ما نسدي ونحتمل
وعند ربك رزقُ العبد والأجل
فلا يصدئك - عن هذا المضا - جِول
والدمعُ من كل عين بات ينهمل
لقد يطيبُ لك التحويل والنقل!
أبئسُ بسِتر - على الأحياب - ينسدل!
عيونَ مَنْ يرصدُ القيا فينذل
مضى صبيّاً مضى ، فإذ به رجل!
فليس جرحُ النوى في التوِيندمل
وباللقاء سرورُ النفس يكتمل
عليك في رحلة التعليم ، واعتدلوا
حتى يقولوا: لقد ربّوا ، لقد بذلوا
فيها تساوى شهى التمر والدقل
شأنُ المعلم والتعلم ، يا بطل!

وعشت ما عشت في جُلّى ومكرمةٍ
وُحزت بين بني الإنسان منزلة
نراك تشكرنا على رسالتنا
فهل على واجب شكرٍ لتبذله؟
إننا بذلنا الذي اسطعناه تكريمة
ونحن ماضون ، والذكرى فباقية
نوصيك داوم على جهدٍ عُرفت به
فارقتنا يا فتى نأسى لفرقته
يا سعدَ مدرسةٍ تكون طالبها
لكنّ ذكرك صدقاً لن تفارقنا
ألم تثر الزملا تسبى زيارتهم
كلّ يزورُ فتش جينا زيارته
نوصيك زرننا ، ولا تنكأ جراحتنا
إننا على العهد والتوديع موعدنا
نوصيك فاحرص على احترام من خلفوا
مُعلموك ، فكن مرسال تربيّة
وقاك ربك ما نحياه من محن
والله نسأل أن تعيش مُحترماً

مُتْ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْكَ!

(تزوج هذا العربيد الشقي من ثلاث نسوة ، كلهن جميلات حشيمات وضيئات فاضلات. ولكنه ظل يتطلع إلى غيرهن من النساء: فيعازل تارة ، ويسافح تارة ، ويصادق تارة ، ويرافق تارة! وعلم بحاله الجميع من حوله ، واستأثروا منه ومن ممارساته الفذرة العفنة الدنسة ، وأنذروه وحذروه ، ولكنه ركب هواه وأعرض ونأى بجانبه. وتمنى الجميع موته بفارغ الصبر إذ أصبح بينهم كالميكروب أو الجرثومة أو الفيروس! وتوقعوا أنه إذا مات فلن يصلي عليه أحد ولن يتبع جنازته أحد ، ولن يلحده أحد ، وذلك لكثرة ما شاع عنه من غشيان الموبقات والكبائر والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فضلاً عن أن أحداً لن يغسله أو يكفنه أو يترحم عليه بعد دفنه! ولسان حالهم يقول بأن هذا العربيد الفاسق الماجن سوف يموت يوم وينفق وينفق كما تنفق البهيمة ، ولن يذكره أحد بعد موته كما لن يأسى أو يأسف عليه أحد! وصار بذلك عيرة لكل من يجترئ على محارم الله تعالى! في محاضرة له بعنوان: (سوء الخاتمة) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه: (يعيش المرء في هذه الدنيا يبني ويعطي البناء يأكل ويتفنن في أنواع الطعام والشراب يركب المراكب ويتنعم بالملابس ، كلما مضى يوم من عمره تجدد له أمل ونسي أنه لا بد من خاتمة لهذه الدنيا وما يدري بما يختم له؟ ما يدري أن الأعمال بالخواتيم؟ أخرج البخاري في صحيحه عن سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ قَالَ نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ فَقَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا) فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَالَ بِذُبَابَةٍ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتْفَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلًا فِيمَا يَرَى النَّارَ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلًا أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا) ، وعند الإمام أحمد عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) ، الأعمال بالخواتيم هذا ما كان يُفلق الصالحين فكان يخاف أحدهم بما يُختم له فهذا سفيان كان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً ، ويقول أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت ، وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضاً على لحيته ويقول يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين منزل مالك؟ فما أشد خسارة من أمضى في هذه الدنيا عشرين عاماً أو أربعين عاماً أو أكثر أو أقل ثم يُختم له بخاتمة السوء! وكم من الناس من غرته الدنيا وغرته الشهرة وغرته المال وغرته السلطان وغرته كثرة السفهاء من حوله فأدمن المعاصي حتى كأنه لن يموت! فأخذه الله بغتة بسوء خاتمة وهو على معصية لرب الأرض والسموات يقول الجبار العظيم: {فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} ، يقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية: (فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا أَيِ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَتَنَاسَوْهُ وَجَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ أَيِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَارُونَ وَهَذَا اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ تَعَالَى وَإِمْلَاءٌ لَهُمْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً أَيِ غَفْلَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ أَيِ آيسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ بَارَزَ اللَّهَ بِالْكَفْرِ أَوْ الذَّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَأَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى سُوءِ خَاتِمَةٍ وَجَعَلَهُ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ فَهَذَا فِرْعَوْنُ اغْتَرَّ بِدُنْيَاهُ وَبِمَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَعَسْكَرِهِ وَصَوْلَجَانِهِ فَأَغْرَقَهُ اللَّهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ فِي قِمَّةِ نَشْوَتِهِ وَخَلَدَ قِصَّتَهُ فِي آيَاتٍ تَتْلَى إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: {كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ، وهذا

قارون أخطر بماله وكنوزه فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة أخذه بذبذبه من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وقال في ذلك: { فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ } .هـ. فلا يغتر بقوته أي طاغوت اليوم!

وفي الوجوه سجايا ليس تنبهم
لا يستوي الصبح في الإشراق والغسم!
ومن بشرعته - بين الورى - اعتصموا
وأفسد القلب بالعصيان يضطرم
حتى استبدت بها الأهوال والقخم
من الفجور ، فبنس المرتع الوخم!
فغالها الشبق المسعور والنهم
ولم يكن رادعاً - للمجرم - الجخم
كلا ، ولما تخل عن نكسة - قيم
وما إليه سعت في غيرها قدم
كما يحن إلى الغادات محتلم!
في كل وادٍ ، وبان السمث والسيم
سيسعدون إذا ما اغتاله العدم
وزايل البؤس والإيلام والسدم
واستبشروا بقدم الخير منذ علموا
كأنهم برحيل النذل قد غنموا
والقلب بأسف إنا غاب محترم
ومنك رب السما حتماً سينتقم!

للاستقامة - في أصحابها - سيم
وللهوى أثر فيمن يدين به
والدين يرفع من منهاجه اتبعوا
أما الذي ركب الأهواء منتشياً
وأشبع النفس من سواى غرائزها
وناول الروح مما تشتهي حصصاً
وأطلق العين - في العورات - هائمة
فما استفاق من النيران تحرقه
ولم يكن زاجراً عن غيه أدب!
والفرج صدق ما العيون قد نظرت
وأدمن التيس إتيان العنوز ضحى
وعاين الناس عن قرب فضائحه
واستعجل الكل موتاً ليس يخطئه
حتى إذا مات سرّ الكل ، وابتهجوا
والناس بعضهم غنث مشاعره
والبعض في موته - والله - قد شتموا
مُت غير مُفتقد ، فلست مُحترماً
وليس يبكي على نفوقكم أحداً

سهام

(ظل يذكرها لي كأنها الدنيا بأسرها ، وأنا أحاولُ أن أهوّن عليه عشقه الزائد عن الحد! ولكنه في كل مرة يصبر ويعدد لي الذكريات حتى قلت: ليته يكف عن هذا! واستجمعت المحطات التي ذكرها من حياة (سهام) ، ورحتُ أصف حبه لها وتوليه بها ككل عاشق تجاوز في عشقه الحدود ، واعتقد أنه بدونها لا يعيش ، وأن الحياة بدونها ضربٌ من ضروب العبث! يقول الدكتور عبد الناصر كعدان وهو طبيب اختصاصي في الجراحة العظمية – دكتوراه في تاريخ الطب العربي الإسلامي – ما نصه: (إن الأطباء المسلمين القدامى ، وعلى نحو مخالف للشعراء، قد نظروا إلى هذا المرض على أنه حالة مرضية كغيره من الأمراض العصبية أو النفسية كالصرع والصداع والسوداء له أسبابه المرضية وعلاماته وأعراضه وعلاجه. فأفاضوا في شرحه موضحين أن لهذا المرض علاجات مختلفة تطبق حسب حالة المريض وحسب درجة ثقافته ، بالإضافة لطبيعة الظروف المحيطة به. ولعل أول من تكلم في مرض العشق من الأطباء هو الطبيب اليوناني أبقراط والملقب بأبي الطب. حيث قال واصفا إياه: "العشق طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحس. فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر. وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته إلى السوداء ، ومن طغيان السوداء وفساد الفكر يكون الفدامة ونقصان العقل ، ورجاء ما لم يكن وتمني ما لم يتم حتى يؤدي ذلك إلى الجنون. فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه ، وربما مات غمًا. وربما وصل إلى معشوقه فيموت فرحاً أو أسفاً. وأنت ترى العاشق إذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه. وزوال ذلك عن هذه حالته بلطف من رب العالمين ، لا بتدبير الآدميين". وقد وصف جالينوس هذا المرض بقوله: "العشق استحسان ينضاف إليه طمع ، والعشق من قبل النفس ، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد. والعاشق يمتنع عن الطعام والشراب لاشتغال الكبد ، وعن النوم لاشتغال الدماغ بالتخيل وذكر المعشوق والتفكير فيه ، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت فيه. فمتى لم تشتغل فيه وقت الفراق لم يكن عاشقاً". يقول ابن سينا في ذكر أسباب هذا المرض: "هذا مرض وسواسي شبيهه بالمالينخوليا ، يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التي له ، سواء أعانته على ذلك شهوته أم لم تعنه". وقد أضاف بعضهم إلى ذلك بأن هذا المرض يعترى العزاب والبطالين من أهل الرعاع. ويتحدث ابن هبل البغدادي عن آلية حدوث هذا المرض فيقول: "العشق مرض يعرض من إدامة الفكر في استحسان بعض الصور الحاصلة في الخيال وإدامة النظر إليها وتحريك النفس شوقاً إلى استحضار ما هي مثاله ، ويساعد على ذلك الحركات الشهوانية فيعرض من ذلك شيء من الجفاف واليبس المؤدي إلى المالينخوليا". من حديث البغدادي يمكن لنا أن نفسر لماذا أتى مرض العشق بعد مرض المالينخوليا في المؤلفات الطبية العربية القديمة).هـ. والحقيقة التي يجب التسليم بها أن العشق مرض رهيب قد يؤدي بصاحبه إذا هو لم يتغلب عليه ويلتمس له العلاج في مظانه! والشاعر العاشق قد يثري الشعر من الناحية الجمالية ، ولكنه قد يصيب الشعر بالترهل إذا هو لم يبدأ بمعالجة قلبه من داء العشق! ويأتي النص الشعري ترجمة لما يمر به الشاعر من تجارب ولما يواجهه من محن وآلام! ومن هنا كانت العاطفة الشعرية انعكاساً لما يحس به الشاعر في حياته! وتحت عنوان: (عاطفة الشاعر في النص الشعري) يقول الأستاذ

الناقد الأديب عبد العزيز الصعب ما نصه: (قديماً أبدع الشعراء بأروع وأعذب القصائد ، وخصوصاً العاطفية منها ، والتي صاغوها بمنتهى الدقة والقوة البنائية ، اهتموا فيها بالصورة العاطفية ، وجسدوها بروح معاناتهم الصادقة والطبيعية. فعندما نقرأ لهم ، نذهب بعيداً عما نحن عليه الآن. نذهب إلى بينتهم تلك العذبة التي عاشوا فيها بما فيها من الحب والصدق والنقاء. نذهب أيضاً إلى حيث مجالسهم وأماكنهم. نعم هي تلك الروعة التي يجسدونها لنا ، والتي استوطنت في داخلهم. وإذا نظرنا إلى شعراء اليوم وعاطفتهم ، لوجدنا أن هناك فرقاً كبيراً بينهم وبين الشعراء القدامى ، والسبب يكمن في البيئة بالدرجة الأولى ، لأنها هي التي يستوحي منها الشاعر معاناته وعاطفته ، فقديماً كانت عاطفة صادقة ممزوجة بالوجد والتوجد الحقيقي دون الوصف لمجرد الوصف ، بينما الآن لم يعد توجد العاطفة بشكلها الحقيقي المستوحى من معاناة صادقة ، وربما يكون ذلك لانعدام البيئة الحقيقية للشعر، بالرغم من ازدهام الشعراء وكثرة القصائد ، ولم نعد نستطيع أن نتلذذ بالنص الشعري المبدع ، وذلك لعدم وجود حافظ قوي يدخل في إنتاج النص الشعري الجميل. ففي عملية القراءة للنص الشعري ، نجد القارئ ينظر أولاً إلى عاطفة الشاعر من خلال النص ، ومن ثم مدى إبداعه الذي يصل بالقارئ إلى ذائقته وهي الأهم هنا ، ومن هنا تأتي عاطفة الشاعر ، وهي تحتل مكانة كبيرة في النص الشعري. تلك المكانة التي بدورها تجعل النص أكثر جمالاً ورقة ، وتحكي موضوع النص الذي يريده الشاعر ، ولذلك نجد أغلب القصائد للشعراء القدامى ، تتسم بروح عاطفية صادقة تضيء على النص جماليات وروعة. والآن نجد أن المتابع للشعر الشعبي يبحث عن النص المشحون بالذات والغارق في الألم والحزن والآه والذي يعكس مدى تمكن الشاعر من نظمه بطريقة شاعرية وبإحساس متفرد، وهذا مانجده بالفعل في قصائد الشعراء القدامى التي بقيت قصائدهم عالقة بالأذهان ويرردها الغالبية في أحاديثهم).هـ. وإن كنتُ أنا شخصياً لا أوافق الأستاذ الصعب على مسألة اللجوء إلى ما يسمى بالشعر الشعبي وما هو بالشعر! ذلك أن المادة التي لا تكون على شرط العرب في شعرهم لا أسميها شعراً! والشعر الشعبي ليس مصاغاً ابتداءً باللغة العربية! بل باللغات العامية المحلية!).هـ. وتحت عنوان: (منزلة العاطفة من الأدب) يقول الناقد الأستاذ علي مصطفى صبح ما نصه بتصريف يسير: (العاطفة القوية الصادقة هي التي تجعل الأدب قوياً والشعر نابضاً بالحياة ، فهي من النص الأدبي بمنزلة الروح من الجسد ، فيها يسمو الأدب ويخلد الشعر ، ولذلك تنبه لها النقاد القدامى ، وأشادوا بمنزلتها من الأدب ، وتحدثوا عن مصادرها القوية ، ومنابعها المندفقة ، وأوارها المتأجج ، فاختراروا لها أنسب الأوقات وأجملها وأصفاها ، وأجمل الأماكن وأهدأها ، ووضح أبو سهل في صحيفته وقت احتدام العاطفة ، ومنطلق صدقها ، وحرارتها ، ومنزلتها من الأدب ، حين تبعث فيه القوة والحياة قال بشر: "خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة حقيقة أكرم جوهرًا ، وأشرف نسبًا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش القول ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ، ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدم والمطاوله والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة. ينبغي على الأديب أن ينتقي أنسب الأوقات لكتابة الأدب أو إنشاد الشعر أو إلقاء الخطب ، ويمتنع عن الكتابة في وقت فتور العقل ، وخمود البدن ، وتبذل الإحساس وامتلاء المعدة ، فكما قالوا: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة. وإنما يكتب الأديب أثناء النشاط في البدن ، واليقظة في العقل ،

والحركة في الذهن ، وانفعال المشاعر ، ورقة الأحاسيس ، لتكون العاطفة صادقة ، والخيال خصبان فتمكن منه الألفاظ الكريمة ، والكلمات الفصيحة ، والنظم البليغ ، والتركيب القوية ، والمعاني البديعة ، والأفكار المبتكرة ، فإن مثل هذه الفترة ، مهما كانت وجيزة فهي أفضل من أيام خفتت فيها العاطفة الصادقة ، حين يعاني منها الأديب أثناء الصياغة من آلام الكد والمطاوله ومتاعب الجهد والمحاولة. فالعاطفة الصادقة هي التي توجب في الأدب شعوراً متدفقاً ، وإحساساً عميقاً ، ونشاطاً فكرياً وذهنياً ، فينبض الأدب بالحياة ، والحياة فيه هي الصدق العاطفي والفني ، فيرتفع إلى سمو الغرض ، وشرف الهدف ، ووضوح المعنى ، وينقاد اللفظ خفيفاً سهلاً على اللسان ، ويجري رقيقاً عذباً ، كالماء العذب الرقيق ، والينبوع الثر الصافي. وحرارة العاطفة لا تزج بالأديب في دروب الخطأ ، ومنحنيات النتيه ، لأن العقل يوجهها ويسدّد خطاها ، وينظم شراراتها ، فلا تهبط في الشعاب المتوعدة ، أو تنزل في مخالق التعقيد ، الذي يلف المعنى في ضباب كثيف ، أو يدرج الغرض في أثواب قائمة ، فيكون الأديب في أسلوبه الذي اختفى فيه المعنى أسوأ حالاً قبل أن يكشف عنه. وأبو تمام الذي عاصر بشراً تحدّث عن وقت نشاط العاطفة ، وعن مصدر القوة والصدق في الأدب بما وصّى به تلميذه البحري: يا أبا عبادة تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر. فإذا عارضك الضجر ، فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب. وسار ابن قتيبة على نهج بشر ، متأثراً به في حديثه عن العاطفة ، ووقتها وصدقها قال: "وللشعر أوقات يسرع أتية ، ويسمح فيها أبيه ، منها أول الليل قبل تغشي الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في المجلس وفي المسير ، ولهذه العلة تختلف أشعار ورسائل المترسل". ويسير أبو هلال العسكري [م 395 هـ] في هذا الطريق الذي بدأه بشر ، فيذكر الأديب بالكف عن الأدب إذا شعر بفتور أو ملل ، ويحثه على العمل يقول فاعمل: "ما دمت في شباب نشاطك ، فإذا غشيك الفتور ، وتخونك الملل ، فأمسك ، فإن الكثير مع الملل قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع ، يسقى منها شيء بعد شيء ، فتجد حاجتك من الري ، وتنال إربك من المنفعة فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها ، وقلّ عنك غناؤها. وغيرهم من النقاد الذين تأثروا بالصحيفة مثل الأمدي ، والقاضي الجرجاني ، وعبد القاهر الجرجاني. وتحدث بشر عن قوة الوزن والقافية ، وتناسبهما ، وحسن موقعهما بين الألفاظ ، وتلاحم المعاني في الأبيات ، يقول بعد أن تحدث جودة الألفاظ: "والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ، ولم تصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها نافرة عن موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها ، فإنك إذا لم تتعاطى قرص الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد وإن أنت تكلفتك ، ولم تكن حاذقاً مطبوعاً. عابك من أنت أقل عيباً منك". ويتأثر أبو هلال بما ذكره بشر عن الوزن والقافية ، فيقول أبو هلال: "وإن أردت أن تعمل شعراً ، فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك وأخطرها على قلبك وأطلب لها وزناً ، يتأتى فيه إيرادها ، وقافية يحتملها ، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ، ولا تتمكن منه في أخرى ، أو تكون في هذه أقرب طريقاً ، وأيسر كلفة منه في تلك ، وإذا عملت قصيدة فهذبها ونقحها بإلقاء ما غثّ من أبياتها ، ورثّ وردل والاقتصار على ما حسن وفخم ، يبادل حرف منها بآخر أجود منه ، حتى تسوى أجزاءها ، وتتضارع هواديهما وأعجازها". ويذكر ذلك أيضاً ابن رشيق - رحمه الله - فيقول: "ومنهم يحكم

القافية في إنتاجه ، فينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر ، مثل أن تكون ثالثة أو رابعة أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع ، إلا أن انحلَّ عنه نظم أبياته ، وذلك عيب في الصنعة شديد ونقص بين ، لأنه أعنى الشاعر بصير على شيء واحد بعينه ، مضيقاً عليه ، وداخلاً تحت حكم القافية ، وكانوا يقولون: ليكن الشعر تحت حكمك ، ولا تكن تحت حكمه. ومنهم من إذا أخذ في صنعة الشعر كتب عن القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ، ثم أخذ مستعملها وشريفها وما سعد معانيه وما وافقها ، واطرح ما سوى ذلك ، إلا أنه لا بد أن يجمعها ، ليكرر فيها نظره ، ويعيد عليها تخيره في حين العمل ، هذا الذي عليه حذاق القوم. ومن الشعراء من إذا جاءه البيت عفواً أثبتته ثم رجع إليه فنقحه ، وصفاه من كدره ، وذلك أسرع له ، وأخف عليه ، وأصح لنظره ، وأرعى لباله ، وآخر لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه ، وتثقيفه من جميع جهاته ، وذلك أشرف للهمة ، وأدل على القدرة. والصواب ألا يصنع الشاعر بيتاً لا يعرف قافيته ، غير أني لا أجد في ذلك طبعي جملة ، ولا أقدر عليه بل أصنع القسم الأول على ما أريده ، ثم ألتمس في نفس ما يليق به من القوافي بعد ذلك ، فأبني عليه القسم ، أفعّل ذلك ، كما يفعل من يبني البيت كله على القافية ، ولم أر ذلك بمخلٍ عليّ ، ولا يزيحني عن مرادي ، ولا يغير علي شيئاً من لفظ القسم الأول إلا في الندرة ، التي لا يعتدّ بها أو على جهة التنقيح المفرط". وصاحب الصحيفة أول ناقد تحدث عن القافية والوزن في ميزان النقد الأدبي ، ثم جاء النقاد بعده لينظروا فيها نظرة نقدية تقوم على التحليل والتعليل حيناً ، وعلى تجربة الناقد نفسه في الشعر حيناً آخر كابن رشيق في عمدته(هـ). وأعود إلى (سهام) وعاشقها الولهان البناس فأنصح لهما بأن يتحوّلا إلى الواقعية وأن يحاولا نسيان الماضي بما فيه! فعلى مثل هذا العاشق المتميم الولهان المعذب أن يعيش اللحظة! وريثما تأتي هذه اللحظة الآنية المبتغاة المرتقبة لينسى ويتوب ننصت إلى عاشق سهام يقول:

ففي ضفة الوادي انطوت أخبار	دُرسَتْ ، كما دُرسَ الطوى والدارُ
والدربُ قد بليت معالم رسمه	وعفت - برغم صمودها - الآثار
وتبعثرت - فوق الطلوع - طيوفنا	وجُداً ، وعمّ الذكريات بوار!
وترنحت - في الخافقين - شجوننا	والحب عز ، وشط بعد جوار
وسلي السواقي جفّ أعذب ماها	وبكت لفرط غيابه الأنظار
وسلي الحقول رثت رحيل زروعها	والقفر هيمن ، ليس منه فرار
وسلي شروق الشمس سربله الدجى	والدجوساد ، ولم تعد أنوار
وسلي سراب غرامنا عبثت به	في غفلتينا يا (سُهي) الأوزار!
وسلي بقايا حبننا ذهبث به	رغم التحدي والمُنَى الأوطار

تزهو به الأصقاع والأشجار
وشدت بعذب لحونها الأوتار!
ولقلمها تنعني الكرام - ديار
والعقل - في شأن الغرام - يحار!
ولعشق كل مُتيم أخبار
وشعوره ، فله جوى وجوار!
صَباً ، كوته - من الحبيبة - نار
حتى يصيب فؤادك الإنذار
لَمَّا يثُبقها حُبك الجبار
فاربأ بنفسك أن يُصيبك عار!
ضحكت عليه الخرد الأبكار!
وظوى سذاجة عشقه التيار
إن الـذي تأتيه الـاسـ تهـتار
فعسى يُفيدك يا أخي الإعدار!

وسلي الندى - فوق المربع والربا -
وسلي الطيور ، فكم لحبك غردت
وسلي الديار نعت جوى أعيانها
و(سهام) ماض لا يفارق خاطري
والعشق يأسر قلب كل مُتيم
فبييت يذکر من سبت إحساسه
و(سهام) أرسلت السهام مُصيبة
يا صاح رفقا ، واستمع لنصيحتي
هون عليك ، وخل شأن عشيقه
هي لم تبادلك الهوى يا صاحبي
سيقول أهل الحب: بنس مُتيماً
ويقول قوم: ساذج في عشقه
فاصمذ ، ولا تك - في المحبة - وانيأ
وأنا بهذا النص أعذر ناصحاً

ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب

(أشيب جاوز السبعين من عمره ، ولم يستفد من كَرّ الدهور وتعاقب الأيام ، ولم يغتتم الشيب ويعتبر به! حيث كان جُل حديثه مشفوعاً بالهراء وسفه القول والمزاح المسفّ والنكات العارية القذرة! ونهي فلم يستجب! ووعظ فأعرض ونأى بجانبه! وكنت أحد الذين ابتلوا به صحبة ومعرفة! وأنكر ذلك الذي يأتيه من المخارف والهزء والسخریات آخرون! ورحت أحاجج عن خضابه بينهم ، فكان مما قلت: لعل الذي يوافق السنة فيه الخضاب! إذ كان تخضيب شعره على شروط السنة. وأثبت للقوم ما ذهب إليه. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنتفوا الشيب ، فإنه نور المسلم ، من شاب شيبية في الإسلام ، كتب الله له بها حسنة ، وكفر عنه بها خطيئة ، ورفعها بها درجة. أخرجه أحمد في المسند ، وصححه العلامة أحمد شاكر رحمه الله. وروي بلفظ: الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبية في الإسلام إلا كانت له بكل شيبية حسنة ، ورفع بها درجة. أخرجه البيهقي في الشعب - انظر الصحيحة. وأخرجه الترمذي ، ولفظه: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن نتف الشيب وقال: إنه نور المسلم ، وعند ابن ماجه بلفظ: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال: هو نور المؤمن. ومن حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه: من شاب شيبية في سبيل الله (وفي رواية: في الإسلام) كانت له نوراً يوم القيامة. فقال رجل عند ذلك: فإن رجالاً ينتفون الشيب؟ فقال: من شاء فلينتف نوره. قال الألباني رحمه الله: أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير وغيرهم من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، انظره في الصحيحة ، وقال: رجال إسناده ثقات غير ابن أبي الصعبة وهو حسن الحديث ، السلسلة الصحيحة. ومن حديث: كعب بن مرة ، أخرجه الترمذي ولفظه: من شاب شيبية في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة. ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ولفظه: (لا تنتفوا الشيب ، فإنه نور يوم القيامة ، ومن شاب شيبية في الإسلام ، كتب له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة). أخرجه ابن حبان وقال: حسن صحيح وانظر الصحيحة). ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شاب شيبية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة. أخرجه ابن حبان. وانظر الصحيحة. ومن حديث أبي نجیح السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من شاب شيبية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة. أخرجه ابن حبان في صحيحه. وانظر هداية الرواة. ومن حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من شاب شيبية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة. أخرجه الترمذي ، وانظر هداية الرواة. ومن حديث أم سليم عند الحاكم في الكنى والضياع في المنتقى من مسموعاته وفيه زيادة في آخره باطلة منكورة كما قال الألباني رحمه الله ، وهي لفظة (ما لم يُغيرها) انظر الصحيحة. وعن أنس رضي الله عنه قال: يكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته - قال - ولم يختضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما كان البياض في عنفقتة وفي الصدغين وفي الرأس نبذ) أخرجه مسلم في الصحيح. قال المباركفوري في التحفة: نهى عن نتف الشيب: أي الشعر الأبيض من اللحية أو الرأس ، قال: إنه نور المسلم: الإضافة للاختصاص ، أي أن وقاره المانع من الغرور بسبب انكسار النفس عن الشهوات والفتور ، وهو المؤدي إلى نور الأعمال الصالحة فيصير نوراً في قبره ويسعى بين يديه في ظلمات حشره ، قال ابن العربي: إنما نهى عن النتف دون الخضب ، لأن فيه تغيير الخلقة عن أصلها بخلاف الخضب ، فإنه لا يغير الخلقة على الناظر إليه. (التحفة). قال الشوكاني في نيل الأوطار: والتصريح بكتب الحسنه ورفع الدرجة وحط الخطيئة نداء بشرف الشيب وأهله وأنه من أسباب كثرة الأجور وإيماء إلى أن الرغوب عنه بنتفه رغوب عن المثوبة العظيمة. وإذن فيكون الشيب نوراً لصاحبه المسلم في يوم القيامة ، كما صحت بذلك الأحاديث ، ففي سنن الترمذي عن كَعْبُ بْنُ مُرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ

شَاب شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ). صححه الألباني في صحيح الترمذي. قال النووي في "المجموع": "يُكْرَهُ نَتْفُ الشَّيْبِ ، لِحَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَنْتَفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِأَسَانِيدٍ حَسَنَةٍ. هَكَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا يُكْرَهُ ، صَرَّحَ بِهِ الْغَزَالِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَآخَرُونَ ، وَلَوْ قِيلَ: يَحْرُمُ لِلنَّهْيِ الصَّرِيحِ الصَّحِيحِ لَمْ يَبْغُذْ ، وَلَا فَرَّقَ بَيْنَ نَتْفِهِ مِنَ اللَّحْيَةِ وَالرَّأْسِ" انتهى. إذا شاب الإنسان فقد أَعْدَرَهُ رَبُّهُ بِإِمَادِهِ فِي فَسْحَةِ مِنْ عُمُرِهِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ عِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَقْوَامٍ عَاشُوا طَوِيلًا وَامْتَدَّتْ حَيَاتُهُمْ ، لَكِنَّمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِأَعْمَارِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: "وقوله: {وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ} روي عن ابن عباس وعكرمة وأبي جعفر الباقر وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا: يعني: الشيب. وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني به الرسول صلى الله عليه وسلم". والمشيب وإن كان ظاهره الضعف والكبر إلا أنه يحمل أبواباً عظيمة من الأجر فقد جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة في فضل الشيب وحكم تغييره عن أكثر من عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وروى البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشيب نور المؤمن ، لا يشيب رجلٌ شيبَةً في الإسلام إلا كانت له بكل شيبه حسنة ورفع بها درجة). قال الشوكاني: "والتصريح بكتب الحسنة ورفع الدرجة وحط الخطيئة نداء بشرف الشيب وأهله ، وأنه من أسباب كثرة الأجور ، وإيماء إلى أن الرجوع عنه بنتفه رجوع عن المثوبة العظيمة". هذه الأحاديث السابقة تبيِّن فضل الشيب في السنة النبوية ، وأنه لا يُنتَف ، لأنه نور ووقار للمسلم ، والوقار يمنع الشخص عن الغرور والتسويف ، ويذهب به إلى الطاعة والتوبة ، قال المباركفوري في تحفة الأحوذني شرح سنن الترمذي: "ويحصل هذا الفضل بشعرة واحدة بيضاء ، تكون ضياء ومخلصاً عن ظلمات الموقف وشدائده". وقال المناوي في فيض القدير: "فالشيب يصير نفسه نوراً يهتدي به صاحبه ، ويسعى بين يديه يوم القيامة ، والشيب وإن لم يكن من كسب العبد ، لكنه إذا كان بسبب من نحو جهاد أو خوف من الله ينزل منزلة سعيه". وأعظم من النتف التغيير بالسواد ، فقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وحذر منه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أتيت أبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد) رواه مسلم قال ابن عثيمين: "(غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد) ففي هذا دليل على أن الأفضل أن الإنسان يغير الشيب ، يصبغه لكن بغير الأسود ، إما بالأصفر كالحناء ، أو بالأصفر الممزوج بالكتم ، والكتم أسود فإذا مزج الأصفر بالأسود ظهر لون بني ، فيصبغ الإنسان بالبني أو بالأصفر كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولولا المشقة والمؤونة على بعض الناس لكان يفعل ذلك لكن في مراعاة ومراقبة ويخرج أسفل شعر أبيض وأعله مصبوغاً ، وفي قوله: (جنبوه السواد) دليل على أنه يمنع اللون الأسود ، لأن السواد يعني أنه يعيد الإنسان شاباً ، فكان ذلك مضادة لفطرة الله عز وجل وسنته في خلقه وأما بقية الأصباغ فلا بأس بها ، إلا السواد لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه". عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أحسن ما غيرتم به الشيب: الحناء والكتم) رواه النسائي وصححه الألباني ، قال ابن حجر: ".. إن المأذون فيه - يعني الصبغ - مقيد بغير السواد لما أخرج مسلم من حديث جابر: (غيره وجنبوه السواد)". وللخضاب وتغيير الشيب فائدة وهي مخالفة أهل الكتاب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم). رواه البخاري ومسلم. قال النووي: "ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة ، أو حمرة ، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح". وقال ابن القيم: "والصواب أن الأحاديث في هذا الباب لا اختلاف

بينها بوجه ، فإن الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من تغيير الشيب أمران: أحدهما: نتفه ، والثاني: خضابه بالسواد... والذي أذن فيه: هو صبغه وتغييره بغير السواد: كالحناء والصفرة وهو الذي عمله الصحابة رضي الله عنهم". والشيب في السنة النبوية نور للمسلم في الدنيا والآخرة ، وبه تزداد الحسنات ، وتُرْفَع الدرجات ، وتُحطَّ به الخطايا ، وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم من نتفه وإزالته ، وأجاز صبغه وتغييره بالحناء أو الصفرة ، أو الحناء والكتم (لونه بين السواد والحمرة) ، ونهى عن صبغ الشيب بالسواد ، ولا قول لأحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كأننا من كان. فطوبى لمن شاب رأسه وابيض شعره وهو على طاعة ربه ثابت عليها ، فالله تعالى يجعل له بهذا الشيب نوراً يوم القيامة ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ شاب شيبه في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة). رواه ابن حبان. والشيب له أسباب غير كِبَر السن فقد يكون مبكراً للخوف من الله عز وجل أو لغيره من الأسباب فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: (يا رسول الله قد شِبت؟ قال: شيبنتي هودٌ والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). رواه الترمذي وصححه الألباني. ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما ورد في كتاب الشمانل المحمدية للترمذي رحمه الله ، فقال: حدثنا محمد بن بشار قال: أخبرنا أبو داود قال: أخبرنا همام عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: "هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لم يبلغ ذلك «إنما كان شيباً في صدغيه» ولكن أبو بكر خضب بالحناء والكتم". حدثنا محمد بن المنثري قال: أخبرنا أبو داود قال: حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة وقد سئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيب ، وإذا لم يدهن رئي منه». حدثنا أنبأنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير ، عن إباد بن لقيط العجلي عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لي قال: فأريته فقلت لما رأيته: هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم «وعليه ثوبان أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر». حدثنا محمد بن عمرو بن الوليد الكندي الكوفي قال: حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: «إنما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من عشرين شعرة بيضاء». حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر عن علي بن صالح عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة قال: "قالوا: يا رسول الله نراك قد شبت، قال: «قد شيبنتي هود وأخواتها». والأحاديث عن شيب شعر الرسول صلى الله عليه وسلم كلها تدل على أن الشعر الذي طاله الشيب قليل جداً ويوجد في شعر اللحية وقد بين صلى الله عليه وسلم أن سبب شيبه سورة هود وأخواتها وأنه صلوات ربي عليه كان يدهن الشيب فيختفي لون الشيب وفعل الصديق أبي بكر رضي الله عنه من تخضيب شعره بالحناء والكتم! والقول بأن شعر الشيب للرسول صلى الله عليه وسلم لونه أحمر دليل على استعمال الحناء في تغيير الشيب. (والكتم) الذي ورد في الحديث هو: "نبات باليمن يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة وصبغ الحناء أحمر فالصبغ بهما معا يخرج بين السواد والحمرة" (فتح الباري). وإذن فكان على أشيب قصيدتنا أن يحترم شيبه وإن خضبه بالحناء ، فإن للشيب وقاره واحترامه! ويصفنا مفصلاً حياتنا في عبارات بليغة في كتابه حدائق المعروف الدكتور فيصل الحلبي فيقول ما نصه: (مسافرون وفقراء وتائهون أصابهم الظمأ وثناهم الجوع وأضناهم المسير! مسافرون: مهما طال أعمارهم ، وفقراء: مهما كثرت أموالهم ، وتائهون بعدوا عن النور فهم مظلّمون ، أصابهم ظمأ المعاصي فلا يرتوون. وثناهم جوع الذنوب فلا يشبعون. وأضناهم الضياع فلا يهتدون. لكن نوراً ربانياً أخذ بلباب عقولهم ، أيقظ فيهم غفلتهم ، وبشرهم بالهداية بعد الضياع: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. لقد أحس هؤلاء بتطير الران عن

قلوبهم ، وشعروا بأن الفلاح قريب ، فنشطت أنفسهم ، واشتدت عزائمهم ، ورمقت أعينهم من بعيد خضرة متألفة الألوان ، ودغدغ أسماعهم خريير الماء يلقي بنفسه على جداول الزروع ، فسارعوا ، وسابقوا ، حتى إذا اقتربوا منها ، خلبتهم أشجارها ، وأذهلتهم ثمارها ، وسحرتهم جداولها ، فأى حدائق جميلة هذه. وأي واحة رائعة هذه. إنها حدائق المعروف ، وواحة الإيمان. ظل وارف ، وماء عذب ، ونسائم طيبة ، وقطوف دانية ، للعمل فيها بهجة ، وللإخلاص فيها نور ، وللصدق فيها سرور ، لا يحزن داخلها ، ولا يندم عاملها ، إنها حدائق ذات بهجة حقاً ، أنشأها الله لكل من في قلبه حب له ، أنشأها الله لكل من يريد الحياة السعيدة ، أنشأها الله لكل من يريد النجاة في الدنيا والآخرة. أخوا الإيمان. أتراك اشتقت أن تستظل بدالية من دواليها الظليلة ، لتشتتم عبيرها. وتزود نفسك من معروفها ، وتزكو نفسك من همومها. فلتكن معي في جولة إيمانية ، لأقضي معك وقتاً إيمانياً تحت ظلال بعض هذه الحدائق الغناء! وليس كلها. فإنها كثيرة كثيرة. وظلالها مديدة. غير أنني على يقين من أنك إذا جربت بذرها ، وتابعت سقيها ، وأراد لك ربها أن تسعد بها ، فن تزول عنها ، حتى تنال جناها ، وتسعد بسناها ، في أولها وأخرها ، فإلى تلك الحدائق. الستر - يا أخي الحبيب - نوعان: ستر حسي ، وستر معنوي: أما الستر المعنوي ، فهو أن تجد المسلم قد اقترف الذنب أو ارتكب الفاحشة فلا تفضحه ، بل تنهاه عن معصيته ، وتلين له في نصيحة ملؤها الرفق والشفقة ، وتستتر عليه فلا تبوح بخطيئته ، ولا تعريه من ستر الله عليه. لقد اعترف ماعز الأسلمي رضي الله عنه بلسانه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم بالوقوع في فاحشة الزنا ، ومع هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم يحاول معه أن يستتر على نفسه ، وأن يتوب بينه وبين الله ، فأخذ يقول له: (ويحك ، ارجع فاستغفر وتب إليه). رواه مسلم ، فيرجع ماعز غير بعيد ثم يعود فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم: طهرني! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له مثل ما قال ، حتى تكرر منه هذا الأمر ثلاث مرات ، فلما استيقن النبي صلى الله عليه وسلم من وقوعه في هذه الفاحشة ، وأنه يريد تطهير نفسه من درنها ، ويرجو أن يلقي الله وليس عليه وزرها ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يقيموا عليه الحد ، فذهبوا به فرجموه ، فلما أذلقتهم الحجارة هرب من مكانه من شدتها ، فأدركه الصحابة بالحجارة حتى مات ، وفي رواية لأبي داود: لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بهروبهم ، قال لهم: (هلا تركتموه ؛ لعله أن يتوب فيتوب الله عليه) ، ثم قال عنه: (إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها). فواعجباً: ممن يتربصون لأي فاحشة تقع ، أو منكر يحصل ، لا ليخبروا الجهة المسؤولة عن ذلك فتتكره بالوسائل الشرعية ، بل ليطيروا بخبره بين الناس ، وينشرونه على الشبكات المعلوماتية وغيرها ، إنها شهوة نقل الخبر التي عمت وطمت من غير سلوك لوسائل النقل الصحيحة من التثبت والتأكد والستر والأدب ، فأين هؤلاء من أسس النصح الشرعي ؟ وأين هم من قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. وليخف هؤلاء من الفضيحة على أنفسهم إذا لم يتركوا تتبع عورات الناس ، فإن أبا بزرّة الأسلمي رضي الله عنه قال : نَادَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ) رواه أحمد وهو صحيح لغيره ، وإسناده حسن. وأما الستر الحسي ، فهو أن تحسن إلى عارٍ من الثياب فتكسوه عن أعين الناس ، فو الله إن هذا لمن هدي الحبيب صلى الله عليه وسلم ، ولقد جمعت قصة ماعز الأسلمي رضي الله عنه هذين السترين ، فقد جاء في رواية لأبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب رجلاً يقال له هزال بستر ماعز فقال له: (لو سترته بثوبك لكان خيراً لك). رواه أبو داود. وإنما هدفت من قصيدتي أن أقول للهرم الأشيب بأن الأيام ماضية وليس أسرع منها! وتذكر بالأمس كنت جنيئاً فوليداً فصيباً ففتىً فشاباً فرجلاً فكهلاً فأشيب! واعلم بأن السفهاء اليوم وما أكثرهم لن يذكروا دراهم

صدقاتك على الفقراء ولا إحسانك وبرك بالأرامل والمعوزين ، ولا قيامك لليل باكياً بين يدي الله ، ولا مسحك رأس اليتيم محسناً إليه ومعوضاً إياه عن حنان أبيه! بل سيذكرون نكاتك وسخافاتك وسخرياتك وسقطاتك وهمزك ولمزك وغمزك! فاستقم تفلح! وإلا تفعل تكن عاقبة وبال ما تأتيه اليوم عليك غداً!



والشيبُ غَالِ التصابي غيرَ محترم
وعِشتَ ما عشتَ بين الهزل والغشم
والوعظ يصقلُ وعيَ الحاذقِ الفهم
وانصتِ للهزءِ في جدٍ وفي نهم
تتيرُ دربك كالأقمار والنجم
فكَلِمَتِ سبِّكَ بالبُهتان والنتهم
تبوءُ بالإثم والعصيان والجرم
شَتانَ بين قوَى كهـلٍ ومحتم!
حتى تعالجَ غيَّ الشيبِ بالقيم؟
بين الأتنام بعزمٍ باردٍ شميم؟
على الفسوقِ بدا في كلِّ مُصطدم؟
تأبى الرشادَ كمثل الشاء والنعم
فخضتُ كالمهر إذ يجري بلا لجم!
لا خيرَ في العبدِ يغشى مؤنلَ الحُرْم!
عن الهداية والإيمان والسلام!
وسط الصحابِ وبعض الأهلِ واللمم!
أسلمتُ روحك للمهيمن الحكم!
أيديهمُ الثوبُ ، والدمعُ الشجينُ همي!

جاوزتَ سبعينَ تحيا غيرَ ذي قِيمِ
لم تستفدِ من سِنِّي العمرِ حين مضتْ
وكم وُعِظتْ ، فلم تُنصِتْ لمن وعظوا!
وكم نُصِحتْ ، فلم تعبأ بمن نصحوا!
وكم ذُللتَ على الخيـورِ واضحة!
وكم أمِرتَ بمعروفٍ وتبصيرة!
وكم نُهيئتَ عن السفولِ أنت به
يا أشيباً غربلاً المشيبُ قوته
أما استتبتِ دروبَ الغيِّ كالحية
أما استحييتَ من الشرورِ تركبها
أما احترمتِ وقارَ الشيبِ مُجترباً
أراك تحيا بلا تقوى ولا رشَدِ
وإن سُئلتَ أجبتَ: اللغبُ راودني
فهل بما حرمَ المولى تُبارزه
يا لبيتِ شعري إذا قبضتَ مُشتغلاً
أم لبيتِ شعري إذا فضحتَ في ملاء
أم لبيتِ شعري إذا ما غسّلوك وقد
أم لبيتِ شعري إذا ما كفنوك وفي

ميتاً ، وصلوا على الجثمان في وصم!
مثواك بين الثرى والدود في الرجم!
وأقعداك وحيداً في نُجى الظلم!
ثلاثة حُصرت في عَدها التمم!
ما دينك؟ اصدق جواب السؤل واستقم!
ماذا تقول بشأن المصطفى الهشم؟
تُجيبك من شِدة الأهوال والقَحَم!
يقول قومي من الألفاظ والكلم!
منها الدماغ على الرمال والأكم!
هول المُصاب ، وعانى من لظى النقم!
وصرت فرداً وحيداً خُصَّ بالإزم!
من البلاء طغى في المرتع الوخم!
لَمَّا غدا حفرة قدت من الجَحَم؟
إن لم يجد في الثرى شيئاً من الطعم
فالدود لَمَّا يزلن بالثوب يأتدم
كأنما فرغوا من واجب الخدم
شوقاً إلى العيش في بُبوحاة النعم
ولن تعود لنا من رَقدة العدم
والذكرُ ديسَ ببطن النعل والقدم
أما عُرفت بنعت الشائب الهرم؟!

أم لبيت شعري إذا استقبلت قبليتهم
أم لبيت شعري إذا ماشيعوك إلى
أم لبيت شعري إذا الملكان قد نزلا
أم لبيت شعري إذا أسمعت أسئلة
يا عبد من ربك الذي تولهه؟
وما تقول؟ ألم يُبعث لكم رجل؟
يا لبيت شعري إذا لم تُحر أجوبة
أم لبيت شعري إذا ما قلت: قلت كما
فيض ربانك بالمزربة انفصمت
يا لبيت شعري إذا ما ضيق القبر من
أم لبيت شعري إذا أضلأك اختافت
وصار قبرك روضاً تسريح به
أم ببات قبرك والنيوران تلفحه
وصرت طعاماً لدود الأرض يأكله
ولم تعد أزرّ تحمي ، ولا كفن
وعاد من شيعوا إلى مابعهم
وعافسوا الأهل والزوجات يسبقهم
وصرت صفحة ماض بالردى طويث
تجاهل الكل إسماً كنت تحمله
ألم تعش بينهم سبعين كاملة؟

ولم يعد لفقيد الشيب من سيم
بين الأنام بهزل بالغ العظم
حتى هراوك فيهم غير منكم
في الناس قد بقيت ناراً على علم
وجرح هزلِك فينا غير منتم
لكنهم ذكروا ما جنت من لم
ترد ما روجوا بالزور من تهم
على العصاة ببعض الوعظ والحكم
يرجوا بها جنة المهيمن الحكم
في جوف ليل بلا كل ولا سام
على يتيم هنا يحيا بلا حشم
تطعه ، من يلتزم تقواه يستقم
وقيل هذا كتاب العبد فاستلم!
اليوم تلقاه نصب العين من أمم
إذ لا يفوت من عهد ولا رقم
أما اللسان فيشكو وطأة البكم
فالحكم بين الورى للواحد الحكم
وإن ربك ذو عفو وذو رحمة
ومن يحارب مليك الناس ينهزم!

والذكريات عفت من بعد ما درست
أما النكات التي كم عشت تنشرها
فتلك باقية ، والناس تذكرها
والسخریات التي رددت زبدها
والهزء والسخف جابا أنفساً وقرى
لم يذكروا الخير فيهم كنت تباله
لم يذكروا طيب الأقوال بحت بها
لم يذكروا الأمر بالمعروف جدت به
لم يذكروا الكهل لم يبخل بعارفة
لم يذكروا أشيياً وافى بدمعته
لم يذكروا درهماً أنفقته وجلالاً
يا ليت شعري إذا لقيت ربك لم
أم ليت شعري إذا تطايرت صحت
اقرأ كتابك ، وانظر ما عملت به
كفى بنفسك حساباً له نظر
اليوم تنطق أعضاء بما اكتسبت!
اليوم لا ظلم يأتيه الألى ظلموا
فتب إلى الله أنت اليوم في سعة
وإن تعاند ستحيا العمر في محن

وهل من مات يعود إلى الدنيا؟

(تأيمت هذه الأم الفاضلة لتربي وليدها الذي توفي عنه أبوه وهو لا يزال طفلاً رضيعاً في شهره الرابع من العمر. وجاءها الخطاب من كل صوب وحذب ، حيث كانت جميلة وضيئة وذات أحساب وأنساب كما أنها ورثت عن زوجها عقارات وأموالاً! وفوق ذلك كله كانت صَوامة قَوامة تصلي خمسها وتزيد ، وتصوم شهرها وتزيد ، وتحصن فرجها وتصدق قولها وتحسن إلى جيرانها! فأبت إلا الأيومة لنلا تدخّل على رضيعها زوج أم يسومه سوء العذاب ويعكّر عليها صفو حياتها! وقالت: أعيش لولدي وأراه دنياي وآخرتي كما أراه ماضي حياتي وحاضره ومستقبله! وكبر الطفل ويفع ، وأكمل تعليمه الأساسي ، فالمتوسط ، فالجامعة. وفي الجامعة تعلق قلبه بفتاة وصارح أمه بذلك ، فبذلت ما بذلت لتبلي له ما يريد حيث أرادها للزواج. وتزوج أميرنا الهمام من مولاتنا صاحبة الهمة! وقررت الأم أن يعيشا معها في قصرها المنيف! فوافقا على الفور. وبدأت الأيام تسفر عن المعادن! وبدأ الذي في القدر يخرج عبر المعرفة كما تقول العرب! وإذا نحن أمام زوجة ابن طماعة تريد أن تستأثر بالمال والقصر والعقار والثروة! وما العائق أمامها؟ إنها الأم! فقد ضمنت الابن زوجاً! وإذن فليس إلا الأم! الأم التي ربّت لها زوجها ، ونشأته على القيم والأخلاق والمناقب والسجايا! الأم التي لبت طلبه في الزواج منها واستسلمت طائعة لجشع أهل الفتاة ، ولبت كل ما طلبوه من الشروط المستحيلة! الأم التي عاش الزوجان في قصرها مضحية بذلك بالكثير! وأخذت الأميرة صاحبة الهمة تصطنع المشكلات لتغير قلب الابن على أمه! ولكنها لم تستطع أول الأمر! وإذا بها لا تياس ، فقد افتعلت الكثير من المعضلات والشكوك والأوهام والأباطيل والأضاليل! ووقع هذا من الابن موقع السحر! حيث جاءت لحظة صدق فيها أن أمه يمكن أن تفعل هذا كله! فقررت الأم أخذ ابنها وزوجته للعمرة على نفقتها الشخصية (وطيران وفندق 7 نجوم ملتصق بالحرم وأفخم الطعام وألذه) ، زاعمة بذلك أن يعود الجميع من رحلة العمرة عازمين على بداية عهد جديد وليد فريد من الصفاء والمحبة والاحترام المتبادل! وبينما كانوا يعدون للرحيل بعد حجز التذاكر عادت الأم إلى القصر وكان الصوت من غرفة ابنها عالياً نسبياً بحيث يسمعه القادم عن بُعد. وكان الزوجان قد أيقنا أن الأم غير موجودة بالقصر فليتكلما براحتهما! وإنما رجعت الأم على ما تقول الرواية لأنها نسيت شيئاً عادت لتأخذه! وأراد الله أن يسمعها هذا الحوار الظالم المجرم! حيث اتفقت الزوجة وزوجها على أن ينتحيا ناحية بعيدة عن الحرم ويوهمانها أنهم سيعودان إليها ، ثم لا يعودان! ويتخلصا منها بهذه الطريقة الساذجة التي تخيلا فيها أن ينتهي الأمر بالعجوز إلى دار رعاية المسنين أو تكمل باقي عمرها في بيت أحد المحسنين أو إحدى المحسنات! فقررت الأم أخذ كامل احتياطاتها من حذر واجب ونقود وجواز سفر ووثائق ، ولم تخبرهما بأنها تعلم شيئاً ، بل عادت من حيث أنت لكيلا يعلم أحد بها ولا الخدم! واستمرت التمثيلية التي شخصياتها: (امرأة عجوز تريد العمرة في مكة على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وزوج وزوجته يريدان التخلص من العجوز في مكة تحت مسمى العمرة). واستمرت الحلقات ، واستقبل الجميع الحرم بالتحية وكان الطواف والتضلع من ماء زمزم واستمرت مناسك العمرة! وعاد الجميع إلى الفندق لأخذ قسط طويل من الراحة! وبعد يومين حان موعد المخطط للخلاص من العجوز ، وسارت معهما على حذر خوفاً من أن يكونا قد بدّلا الخطة من التخلص منها وإبقائها حية إلى التخلص منها بقتلها والعياذ بالله! ولكن لله الحمد فلقد أدركت أن المخطط كما هو لم يتبدّل ولم يتغير! وقال الابن لأمه: ابق هنا إلى أن نعود إليك! وهنا لم تسأل الأم إلى أين ولماذا وكيف؟ بل كانت سعادتها غامرة

أنها لا تزال على قيد الحياة ، لتواجه ما تلاقي برجولة وشجاعة! وإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد لعن المرأة الرجلة أن التي تلبس لبسة الرجال أو تتشبه بالرجال! فإنه - صلى الله عليه وسلم - وحاشاه لم يلعن المرأة الرجلة التي تفعل فعل الرجال وتصنع صنيع الرجال في مواجهة المواقف الصعبة! وبعد ذلك انتظرت العجوز أن يعود ولدها فلربما يؤنبه ضميره فيذكر الأيام الخوالي ، والأم التي كانت يوماً شابة جميلة بذلت جمالها وشبابها وأموالها وأوقاتها وسعادتها واستمتاعها بالدنيا من أجله ، فيحمله ذلك على العودة إلى أمه! لكنه لم يفعل! ولم تشأ أن تتعجل! وقامت بجملة من الاتصالات عن طريق آخرين من خارج الدولة ، لتستيقن أن ولدها حي يرزق! وبعد إكمال عُمرتها حجزت على أسرع طيران وعادت إلى ديارها! وهناك في القصر غيرت الأقفال والمزليج! وأخرجت ما اشترته أثنائاً لولدها أمام القصر في باحته الخارجية التي منها والشارع! ولما عاد ولدها بعد يومين إذا به يجد القصر مُضَاءً ولا يستجيب لمفاتيحه أي قفل! ووجد الأثاث بأكمله أخشابه وقماشه في باحة القصر الخارجية! الأمر الذي أثار الاستغراب! فاتصل بأمه التي أخبرته سائلة من أنت؟ فقال: فلان! فقالت: ولماذا تتصل بي؟ قال: ابن يتصل بأمه! قالت: إن ابني فلان مات في مكة! وشيعته هناك فهل من مات يعود إلى الدنيا؟ فقال: راجعي حساباتك يا أمي! وقد أيقن بأن أمه قد علمت وأخذت كامل استعداداتها للمواجهة! وتساءل من أخبرها؟ وأجاب في نفسه ربما سمعنا أحد الخدم! ولكن ليس هذا هو المهم! كيف تعود الحياة كما كانت؟ فقال: أمي أتوب وأندم! فقالت: هذا بينك وبين الله! أما أنا فلا آمن العيش معك بعد اليوم! والمال وفير والله الحمد فاتخذ لك بيتاً غير بيتي وأماً غيري! ولقائي معك ومع زوجتك عند الله يوم القيامة! (وعند الله تجتمع الخصوم). وأصرت الأم على موقفها! هل هو صواب؟ أم خطأ؟ وهل تعطيه فرصة أخرى أم لا؟ هذا يحكم عليه العلماء والفقهاء والمفكرون المسلمون وليس يحكم عليه الشعراء! ومن هنا قررت أن أبين للقارئ الحبيب مغبة عقوق الوالدين أو أحدهما في الدنيا والآخرة ، ثم أحكي القصة شعراً من ألفها إلى يائها! فإن لم يجد القارئ متعة فيما كتبه شعراً ، فليستمتع بآيات القرآن وأحاديث النبي العدنان - صلى الله عليه وسلم -! وقد أفاض وأزاد الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة عندما تناول ما يلحق العاق لوالديه أو لأحدهما أباً أو أمماً في الدنيا والآخرة ، عندما أجب على سؤال أحد المسلمين! ويحسن بنا أن نورد السؤال والجواب! يقول السائل: من المعلوم أن عقوق الوالدين من الذنوب العظيمة ، ولكن هل ورد في الشرع أن الله عز وجل يُعجل عقوبة عقوق الوالدين في الدنيا أفيدونا؟ فكان الجواب: (* أولاً: لا شك أن طاعة الوالدين بالمعروف وبرهما من أوجب الواجبات التي أمر بها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بعد التوحيد. وحق الوالدين عظيم ، ولهذا جاء حقهما في الترتيب بعد حق الله تعالى مباشرة ، قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا}. وقال الله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}. وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: برُّ الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله). رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال:

ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك. رواه البخاري ومسلم. وعن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بني سلمة ، فقال: يا رسول الله هل بقي علي من بر والدي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما) رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان. والمراد بالصلاة عليهما: الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار، كما في قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أي: ادع الله لهم {إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} أي دعاؤك. * ثانياً: قال الإمام البخاري في صحيحه: [باب عقوق الوالدين من الكبار، قاله عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم]. وورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ثلاثاً ، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وجلس وكان متكئاً ، فقال: ألا وقول الزور. قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت). رواه البخاري ومسلم. وقد اتفق أهل العلم على أن عقوق الوالدين من كبائر الذنوب ، قال الإمام النووي: [وأجمع العلماء على الأمر ببر الوالدين ، وأن عقوقهما حرام من الكبائر] شرح النووي ، وانظر الزواجر عن اقتراف الكبائر. وضابط عقوق الوالدين أو أحدهما هو: أن يؤدي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غيرهما كان محرماً من جملة الصغائر ، فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين إلى الكبائر. الموسوعة الفقهية الكويتية. وقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم عقوق الوالدين منها: عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، وواد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال). رواه البخاري. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة ، والديوث). رواه أحمد والنسائي وابن حبان. وقال الألباني: حسن صحيح انظر صحيح سنن النسائي. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رَغِمَ أَنْفُهُ ، رَغِمَ أَنْفُهُ ، مَنْ يَأْخُذُ بِرَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ). رواه مسلم. ومعنى (رَغِمَ أَنْفُهُ: لَصِقَ بِالنُّتْرَابِ) أي دعاء عليه. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد). رواه الترمذي وابن حبان وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة. وغير ذلك من الأحاديث. * ثالثاً: لا شك أن عقوق الأم أشدُّ جرماً من عقوق الأب ، وكلاهما كبيرة من كبائر الذنوب ، لأن حقها في البر أعظم. وعلق الحافظ ابن حجر العسقلاني على قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات) فقال: [خص الأمهات بالذكر ، لأن العقوق إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء ، ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو ونحو ذلك] فتح الباري. وروى الإمام البخاري في الأدب المفرد: (أن ابن عمر رضي الله عنهما شهد رجلاً يمانياً يطوف بالبيت ، وقد حمل أمه على ظهره ، فقال: يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال: لا ، ولا بزفرة واحدة) صححه العلامة الألباني. وروى الإمام البخاري أيضاً في الأدب المفرد: (عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لرجل: أتفرق من النار - أي أتخاف - وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: إي والله ، قال: أحيي والذكي؟ قلت: عندي أمي ، قال: فوالله لو ألفت لها الكلام ، وأطعمتها الطعام ، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر) صححه الألباني. * رابعاً: ورد في السنة النبوية عدة عقوبات لمن يعق والديه أو أحدهما ، منها: (1) تحريم الجنة على العاق ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة قد حرّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق

لوالديه ، والديوث الذي يُقَرُّ الخَبَثُ في أهله). رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وأقرهما الأستاذ الألباني. (2) لا ينظر الله يوم القيامة إليه ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه والمرأة المترجلة والديوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه ، والمدمنُ على الخمر ، والمنانُ بما أعطى). رواه النسائي والبخاري والحاكم ، وقال صحيح الإسناد وصححه الألباني. (3) العاقُّ لوالديه مستحقٌ للعنة الله عز وجل ، فعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ دَبَّحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تَحْوِمَ الْأَرْضِ ، مَلْعُونٌ مَنْ كَمَّه أَعْمَى عَنْ طَرِيقٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ) رواه أحمد وصححه الألباني. ومعنى قوله (مَنْ كَمَّه أَعْمَى عَنْ طَرِيقٍ) أي: أضله عنه ، أو دله على غير مقصده. (4) لا يقبل الله عز وجل من العاقِّ صرفاً ولا عدلاً ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌّ ومنانٌ ومكذبٌ بالقدر). رواه الطبراني وحسنه الألباني. (5) يبعده الله ويسحقه ، فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احضروا المنبر فحضرتنا ، فلما ارتقى درجةً قال: آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين ، فلما نزل قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه ، قال: إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال: بَعْدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ ، قُلْتُ: آمين ، فلما رقيت الثانية قال: بَعْدَ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْكَ ، فقُلْتُ: آمين ، فلما رقيت الثالثة قال: بَعْدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبُوِيهِ الْكَبِيرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ: آمين). رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب. وعن ابن عباس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم ارتقى على المنبر فأَمَّنْ ثلاثَ مراتٍ ثم قال: أتدرون لم أمنت؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال جاءني جبريل عليه السلام فقال: إنه من ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْكَ ، فأبعده الله وأسحقه ، قلت: آمين. قال : ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار ، فأبعده الله وأسحقه). رواه الطبراني وحسنه الألباني. ومعنى أسحقه الله: أي أبعده وأهلكه ، وهو دعاءٌ على الشَّخصِ * خامساً: اقتضت حكمة الله عز وجل أن يُعجل عقوبة بعض الذنوب في الدنيا ، وقد يكون ذلك من باب الاعتبار والاتعاظ بما يُصيب العصاة ، كما هو الحال في الظالمين وقاطعي الأرحام وحالفي الأيمان الكاذبة ، وقد يكون تعجيل العقوبة من باب إرادة الخير بالمؤمن ، لأن عذاب الدنيا أهونٌ من عذاب الآخرة ، وقد ورد في السنة النبوية تعجيل العقوبة لبعض المذنبين في الدنيا ، ومنهم العاقُّ لوالديه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس شيءٌ أطيع الله فيه ، أعجلُ ثواباً من صلة الرحم ، وليس شيءٌ أعجلُ عقاباً من البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمينُ الفاجرةُ تدع الديار بلاقع). رواه البيهقي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، وبلاقع جمع بلقع وبلقعة ، وهي الأرض الفقيرة التي لا شجر فيها ، وفي رواية أخرى: (إن أعجلُ الطاعة ثواباً صلةُ الرحم ، وإن أهل البيت ليكونون فجاراً ، فتنمو أموالهم ، ويكثر عددهم ، إذا وصلوا أرحامهم ، وإن أعجلُ المعصية عقوبةً ، البغي ، والخيانة ، واليمينُ الغموس يذهب المال ، ويثقل في الرحم ، ويذر الديار بلاقع). رواه الطبراني في الأوسط وقال الألباني: إنه صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وجاء في الحديث أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ الْبُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ). رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي

والعقوق). رواه الحاكم والطبراني وصححه الألباني. وروي في الحديث عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كُلُّ الذُّنُوبِ يَغْفِرُ اللهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَّا عَقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّهُ يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ). رواه الحاكم ، وهو ضعيف كما قال الألباني. ويؤخذ من مجموع هذه الأحاديث أن العقوبة قد تُعَجَّلُ لعاقِّ والديه في الدنيا قبل الآخرة. * سادساً: إن ظاهرة عقوق الوالدين قديمةٌ جديدةٌ ، فقد قرأتُ في مقدمة كتاب ”بر الوالدين“ للحافظ ابن الجوزي قوله: [أما بعد ، فإني رأيت شبيبةً من أهل زماننا لا يلتفتون إلى برِّ الوالدين ، ولا يرونه لازماً لزوم الدِّين ، يرفعون أصواتهم على الآباء والأمهات ، وكأنهم لا يعتقدون طاعتهم من الواجبات ، ويقطعون الأرحام التي أمر الله سبحانه بوصلها في الذِّكر ، ونهى عن قطعها بأبلغ الزجر ، وربما قابلوها بالهجر والجهر ، وقد أعروا عن مواساة الفقراء مما يرزقون ، وكأنهم لا يصدقون بثواب ما يتصدقون ، قد التفتوا بالكلية عن فعل المعروف ، كأنه في الشرع والعقل ليس بمعروف). هـ. والأمر كما وصف الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني: (لقد كثر عقوق الأمهات في هذه الآونة الأخيرة من الزمان ، بسبب البعد عن دين الواحد الديان ، ونتيجة لكثرة مغريات الحياة الدنيا ، وتهافت الكثيرين عليها ، ونسياناً لرد الجميل ، ورغبة عن مقابلة الإحسان بمثله ، حتى نشأ لدينا جيل تنكر لدينه وأهله ووطنه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، كم من الرجال والشباب من يضرب أمه ويهينها ويطردها من بيته أو بيتها أو ربما قتلها بالله. ضربها وطردها وقتلها ، يا له من عاق ، إنه جاهل غافل سفيه لا عقل له. طرد أمه التي أفنت عمرها لأجل تربيته وتنشئته! أحبته أكثر من نفسها ، وأيم الله أكثر من نفسها ، تفديه بروحها ، جاعت ليأكل ، وسهرت لينام ، وتعبت ليرتاح ، وشقيت ليسعد ، تحبه ويكرهها ، وتجله ويهينها ، ما هذه المفارقات؟ وما هذا التباين؟ أزالته عنه الأقدار والأوساخ ، ونفست عنه همومه ، وأذهبت غمومه تراقبه في كل حين ، تلحظه في كل وقت ، تخاف عليه من نسمة الهواء ، إذا خرج من البيت لم تقر لها عين ، ولم يغمض لها جفن ، حتى يعود ، ثم إذا عاد إلى البيت رفع صوته عليها لماذا تنتظريني؟ أتحسبين أنني طفل؟ وكالها من الكلمات القاسية ، والألفاظ النابية مالا تستحقه). هـ. ونعود للأمر التي طلبت من ابنها الذي أراد التخلص منها بالاتفاق مع زوجته ، أن يبحث عن أم غيرها! وجاء دوري كشاعر يتخيلها تحكي لنا شعراً بدموع الأم وقلم الشاعر!

وَعِشْ بِأَبْنَاءِ الْغُرُوبِ مَسْتَطَابًا	بَذَلْتُ لَكَ التَّأْيِمَ وَالشُّبَابَا
وَصَارَعْتُ الْمُخَاطِرَ وَالصَّعَابَا	وَعَانَيْتُ الْكَثِيرَ لَكِي تَعَافِي
وَصُغْتُ لَكُلِّ مَسْأَلَةٍ جَوَابَا	وَوَاجَهْتُ الْوُشَاةَ بِصَدَقِ قَوْلِي
وَجَاهَدْتُ الثَّعَالِبَ وَالذُّنَابَا	وَبَارَزْتُ الْأَوَابِدَ وَالضُّوَارِي
لَتَمَخَّرَ - رَغْمَ شِدَّتِهَا - الْعَبَابَا	وَقَدْتُ سَفِينِ عِشِّي دُونَ خَوْفِي
وَنَقَحْتُ الْمَقَالَاتِ وَالْخَطَابَا	وَجَادَلْتُ الْخَلَائِقَ عَن حَيَاتِي
وَعَنَدْتُ اللَّهَ أَحْتَسِبُ الشُّبَابَا	وَقَلْتُ لَهُمْ: سَأَحْيَا دُونَ زَوْجِي

يُذيقُ ابني الإهانة والعذابا
وكان ختاماً أغلبها الخرابا
ومنها القلبُ ينتحبُ انتحابا
ومن رب السما أرجو الثوابا
وأشربه الشريعة والكتابا
إلى التوحيد ينتسبُ انتسابا
وأحزنُ لو عن العينين غابا
وحقق لي الدعاء المستجابا
من الأحلام يقتربُ اقترابا
بفضلي في هواها القلبُ ذابا
ودغ عنك الفضول والارتبابا
تري من بعده العجب العجبابا
ودونك يا فتى الغيد الكعابا!
وكل فتى تجاوز تلك خابا
وغربت الحواضر والشعابا
وبين الغيد تدرغ الحجابا
فإن على ذوات تقى طلابا
وأسعدني بأن العيش طابا
أناولها المطعام والشرابا
وأنلها الأساور والثيابا

ولن أرضى مدى عمري بزواج
فقد عانيت يا كم من بلايا!
وكم عايشت آلاف الحكايا
فلابني عشت أكله بعطفي
وأغمر عيشه حباً وشوقاً
وأجعلُ منه عبداً مستقيماً
وأسأله عن الصلوات دوماً
وعاش ابني ، وقلدني المعالي
وعوضني عن الحرمان عيشاً
إلى أن قال: أمي زوجيني
فقلتُ له: ألا اختر من تصافي!
وأملك سوف توليك اهتماماً
وأحسن الاختيار ، وكن حكيماً
وذات الدين أفضل من سواها
وقال ابني: لقد حققت قصدي
وآثرت التي سكنت فوادي
فقلتُ له: عليك بها ، وعجل
وزوجت الفتى ممن يُصافي
وكنت لزوجه أمماً رؤوماً
وأهدى الفلان دفاخرات

كَأَفْعَى بَدَلْتُ عَنْهَا الْإِهَابَا
 وَبَاتَ الْعَيْشُ يَضْطَرِبُ اضْطِرَابَا
 وَحَبَّرْتُ التَّلَطُّفَ وَالْعِتَابَا
 وَأَكْثَرْتُ التَّشْفِيَّ وَالْعِقَابَا
 أَمْ الصَّمْتُ الطَّوِيلُ يَسُدُّ بَابَا؟
 وَعَضَّ عَلَى جَمَاحِ النَّفْسِ نَابَا
 وَعَابَ نَصِيحَتِي الْعَصْمَاءَ ، عَابَا!
 وَأَمَّا ابْنِي فَبِالْخِذْلَانِ أَبَا
 بِبَلَاءٍ سَأَقُ لِلْبَيْتِ اِكْتِنَابَا
 وَنَنْزَعُ الْاِحْتِقَانُ وَالْاِحْتِرَابَا
 فَعَاقَبْتُ فِي مَسِيرَتِنَا الْاِذْهَابَا
 لَهُ (دَلْعُ) الشَّيْبَابِ إِذَا تَصَابَا!
 عَنِ الْأَحْقَادِ زَادَتْنَا اِغْتِرَابَا
 وَأَمْسَتْ فَرِحَتِي بِهِمَا سَرَابَا
 وَبَيْتِي كَمَا قَبْلَهُمَا يَبَابَا
 دَنَا مِنْ نَاطِرِي ، فَكَانَ قَابَا
 إِذَا حَمِي اللَّظِي كَانُوا الرِّبَابَا
 فَإِنْ عَمَّ الدَّجَى كَانُوا الشَّهَابَا
 كَمَاثِلِ النَّخْلِ يَمْنَحُنَا الرِّطَابَا
 وَأَحْدَثَ ذَلِكَ الْخَلْفُ اِنْقِلَابَا

إِلَى أَنْ أَسْفَرْتُ عَنْ كَيْدِ أَنْثَى
 فَحَوَّلْتُ الْحَيَاةَ إِلَى جَحِيمِ
 فَقَدِمْتُ الْمَوَاعِظَ شِافِيَاتِ
 فَلَفَقْتُ الدُّسَانِ وَالتَّجْنِي!
 وَحَارَ ابْنِي أَيُوسُ عُنِي مَلَامَا؟
 فَأَمْسَكَ عَنِ عَقْوِ الْأُمِّ حِينَا
 وَصَدَّقَ زَوْجَةَ يَرْجُو رِضَاهَا
 وَطَالَتْ وَحْشَةٌ بَلَّغَتْ مَدَاهَا
 فَقَلَبْتُ: نَزُورُ بَيْتِ اللَّهِ ، نَمَحُوا
 لَعَلَّ بَعْمَرَتِي يَنْزَاخُ كَرَبِي
 وَنَخْتَصِرُ الْخَطَا طَالَتِ عَلَيْنَا
 لَعَلَّ ابْنِي يَعُودُ إِلَيَّ شَبَلَا
 لَعَلَّ عَرُوسُهُ بِالتُّوبِ تَسْمُو
 وَخَابَ الظَّنُّ فَيَمُنُ كَمَا نَحُولِي
 وَكُنْتُ أَرَاهُمَا أَهْلِي وَقَوْمِي
 وَكُنْتُ أَرَاهُمَا طَيْفَاً سَمِيرَا
 وَكُنْتُ أَرَاهُمَا دُنِيَا حِيَاتِي
 وَكُنْتُ أَرَاهُمَا نَوْرًا عَمِيمَا
 وَكُنْتُ أَرَاهُمَا نَبْعَ الْعَطَايَا
 إِلَى أَنْ أَخْلَفَ ظَنِّي وَعَهْدِي

وهبت بيننا ريح التجافي
إذ اتفقا على الخلاص مني
ولم يك شافعا لي طعن سني
وكنت أخذت من مالي نصيبا
وأخرجت الزكاة على نقود
عليها العام مرّ مرور طيف
وشبلي نفذ الخطاة جزلاً
وإن (كان الغراب دليل قوم)
وأوصاني أن انتظري سنأتي!
فقلت له: سأفعل يا حبيبي!
فلم يرجع ، ولم أرجع إليه!
وغدت إلى الديار بلا رفيق
وقلت: أعيش في ذا القصر وحدي
لقد تهديته زوجته لقتلي
ولما عاد قال: ندمت أمي
فقلت له: بُني إليك عني

وكلّ في التكلف ما أصابا
وسيل الغدر ينساب انسابا
فقد ودعت أيامي العذبا
أعيد به وقد شبت الشبا!
لأيتام يُعانون السغا
وفي المقدار قد بلغ النصابا
ليجعل من حليته غرابا
لأطعمهم - مع الجيف - الذبابا!
ولم يك - من أسى فغليه - هابا
وقلت: يعود إن ولي وثابا
فقد خلغ الجوار والارتبابا
وهاج الكيد ، وانتصب انتصابا
فإني ارتبت في ولدي ارتيابا
خداعاً ، أو نكالا ، أو غلابا!
وأعلنت الإنابة والمتابا
أنا ابني مات ، هل من مات آبا!

رفقاً رُدينة

(اعتادتُ الزميلة الفاضلة (رُدينة الكايد) أن تعامل طلاب المدرسة الوطنية وأهليهم والزملاء والزميلات بكل حزم وحلم ، وبلا تفرقة بينهم! واستمرت على ذلك سنين عدداً ، حتى فوجئت بسفيه ادعى عليها ما لم تقله ونسب إليها ما لم تفعله! وحاد عن الصواب ، وتجاوز في حقها بالباطل! فاعتذر للأخت رُدينة والد ذلك السفيه بالنيابة وذلك لعلمه بها وبأخلاقها العالية ولا نزكي على الله ربنا أحداً! بل نحسبها كذلك والله حبيبها ووكيلها! وأحس الوالد أنها تريد الاعتذار شعراً ، ذلك أنه شاعر! فجعلت الاعتذار لها شعراً! ذلك أن شكر الشعراء واعتذارهم وبكاءهم وإعجابهم ومدحهم وذمهم يجب أن يكون شعراً! فكانت هذه القصيدة في حمل الأستاذة رُدينة الكايد على قبول الاعتذار وانتهاج مبدأ المسامحة على عاداتها بارك الله فيها! يقول الأستاذ يحيى البوليني في مسألة الاعتذار وقبوله ما نصه: (إن الاعتذار شاق على كثير من الناس، وقليل من يستسيغه ويتحملة وخاصة بين من يعتدون بأنفسهم ممن نشؤوا منذ نعومة أظفارهم على الأثرة والترفع ، منذ اللحظة الأولى التي يفتح فيها كل منا عينيه في الصباح إلى أن تأتي اللحظة التي يغمض فيها عينيه مستسلماً للنوم في المساء ، وكل منا يواجه عشرات المواقف الحياتية ، ويتخذ ربما فيها مئات القرارات وردود الأفعال ، ولعل الكثير منها يكون صائباً - حسب وجهة نظر الشخص نفسه - وربما يشوب قرارات منها الخطأ وسوء التقدير واختلاف الفهم بالنسبة للآخرين ، فهل يملك كل منا الشجاعة الكافية لكي يعتذر عن أخطائه التي ارتكبتها بقصد أو بسوء فهم؟ وهل يقبل بكل سعة صدر عذر من جاءه معتذراً عن خطأ ارتكبه؟ إن كانت إجابتك الصادقة الفعلية بنعم في السؤالين ، فاعلم أنك في سعادة عظيمة ، وأنت مستريح من أكثر ما يزعج الإنسان ويقلقه ويكدر عليه عيشه في الدنيا ، وستقل مشكلاتك مع الناس إلى حد بعيد ، وستريح قلبك أنت أولاً لأنك ستريحه من عذابات كثيرة تحطم القلوب ، ولذا يكمن جزء كبير من راحة المؤمن وسعادته في الاعتذار وقبول الأعذار. إن الاعتذار شاق على كثير من الناس ، وقليل من يستسيغه ويتحملة وخاصة بين من يعتدون بأنفسهم ، ممن نشأوا منذ نعومة أظفارهم على الأثرة والترفع ، فيصعب عليهم جداً أن تخرج كلمة الاعتذار من أفواههم أو أن يقبلوا اعتذار ممن يعتذر ، ويحتاج الأمر لكثير من المجاهدة لكي تسلس للمرء قيادة نفسه حتى يقبل بالأمرين. ربما يسهل على المرأة النطق بجمل الاعتذار ، بل أحياناً ما تكون جمل الاعتذار من مفردات حديثها الطبيعي ، ولكن الصعوبة الحقيقية في اعتذار الرجل وخصوصاً في عالمنا العربي ، إذ يعتبر معظمهم - لعوامل تربوية متجذرة في الأعماق - أن الاعتذار في حد ذاته جالب للمهانة ومنقص للكرامة. إن من الإنصاف أن نذكر أن الاعتذار أيسر كثيراً في ثقافة الغربيين والآسيويين ، إذ يقدم أحدهم الاعتذار قبل أداء الخدمة وأثناءها وبعدها حتى يُشعر بالحرص الشديد من كثرة اعتذاراته ، ولا يكون غريباً على مجتمعاتهم أن يخرج عليهم مسؤول رسمي كبير في وسيلة إعلامية وهو يقدم الاعتذار للشعب عما بدر منه حتى يصل الأمر إلى انتحاره - وهذا محرّم في شريعتنا - من شدة تأسفه وخجله مما تسبب فيه بقصد أو بتقصير وإهمال. يتعلق الأمر كثيراً بالعادات التي يكتسبها الإنسان من تربيته الأولى ، والتي يسهل في صغره غرس جميع الأفكار والعادات فيه ، ولكنها يصعب تغييرها بعد ذلك إلا بجد كبير من الإنسان بعد معارك طويلة يخوضها مع نفسه. ويكتسب الطفل بداية هذه المعاني عملياً لا قولياً من تصرفات والديه أمامه ، فإن سمع والديه أو أحدهما لا يعتبر أن الاعتذار مضيعة للكرامة وأنه من السهل عليه أن يُخطئ نفسه ويراجع موقفه ويتهم نفسه أنه المقصر في أي شيء ، لهان على الولد أن يعتذر بعد ذلك

أما إذا رأى الطفل نقيض ذلك تمامًا وسمع من والديه أو أحدهما أنه لن يعتذر حتى لو كان مخطئًا وليكن ما يكون ، فسيرسخ ذلك المعنى داخله ولن يكون الاعتذار عليه سهلاً في يوم من الأيام. وربما يزيد بعض الآباء من صعوبة الأمر على ولده ، بأن يطلب منه صراحة ويلقنه تلقينا أنه - أي الطفل - أفضل من الجميع وأنه فوق الناس ، وينبغي عليه ألا يعتذر لأحد عن موقف حتى لو كان مخطئًا ، ويكثر ذلك بين الذكور وبصفة خاصة في الأسر التي يقل فيها الذكور ويكثر الجاه أو المال ، ويجعلان الاعتذار أكثر صعوبة قد تصل لدرجة الاستحالة إن كان الخطأ في حق فتاة أو امرأة ، وتبدأ مباركة الآباء لذلك في تعاملات الولد مع أخواته البنات ، وبهذا إذا كبر ذلك الطفل وتزوج وتعرض لمواقف مع زوجته ، فقد تحول كلمة اعتذار بينه وبين هدم بيته ولكنه لن يقولها أو لن يقبلها من زوجته إن كانت هي المخطئة. كم من بيوت خربت وكم من قضايا رفعت وأضاعت الوقت والجهد والمال ، وكم من عداوات دامت طويلًا وأثرت على أجيال متعاقبة وتسببت في قطيعة أرحام طويلة ممتدة ، وكم من دماء أهرقت بين الرجال أو الأسر ، وكان يكفي لوأدها في مهدها كلمة واحدة فقط وهي كلمة الأسف أو الاعتذار ، والتي لو قيلت بعد مرور وقت لن تجدي نفعًا ولن يكون لها أية قيمة ولا أثر ، فلم تتكبر عنها النفوس التي تعلم أن العودة للحق خير من التماذي في الباطل؟ ولنا في خير الناس صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة ، إذ نراه يرق لرجل ويكرمه لمجرد أنه عبس في وجهه مرة واحدة - وهو أعمى لم ير ذلك العبوس - بعد أن أنزل الله في شأنه قرآنًا معاتبًا نبيه صلى الله عليه وسلم ، ففي مسند أبي يعلى عن أنس رضي الله عنه قال: "جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه ، فأنزل الله: عَبَسَ وَتَوَلَّى قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ يَكْرَهُهُ" ونجده صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يطيب خاطره وهو الأعمى الذي لا يستطيع القتال ، فنجده في غير مرة يوليه الإمارة على المدينة عند خروجه صلى الله عليه وسلم للقتال. ولنا فيه صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في قبول اعتذار المعتذر ، فكان لا يرد معتذرًا لما كان فيه من كرم نفس وحسن خلق ، ففي موقفه مع حادثة قتل ابنته زينب رضي الله عنها خير دليل على سعة عفوه وعظيم نفسه ، فعند هجرتها رضي الله عنها دفعها رجل كان مشرکًا وقتها وهو هبار بن الأسود ، دفعها وهي حبلى فسقطت من فوق بعيرها فأسقطت جنينها ولا زالت مريضة في المدينة بعدها حتى لقيت ربها ، فيذكر ابن حجر القصة في الإصابة أن هبار بن الأسود نخس زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أرسلها زوجها أبو العاص بن الربيع إلى المدينة فأسقطت ، وبعد الفتح يأتي هبار إلى رسول الله ويعتذر إليه فيقول ابن حجر: "فوقف هبار فقال: السلام عليك يا نبي الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، ولقد هربت منك في البلاد وأردت للحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عن جهل عليك ، وكنا يا نبي الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي وعمما كان يبلغك عني فإني مقرّ بسوء فعلي ، معترفٌ بذنبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قد عفوت عنك وقد أحسن الله إليك حيث هداك إلى الإسلام والإسلام يجب ما قبله»". والمواقف كثيرة في قبول رسول الله للأعداء منها موقفه من مشركي مكة يوم الفتح ، وموقفه من ابن عمه أبي سفيان بن الحارث ، وكلها مشهورة ومعلومة ، وكذلك مواقف اعتذار صحابته لبعضهم البعض كما حدث بين بلال وأبي ذر رضي الله عنهما ، وكعفو أبي بكر عن مسطح ، ما يدلنا على سمة عظيمة سادت بين هذا الجيل الذي اختصه الله بكل الخير واختارهم الله لصحبة نبيه ، فهلا تأسينا بهم؟! ليس من يعتد بنفسه حقيقة من يأبى الاعتذار إن أخطأ ، ولكن المعتد بنفسه المكرم لها هو من يصون نفسه ولا يوردها مورد الخطأ كي لا يضطر إلى الاعتذار ، ففي السلسلة الصحيحة للألباني عن ابن عمر قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «صل صلاة مودع ، كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه ، فإنه يراك ، وأيس مما في أيدي الناس تعش غنيًا ، وإياك وما يُعتذر منه» ، ويوصى بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ولده عند موته فيقول: «وإياك وما يُعتذر إليه من العمل والقول واعمل ما بدا لك». وما كانت التوبة إلى الله سبحانه إلا المظهر الأسمى للاعتذار ، حين يرفع العبد كف ضراسته إلى ربه نادماً باكيًا متعذراً يقول كما قال أبواه بعد أول ذنب ارتكب بين البشر: {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ، وما كان من الله وكرمه ومغفرته إلا أنموذجاً علوياً لقبول المعذرة من المخطئين التائبين المعتذرين. هناك منزلة عظمي لا يدركها إلا كل من صفا قلبه وسمت روحه ، وهي التماس الأعدار للمخطئين حتى قبل أن يعتذروا هم بأنفسهم ، فالمدرک لحقائق النفس البشرية الذي يعرف دروبها ومسالكها جيداً قد يجد الأعدار للمخطئ بمجرد وقوع الخطأ ، فيسلم قلبه من أي عرض يؤثر عليه وتسلم جوارحه من أي فعل قد يرتكبه ساعة غضبه ، ففي البخاري قال أنس رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم ، فسقطت الصحفة فانفلقت ، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت". وينبغي على المخطئ أن يسارع في الاعتذار ، لأن البطئ فيه يزيد الهوة بينهما ويغلف القلوب بحجاب يزداد سمكه بالوقت ويفتح الباب لكل شيطان من الإنس أو الجن للعبث بالقلوب وتغييرها. وينبغي على المعتذر أن يجعل اعتذاره - ما أمكنه - بمثل ما كانت إساءته ، فالسر بالسر والعلانية بالعلانية ، فلا يصلح أن يكون الخطأ معلناً والاعتذار مستوراً فهذا ليس من الإنصاف ، ومن زيادة حسن الخلق وسعة الكرم أن يكون الخطأ سراً والاعتذار علناً فهذا دليل على صدرٍ رحبٍ ونفسٍ عالية. وينبغي على المعتذر إليه أن يقبل الاعتذار العملي ولا يشترط اللفظي ، فكثير من الناس من لا يمتلك القدرة على التلفظ بالاعتذار ، ولكنه يأتي بأفعال ليس لها إلا معنى الاعتذار الضمني ، فيبغى قبول ذلك منه ومعاونته على نفسه كي لا يغلبه شيطانه ويفسده بعد أن سار في طريق الإصلاح). هـ. فجزا الله خيراً الأخت (رُدِينة الكايد) على قبولها الاعتذار! وهذا موقف لا ينسى من مواقفها النبيلة عبر سنين عشناها سوياً في المدرسة الوطنية بعجمان - دولة الإمارات العربية المتحدة! ألفيناها فيها زميلة فاضلة متسامحة هينة لينة ، لا تجهل على من يجهل عليها! ولا نركبها على الله. ومن هنا كانت هذه القصيدة اعتذاراً شعرياً عليها قبوله!

قبول العذر سمتٌ أولي المعالي
وعارفة تزيين ذوي الكمالي
ونبل لا يضارغ أو يُسأمي
وجودٌ في النسا قبل الرجال!
ومُنقبة تناعى الوصفُ عنها
وليس تصاغ في نص المقال
وإن (رُدِينة) ضربت مثلاً
فأنعم ، ثم أكرم بالمثال!
وكانت آية في الحلم تسبي
فِراسة ذي النجابة والحجال

ولم تك في محجتها تغالي
ويصمت واجماً خلف العيال
بعيد قاعه ، صعب المنال
فباعت بالشرافة في النزال
كمثل النار شبت بالجدال
وبالغ في الركاكة ، لم ييال
وأسرف في العناد على التوالي
بنور الهذي والسبع الطوال
وأوغل في السباب والابتذال
بلا حق ، ويمعن في التعالي؟
بأعدار لها ثقل الجبال؟
ونالت بالمزاييدة الأهالي؟
وفاقت في الأذى حد احتمالي!
وأرسلت المطاعن كالنبال!
وهل حق يبين بالانفعال؟
وعنك عفت تراقب ذال الجلال
وكوني مثل رببات المعالي
فجدي في التسامح والوصال!

إذ اصطبرت ، وآثرت التروى
وخلفت السفية يجر حمقاً
وألقت غيظها في قعر جُب
وعفت عن مجارة التديني
ودكت فتنة بلغت مداها
وأججهما جَهول دون داع
وكال من التطاول كل سوء
ولم يك في الخصومة مستتيراً
فعاب (رُدِينة) ، وبغى عليها
فهل ألقى أباه يذم قوماً
أتخترع المبرر دون جدوى
أتخدعني بقولك: قد أهانت
وقلت: تجاوزت في النيل مني
وقلت: تناولت بالذم عرضي
يمين الله لم تصدق بتاتاً
لأن (رُدِينة) كظمت غيوظاً
(رُدِينة) فاقبلي مني اعتذاري
وعند الله أجرك ، صدقيني

سالي والدنية في الدين!

(كانت ترتدي حجابها الكامل أسوة بأمهات المؤمنين وزوجات وبنات الصحابة وعملاً بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة رداً من الزمان! وكان الحجاب يرغم من حولها على احترامها والتعامل معها من منطلق القيم والأخلاق التي كانت عنواناً لها! فإذا اتجهت هنا أو هناك لا يعلمها من غيرها أحد للوهلة الأولى نظراً للجلباب الفضفاض والإدناء الساتر السابغ! ثم ابتليت بمن صرفها صرفاً عن الحجاب فكشفت - لأول مرة على مدى سنوات عشر - عن وجهها للقاصي والداني! فسقطت من أعين المحبين لها في الله وعلى رأسهم من يسطر لها هذه القصيدة! ورحت أناشدها العودة والتوبة والإنابة! ولكنها أعرضت ونأت بجانبها ، فأسكت اليراع وكانت هذه القصيدة لسالي المسلمة المؤمنة المتواضعة الحشيمة كأخر رسالة بيننا لعلها تتوب وتعتدل وتترك أنها بهذا ترضى الدنية في دينها في مجتمع يكاد الحجاب يكون فيه سمياً عاماً عند أقلية من النساء المؤمنات وعند أغلبية من غيرهن على العادة والتقليد والعرف! وتحت عنوان: (الشخصية الإسلامية بين الثبات في المواقف والانهازمية) يقول الأستاذ أيمن الشعبان ما نصه بتصريف زهيد: (إن الصراع بين الحق والباطل .. التوحيد والشرك .. الخير والشر ، منذ أن أوجد الله الخليفة ، قائم على سنة التدافع والمقدمات التي تسلكها كل فئة وما توول إليه من نتائج ، وهنالك عنصر هام جداً في هذا النزال وتلك المعركة يبدأ من مستوى الفرد صعوداً إلى الأمة أجمع ، ألا وهو الثبات على الموقف .. والاستقامة على الحق .. والاستمرار على المبدأ ، وعدم التراجع والتنصل والتلون والتقهقر. وقد حثنا الله سبحانه وتعالى في أحلك الظروف وأصعب المواقف على الثبات إذ يقول جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) ، يقول العلامة السعدي رحمه الله: (فاثبتوا: أي لقاتلها ، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة التي عاقبتها العز والنصر) ، ويقول العلامة الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان: (أمر الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالثبات عند لقاء العدو ، وذكر الله كثيراً مشيراً إلى أن ذلك سبب للفلاح. والأمر بالشيء نهي عن ضده ، أو مستلزم للنهي عن ضده ، كما علم في الأصول ، فتدل الآية الكريمة على النهي عن عدم الثبات أمام الكفار). والأمة الإسلامية في عصورها الذهبية ملكت هذه الدنيا ، وضربت أروع الأمثلة في نشر العدل والأمان والعيش الرغيد للمسلمين ولكل من عاش في كنف تلك الدولة القوية ، وما ذلك إلا لثباتهم وتمسكهم بعوامل النصر والغلبة والتمكين ، من الاستقامة على تعاليم الدين والحرص على الصدق بالحق دون مداهنة أو مجاملة أو محاباة. إن الأمة الإسلامية هذه الأيام بأمر الحاجة لمواقف راسخة ثابتة قوية ، ولشخصيات واضحة مستقيمة قادرة على تحمل أعباء المرحلة الحرجة والمسؤوليات المتزايدة نتيجة الغثائية التي نمر بها ، والضعف والوهن والتراجع ، مع كثرة التلون والانهازمية ، حتى أصبح بعض الرموز أو الشخصيات المعروفة بتنوع المجتمعات عالية على الأمة ، بما لديهم من سلبية ويعد عن ملامسة جراح الأمة والمؤامرات التي تحاك ضدنا بمختلف الأصعدة. ما دعاني لطرق هذا الموضوع وكتابة هذه السطور عسى الله أن ينفعنا بها جميعاً ؛ كثرة المتهاوين المنهزمين المتخلين عن مناهجهم ومعتقداتهم ومبادئهم بل وسلوكهم هذه الأيام ، وإغراقهم بهذه الحياة التي طغت عليها الماديات ، بل والأدهى من ذلك تبرير العديد منهم هذا التقاعس والنكوص والرضا بالدون ، بمبررات أوهى من بيت العنكبوت والله المستعان. إن هذا الدين العظيم نُقل إلينا على أكتاف رجال عظام اختارهم الله لهذا الحمل الثقيل (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ولم يتوانوا أو يستكينوا ، وكان لرباطة جأشهم وثباتهم في

الملمات وبذلهم الغالي والرخيص وتضحياتهم الأثر الكبير في ذلك ، حتى توارثت الأجيال من بعدهم هذه القصص والعبر والصور المشرقة المضيئة ، بل واقتدوا بهم بصمودهم بصبرهم بمواقفهم وصاروا مثلاً يُحتذى بهم. والله إني لأقف مذهولاً كلما تأملت موقف تلك النملة الثابتة التي تحملت مسؤوليتها فأنقذ الله بسببها أمة كاملة ، (نملة نكرة أنقذت أمة ، نملة حملت هم أمة فأنقذتها ، وهي نكرة لا شأن لها ، وأنقذ الله - جل وعلا - هذا الوادي على يديها. إذا يا أخي والله من السهل جداً أن تحمل غيرك المسؤولية فيما يُحاق بالأمة ، ولكن كن صريحاً ، وكن جريئاً أنت ماذا تفعل؟ أنت ماذا قدمت؟ أنت ماذا فعلت؟ نملة نكرة ، وأنت ألا تستطيع يا أخي أن تفعل مع أمتك ما فعلته هذه النملة مع بني قومها). من كلام الشيخ ناصر العمر في كتاب النملة ص 7. وحتى تتجلى الصورة وتتضح أكثر ، سنذكر مواقف من روائع الثبات ، والصبر والعزيمة عند الملمات ، حتى ارتقوا إلى رموز وقداوات ، يحتذى بهم في كل الفترات ، ونأخذ العبر والمواعظ من قصصهم والعبرات ، فتأمل تلك الصور المشرقات: لقد قام عليه الصلاة والسلام بأمره لوحده والوحدة بحد ذاتها أمر موحش ومضعفة للهمم ، لكنه سار في الطريق وكأنه معه جيش عرمرم! أوصاه الله عز وجل فقال: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وجهاده وثباته وصبره لأكبر شاهد على العزيمة والاستقامة والمواصلة. (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف فقال: ألا رجل يحملي إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) صحيح الترمذي ، ومع ذلك فسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مليئة بالمواقف الشجاعة وحسن الثبات ورباطة الجأش. ومما كان يدعو عليه الصلاة والسلام (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل) فضع العجز هو الثبات ، والعجز هو الضعف هو الهوان .. الخور .. الاستسلام .. الخنوع والرضى بالواقع بعجزه وبجره من غير أن يكون للمسلم المؤمن صاحب المبدأ موقف وكلمة. وكما في صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام (المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير). استعن بالله ولا تعجز. وقد قص الله سبحانه علينا في غير ما موضع قصة موسى عليه السلام ، حتى يقول أهل التفسير والسير: فجاء السحرة في ثمانين ألفاً ولم يكن مع موسى إلا هارون ، ومع ذلك حينما ألقى السحرة سحرهم سحروا عين موسى نفسه ، وهذا مشهد عجيب (فأوجس في نفسه خيفة موسى) ، فماذا قال الله له؟ هل قال: ارجع الآن حتى تعد نفسك واعتزل الناس وانصرف عنهم؟! لا. (قلنا لا تخف) اثبت ولو قفز قلبك من محجره ، لماذا؟ (إنك أنت الأعلى) ، فيجب أن تكون ثقتك بالله عز وجل كبيرة لا كما يشاع ويعرف وينتشر (الثقة بالنفس) فالنفس تتقلب وتتغير وتتأثر ، فالثبات من الله عز وجل أولاً وآخرأ مع أخذك بالأسباب. وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ومبايعة المسلمين الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، بدأت محنة جديدة وامتحان صعب ، إذ ظهر مدعي النبوة ، وارتد من ارتد من جزيرة العرب ، وظهور مانعي الزكاة ، وكان عليه الصلاة والسلام قد جهز جيش بقيادة أسامة رضي الله عنه لغزو الروم ، حيث اقترح بعض الصحابة بأن يبقى الجيش في المدينة لخوفهم من القضاء عليه وبالتالي تستباح المدينة إلا أن أبا بكر خالف ذلك وأمر بامضاء بعث أسامة ، وقال: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر صاحب كتاب العواصم من القواصم (أن أبا بكر رضي الله عنه قال لأسامة: انفذ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر: كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك؟ فقال: لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم). فكان لهذا الموقف الراسخ الثابت الأثر الطيب والفتوحات بعد ذلك ، مع أن غالبية الصحابة رأوا خلاف هذا ، فتأمل. وأيضاً لما خرج في العيد مروان بن الحكم والي

المدينة آنذاك ، وأراد تقديم الخطبة على الصلاة ومخالفة السنة بذلك لتأويل ما ، فجذبه أبو سعيد رضي الله عنه من ثوبه منكرأ عليه هذا الفعل والتصرف ، حيث أخرج الإمام البخاري في صحيحه (قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحي أو فطر ، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجبذت بثوبه فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له: غيرتم والله ، فقال أبا سعيد: قد ذهب ما تعلم ، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم ، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة. وهذه أسماء ذات النطاقين رضي الله عنها والحجاج ، امرأة قد تجاوزت المائة عام من عمرها ، وبلغها نبأ صلب ولدها عبد الله بن الزبير من قبل الحجاج الذي طلبها ليتشفى بها ، فأبت أن تأتيه فأعاد إليها الرسول: لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك من قرونك. فأبت وقالت: والله لا آتية حتى يبعث إلي من يسحبني من قروني ، فما كان من الحجاج إلا أن رضخ لصلابتها ، وانطلق حتى دخل عليها ، فقال: رأيت كيف نصر الله الحق وأظهره؟ قالت: ربما أدبل الباطل على الحق وأهأه. قال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله. قالت: أراك أفسدت على ابني دنياه ، وأفسد عليك آخرتك. قال: إن ابنك ألد في هذا البيت ، وقد قال الله: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ، وقد أذاقه الله ذاك العذاب الأليم. قالت: كذبت. كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة ، وسر به رسول الله وحنَّه بيده ، وكبَّر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به ، وكان برأ بأبويه صواماً قواماً بكتاب الله ، مُعظماً لحرم الله ، مبغضاً لمن يعصي الله – أما إن رسول الله حدثني أن في ثقيف كذاباً ومببراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه (تعني المختار بن عبيد الثقفي) ، وأما المببر فلا أخالك إلا إياه. فخرج الحجاج من عندها منكسراً يتمنى لو لم يكن لقيها ، بعد أن دخل عليها مزهواً يريد أن يتشقى. هذه أسماء العجوز في سن المائة ، وهذا هو الحجاج الجبار في أوج انتصاره وحنفوان طغيانه. إن الإيمان في قلبها جعله في عينها يتضاعف ويتضاعف حتى صار شيئاً صغيراً كالهباء ، وجعلها في عينه تمتد وتستطيل حتى صارت شيئاً كبيراً كالمارد العملاق. وبلغ عبد الملك بن مروان ما صنع الحجاج مع أسماء فكتب إليه يستنكر فعله ، ويقول ما لك وابنة الرجل الصالح؟ وأوصاه بها خيراً ، ودخل عليها الحجاج فقال: يا أمه ، إن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة؟ قالت: لست لك بأمر ، إنما أنا أم المصلوب على النثية ، وما لي من حاجة! وأيضاً الصحابي الجليل حبيب بن زيد بن عاصم رضي الله عنهما ، من السبعين الذين حضروا بيعة العقبة الثانية ، وأمه نسيبة بنت كعب (أم عمارة) إحدى المرأتين اللتين بايعتا رسول الله في هذه البيعة ، ولم يكن حبيب يتخلف عن غزوة ولا وقعة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام. وعندما ظهر مسيلمة الكذاب في اليمن وادعى النبوة ، بعث عليه الصلاة والسلام برسالة إليه وكان الاختيار على حبيب بن زيد بحملها وعندما قرأ مسيلمة الكتاب ازداد في ضلاله وتكبره وغروره فقام بتعذيب مبعوث رسول الله في يوم مشهود وأثار التعذيب واضحة! فقال مسيلمة لحبيب: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيب: نعم أشهد أن محمداً رسول الله ، وعلا وجه مسيلمة الخزي والصفرة ، وعاد يسأله: وتشهد أنني رسول الله؟ فأجاب حبيب باستهزاء: أنني لا أسمع شيئاً! فما كان من مسيلمة إلا أن نادى جلاده ثم راح يقطع جسد حبيب رضي الله عنه قطعة قطعة وعضواً عضواً وحبيب لا يزيد عن ترديد (لا إله إلا الله محمد رسول الله). ثم أقسمت أمه رضي الله عنهم جميعاً أن تتأثر لولدها ففي يوم اليمامة خرجت أم عمارة مع ولدها عبد الله تحت إمرة خالد بن الوليد وبيدها سيف وبالأخرى رمح وقطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحاً وقتل عدو الله مسيلمة. كان بالإمكان لحبيب المراوغة مع مسيلمة وإظهار شيء آخر ، لكن الثبات واليقين والأخذ بالعزيمة ، يفعل بأصحابه الأعاجيب! وكذلك

شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها العارف بمقاصدها ، لم يرَ مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق وشجاعة وقوة جنان وسلطنة لسان. (طبقات الشافعية ، السبكي ، 103/8). (طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة ، فشهد العساكر مصطفىين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك ملك مصر ثم تبيح الخمر؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم الحانة الفلانية تباع فيها الخمر ، وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة! ويناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون! فقال: يا سيدي هذا أنا ما عملته هذا من زمان أبي! فقال: أنت من الذين يقولون (إننا وجدنا آباءنا على أمة) فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة). (طبقات الشافعية ، السبكي ، 106/8). وهناك موقف يذكره المحدث أحمد محمد شاكر في كتابه (الكلمة الحق ص149 وما بعدها) عن والده الشيخ محمد شاكر حيث يقول: (إن السلطان فؤاد كان يصلي الجمعة في عابدين ، فاستحضروا الشيخ محمد المهدي خطيب مسجد عبدان ؛ لأنه كان خطيباً مفوهاً ، وكان السلطان يحب أن يصلي وراءه دائماً ، دعته الأوقاف ونقلته إلى مسجد آخر حتى يخطب الجمعة ، وصادف في هذه الفترة أن طه حسين عميد الأدب العربي ، أتى بالدكتوراه في اللغة العربية من فرنسا ، بعد أن فشل في أن يأخذها في بلاد الأعراب فأخذها في بلاد الأعاجم. فأراد الخطيب محمد المهدي أن يثني على الملك فؤاد بمناسبة أنه قادم يصلي الجمعة ، فقال يمتدح الملك فؤاد: ما عبس وما تولى لما جاءه الأعمى. الأعمى: هو طه حسين ، ما عبس فيه ولا تولى ، بل هش له وبش ، وأرسله إلى فرنسا يحضر الدكتوراه. وبعد أن صلوا الجمعة قام الشيخ محمد شاكر والد الشيخ أحمد شاكر- وكان وكيل الجامع الأزهر - وقف وقال: أيها الناس! صلاتكم باطلة وخطيبكم كافر ، فأعيدوا الصلاة ؛ فحدث هرج ومرج والسلطان واقف ، وهو يقول: أيها الناس! صلاتكم باطلة وخطيبكم كافر. وبعد ذلك إمام مسجد عابدين رفع إلى السلطان الفتوى يأمره بصلاة الظهر ، وكان هذا الرجل - محمد المهدي - له ظهر وله مستشارون ، فأقنعوه أن يرفع شكوى ضد الشيخ محمد شاكر. الشيخ محمد شاكر أفتى بهذا لأن في قول الخطيب تعريض بمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أي: أن الملك فؤاد صنع أفضل مما صنع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لما جاء ابن أم مكتوم عبس وتولى ، ولما جاء طه حسين إلى الملك فؤاد ما عبس ولا تولى ، قال: هذا تعريض في مقام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز وإن كان الخطيب يعتقد ذلك فهو كافر. وأرسل الشيخ محمد شاكر إلى مستشرقين أجانب ممن لهم خبرة بدلالات الألفاظ على المعاني ، وأراد أن يستقدمهم ليقول لهم: هل استخدام الخطيب لهذه العبارة فيها تعريض بالمقام النبوي أم لا؟ ولم يرجع لشيخ من شيوخ الأزهر حتى لا يقال: انحازوا له. فلما علم أن القضية في النهاية ستحدث فتنة وخسراناً فيها محمد المهدي وقد أذله الله ، قال الشيخ أحمد شاكر: وأقسم بالله لقد رأيت هذا بعيني ، طال الزمان بالرجل محمد المهدي - والذي كان من أشهر خطباء مصر ، حتى إن الملك فؤاد كان يحرص على الصلاة عنده - فلقد رأيتُه خانعاً ذليلاً فراشاً لأحد المساجد يتلقى نعال المصلين ، فتواريت عنه وهو يعرفني وأنا أعرفه ؛ حتى لا يراني ، فلست مشفقاً عليه فلم يكن يوماً موضعاً للشفقة). لقد جاءنا هذا الدين على أشلاء أناس فتأملوا آثارهم وقصصهم ومواقفهم وثباتهم ولم يأت هذا الدين إلينا لولا هذه المواقف والبطولات الرائعة ، فهذه نماذج منيرة وصور مشرقة ، أضاعت لنا طريق الاستقامة

ونوّرت لنا سبيل الحق والثبات ، علنا ننتفع بها وأمثالها كثير وقد تركنا العديد منها خشية الإطالة ، وكما قيل (العبد يقرع بالعصى والحر تكفيه الإشارة). إن المتأمل في واقع الأمة الإسلامية هذه الأيام وما تعرضت له من انتكاسات ، نتيجة الضعف والهوان والغثائية ، يجد تراجعاً كبيراً وانحداراً خطيراً وفتوراً شديداً وسباتاً عميقاً ، لا سيما بين العديد من الأوساط الواعية والمثقفة والمحصنة والملتزمة ، من نوعيات ورموز وشخصيات لها حضور في مجتمعاتها وإن صغرت! وحدث ولا حرج عن تهاوي وتساقط الكميات ، والله المستعان. ومن أبرز الأسباب والعوامل والمقدمات ، التي أوصلتنا لهذه المرحلة وتلكم النتائج ، عدم الاستقامة والثبات على العقيدة والمنهج والسلوك الصحيح ، والتلون والتأرجح بين أمواج متلاطمة من الأفكار الدخيلة المنحرفة ، والعقائد المضطربة ، وسلوكيات ضبابية غير واضحة تتأثر بما يدور حولها من أحداث ، وفي كثير من الأحيان تقدم المصالح الفردية أو الحزبية والفئوية أو العنصرية أو بعض الأحيان العائلية والعشائرية بل والتجارية ، إذا تعارضت مع المصالح الشرعية العامة والقواعد الكلية. وتظهر جليا حقيقة الثبات على دين الله والمبدأ والمنهج وتستبين وتتضح عند أمرين في الغالب: الأول: عند المغريات ، حينما يعرض على الإنسان ذلك المنصب أو الجاه أو المال تجد عنده الاستعداد الكامل أن يغير مواقفه وثوابته ومبادئه وأخلاقه ، في سبيل أن يتحصل على هذه المغريات. وهنا للأسف تتكشف تلك الدعاوى التي يتبناها ذلك الإنسان ، والمبادئ الأساسية التي يتبناها وقد تعلمها في مطلع التزامه أو تعلقه بهذا المنهج والمعتقد ، وتتعرض وتنهار أمام تلك المغريات. والثاني: عند مقابلة المحن والابتلاءات ومواجهة الفتن والتقلبات ، كأن يهدد بالسجن أو قطع معاشه أو أحيانا بالقتل ، أو يضعف أصحاب المنهج السوي والمعتقد النقي في تلك المنطقة لأسباب طارئة ، فتجده يتنازل عن بعض المبادئ التي كان يؤمن بها وينادي ، في سبيل أن يحمي نفسه حتى لا يصل الى حبل المشنقة ، أو يحافظ على كيانه وحضوره ومصالحه وعلاقاته حتى لو كانت على حساب دينه وثوابته ، نعوذ بالله من الحور بعد الكور. ولحذيفة بن اليمان رضي الله عنه وأرضاه مقولة نفيسة ووصية جامعة في بابها تكتب بماء الذهب ، فعن خالد بن سعد أن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - فقال: يا أبا عبد الله ، اعهد إلينا ، فقال حذيفة: (أولم يأتك اليقين ، اعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر ، وأن تنكر ما كنت تعرف ، وإياك والتلون في دين الله ، فإن دين الله واحد). شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللكاني ، رقم 107. فمهما يتعرض المرء لتقلبات وتغييرات طارئة من شأنها التأثير سلبا على دينه أو استقامته أو ثباته ، يفترض أن لا يراوغ ولا يتلون ولا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل كما بين عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح (ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل). صحيح الجامع رقم 9591. هل تعرفون كيف ينقى الذهب بعد استخراجه من باطن الأرض ، يوضع في فرن تصل درجة حرارته إلى 5000 درجة مئوية ، فيصفي وينقى من الشوائب وهذا يسمى فتنة ، ففي المحن تصقل القلوب وتهذب النفوس وتظهر المعادن على حقيقتها. والثبات هو دواء الفتن وعلاجها ، وإلا سقط أحدنا في بنيات الطريق ، وسنة الله عز وجل ماضية فعلينا الثبات وعدم الانهزام النفسي من الداخل لأدنى شيء! فإذا لم يثبت من يحمل العقيدة الصافية والمبادئ السامية والأخلاق الرفيعة والمشهود لهم بالخير والعلم والصدق والسخاء واليقين فمن سيثبت إذا؟! والمتأمل لسيرة عظمائنا وقادتنا وعلماؤنا من السلف الصالح ، يجد بأنهم ثلة قليلة وحفنة يسيرة من الصادقين فتح الله بهم الدنيا لأنهم ثبتوا ، فالثبات يجر إلى النصر فاثبت أولا يثبتك الله في المواقف والملامات ، فمن لم يثبت

فليحمل نفسه على الثبات. وكان أيضا يكثر عليه الصلاة والسلام من دعائه (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ، فتأمل ذلك جيداً فهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يكثر من هذا الدعاء ، فكيف بنا والناظر لحال معظم المسلمين وكأنه لديهم صك الثبات عياداً بالله ، فلا يقل أحدنا أنا على خير كبير ونعمة عظيمة وثبات دائم ، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، وما سمي القلب قلباً إلا لكثرة قلبه ، نسأل الله الثبات والاستقامة والعفو والعافية. يقول الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله: (نريد أن نقول كلمة الحق في شؤون المسلمين كلها. نريد أن ننافح عن الإسلام ما استطعنا بالقول الفصل والكلمة الصريحة ، لا نخشى فيما نقوله أحداً إلا الله. إذ نقول ما نقول في حدود ما أذن الله لنا به ، بل ما أوجب علينا أن نقوله ، بهدي كتاب ربنا وسنة رسوله). (كتاب: كلمة الحق ص 12).

إن انهزامية الفرد المسلم من الداخل لداء عضال ومرض فتاك ، ينخر في قوة الأمة ووحدها وعزتها ، ويضعف حصانتها من تسلل شبهاة الأعداء وتنفيذ مؤامراتهم ومخططاتهم ومكرهم المتواصل ليل نهار الذي تكاد تزول منه الجبال ، حتى بات المسلم المنهزم داخلياً عالمة وعبئ على الدين والعقيدة بل والمجتمع ، لأنه أضاع وتخلى عن ثغرة كان من المفترض أن يسدها لا سيما في شدة الأزمات. إن من لوازم ومقتضيات بل أساسيات العقيدة السليمة والمنهج السوي المعتدل والسلوك القويم ، أن يتبلور بشخصية قوية صلبة ثابتة راسخة شامخة ، لا تهاب ولا تخشى في الله لومة لائم ، لا تعرف للانهزام طعماً ولا للخذلان لوناً ولا للتقهقر شكلاً ولا للتقلب والتلون حالاً ، كما حثنا الله عز وجل على التمسك بوحيه بل وبالغ في ذلك إذ قال جل وعلا: (والذين يُمَسِّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) ، وقال في موضع آخر: (فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم) ، قال ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) (لما هوّن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما يلاقيه من شدة الحرص على إيمانهم ووعده النصر عليهم فرّع على ذلك أن أمره بالثبات على دينه وكتابه وأن لا يخور عزمه في الدعوة ضجراً من تصلبهم في كفرهم ونفورهم من الحق. والاستمسك: شدة المسك فالسين والتاء فيه للتأكيد. والأمر به مستعمل في طلب الدوام ، لأنّ الأمر بفعل لمن هو مُتلبس به لا يكون لطلب الفعل بل لمعنى آخر وهو هنا طلب الثبات على التمسك بما أوحى إليه كما دلّ عليه قوله: "إنك على صراط مستقيم") .أ.هـ. نجد البعض كان على خير كبير وتقوى وطاعة وسمت حسن والتزام ومواظبة ومنهج طيب ، إلا أنهم مع مرور الوقت وإطالة الأمد وغلبة أهل الباطل وإدلتهم على أهل الحق وصولتهم عليهم ، وضعف مظاهر السنة وكثرة الشرك بالله عز وجل والبدع ومظاهر الإنحراف والأفكار الدخيلة بل المعقدات الإلحادية والكفرية ؛ كل ذلك ينعكس على ثبات هذا المسلم ويتزعزع إيمانه ويتغير تفكيره ويغلب جانب الانهزام النفسي والداخلي على جانب الرسوخ والصبر والثبات وتحمل الأعباء الثقيلة ، لذلك عندما سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قوله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال: استقاموا على أمر الله ورسوله ولم يروغوا وروغان الثعالب. والأغرب من هذا كله أن تجد البعض يبدأ ينظر ويتشدد بالكلام ، ويتفلسف ويحثد المبررات لإثبات الحق لجانبه وأنه الصواب وما دونه باطل وخطأ ، وأن تصريحاته وتصرفاته تنم عن حكمة وفطنة وكياسة فيصدقها ضعاف النفوس ومن طُمست فطرتهم ، فيزين الباطل لهم وقد تخلى شيئاً فشيئاً عن العديد من الثواب وانسلخ مما كان عليه بل صار منطقته لا يختلف عن الفساق وأصحاب البدع والضلالات والأهواء! فلا تأمن أخي الحبيب من الفتنة ولا تقل سأنجو منها بقوتي بفهمي بعقلي السديد ، بمالي بعشيرتي بعلاقاتي الواسعة كلا وحاشا ، فوالله وبالله وتالله إذا لم تستعن بالله الواحد القهار وتطلب الثبات منه فانت على خطر ووجل كبير ، لذلك قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (ولولا أن ثبتناك لقد كدت

تركن إليهم شيئاً قليلاً). إن كثيراً من المجاملات والتملق الحاصل من البعض على حساب قواعد ثابتة ومبادئ أساسية ، (ويحسبون أنهم على شيء) إن هذا خذلان وما بعده من خذلان ، ولو تفحصنا أحوال هؤلاء لوجدنا تنازلاً تلو التنازل وتراجعاً في المبادئ ، وضعفاً في الدفاع عن الدين من شكوك المشككين وطعن الطاعنين وتحريف الغالين ، حتى تستوي عندهم السنة والبدعة ولو بلسان الحال الذي يكون غالباً أنطق من لسان المقال فتأمل. قد يصل الحال لدى البعض أن يكون سلبياً ويقف موقف المتفرج إذا انتهكت حرمة الله ، والكل يسمع ويشاهد في هذا الزمان كيف يطعن بعرض النبي عليه الصلاة والسلام وأزواجه ويتم تكفير صحابته الكرام ، من قبل من لا خلاق لهم ، حتى صار عياداً بالله الأمر مقبولاً لا تحمر له وجوهنا ولا ترتعد فرائصنا ولا تتفطر قلوبنا ، حتى أصبح أمراً عادياً ولا ندري إذا كان هذا نوعاً من أنواع التطبيع المقبوت (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور). يقول عليه الصلاة والسلام: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل: و ما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة). صحيح الجامع رقم 5963. والفتن عياداً بالله قد ادلهمت! نعم وقد تلتمس العذر لغيرك لكن ينبغي أن نعمل ، فإذا أقبلت عليك الفتنة فاستعد لها وإذا واجهتك فواجهها وإذا جاءت كالبحار وأمواجها فكن بقدر المسؤولية فلا تكن في صف المنهزمين المخذلين المنبطحين المتقاعسين. قال الحسن البصري رحمه الله: (إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، و إذا أدبرت عرفها كل جاهل) فالعبرة بمعرفة الفتنة إذا أقبلت لا إذا أدبرت. فالعلم الأصيل المبني على فهم دقيق عميق لدين الله عز وجل ، بعيداً عن ردود الأفعال والعواطف الآنية ، يعصم صاحبه من الخوض في الفتن ، ويكون سداً منيعاً وحرزاً حصيناً من الإنهزام النفسي الداخلي ، (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً). إن كثرة التقلب والتنقل وعدم وضوح الهدف المنشود والنظرة الضيقة في الأمور وتقديم الماديات على الشرع والدين ، يضعف حصانة النفس من الفتن ، ويجعلها أكثر عرضة للإنهزام حتى تصبح سمة غالبية عليه ، لذلك يبرز في مثل هذه الظروف والملابسات الانتهازيين وهم أشد فتكا وتضييعاً وتمييعاً للدين من غيرهم ، وهذا من أسرار الساعة فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (والذي نفس محمد بيده! لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ، ويخون الأمين ، ويؤتمن الخائن ، ويهلك الوعول وتظهر التحوت. قالوا: يا رسول الله! وما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعول: وجوه الناس وأشرفهم ، والتحوت: الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم). السلسلة الصحيحة رقم 3211. إن من أخطر الانتكاسات والمضار التي تقع على الدين ، تتجلى في كثرة التهاوي والسقوط والتعثر والانهزامية من الداخل لأدنى شيء ، لا سيما من قبل من يفترض أن يحملوا هم هذا الدين وأن يذودوا عنه بكل ما أوتوا من قوة ومال ووقت وجهد ، بعد أن كانوا على خير وصلاح وهدى ، وهنا يكمن الخطر لأن الثبات عزيز ونعمة عظيمة لا يعطى لأي إنسان ولا يكون مبتذلاً ، والشجاعة صبر ساعة ، لذلك هذا الطريق فيه مصاعب ومشاق وغير معبد بالورود لذلك عندما سنل الإمام الشافعي رحمه الله: أيمكّن للمرء أو يبتلى قبل ، فأجاب لا يمكن له حتى يبتلى. قد يفتر المسلم نتيجة ما يمر به من ظروف صعبة وفتن متلاطمة لكن ليس من هدي نبينا وسلفنا الصالح الانتكاس والانهزام من الداخل مهما تغيرت الأحوال ، وتبدلت وتقلبت الظروف ، فلا ينبغي أن نتجاهل الواقع المؤلم ونضع رؤوسنا في التراب مثل النعام ، وكل إنسان يقول لا دخل لي في هذه الأمور ، ويجب الابتعاد والجلوس في البيت (ومنهم من يقول انذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا) ، بينما إذا تعلق الأمر بمنصب أو جاه أو تجارة أو وجهة تسابق وهول وتصدر ، يقول حذيفة رضي الله عنه

طبيب الفتنة: (إياكم ومواقف الفتنة! قيل وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه). شعب الإيمان للبيهقي ، 8795. المسلمون هذه الأيام بأمرس الحاجة وأشد ما يكون للنصرة والوقوف بجانبهم ودعمهم بكل الوسائل ، وعدم التخلي عنهم بسبب ما يتعرض له الإسلام وأهله من هجمات شرسة ومؤامرات ، وعلينا ألا نكون سلبيين وانهزاميين ومنعزلين عن هذا الواقع المؤلم ونكتفي بالعويل والولولة والبكاء والصراخ ، كلا والله فقد أخبر عليه الصلاة والسلام (ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة ، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته). صحيح الجامع رقم 5690. فإذا مضيت إلى أناس لا يحملون ديناً ولا همماً ولا خلقاً لكن الذي يحركهم المناصب الذي يؤثر فيهم الدرهم والدينار ، مما لا شك فيه أنك ستنتقل من تلك الهمم العالية إلى همم دونية تؤدي إلى انتكاسة وسقوط وتنازل عن همم سابقة وهذا ما يحصل. ولو رأينا كثرة أهل الباطل في هذا الزمان وانتشارهم وتوسعهم ومجاهرتهم بباطلهم وطعنهم بثوابت الدين ، وبالمقابل قلة ممن يتصدون لهم وينافحون عن دين الله عز وجل ، مع فرق شاسع وبون كبير وعدم تكافؤ بين الفريقين ، من حيث الإعلام وبذل المال وتفريغ الأوقات ومضاعفة الجهود ، وقد لعب الانهزام الداخلي لكثير من النفوس دوراً كبيراً في ذلك ، حتى غلب الخوف والقلق من مصير مادي أو وجاهة أو مكانة في المجتمع ما جعله يقف متفرجاً بل في بعض الأحيان ذاماً لمن يقوم بهذا الواجب ويتصدى لأهل الباطل ويجازف ويضحى بحياته. قال شيخ الإسلام بن تيمية: (ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم ، أو ذب عنهم ، أو أثنى عليهم أو عظم كتبهم ، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم ، أو كره الكلام فيهم ، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو؟ أو قال: إنه صنف هذا الكتاب؟ وأمثال هذه المعاذير ، التي لا يقولها إلا جاهل ، أو منافق ، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ، ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء ، والملوك والأمراء ، وهم يسعون في الأرض فساداً ، ويصدون عن سبيل الله. مجموع الفتاوى (132/2). يقول بكر أبو زيد - معلقاً -: (فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية وسقاه من سلسبيل الجنة(أمين) ، فإن هذا الكلام في غاية من الدقة والأهمية ، وهو وإن كان في خصوص مظاهرة (الاتحادية) لكنه ينتظم جميع المبتدعة ، فكل من ظاهر مبتدعاً ، فعظمه ، أو عظم كتبه ، ونشرها بين المسلمين ، ونفخ به وبها وأشاع ما فيها من بدع وضلال ، ولم يكشفه فيما لديه من زيغ واختلال في الاعتقاد ، إن من فعل ذلك فهو مفرط في أمره ، واجب قطع شره ، لنلا يتعدى على المسلمين ، وقد ابتلينا بهذا الزمان بأقوام على هذا المنوال ، يعظمون المبتدعة ، وينشرون مقالاتهم ، ولا يحذرون من سقطاتهم ، وما هو عليه من الضلال! فاحذروا أبا الجهل المبتدع هذا ، نعوذ بالله من الشقاء وأهله). والشيخ ابن عثيمين سنل في هذه المسألة: يا شيخ لا شك أن من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عالماً بشروطه. هل هو منكر أو غير منكر؟ وبعض الناس إذا رأى أحد رجال الهيئة يعترض على امرأة كاشفة الوجه. يقول: لا يجب عليك أن تنكر ؛ لأنها لا تخلو من حالتين: إما أن تكون مسلمة ترى عدم وجوب ستر الوجه ، وإلا كافرة فلا يجب في الأصل أن تتحجب. هل ما يقول هذا صحيح ، أو غير صحيح؟ والجواب: لا ، هذا غير صحيح ، لأن المعاصي قسمان: قسم لا تضر إلا صاحبها فهذا ندعه ورأيه إذا كان أهلاً للاجتهاد. وقسم تضر غير صاحبها ، ولا شك أن كشف المرأة وجهها لا يختص ضرره بها هي ، بل يضر غيرها ؛ لأن الناس يفتنون بها ، وعلى هذا يجب أن تنهاها سواء كانت كافرة أو مسلمة ، وسواء كانت ترى هذا القول

أو لا تراه ، انهها! وأنت إذا فعلت ما فيه ردع الشر سلمت منه. أما ما كان لا يضر إلا صاحبه ؛ مثل رجل يشرب الدخان ، وقال: أنا أرى حله ولا أرى أنه حرام ، وعلمائي يقولون إنه حلال ، فهذا ندعه إذا كان عامياً ، لأن العامي قوله قول علمائه ، فإذا قال: أنا أرى أنه ليس بحرام نتركه لأن هذا لا يضر إلا نفسه. إلا إذا ثبت صحياً أنه يضر الناس بخنقهم أو كان يؤذيهم برائحته ، قد نمعه من هذه الناحية. فأعرف هذه القاعدة: إن المعاصي قسمان: قسم لا تضر إلا صاحبها فهذه إذا خالفنا أحد في اجتهادنا ندعه ، وقسم تضر الغير فهذا نمعه من أجل الضرر المتعدي. لكن إذا خيف من ذلك فتنة تزيد على كشف هذا الوجه ، فاته يدرأ أعظم الشرين بأخفهما. ولكن إذا رأيت امرأة كاشفة مع ولي أمرها تمسك ولي الأمر وتقول: يا أخي هذا لا يجوز هذا حرام هذا يضر أهلك ويضر غيرهم. تكلمه بالتي هي أحسن ؛ باللين. لا تتكلم مع المرأة نفسها ؛ قد يكون في هذا ضرر أكبر عليك أنت". وسئل -رحمه الله-: " هل ينكر على المرأة التي تكشف الوجه ، أم أن المسألة خلافية ، والمسائل الخلافية لا إنكار فيها؟ الجواب: لو أننا قلنا: المسائل الخلافية لا ينكر فيها على الإطلاق ، ذهب الدين كله حين تتبع الرخص لأنك لا تكاد تجد مسألة إلا وفيها خلاف بين الناس. نضرب مثلاً: هذا رجل مس امرأة لشهوة ، وأكل لحم إبل ، ثم قام ليصلي ، فقال: أنا أتبع الإمام أحمد في أن مس المرأة لا ينقض الوضوء ، وأتبع الشافعي في أن لحم الإبل لا ينقض الوضوء ، وسأصلي على هذه الحال ، فهل صلاته الآن صحيحة على المذهبين؟ هي غير صحيحة ؛ لأنها إن لم تبطل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل بطلت على مذهب الإمام الشافعي ، وإن لم تبطل على مذهب الإمام الشافعي بطلت على مذهب الإمام أحمد ، فيضيع دين الإنسان. المسائل الخلافية تنقسم إلى قسمين ؛ قسم: مسائل اجتهادية يسوغ فيها الخلاف ؛ بمعنى أن الخلاف ثابت حقاً وله حكم النظر ، فهذا لا إنكار فيه على المجتهد! أما عامة الناس فإنهم يلزمون بما عليه علماء بلدهم لنلا ينقلت العامة لأننا لو قلنا للعامي: أي قول يمر عليك لك أن تأخذ به ، لم تكن الأمة أمة واحدة ، ولهذا قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: "العوام على مذهب علمائهم". فمثلاً عندنا هنا يجب على المرأة أن تغطي وجهها ، فنحن نلزم نساءنا بذلك ، حتى لو قالت لنا امرأة: أنا سأتبع المذهب الفلاني وكشف الوجه فيه جائز ، قلنا: ليس لك ذلك ؛ لأنك عامية ما وصلت إلى درجة الاجتهاد ، وإنما تريدين اتباع هذا المذهب لأنه رخصة ، وتتبع الرخص حرام. أما لو ذهب عالم من العلماء الذي أداه اجتهاده إلى أن المرأة لا حرج عليها في كشف الوجه ، ويقول: إنها امرأتي سوف أجعلها تكشف الوجه ، قلنا: لا بأس ، لكن لا يجعلها تكشف الوجه في بلاد يسترون الوجوه ، يمنع من هذا ؛ لأنه يفسد غيره ، ولأن المسألة فيها اتفاق على أن ستر الوجه أولى! فإذا كان ستر الوجه أولى فنحن إذا ألزمناه بذلك لم نكن ألزمناه بما هو حرام على مذهبه ، إنما ألزمناه بالأولى على مذهبه ، ولأمر آخر هو ألا يقتلده غيره من أهل هذه البلاد المحافظة ، فيحصل من ذلك تفرق وتفتيت للكلمة. أما إذا ذهب إلى بلاده ، فلا نلزمه برأينا ، ما دامت المسألة اجتهادية وتخضع لشيء من النظر في الأدلة والترجيح بينها). هـ. وهذا هو مذهب الفرقة الناجية. قال الشاطبي: (فإن فرقة النجاة - وهم أهل السنة - مأمورون بعداوة أهل البدع ، والتشريد بهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً). هـ.)

من الشيطان طيف مسّ (سالي) لينزع ستر وجهه بابتذال
وسرّبلها وقلدها التديني وقاسمها ، وصرح باحتيال
فقلت لها: عرفتك ذات ستر يُخبئ ما لديك من الجمال!
تفوقين العقائل بالتزام ومثالك بالقلم لا تبالي!

بألفاظٍ تفوقُ سنا اللآلي
وقبل اليوم كنت بخير حال؟
سـيؤذنُ بالنهاية والـزوال؟
وكيف تباعُ آخره بمال؟
فكيف يُطاعُ أهلُ الإحتيال؟
على تشريع ربك ذي الجلال؟
يحل محل متروكٍ وبالي؟
يُقلدُ أخته أوج المعالي!
ويأملُ أن تحوز ذرى الكمال
ويُسرفُ في الإخاء بلا اعتدال
ويشفع ما يقدم بالدلال
ويأنفُ من ممارسة الجدال
لقابك أنت صاحبة الحال!
ونصحُ الناس من شيم الرجال
فأبدع في الطريقة والمقال!
ولم يكُ بالذي يُولي يمالي!
يدافع بالأدلة في نضال!
لكي تتجاوزي حدَّ المُحال!
وسواي لم تكن تخطر ببال!
به ، إذ قيل: يحب (سالي)!

وتلقين المـواعظ واضحاتٍ
لماذا اليوم بنتٌ بشر وضع
أغرَّكِ منصبٌ عمَّا قليل
أغرَّتكِ النقودُ لها بريقٌ؟
أكرهكِ الزنادقة احتيالا؟
أقنعكِ الدهاقنة افتتاتاً
أجئت لنا بتشريعٍ جديدٍ
أغارُ عليكِ غيرة كل حُر
يريدُ لها الخيـور بلا عناءٍ
يحب لها الذي يرجو لنفس
ويوغلُ في مجاملةٍ ولطفٍ
ويختصرُ الخلاف ، فلا يُماري
ويجمعُ لـوده أنى شـفيع
ولم يبخلُ بنصحك ذات يوم
وكم لكِ قال أقوالاً تسامت!
وكم أولاكِ عطفاً واهتماماً
وكم عنك انبرى لمن استطلوا
وكم أعطاكِ جـداً واجتهاداً
وكم لقي الشـريفُ من احتقار
وكم عانى من التلقيق أودى

وَبُهْتَاناً لِيُخْرَسَ مَنْ يُغَالِي!
فَهَلْ شَهْمٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْوَصَالِ؟
لِيَفْتِنَهَا وَيَطْمَعُ فِي النِّوَالِ؟
وَكَيْدُ دُهَاتِكُمْ رَهْنُ الضَّلَالِ!
مِنَ الزَّلَّاتِ تُعِينُ فِي الْخَبَالِ
لِتُصْبِحَ بِالْهُدَى أَهْدَى مِثَالِ!
بِمَنْزِلَةِ الشَّقِيقَةِ وَالْعِيَالِ!
مِنَ الشَّيْطَانِ يُوذُنُ بَارْتِحَالِ
عَلَى شَرْطِ الشُّمُولِ وَالْاِكْتِمَالِ!
مِنَ الطَّاعَاتِ فِي الْحَجَجِ الْخَوَالِ
لِمَوْلَاهَا وَتَحْذَرُ مِنَ مِطَالِ
صَلَاةٍ وَالسَّلَامِ عَلَى التَّوَالِ
مَنْ اتَّبَعُوهُ مِنْ صَحْبِ وَآلِ!

وَلَمْ يَعْبَأْ بِمَا قَالُوهُ زوراً
فَسَالِي يَا أَرَاذِلُ تَحْتِ زَوْجِ
وَهَلْ عَدْلٌ يَدَاعِبُ ذَاتَ زَوْجِ
مَعَاذَ اللَّهِ يَا أَهْلَ الدُّنْيَا!
و(سَالِي) سَوْفَ تُصْلِحُ مَا اعْتَرَاهَا
وَرَبِّي سَوْفَ يَرْزُقُهَا هُدَايَا
يَمِينِ اللَّهِ (سَالِي) مَنْ فَوَادِي
وظَنِّي أَنْ كَشَفَ الْوَجْهَ طَيْفًا
لَتَرْجِعَ لِلْحَجَابِ الْأَخْتِ (سَالِي)
تَعُودَ لْخَيْرِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
وَلَا تَرْضَى الدُّنْيَا فِي اتِّبَاعِ
وَدَعْوَانَا الْأَخِيرَةَ صَلَّى رَبِّي
عَلَى الْمُخْتَارِ (أَحْمَدُ) وَالنَّشَامِي

فلما نجّاهم إلى البر

(الأصل في المسلم والمسلمة عدم المجاهرة بمعصية الله عز وجل أبداً! ولنقرأ النصوص كتاباً وسنة: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ...} {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مَنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ، {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ...} {إِنَّ الدِّينَ يُحْيِيُونَ أَنْ تَشْبِعَ الْفَاحِشَةَ فِي الدِّينِ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه». وعن ابن عباس: نهى رسول الله أن تشتري الثمرة حتى تطعم ، وقال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله». وعن ابن عباس: «لو كنت راجماً أحداً بغير بينة لرجمت فلانة ، فقد ظهر منها الريبة في منطقتها وهينتها ومن يدخل عليها». وروى الترمذي عن عبدالله بن عمرو: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك». وروى الترمذي عن عائشة: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسح وقذف» قالت: قلت أنهلك وفينا الصالحون ، قال: «نعم إذا ظهر الخبث». وروى أحمد عن عبدالله بن عمرو: «إن الله لا يحب الفحش أو يبعض الفاحش والمتفحش ، قال: ولا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش ، وقطيعة الرحم وسوء المجاورة ، وحتى يؤتمن الخائن ، ويخون الأمين». وعن ابن عمر: «... لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا». إنه منذ عقدين مضيا من الزمن وفي عام 2000 م عمدت مجموعة من المعلمات المستهترات إلى سلوك سيئ مسيئ وتصرف ناب غبي ، في إحدى المدارس المتخلفة عن ركب الحضارة والقيم فضلاً عن الدين والتدين ، هناك في إحدى بلاد جمهوريات الموز حيث التخلف والعجرفة هما السمات العام! عمدت هذه المجموعة إلى سلوك غريب عجيب مريب ، حيث كن يسألن النجاح في الرقابة الإدارية التي سخرت من أداء معظمهن ، ووجهت سهام النقد اللاذعة لفريق عملهن على كثرتة! ومن الله تعالى عليهن وعلى مدرستهن بالنجاح الباهر فحازت المدرسة درجة الامتياز الأمر الذي يصعب تخيله ، لكنه فضل الله يوتييه من يشاء. وكان لزاماً عليهن أن يشكرن الله عز وجل شكراً قولياً وآخر عملياً! ولكن للأسف كن قد جعلن شكرهن الزغاريد المدوية والغناء والرقص والموسيقى الصاخبة والركاكة والتبذل والسفول على أنغام: (وحياة قلبي وأفراحه) وكأنها آخر وأول فرحة! وكأنهن لم يفرحن ولن يفرحن بعد اليوم! ولم يكن كبير فرق بين فرحتهن وفرحة زميلات لهن هندوسيات أونصرانيات أو يهوديات! الأمر الذي حدا بأحد الصالحين وهو أحد أولياء أمور بعض الطلاب في المدرسة ، وكان قد جاء ليأخذ أولاده ، فإذا به يواجه هذا المنظر المنحط السافل الحقيير! فقال في نفسه: أعظهن وأبين لهن ولي أجري عند الله! ولم يتردد الرجل فتوجه إلى ذوات الحجاب منهن ملتمساً فيهن الالتزام ومفترضاً فيهن الاستجابة أكثر من المتبرجات! ولكن للأسف خاب ظن الرجل عندما ازدادت وتيرة الغناء والرقص أكثر وأكثر! ونسي هؤلاء الحيزونات

الدرديسات البكاء والدموع والدعاء بالأمس القريب! واليوم وبعد النجاة يجعلن شكر الله رقصاً وغناءً! يقول الله تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤَ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ وَالدِّينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ). قال ابن كثير في التفسير ما نصه: (ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له ، فهلا يكون هذا منهم دائماً ، (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كقوله: (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم). وقال ها هنا : (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون). وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عكرمة بن أبي جهل: أنه لما فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة ذهب فاراً منها ، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة ، اضطربت بهم السفينة ، فقال أهلها: يا قوم ، أخلصوا لربكم الدعاء ، فإنه لا ينجي هاهنا إلا هو. فقال عكرمة: والله إن كان لا ينجي في البحر غيره ، فإنه لا ينجي غيره في البر أيضاً ، اللهم لك علي عهد لنن خرجت لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفاً رحيماً ، وكان كذلك). هـ. وعلق صاحب الظلال على ذات الآية بقوله: (وهذه الآيات ترسم صورة لعقيدة العرب إذ ذاك ؛ وتوحي بأنه كان لها أصل من التوحيد ؛ ثم وقع فيها الانحراف ولا عجب في هذا فهم من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقد كانوا بالفعل يعتقدون أنهم على دين إبراهيم وكانوا يعتزون بعقيدتهم على هذا الأساس ؛ ولم يكونوا يحفلون كثيراً بالديانة الموسوية أو المسيحية وهما معهم في الجزيرة العربية اعتزازاً منهم بأنهم على دين إبراهيم غير منتبهين إلى ما صارت إليه عقيدتهم من التناقض والانحراف كانوا إذا سنلوا عن خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر ومنزل الماء من السماء ومحبي الأرض بعد موتها بهذا الماء يقرون أن صانع هذا كله هو الله ولكنهم مع هذا يعبدون أصنامهم أو يعبدون الجن أو يعبدون الملائكة ؛ ويجعلونهم شركاء لله في العبادة وإن لم يجعلوهم شركاء له في الخلق هو تناقض عجيب تناقض يعجب الله منه في هذه الآيات فأنى يوفكون أي كيف يصرفون عن الحق إلى هذا التخليط العجيب بل أكثرهم لا يعقلون فليس يعقل من يقبل عقله هذا التخليط وبين السؤال عن خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر ؛ والسؤال عن منزل الماء من السماء ومحبي الأرض بعد موتها يقرر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فيربط سنة الرزق بخلق السماوات والأرض وسائر آثار القدرة والخلق ويكل هذا إلى علم الله بكل شيء إن الله بكل شيء عليم). هـ. يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (أعظم من قام بهذا الأمر ، فشكر ربّه ، حتى استحق وصف "الشاكر" و "الشكور" هم الأنبياء والمرسلون عليهم السلام: قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وقال تعالى: (ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا). ثالثاً: ذكر الله تعالى بعض نعمه على عباده ، وأمرهم بشكرها ، وأخبرنا تعالى أن القليل من عباده من قام بشكره عز وجل. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ). وقال تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ). وقال تعالى: (وَمِن آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). ومن النعم الدينية :

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). وغير ذلك كثير ، وإنما ذكرنا هنا بعض تلك النعم ، وأما حصرها: فيستحيل ، كما قال الله تعالى: (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) ، ثم من الله علينا فعفر لنا تقصيرها في شكر تلك النعم ، فقال: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ). والمسلم دائم الطلب من ربه تعالى أن يعينه على شكره تعالى ؛ إذ لولا توفيق الله لعبده ، وإعانتة : لما حصل الشكر ، ولذا شرع في السنة الصحيحة طلب الإعانة من الله على شكره تعالى. عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: (يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ). رواه أبو داود والنسائي ، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود". وكان الشكر على النعم سبباً في زيادتها ، كما قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ). رابعاً: كيف يكون شكر العبد ربه على نعمه الجليلة ؟ يكون الشكر بتحقيق أركانه ، وهي شكر القلب ، وشكر اللسان ، وشكر الجوارح. قال ابن القيم - رحمه الله -: الشكر يكون: بالقلب: خضوعاً واستكانةً وباللسان: ثناءً واعترافاً ، وبالجوارح: طاعةً وانقياداً. "مدارج السالكين". وتفصيل ذلك: أما شكر القلب: فمعناه: أن يستشعر القلب قيمة النعم التي أنعمها الله على عبده ، وأن ينعقد على الاعتراف بأن المنعم بهذه النعم الجليلة هو الله وحده لا شريك له ، قال تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ). وليس هذا الاعتراف من باب الاستحباب ، بل هو واجب ، ومن نسب هذه النعم لغيره تعالى: كفر. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولاً ، واعترافاً ، وبذلك يتم التوحيد ، فمن أنكر نعم الله بقلبه ، ولسانه: فذلك كافر ليس معه من الدين شيء. ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده ، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله ، وتارة يضيفها إلى نفسه ، وعمله ، وإلى سعي غيره - كما هو جارٍ على ألسنة كثير من الناس -: فهذا يجب على العبد أن يتوب منه ، وأن لا يضيف النعم إلا إلى مولائها وأن يجاهد نفسه على ذلك ، ولا يتحقق الإيمان ، والتوحيد إلا بإضافة النعم إلى الله ، قولاً ، واعترافاً. فإن الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان: اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه ، وعلى غيره ، والتحدث بها ، والثناء على الله بها ، والاستعانة بها على طاعة المنعم ، وعبادته. "القول السديد في مقاصد التوحيد". وقال تعالى مبيناً حال من يجحد نسبة النعم لله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ). قال ابن كثير - رحمه الله -: أي: يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك ، وهو المتفضل به عليهم ، ومع هذا ينكرون ذلك ، ويعبدون معه غيره ، ويسندون النصر والرزق إلى غيره. "تفسير ابن كثير". وأما شكر اللسان: فهو الاعتراف لفظاً - بعد عقد القلب اعتقاداً - بأن المنعم على الحقيقة هو الله تعالى ، واشتغال اللسان بالثناء على الله عز وجل. قال تعالى في سياق بيان نعمه على عبد محمد صلى الله عليه وسلم: (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) الضحى ، ثم أمره في مقابل ذلك بقوله: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ). قال ابن كثير - رحمه الله -: أي: وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله: فحدِّث بنعمة الله عليك. "تفسير

ابن كثير". وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا). رواه مسلم. قال أبو العباس القرطبي - رحمه الله -: والحمد هنا بمعنى الشكر ، وقد قدمنا: أن الحمد يوضع موضع الشكر ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد ، وفيه دلالة على أن شكر النعمة - وإن قلت - : سبب نيل رضا الله تعالى ، الذي هو أشرف أحوال أهل الجنة ، وسيأتي قول الله عز وجل لأهل الجنة حين يقولون: "أعطينا ما لم نعط أحداً من خلقك ، فيقول: (ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟) فيقولون: ما هو؟ ألم تبيض وجوهنا ، وتدخلنا الجنة ، وتزحزحنا عن النار؟ ، فيقول: (أحلُّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً). وإنما كان الشكر سبباً لذلك الإكرام العظيم لأنه يتضمَّن معرفة المنعم ، وانفراده بخلق تلك النعمة ، وبإيصالها إلى المنعم عليه ، تفضلاً من المنعم ، وكرماً ، ومنَّةً ، وأن المنعم عليه فقيرٌ ، محتاجٌ إلى تلك النعم ، ولا غنى به عنها ، فقد تضمَّن ذلك معرفة حق الله وفضله ، وحقَّ العبد وفاقته ، وفقره ، فجعل الله تعالى جزاء تلك المعرفة : تلك الكرامة الشريفة. "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم". ومن هنا قال بعض السلف: "من كتم النعمة: فقد كفرها ، ومن أظهرها ونشرها: فقد شكرها". قال ابن القيم - تعليفاً على هذا -: وهذا مأخوذ من قوله: (إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة: أحب أن يرى أثر نعمته على عبده). "مدارج السالكين". ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله: تذاكروا النعم ، فإن ذكرها شكرٌ. وأما شكر الجوارح: فهو أن يسخر جوارحه في طاعة الله ، ويجنبها ارتكاب ما نهى الله عنه من المعاصي والآثام. وقد قال الله تعالى: (اعملوا آل داود شكراً). عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رَجُلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُنْ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا). رواه البخاري ومسلم (قال ابن بطال - رحمه الله -: قال الطبري: والصواب في ذلك: أن شكر العبد هو: إقراره بأن ذلك من الله دون غيره ، وإقرار الحقيقة: الفعل ، وصدقه العمل ، فأما الإقرار الذي يكذبه العمل ، فإن صاحبه لا يستحق اسم الشاكر بالإطلاق ، ولكنه يقال شكر باللسان ، والدليل على صحة ذلك: قوله تعالى: (اعملوا آل داود شكراً) ، ومعلوم أنه لم يأمرهم ، إذ قال لهم ذلك ، بالإقرار بنعمه ؛ لأنهم كانوا لا يجحدون أن يكون ذلك تفضلاً منه عليهم ، وإنما أمرهم بالشكر على نعمه بالطاعة له بالعمل ، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم حين تفترت قدماه في قيام الليل: (أفلا أكون عبداً شكوراً). "شرح صحيح البخاري". وقال أبو هارون: دخلت على أبي حازم ، فقلت له: يرحمك الله ، ما شكر العينين؟ قال: إذا رأيت بهما خيراً: ذكرته ، وإذا رأيت بهما شراً: سترته ، قلت: فما شكر الأذنين؟ قال: إذا سمعت بهما خيراً: حفظته ، وإذا سمعت بهما شراً: نسيته. قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: الشكر على درجتين: إحداها واجب ، وهو أن يأتي بالواجبات ، ويتجنب المحرمات ، فهذا لا بد منه ، ويكفي في شكر هذه النعم ، وذكر أبو حازم الزاهد شكر الجوارح كلها: "أن تكف عن المعاصي وتستعمل في الطاعات" ، ثم قال: "وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه: فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ، فلم يلبسه ، فلم ينفعه ذلك من البرد ، والحر ، والثلج ، والمطر". الدرجة الثانية من الشكر: الشكر المستحب ، وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض ، واجتناب المحارم: بنوافل الطاعات ، وهذه درجة السابقين المقربين "جامع العلوم والحكم". والخلاصة: أنه حتى تكون شاكراً لربك تعالى على ما أنعم عليك: فإنه يجب عليك الاعتراف بقلبك

أن واهب هذه النعم ، ومسديها هو الله تعالى ، فتعظمه ، وتنسبها إليه ، وأن تعترف بذلك بلسانك ، فتشكره بعد الاستيقاظ من النوم أن وهب لك الحياة ، وبعد الطعام والشراب أن رزقك إياهما وتفضل بهما عليك ، وهكذا في كل نعمة تراها على نفسك. وتشكره بجوارك بأن لا تجعلها ترى ، ولا تسمع معصية ، أو منكر ، أو كغناء ، أو غيبة ، ولا تمش برجليك إلى أماكن محرمة ، ومن شكر النعم بالجوارح: تسخيرها في طاعة الله تعالى ، بقراءة القرآن ، وكتب العلم ، وسماع النافع والمفيد ، وهكذا باقي الجوارح تسخرها في الطاعات المختلفة. واعلم أن شكر النعم نعمة تحتاج لشكر ، وهكذا يبقى العبد متقلباً في نعم ربّه وهو يشكر ربه على تلك النعم ، ويحمده أن وفقه إلى أن يكون (من الشاكرين). هـ. والأستاذ مراد القدسي يجيب على السؤال: ماذا علينا عند المجاهرة؟ فيقول في بعض كلامه: (لا يجوز علينا فعل المعاصي سرّاً وظاهراً وفي الظاهر أعظم. كما أنه يجب علينا الأمر بالمعروف. {لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ...}. وروى أحمد من حديث أبي بكر الصديق لما أشكل عليهم {عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ} ، قال سمعنا: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم العقاب». وروى أحمد من حديث أبي بكر الصديق «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقررون أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمه الله بعقاب». ويجب أيضاً تحذير الأمة من صنع هؤلاء ومن أفعالهم حتى لا يعم الفساد. يقول النووي: "إن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به ومالم يجاهر به". يقول عمر بن عبدالعزيز: "إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ولكن إذا عمل المنكر هاراً استحقوا العقوبة كلهم". ويجب علينا هجر هؤلاء: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ...} {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا...}. قال ابن تيمية: "وهجران أهل البدع كافرهم وفاسقهم ، والمتظاهر بالمعاصي وترك السلام عليهم فرض كفاية ومكروه لسانر الناس". هـ. ألا وإن النسوة اللاتي جاهرن بالمعصية هكذا ففن المنافقين ، الذين كانوا يبطنون الكفر فلا يجاهرون به ، ويظهرون للناس الإسلام لحقن الدم! أما هؤلاء النسوة فجاهرن بمعصية الله تعالى! وفي مقالة طويلة عنوانها: (النفاق والمنافقون) يقول الأستاذ أحمد بن حسين الفقيهي ما نصه: (رغم تطاول السنين ، وتعاقب الأجيال ، وترادف الأمم ، فإننا ما رأينا أوصافاً ذكرت في القرآن لطائفة من الطوائف كانت في زمان دون زمان ، أو اختص بها مكان دون مكان ، ولقد حدثنا القرآن عن المنافقين وأوصافهم وأخلاقهم وديانتهم فما رأيناها تغيرت عبر الأزمان ، ولا اختلفت باختلاف الأوطان ، لأن الذي وصفهم في القرآن هو خالقهم ، وهو سبحانه أعلم بدخائل نفوسهم ، وأوصاف قلوبهم ، فكان وصفه سبحانه لهم متوافقاً مع ما نقرأه عنهم ، وما نشاهده اليوم من أفعالهم ، فالنفاق والمنافقون ليست مرحلة من التاريخ مرت وانتهت بل هي باقية ، وشاهد ذلك قول حذيفة رضي الله عنه: المنافقون الذين فيكم شرّ من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول الإمام مالك رحمه الله: النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم! وإذا توسع مصطلح النفاق وتعددت مسميات المنافقين في عهد الإمام مالك رحمه الله ، أمكن أن يطلق على المنافقين في هذا الزمان أكثر من مسمى إذا توفرت فيهم سيما المنافقين ، أما ابن تيمية رحمه الله فيقول: والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة ، وكذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى معللاً ذكرهم في القرآن: (واعلم أنه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم أمثالهم ، فذكر سبحانه أوصافهم لأولياته ليكونوا منهم على حذر). هـ. إذا تفررت محنة الإسلام والمسلمين بالمنافقين قديماً وحديثاً كان لابد من بيان سماتهم ، والتعرف على

علامتهم ، حتى يحذر المسلمون شرورهم ، مع أن حصر صفاتهم والإحاطة بعلاماتهم ، أمر يطول ويصعب ، لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق. وعموماً المنافقون من أحسن الناس أجساماً ، وألطفهم بياناً ، وأخبثهم قلوباً ، وأضعفهم جناناً! كما يقول ربكم سبحانه في وصفه لهم: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}. هـ. وأعوذ بالله أن تكون النسوة قد شابهن المنافقين فيما أتينه من إظهار الإسلام ادعاء ثم العمل بضده كما لمسنا بهذه الصورة الفجة! برغم أن لهن حكم المجاهرات بالمعصية! ونعود بعد هذا الاستطراد إلى الرجل الذي قال في نفسه أعظ المعلمات! ولما فعل زدن النسوة في غنائهن ورقصهن ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون! وتخيلته يصوغ استرجاعه شعراً ، فكانت هذه القصيدة هي الاسترجاع والحوالة والحوالة!

مَرَقْنَ مِنْ رِبْقَةِ الرِّشَادِ وَالْقِيَمِ

كيف استجبين لداعي الطيش والجُرْم؟

كيف انحدرن إلى الحضيض عن رغم؟

ومَن يجاهر بما جاهرن ينهزم

وبالقلوب جوى من شدة الألم

وبالنفوس أراجيف من السدم

أي انكسار ، فيا للبوؤس والوصم!

أكرم بثوب سميك النسج محتشم!

والاجتهاد يقوي عزيمة النهم

وكم عجائب تأتينا من العُصم!

وتستثير شعور الصب عن رغم

لا ببارك الله في الغنا ولا الرنم

فهل أخذن بوقع اللحن والنغم؟!

بلا حياءٍ من المهيمن الحكم!

وصن عهدي بكن أو عشمي!

يا عين فابك على العوابد العُصم

كيف انبطنن لأهواءٍ ومهزلة؟

كيف افترضن الهدى في ساح من فسقوا؟

وكيف جاهرن بالعصيان دون حياء؟

بالأمس كان البكا بالدمع منهمراً

بالأمس كان الدعا ، والدمع يصحبه

بالأمس كان انكسارٌ لا يضارعه

بالأمس كانت عيبات وأخمرة

بالأمس كانت سيوف الجدمشهرة

واليوم بتنا نرى من النساء عجباً

هذي الزغاريذ تخزي من صدحن بها

ويح الأغاني انتشت في ساح مدرسة

وللنساء بما أحدثته طرب

وبعضهن أجدن الرقص في وله

فقلت: كلا ، وتبين الآن في وجل

علمتُكُن تفضّلن الرشاد هُدىً
فكم بحثتُن في آفاق مسألةٍ!
وكم أطلتُن في الجدال تبصرة
وكم قرأتُن تنشِدن الصواب صُوىً
لذا أعاتبُ مُحتجاً ومُعترضاً
أهجو الفسوق ، ولي حق ، وبى ألم!
وأنقذُ الوضعَ قلبي بات ينكره
ألمُكُن ، أخاف النار يوم غدٍ
أهكذا يُشكرُ المولى علانية
وما الحجاب إذا ما الرقصُ داعبه؟
وما ادعاءً سجايا لا وجود لها
وما التظاهر بالأخلاق زاحمها
حتى وقفتُ خطيباً بينك ضحىً
فقلتُ: هذا حرامٌ يا عقاننا
فإذ بكُن تزدن الأمرَ توسعة
أواه كـم تأسرُ المفتونَ زلتـه!

ومَن تحب الهدى تتب وتستم!
وكم سألتُن عن حل وعن حُرْم!
لكي تخزن جواباً غيرَ مُنبهم
ومن تطالعُ بنور العلم تتسم
على المعاصي تقودُ الناس للنقم
والهَجْوُ بالحق أسمى غاية الشيم
والنقذُ بالحق يجري في وريد دمي
لو لم أشاهد فسوقك لم ألم!
بالطبل والزمر؟ يا للمأزق العمم!
ومَن تصنُ سترها في الناس تحترم؟
شتان بين وجود الشئى والعدم؟
قيحُ السفول البغيض المقرف الوخم؟
أبيّنُ الحق وفق المنهج اللقم
ولا يوافقُ نصاً جاء في السلم!
لما رميتُن نور الوحي بالظلم
وكم تُذل المعاصي فاقدي الهمم!

عندما تثمر التربية

(اعتاد الأستاذ السوداني إدريس أن يُعامل طلابه بالحب والحزم والحكمة! (ثلاثة حاءات: حب - حزم - حكمة) قل أن يجتمعن في معلم! ولم يندم أبداً على ذلك ، كما لم يخنه تقديره يوماً. وربما ساعده على ذلك فرط أدب طلابه الذي كان سَمَنا عاما في طلاب ذلك الزمان في ستينات القرن المنصرم (1963م). فلقني من أغلبهم الاحترام والتقدير! وذات يوم تقرر المدرسة رحلة لطلاب الصف الثالث ، فبادر إليها ، ودفع رسومها كل طلاب الصف إلا طالب واحد! فلما سأله الأستاذ إدريس قائلاً: لماذا لم تسجّل اسمك مع زملائك وتذهب معهم وخاصة أن الرسوم ثلاثة ريالاً فقط؟! فقال الطالب: لأنني فقير ، وأبي ابتلي بالأولاد فاعذرني يا أستاذي! وأنا لا أكاد أرى الريال هنا في (العوالي) حيث أعيش مع عائلتي في مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا في الأعياد أو في أيدي أبناء الأغنياء! فقال الأستاذ إدريس: وهل قلت ذلك للأستاذ المشرف على الرحلة ذلك الذي يسجل الأسماء ويجمع الرسوم؟ فقال الطالب: نعم! فقال: إذن خذ هذه الريالات الخمسة واذهب للأستاذ وقل له: أبي ليس فقيراً ، ولقد أعطاني الريالات الخمسة وأنا الذي نسيتها في جيبى ، وأعطها إياه ليسجل اسمك ويعطيك ريالين تنفقهما على طعامك وشرابك وعصيرك! ففرح الصبي وفعل كما أمره الأستاذ! ولما عاد الصبي سأل الأستاذ إدريس قائلاً: ومن سيعطيك الريالات الخمسة تلك؟ هل أطلبها من أبي لأعطيك إياها غداً؟ فقال الأستاذ إدريس: وهل أنا أعطيتها لوالدك؟ إنما أنا أعطيتها ، وإذن فعليك سدادها لأنها دينٌ عليك أنت؟ فقال: ولكني لا أستطيع! فقال الأستاذ: عندما تستطيع ولو بعد تخرجك من الجامعة! فقال الطالب في ثقة مفرطة: أفعل إن شاء الله! ومرّت السنون تلو السنون! وأخذ الطالبُ طريقه في مشوار الدراسة بين التعليم الأساسي والمتوسط والجامعي! وتخرج وعمل في مجال الاقتصاد ودخل في مشاريع صغيرة مع مستثمرين ، ثم كبرت المشاريع واتسعت رقعتها ، وتكاثرت عوائدها الحلال تكاثر الدود! وقامت إحدى المحطات التليفزيونية بعمل حوار معه! وكان من ضمن أسئلة المذيع المحاور: ما هو أعلى موقف مر عليك في حياتك بإطلاق واستشعرت فيه روح البطولة والمروعة معاً؟ فأجاب الضيف الهرم: لقد سألتني ابنتي الكبرى هذا السؤال عام 2000م ، وحكى الأب القصة السابقة (قصة مع الأستاذ إدريس وريالاته الخمسة) لابنته! فعقبت ابنته قائلة له: لقد عمّت صدقاتك وطمّت! وشملت القاصي والداني: إن داخل البلاد وأن خارجها! وكان الأخلاى بك أن تؤدي الدين الذي عليك للأستاذ إدريس! والدين مقدّم في ديننا على الصدقة! وإذا لم تؤد دينك كنت آثمًا! فقال المذيع: فماذا فعلت بعد تعقيب كريمكم الكبرى؟ فأكمل الضيف الأشيب قصته مع الأستاذ إدريس قائلاً: أبداً قررتُ البحث عنه وإعطاءه دينه وزيادة! فعانيتُ لبُعد المسافة الزمنية ، وبعد بحث مستمر عثرتُ على أحد تلاميذه المتأخرين ، والذي قادني إليه وقد هرم وانتقل إلى حي آخر في مدينة أخرى ، وأقام على كفالة ابنه الأصغر كقريب من الدرجة الأولى ، وهناك قابلته وسألته: هل تعرفني يا أستاذ إدريس؟ فقال بعد تفرّس وإمعان نظر وتريث: نعم أنت فلان ، ولكنك كبرت يا واد يا فلان! ونطق اسمي كاملاً بلا اختلاط ولا خرف! وهنا علمتُ أن الأستاذ لا يجهل طلابه يوماً ، كما أن الأب لا يجهل أبناءه! فسألته قائلاً: وهل تعلم لماذا جنثُ لك بعد هذا العمر الطويل؟ فقال الأستاذ إدريس: أتت بك الريالات الخمسة التي هي دين عليك! ولولا أنني أيقنْتُ يوماً أنها ستعود وأنتك يوماً

ستردها لي ما أعطيتك إياها! فقلت في نفسي: إن هذا السر لا يعلمه إلا أربعة: (الله عز وجل ثم الأستاذ إدريس صاحب الدين وأنا المدين وابنتي بحكم حكايتي لها) ولولا أنني أكاد أجزم بأن ابنتي لاتعرف الأستاذ إدريس ولا مكانه ، لقلت بأنها أخبرته بقدومي لأسد ديني! وهنا أخرجت شيكاً ضربت فيه الريالات الخمسة في مائة ثم في ألف لتصير قيمة الشيك 500000 ريال! واعتبرتها قليلة على الأستاذ إدريس! وهنا يتأثر المذيع ويطلب من مخرجه فاصلاً لأنه لم يعد قادراً على إكمال الحوار لتأثره الشديد بهذه القصة التي تكاد تكون أحداثها وشخصياتها خيالية محضة! يقول فضيلة الشيخ الدكتور / خالد الغامدي عن خلق المروعة والشهامة ما نصه بتصريف زهيد: (إن من أعظم مقاصد بعثة المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يتمم مكارم الأخلاق وصالح الآداب ، ويُنشئ في الأمة النماذج الأخلاقية الراقية ، والمثل والآداب السامية التي تكفل الحياة الكريمة والسعادة ، والعزة للفرد والجماعة. وإن فروع هذه الأخلاق الإسلامية الراقية كثيرة ومُتَشعبة ، ولكنها تجتمع في أصولٍ عظيمة ، وأركانٍ متينة ، تلتقي فيها كلُّ الآداب النبوية والأخلاق المصطفوية ، وما تعارفَت عليه العقول الصحيحة والعادات الحسنة. هذا وإن من أعظم هذه الأصول الجامعة المانعة: أصلاً عظيماً يجتمع تحته ما تفرَّق ، وينتظم في سلكه ما تشعب ، ألا وهو: المروعة. وما أدراكم ما المروعة؟! إنها منبع الخيرات ، وملتقى الآداب ، وعماد الحياة الشريفة الحرة ، وجماع المحاسن والكمالات ، وأساس الإنسانية ، وكمال الرجولية. بها يتفاضل الرجال والنساء ، حتى عدَّ ألف بواحد ، والناس كمعادن الذهب والفضة ، وكابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة إلا من كمل نفسه بأخلاق المروعة التي تُحبُّها النفوس الكبار ، ويهيمُّ بها العظماء والنبلاء ، ويرتفع بها العبد في قلوب الناس وإن كان أقلَّ منهم مالاً وجاهاً. وتلك فطرة الله التي فطر الناس على حبِّ المروعة ، والاتصاف بها ، ورفع شأن المتحلِّين بها ، لا تبديل لخلق الله. فطرة مركوزة في الخليقة والبشرية ، حتى إن النفس لتنتشي فرحاً حينما تُوصف بأنها من أهل المروعات ، أو ترى أفعالهم. إن المروعة هي أصل كلِّ خيرٍ وشرفٍ وفلاح ، وهي في حقيقتها الناصعة: هيئة راسخة في النفس ، وملكة تحمل صاحبها على الاتصاف بصفات الجمال ، والنقاء ، والطهر ، والعفاف ، والكرم ، والبعد عن جواذب النفس التي تجذبها للتخلُّق بأخلاق العلوِّ والفخر من الكبر والحسد والبغي ، والأذى والفساد ، أو الاتصاف بصفات الهوان والضعة ، من الحرص المذموم ، والشتره ، والطمع ، والتكالب على الحطام والتوافه. فالمروعة خلقٌ فاضلٌ كريمٌ ، وسطٌ بين طرفين ، وهي تدعو النفس إلى التحلِّي بحلية الإنسانية الرفيعة الشريفة ، واستعمال كل ما يجمِّل العبد ويرزئُه من الأخلاق والآداب وجميل العادات ، والبعد عن كل ما يندسُّ نفسه ويشينُّها ، ويجلب لها اللوم والعيب وإراقة ماء الوجه. إن المروعة هي خلقُ النفس الأبية الكريمة ، وعنوان الشخصية الشريفة العزيزة ، التي لا ترضى بالدنس والدناءة ، وتأنف من الذلِّ والمهانة ، وترفع عن حياة العبث واللَّهو والسُّخف. فلذلك ترى صاحب المروعة فقيه النفس ، حريصاً على أخلاق الكمال والجمال والطهر في ملبسه ومظهره ومدخله ومخرجه ، وتراه كذلك مع الناس بجميع شرائحهم يستعمل معهم الأدب والحياء والعفة والكرم والنزاهة والصيانة ، وتراه ثالثاً مع ربِّه - سبحانه وتعالى - يستحي منه أن يراه على معصية أو يطلع على قلبه فيرى فيه غيره ، أو تكون علانيته خيراً من سريرته. وقد جمع الله - سبحانه - في عدة آيات مُحكماتٍ خللاً كثيرةً من خلال المروعة ، كما في قوله - سبحانه -: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، وكما في قوله: (إِنَّ

اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) ، وكما في الآيات الثلاث المتواليات من سورة الأنعام التي اتفقت عليها الشرائع السماوية كلها ، بدايةً من قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) إلى قوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) ، وكذلك المناهي التي في سورة الإسراء بدايةً من قوله: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) إلى قوله: (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة. وأعظم شخصية تجلت فيها خلال المروءة هي شخصية النبي الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ فقد كانت حياته - عليه السلام - كلها قائمة على المروءة ومعالي الأمور وكرانمها مع كل الناس ، حتى مع أعدائه - صلى الله عليه وآله وسلم - وما أئدى قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إن الله يحب معالي الأمور وأشرفها ، ويكره سفاسفها» ؛ أخرجه الطبراني في «الكبير» عن الحسين بن عليّ بسند صحيح. وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : «إن الله كريم يحب الكرماء ، جواد يحب الجودة ، يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها» ؛ أخرجه البيهقي في «الشعب» عن طلحة بسند صحيح. وقال أيضا - عليه الصلاة والسلام - : «إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا ؛ فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصروا من وآله الله أمركم! ويكره لكم: قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» ؛ أخرجه أحمد ومسلم عن أبي هريرة. وقد لزم هذا السنن النبوي الرفيع صحابته الكرام - رضي الله عنهم - والتابعون لهم ، وأورثوه إلى من بعدهم من العلماء والفضلاء والنبلاء الذين كتبوا في ذلك الرسائل والكتب التي تبين للناس آداب المروءة وخصالها ، حتى إنهم جعلوا من أهم صفات راوي الحديث ومن تطلب منه الشهادة في الأفضيات أن يكون متحليا بأداب المروءة ، مجتنبًا خوارمها ومفسداتها. بل قد حث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على التسامح مع أهل المروءات ، والعفو عن خطيئهم وعثرات أقدامهم ؛ لمروءتهم ونبلهم ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : «تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة» ؛ أخرجه الطبراني عن ابن عمر بسند صحيح. وقال أيضا - عليه الصلاة والسلام - : «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود» ؛ أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة - رضي الله عنها - . فأهل المروءات من العلماء والفضلاء وصالحى المسلمين ، لهم فضلهم ومكانتهم ومنزلتهم ، ولا يجوز أبدا أن تهدر فضائلهم ، أو تطمس مناقبهم لزلّة قدم أو كبوّة جواد ؛ وما ذاك إلا لشرف المروءة وعلو كعبها ، والتي تحمل صاحبها وترفعه وتزكّيه ، وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث. وإن المروءة خلق عظيم ، وإذا نزلت في جذر قلوب الرجال والنساء أثمرت وطابت بها الحياة ، وسعدت الأرواح ، وهذبت ما في النفوس من آفات الشح المطاع ، والهوى المتبع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه. ولا تكاد تجد امرأة قد تمكّنت المروءة من قلبه ورسخت إلا كان لله عاملا عابدا مطيعا ؛ لأنه يعلم أن ارتكاب المحرمات ، والتساهل في المنكرات والرضا بها من أخطر خوارم المروءة ومفسداتها. ثم إن أهل المروءات أصحاب همم عالية ، وإرادات حازمة ؛ فإنه لم ير أقد عن المكرمات من صغر الهمم ، فلذلك تجدهم يضربون في كل خير بسهم ، ويسابقون في وجوه الإحسان ، وهم يستعملون مع الناس كلهم حسن الأدب والخلق الحسن في القول والفعل ، في الجد والمزاح ، في السراء والضراء ، في السفر والحضر ، في الحب والكراهة ، فلا يصدر منهم إلا جميل القول والفعل ، كما قال - سبحانه -: (وقولوا للناس حسنا). ومن نبلهم ومروءتهم: أنهم يقومون بحوائجهم وحوائج أهليهم ومن

يَعُولُونَ ، فليس من المروعة أن يُضَيِّع المرء نفسه وأهله وعياله ، ولا أن يجعلهم عالةً يتكفّفون الناس ويسألونهم. ولذلك فهم يحرصون على إصلاح أموالهم ، ويتوون في ذلك نيةً طيبةً من العفاف والاستغناء عن الناس ، ونعم المال الصالح للرجل الصالح. ومن أجمل صفات أهل المروعات: الحلم والرزانة ، والتثبت والتأني والهدوء ، والبعد عن الطيش والعجلة والنزق والتهوّر ، وخفة العقل عند حلول الحوادث والنواب. ومن أنبل خلال أهل المروعات: أنهم يعاملون الناس بصدق قلب ، وصفاء نفس ، بعيدون عن النفاق والتلون ، يحبون للمسلمين ما يحبون لأنفسهم ، ولا يحملون غلاً ولا حسداً ولا حقداً للذين آمنوا ، فذلك يوفّقهم الله - سبحانه - ، فينجيهم من مواطن الذم والعيب واللوم. والمروعة تحمل صاحبها على صيانة نفسه وحمايتها من كل ما يعيبها ، ويؤذي بها عند الله وعند خلقه في كل زمان ومكان ، فتعلو همته ، ويصلب عزمه وحزمه ، ويبعد عن كل ما يخذش الإيمان والحياء من الدنيا والرزايا. وإن أهل المروعات - من أحرص الناس على تأليف القلوب ، وتطبيب النفوس ، ومدد بساط الأخوة والمحبة ، وتلك شيم الكرام أهل المروعات والنبل).هـ. ما أجمل أن تكون العلاقة بين المعلم وطلابه علاقة أخوة في الله صادقة! في خطبة طويلة له عن الأخوة يقول الأستاذ فريد الأنصاري ما نصه: (قد يسأل البعض ويقول: لماذا الأخوة؟ والجواب هو أن نقول: ندعو إلى الأخوة لإقامة كيان الأمة الإسلامية من جديد ، لأننا في عصر استئذل فيه المسلمون ، وبلغوا من العجز والوهن إلى حد لا يحسدون عليه ، عصر سقطت فيه أراضي المسلمين تباعا وما زال المسجد الأقصى أسيراً ، عصر الفوضى والغتانية! عصر الغزو الفكري والثقافي ومحو الهوية الإسلامية ، عصر الشتات والفرقة والعداوات ، كل هذا ونحن في سبات عميق، لقد تمزق شمل الأمة المسلمة اليوم كما تعلمون ، وتشتت صفها ، وطمع فيها الضعيف قبل القوي ، والدليل قبل العزيز ، والقاصي قبل الداني ، وأصبحت الآن قصعة مستباحة كما ترون ، والسبب الرئيسي هو أن العالم الآن لا يحترم إلا الأقوياء ، ولا يقدر إلا أرباب الأموال ، وأصبحت الأمة الإسلامية ضعيفة ، لأن الفرقة قرينة للضعف والخذلان والضياع ، والقوة ثمرة طيبة من ثمار الألفة والوحدة والمحبة ، فما ضعفت الأمة بهذه الصورة المهينة المخزية إلا يوم أن غاب عنها أصل وحدتها وقوتها ، ألا وهو: الأخوة في الله بالمعنى الذي جاء به الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمحال أن تتحقق الأخوة بمعناها الحقيقي إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها ، وكما حولت هذه الاخوة الجماعة المسلمة الأولى من رعاة غنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم ، يوم أن تحولت هذه الاخوة التي بنيت على العقيدة بشمولها وكمالها إلى واقع عملي ومنهج حياة ، تجلى هذا الواقع المشرق المضيء المنير يوم أن آخى النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء بين الموحدين في مكة ، على الرغم من اختلاف ألوانهم وأشكالهم وألسنتهم وأوطانهم ، فأخى بين حمزة عمه القرشي ، وسلمان الفارسي وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وأبي ذر الغفاري ، راحوا يرددون جميعاً على لسان رجل واحد قول الله عز وجل: (إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلمكم ترحمون) ، هذه المرحلة الأولى من مراحل الإخاء ، ثم آخى النبي صلى الله عليه وسلم ثانياً بين أهل المدينة ، بين الأوس والخزرج ، بعد حرب دامية طويلة وصراع مرير دمر فيها الأخضر واليابس).هـ. وهذا الذي نريده أن يكون بين المعلم وتلميذه: أخوة حانية صادقة مبنية على البذل والعطاء والاحترام والحب

والعطف والحنان! أخوه على منهج الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم -! ونعود للأستاذ
إدريس الذي تخيلته يحكي لنا القصة شعراً ، فكتبتُ على البحر الوافر هذه القصيدة اللامية!

بذلتُ العلمَ أرضي ذا الجلالِ
ولم أبخل بنصحي ذات يوم
وعشتُ لهم مثلاً في السجايا
وأديتُ الأمانة ، لم أخنها
ورسختُ المبادئ في زمان
وأرسيتُ الفضائل ، أنتقيها
وأعطيتُ الكثيرَ أريدُ جيلاً
فكم ناولتُ من علم وفكر
وكم أسديتُ معروفِي رضياً
إلى أن قيل: نأخذهم بغيرِ دأ
ولكن بالنقود لـكل آتٍ
ومن لم يستطع فالبيتُ أولى
وعنّ لنا صبيّ قال: أرجو
فليس أبي الفقيرُ بمسـتطيع
فقلتُ له: أنا أعطيك خمساً
لأنني كنتُ مثلك ذات يوم
ألوكُ الفقيرَ يدمغ كل عيشي
كمثل أبيك عاش أبي مُعيلاً
وجرّعتنا التحمّلُ كأس ذل

بإخلاص يفوق ذرى احتمالي!
وراقبتُ المهيمَنَ في العيال
وبعضهم اقتفى أثر المثال
فضاءتُ كل أعوامي الخوالي
ثوتُ فيه المبادئ والمعالي
وأصّلتُ الأصول ، ولم أبال!
قويّ البأس معتز الخلال
أخافُ سؤال ربي ذي الجلال!
لكي يصلوا إلى أوج الكمال!
لنستعدهم ببارقة ارتحال
بلا جبر ، ولا أدنى انفعال!
به من أن يناور في الجدال
مشاركتي ، ولكن دون مال!
وليس بجعيتي ظل الريال!
أنفذ فكرة خطرت بيالي
وأيامي مضت ، وكذا الليالي!
وكم عانيتُ كالرق الموالي!
وأعجز جماله أقوى الرجال
ولم نعمد لمبدأ الاتكال

ولم نذعن لمقصلة المُحال!
على عيش يَرُوجُ بالاحتِمال
وأحسنُ في مقالِك والفِعال!
أخصّك بالتلطف والهدال
تُسدّده إليّ على التوالى!
فما جدوى التلكؤ والمطال؟!
وهذي فيك من أندى الخصال
عباراتٍ تسامت في المقال
من التعلّيم مَرّت كالزوال!
وفارق قومَه ، وقلا (العوالي)
فلم يجنح إليّ أي احتيال
وذكرني التبخاريح الغوالي
وكنيتُ خشيتُ جداً أن يُغالي
وآلافٍ تفوقُ مدى الخيال!
وقرضي بباء بالريح الحلال!
فسوف يُصيبُ غايات الوصال
يُخلقُ في سماوات الجمال!

وواجهنا الحياة بكل بأس
ركبنا الصعب نحتال احتيالاً
بنيّ اقبل ريبالاتي وعطفي
ولا تخجل أناساً كأبيك حقاً
وهذي الخمسُ دَيْنٌ يا صغيري
إذا استطعت الأداء فلا تُسوّف
عرفتُك تُرجع الحق احتساباً
وكانت فرحة للطفل فاقوت
وأنتهى عندنا سنواتٍ غمر
وواصل حتى بات له غلو
وأغناه المليك عن البرايا
تذكرني وعواد بعد لأي
وعاد يرد لي دينا قديماً
فإذ بالخمس تضرب في مناتٍ
وتربيتي فما ذهبته هباءً
ومن يهب الأنام يريد وصلاً
وجود المرء يجعل منه نجماً

واصنعي ما بدا لك!

(كان ذلك الزوج يعيش مع أمه وزوجته وأبنائه وبناته في بيتٍ واحدٍ واسع ، ولكن زوجته ضيقته بسوء معاملتها لأم زوجها! حيث إنه بتقدّم سن والدته وجد أن زوجته تمنع الأولاد من دخولهم على جدّتهم ، وتحول بينها وبينهم في غياب أبيهم! فلما علم بذلك الابن المحب لوالدته المعظم لشأنها ، أجلس أمه على كرسي ، وأمر كل ابن وابنة بأن يدخل على جدته ويسلم عليها ويقبل رأسها ويدها ورجلها ، ثم يخرج! فغضبتُ زوجته من فعلته! فقال: اصنعي ما بدا لك ولسوف نصنع ذلك مرّتين: في الصباح وفي المساء!)

إننا نطيع الواحد القهّـارا	ونريدُ جنّته ، ونخشى النارا
وجنانُ ربي تحت رجليّ أمّتي	وبذاك أوصى ربُّنا المختارا
ولذا سنفعلُ ما يريد رسولنا	لنكون عند مليكنا أبرارا
كم قدّمتُ أمي الخيور وفيرة	لانسـتطيع لوفرها إنكارا!
كم ناضلتُ في العيش لم تن همة!	كم آثرتُ أبناءها إيثارا!
كم كابدتُ شظف الحياة ، ولم تزل	بإباء نفس ليس قط يُبارى!
كم صابرتُ وتصبرتُ في عيشها	ومن الشدائد لاكت الصبارا!
كم رسّختُ قيماً تبلغنا العُلا	وتجنب المرء الشقا والعارا!
كم علمتُ أخلاق نحن أساتها	وتتبعنّ في درسها الآثارا!
كم ناصحتُ من يستشير ، وأخلصتُ	للسائلين ، وأعدتُ إعدارا!
كم عاملتُ جيرانها بتلطفٍ	واللطف يأسر - إذ يسود - الجارا!
كم قامتُ الليل احتساباً وحدها	ودموعُها تسـتغفر الغفارا!
كم أنفقتُ سِراً وجهراً تتقي	شخاً مطاعاً يجلب الأوضارا!
كم أكرمتُ ضيفاً فشاد بجودها	ودعا المليك الواحد القهّـارا!
كم أحسنتُ للناس تخطبُ ودهم	حتّى تراهم سادة أخيارا!
كم أخلصتُ للكـل دون تحيّز	والكل أودع عندها الأسرارا!
كم أودع القوم الأمانة عندها	واستبشـروا بصـيـانها استبشـارا!

والشـرُّ يُـدفع إن رأى إنكـاراً!
ورعتْ حقوقاً أهـدِرتْ وذمـاراً
لمّا غـدت خيراً صُويّ وجواراً
ونعيش في الدنيا لها أنصاراً
إن جـمـدُه يسـتـجلبُ الأوزاراً
ونقرّ ما جـادت به إقراراً
حسب وودٍ يصـحـبان وقـاراً
حتى نـزخـرف بالجمال الداراً
ولسوف نعشق ذاك التكراراً
ونظـل عنـد سـريرها حُضاراً
إننا مللنا في السـجال جـواراً
لنعيش في هـذي الحـياة أخياراً
وأراك تُعجبك السـنون قـصاراً!
والله قـدر عنـده الأعمـاراً
نغدو جميعاً بعـدها أخبـاراً
مثل العـجائز كـن قبـل عـذارى!
أوما سـقـيتِ الكـل قبـل مـراراً؟!
كـيلا نعيش إلى الممات حيارى
فيها عـفـافُ النـفس لـيس يُيارى
من شـيب أـمـي أدركي الإنذاراً!

كم أنكرتُ فيمن تعاشرُ منكراً
ودعيتُ إلى المعروف دون تهيب
وتفردت بالصالحات على المدى
سـنـجـلها دوماً ، ونرعى حقها
وسنشكرُ المعروف ما بخلتُ به
ولسوف نذكر من عظيم خصالها
سنقبلُ الكفـيين والرجلين في
ونسوق تقبيل الجبين تقرباً
والرأسُ يشهد قبلتين ومسحة
في الصبح والإساءة ندأبُ في الوفا
فلتصنعي ما تشتهي من نيعة
إن شئتِ فلتسـترحميها مثـلنا
يا زوجتي هـذي الحـياة قـصيرة
أعمارنا يطوي التعاقب عدّها
ولقد يدور الدهر دورته التي
وتبيثُ مثلكِ جـدة بين النساء
وتجرعين الكأس مرّ طعمها
تـوبـي لعل الله يُصلح شأننا
تـوبـي لعلك تُحسـنين لـكـنـة
إنني وعظمتك ، والمهيمن غايتي

إبراهيم مصطفى في ذمة الله!

(في تمام الساعة الرابعة من صباح يوم الثلاثاء الموافق 17 - 7 - 2018م ، وبينما كنت أستعد لصلاة الفجر جاءني ابني يوسف وقال: احتسب خالي إبراهيم مصطفى رزق عند الله ، وسامحه وادع له بالرحمة! فظننته يمزح أو يلقي بالكلام على عواهنه! وناشدته الله هل ما تقول صحيح يا بني؟ فأقسم أن نعم! فأخذتني سورة الحزن ودخلت في قشعريرة الذهول للخبر المباغت في هذا الوقت. وقلت في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله الأخ والصديق والصهر إبراهيم مصطفى رحمة واسعة ، وتجاوز عن سيئاته ، وأشهد الله وملائكته ومن قرأ القصيدة بعدي أنني سامحته في كل ما بدر منه تجاهي! والحقيقة أنني ما اعتبرته يوماً صهراً فحسب ، بل كان نعم الأخ والصديق! ومناقبه لا تعد ولا تحصى كثرة ، ولا أزكي على الله أحداً! وإذا مات فندعو له بالرحمة والمغفرة ولأهله ولأبنائه بالخير وأن يخلفه الله فيهم! ولقد عاش معي في غربتي قرابة الربع قرن هنا بالإمارات! ألفتها أماً عزيزاً فاضلاً ، وكان من الراسخين في معرفتي بصدق! ولما كان حزني عليه أكبر من الشعر وأوزانه وبحوره وقوافيه ، حاولت بعد جهد جهيد أن أكتب في رحيله شيئاً فما استطعت أن أتماسك وأكتب في أول الأمر! حيث كان لزاماً عليّ أن أتصبر وأخبر أخته أم عبد الله بذلك الخبر الأليم! واستطعت أن أحقق شيئاً من ذلك بفضل الله ورحمته ومعونته! وصليت فجرني ورحمت أتعبت من الدنيا التي يصبح الإنسان فيها خبراً في أقل من لمح البصر! وعجبت أكثر من عباد الدنيا الذين يعزهم طول الأمل فيسفكون الدماء ويظلمون الناس ويأكلون حقوق الآخرين ، وينهبون أقوات وأرزاق الناس بغير حق ، ويسعون في الأرض الفساد ، ويهتكون الأعراض ، ويحاربون أولياء الله في الأرض لقولهم ربنا الله! ويوالون أعداء الله علانية! إنها لقصيرة تلك الحياة! وأنا جميعاً راحلون ولو بعد حين! فليعد كل إنسان نفسه للموت والقيامة!! فرحم الله صاحب الجليل إبراهيم مصطفى ، ولا حرمان أجره ولا فتننا بعده! واليوم يموت إبراهيم أيضاً في حادث سيارة فظيع بشع ، وكان الأقدار الربانية تريد أن تقول له: إن حادث 11-25-1994م مع أخيك شوقي عبد الحميد وأحمد سليمان لم يكن مستهدفاً منه إلا الأخير بذهاب إحدى حبيبتيه عينه! وأن آجال الجميع (شوقي وإبراهيم وأحمد سليمان) لا تزال فيها بقية! أما حادث اليوم فالمستهدف فيه إبراهيم فقط ، وأسأل الله أن يعجل بشفاء ابنه وابني مصطفى إبراهيم مصطفى رزق! اللهم اشفه شفاءً لا يغادر سقماً ، واجعل ما حدث له ولأبيه كفارة من الذنوب والخطايا! وأذكر أنني اختلفت مع إبراهيم حتى ليكنني القول بأنني وإياه لم نتفق على شيء! وكم تجاذبنا أطراف الحديث حول عدة قضايا منها ما يتصل بالدين ومنها ما يتصل بالدنيا ، ولم يعد يوماً للنيل مني بغير حق! ولم يذكر كلمة نابية ولا جافية قط! وكم كان حريصاً على مصلحتي ومصلحة أخته ، فيتدخل للإصلاح فإرضاء شخصيته بالمناسبة وبغير المناسبة ، وكان يشفع له في كل مرة سمو الغاية ونبل القصد وصفاء النية! ولم يكن معنا فقط يفعل ذلك ، بل امتد إلى الآخرين من حولنا ، فما إن يسمع بخلاف أو خصام بين زوج وزوجه تربطه بهما علاقة إلا ويبادر للإصلاح! وأذكر له حرصه على الصلاة في مواعيدها وصيامه للنافلة عند القدرة عليها. وأذكر له دفاعه عني عندما استطال عليّ من هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، وأذكر له زيارته المشفوعة بقول الله تعالى عند الدخول: (وإن قيل لكم ارجعوا) فأقول له: ارجعوا! فيعقب: وهل

جئت لأرجع ويقسم أن لا رجوع! يا الله ما كان أطفه وأخفه! فكان بذلك أخصاً عزيزاً وصديقاً طيباً. وأذكر يوم الحادث الذي أودى بعيني وكان معي في ذات السيارة ، والدم ينهمر من شريان المخ على ثيابه وأنا أحوقل وأحوقل وهو يقول: لا بأس عليك ، سيشفيك الله ولن تضار فاصبر واحتسب! وأذكر له صموده معي في المواقف الصعبة عندما تنكرت لي الدنيا فما هي بالتي أعرف وتنكر لي الكل فما هم بالذين أعرف ، وضائق عليّ الأرض بما رحبت وضائق عليّ نفسي! ومن هنا يُعرف الرجال الحقيقيون لا بالمال ولا بالشهادات والدرجات العلمية ، بل بالمواقف الصعبة! وكم كنت أتمنى أن لا أعيش هذا الموقف ولا أن أستمع لمثل هذا الخبر ولا أن أفجع في أخ غال وصديق عزيز كابراهيم هكذا! وعزائي أن تكون لقيانا هناك في الجنة عند الله في مقعد صدق عند ملكٍ مقدر ، أسأل الله من فضله العظيم! والحمد لله أن وجد إبراهيم صديقاً له يرثيه ويبيكه وينعيه في قصيدة معلقة كهذي فقد تجاوزت السبعين بيتاً من البحر البسيط وعلى القافية الميمية! وهذا واجبي حياله لا منة مني ولا تكراً عليه! إن حزن وبكاء الشعراء يجب أن يكون شعراً! ومن هنا يأخذ حزنهم وبكاؤهم صفة الخلود! وأما بكاء غيرهم فسويغات وأيام وليال ويجف كأن شيئاً لم يكن! وها أنذا قد وفيت! وأسأل الله أن تكون هذه القصيدة على طولها شافعاً لي تقصيري في حق إبراهيم ، وكفارة لما وقعت في عرضه واغتبطه عامداً أو غير عامد! وإنني لأبتهل بإخلاص إلى الله تعالى لنفسي وللمسلمين ولهذا الصاحب فأقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ ، وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاعْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالبَرْدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطِيَا كَمَا نَقَّيْتَ النَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وباعد بينه وبين خطياه كما باعدت بين المشرق والمغرب ، وَأَبْدَلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلأ خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، ودمأ خيراً من دمه ، وَأَدْخُلْهُ الجنةَ ، وَأَعِذْهُ مِنَ عَذَابِ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ). (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيَاتِنَا وَمَيِّتِنَا ، وَشَاهِدِنَا وَعَابِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرْنَا وَأُنْثَانَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَخِيهِ عَلَى الإِسْلَامِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ). (اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ إبراهيم مصطفى احتج إلى رَحْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ ، إِنْ كَانَ مُحْسِناً - وظني به كذلك - فزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً - وظني به غير ذلك - فَتَجَاوَزْ عَنْهُ). اللهم عامله بما أنت أهله ، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة ، ولا تعامله بما هو أهله ، هو أهل الخطايا والذنوب! اللهم اجزه عن الإحسان قبولاً وإحساناً ، وعن الإساءة عفواً وصفحاً وغفراناً. اللهم إن كان عندك محسناً فزد من حسناته ، وإن كان عندك مسيئاً فتجاوز عن تقصيره وسينئاته. اللهم آتسه في قبره ، وفي وحدته ، وفي وحشته ، وفي غربته. اللهم إته في ذمتك وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر ، وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، فاغفر له وارحمه ، إِنَّكَ أَنْتَ الغفور الرحيم. اللهم إته عبدك وابن عبدك ، خرج من الدنيا ، وسعتها ، ومحبوبها ، وأحبابه فيها ، إلى ظلمة القبر ، وما هو لاقيه. اللهم إته كان يشهد أنك لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به. اللهم إن وقته كان قد اتسع لقراءة القرآن ومدرسة سنة الحبيب العدنان فشفع فيه القرآن يا رب العالمين! اللهم واجعل من أبنائي وأبنائه من يدعو لي عند موتي بهذا الدعاء! اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم إلى يوم الدين. وأجعل قصيدي مرثية عزاء للكرام المؤمنين من أهل تفتيش كفر سعد في رحيل ابن بار من أبنائهم هو إبراهيم مصطفى رزق. كما وأعزي آل رزق في فقيدهم وأقول للجميع: (إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بمقدار ولأجل مسمى ، فلتصبروا ولتحتسبوا). وليكن

موت النبي - صلى الله عليه وسلم - مُهَوَّنًا عَلَيْنَا جَمِيعًا هَذَا الْمَصَابِ الْجَلَلِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمَصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مَصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ). وَهَذَا مِمَّا يَهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصِيبَتَنَا فِي إِبْرَاهِيمَ! يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}. ذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: كَانَ خَلِيلَانِ مُؤْمِنَانِ وَخَلِيلَانِ كَافِرَانِ ، فَمَاتَ أَحَدُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: يَا رَبِّ ، إِنْ فَلَانًا كَانَ يَأْمُرُنِي بِطَاعَتِكَ ، وَطَاعَةَ رَسُولِكَ ، وَكَانَ يَأْمُرُنِي بِالْخَيْرِ وَيُنْهَانِي عَنِ الشَّرِّ. وَيَخْبِرُنِي أَنِّي مَلَاقِيكَ ، يَا رَبِّ فَلَا تَضِلَّهُ بَعْدِي ، وَاهْدِهِ كَمَا هَدَيْتَنِي ، وَأَكْرِمِهِ كَمَا أَكْرَمْتَنِي. فَإِذَا مَاتَ خَلِيلُهُ الْمُؤْمِنُ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (لِيُثْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى صَاحِبِهِ) ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ كَانَ يَأْمُرُنِي بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةَ رَسُولِكَ ، وَيَأْمُرُنِي بِالْخَيْرِ وَيُنْهَانِي عَنِ الشَّرِّ ، وَيَخْبِرُنِي أَنِّي مَلَاقِيكَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (نَعَمْ الْخَلِيلُ وَنَعَمْ الصَّاحِبُ كَانَ)! قَالَ: وَيَمُوتُ أَحَدُ الْكَافِرِينَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ، إِنْ فَلَانًا كَانَ يَنْهَانِي عَنِ طَاعَتِكَ وَطَاعَةَ رَسُولِكَ ، وَيَأْمُرُنِي بِالشَّرِّ وَيُنْهَانِي عَنِ الْخَيْرِ ، وَيَخْبِرُنِي أَنِّي غَيْرُ مَلَاقِيكَ ، فَاسْأَلُكَ يَا رَبِّ أَلَا تَهْدِيهِ بَعْدِي ، وَأَنْ تَضِلَّهُ كَمَا أَضَلَلْتَنِي ، وَأَنْ تَهِينَهُ كَمَا أَهْنَيْتَنِي ؛ فَإِذَا مَاتَ خَلِيلُهُ الْكَافِرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمَا: (لِيُثْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى صَاحِبِهِ) ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ كَانَ يَأْمُرُنِي بِمَعْصِيَتِكَ وَمَعْصِيَةَ رَسُولِكَ وَيَأْمُرُنِي بِالشَّرِّ وَيُنْهَانِي عَنِ الْخَيْرِ وَيَخْبِرُنِي أَنِّي غَيْرُ مَلَاقِيكَ ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تَضَاعَفَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (بَنَسِ الصَّاحِبِ وَالْأَخِ وَالْخَلِيلِ كُنْتُ). فَيَلْعَنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ. وَالْآيَةُ عَامَةٌ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ وَمُضِلٍّ. وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ أَحَادِيثٌ عَدِيدَةٌ تَحْتَ الْمُسْلِمِينَ لِاخْتِيَارِ الصَّحْبَةِ الصَّالِحَةِ وَمِنْهَا: أَنَّ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى رَوَى عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ ، لَا يَعْذَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِذَا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ يُحْرِقُ بِذَنْكَ أَوْ تُؤَبِّكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا حَبِيبَةً». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». (قَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَأَبُو دَاوُدَ). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ جُلْسَانِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ ذَكَرْتُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتَهُ ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ ، وَذَكَرْتُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلَهُ». (رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى). وَتَحْتَ عَنَوَانٍ: (الْعَاقِبَةُ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ) يَقُولُ الْأَسْتَاذُ الْفَاضِلُ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْبِيلِيُّ مَا نَصَهُ: (وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ كُبَارٌ لِمَنْ أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَكَأَسَ تَدَارَ فَيَمُنْ أَقَامَ أَوْ سَارَ وَبَابٌ تَسْوُفٌ إِلَيْهِ يَدُ الْأَقْدَارِ وَيَزْعَجُ فِيهِ حَكْمُ الْإِضْطِرَارِ وَيَخْرُجُ بِكَ إِذَا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا إِلَى النَّارِ. خَبِرَ - عِلْمُ اللَّهِ - يَصْمُ الْأَسْمَاعِ وَيَغْيِرُ الطَّبَاعَ وَيَكْثُرُ مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَوْجَاعِ. وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْتِ إِلَّا الْإِعْدَامُ وَانْحِلَالُ الْأَجْسَامِ وَنَسْيَانُكَ أَحْلَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ لَكَانَ وَاللَّهُ لِأَهْلِ اللَّذَاتِ مَكْدَرًا ، وَلِأَصْحَابِ النَّعِيمِ مَغْيِرًا ، وَلِأَرْبَابِ الْعُقُولِ عَنِ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ زَاجِرًا وَمَنْفِرًا! كَمَا قَالَ مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ: إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ نَغَصَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ! فَكَيْفَ وَوَرَاءَهُ يَوْمٌ يَعْدَمُ فِيهِ الْجَوَابُ ، وَتَدْهَشُ فِيهِ الْأَلْبَابُ ، وَتَفْنَى فِي شَرْحِ الْأَقْلَامِ وَالْكِتَابِ ، وَيَتْرَكَ النَّظَرَ فِيهِ وَالْإِهْتِمَامَ بِهِ الْأَوْلِيَاءُ وَالْأَحْبَابُ. وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ عَلَى ضَرْبٍ: فَمِنْهُمْ الْمَنْهَمُكَ فِي لَذَاتِهِ ، الْمَثَابِرُ عَلَى شَهْوَاتِهِ ، الْمَضِيعُ فِيهَا مَا لَا يَرْجِعُ مِنْ أَوْقَاتِهِ ، لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ لَهُ عَلَى بَالٍ ، وَلَا يَحْدُثُ نَفْسَهُ أَبَدًا بِزَوَالٍ ، قَدْ أَطْرَحَ أَخْرَاهُ ، وَكَابَ عَلَى دُنْيَاهُ ، وَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، فَأَصَمَهُ ذَلِكَ وَأَعْمَاهُ ، وَأَهْلَكَهُ وَأَرْدَاهُ. فَإِنَّ ذَكَرَ لَهُ الْمَوْتَ نَفَرَ وَشَرِدَ ، وَإِنْ وَعَظَ أَنْفَ وَبَعَدَ ،

وقام في أمره الأول وقعد ، قد حاد عن سواء نهجه ، ونكب عن طريق فلجه ، وأقبل على بطنه وفرجه ، تبت يده ، وخاب مسعاه ، وكأنه لم يسمع قول الله: (كل نفس ذائقة الموت). ثم ربما أخطر الموت بخاطره ، وجعله من بعض خواطره ، فلا يهيج منه إلا غماً ، ولا يثير من قلبه إلا حزناً ، مخافة أن يقطعه عما يؤمل ، أو يفطمه عن لذة في المستقبل ، وربما فر بفكره منه ، ودفع ذلك الخاطر عنه ، ويا ويحه كأنه لم يسمع قول الله عز و جل: (قل إن الموت الذي تفرون منه فاته ملايكم). هـ. والحقيقة أن العين لتدمع ، والقلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا سبحانه وتعالى: (إنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون!)

بَدَلْ حَدِيثَكَ ، واخْتَرْ أَصْدَقَ الْكَلِمِ
 واغضض من الصوت ما يُجْلِي دِلَالَتَهُ
 وَجَدَّ فِي الْأَمْرِ ، لا تَهْزُلْ فَتَصْدَمْنِي
 كَنِيثُ (يوسف) بالصديق أَقْصَدُهَا!
 فَإِنْ كَذَبْتَ فَلَيْتَ الْأَذْنَ مَا سَمِعَتْ!
 مَاذَا وِرَاعِكَ؟ أَخْبِرْنِي عَلَى عَجَلٍ
 فَقَالَ: خَالِي قَضَى فِي حَادِثٍ بِشَعٍ
 وَاصْفَحْ ، وَسَامِحْ ، فَمَا جَدْوَى مُوَاخِذَةٍ
 فَقُلْتُ: خَالِكَ فِي هَذِي الْحَيَاةِ أَخٌ
 وَعَاشَ بِالْخَلْقِ الرَّفِيعِ مَدْرَسَةَ
 لَمْ تَنْسِهِ فَتَنُ الدُّنْيَا عِلَاقَتَنَا
 وَعَبَّرَ عَقْدِينَ أَلْفَيْتُ النَّسِيبَ أَخَا
 كَمْ اخْتَلَفْنَا ، وَكَانَ الْخَلْفُ مَوْعِدَنَا
 وَلَا رَمَانِي بِسَبَبٍ أَوْ مَخَاصِمَةٍ!
 كَمْ اشْتَكِينَا جَفَاءً فِي مَعَامَلَةٍ
 فَمَا جَفَانِي ، وَإِنْ فَارَقْتَهُ زَمْنًا
 أَوْ مُرْسِيَّ يَقْصُ الْأَمْرَ ، ثُمَّ قَمِ
 فَلَيْسَ بِالسَّمْعِ مِنْ ضَعْفٍ وَلَا صَمَمٍ
 بِزَائِفِ الْقَوْلِ يَكْوِي الْقَلْبَ بِالْأَلَمِ
 فَمَنْ يَعِشْ صَادِقًا بِالْخَيْرِ يَعْتَصِمِ
 وَلَيْتَ مَنْ يَفْتَرِي يُصَابُ بِالْبِكْمِ!
 بِالْفِظَةِ لَا تُصِيبُ النَّفْسَ بِالْغَمِّ!
 فَجُنْدٌ عَلَيْهِ بَبَاقَاتٌ مِنَ الرُّحْمِ
 إِنْ كَانَ أَمْرُ الْمَنَائِمِ بِالْغِظِّ الْعِظْمِ!
 أَعْطَى الْخَوْلَةَ أَبْعَادًا مِنَ الْقِيمِ
 رَعَى الْإِخَاءَ بِهَا فِي كُلِّ مَصْطَدِمِ
 فَكَانَ فَوْقَ حِظْوِظِ النَّفْسِ وَالنَّهْمِ
 ذَا وَازِعٍ فِي التَّسَامِيِّ غَيْرِ مَنْبَهْمِ
 فَمَا هَجَانِي بِالْفِظِّ غَيْرِ مُحْتَرَمِ!
 وَلَا تَطْأُ أَوَّلَ بِالتَّعْيِيرِ كَالْأَكْمِ
 تَوْشَحَتْ بِإِزَارِ الْبُؤْسِ وَالْوَصَمِ
 حَتَّى يَبِيَّتَ الْجَفَانُ نَارًا عَلَى عِلْمِ!

وقدم الشهم آيات من الخدم!
فكان في غربتي الشجوى أخصام!
من أول الذكر في بدءٍ ومختتم!
بكل جيدٍ ، بلا كل ولا سام!
حتى طغى الخلف في مخلوك الظلم!
وإن تكن بلغت سيلاً من العرم
رهط من الطفل ، أو جمع من الغنم!
أبئس بخصم بئس الحظ من فحم!
ما أعظم الدائن المخصوص بالكرم!
ولا يصور وصف الفذ بالقلم
كلا ، فلما يكن خلي بمجترم!
ولا لمقتلة ، ولا لسفك دم
والأجر مُدخر لواصل الرحم!
بعزة ما بها شئ من النهم
في غربة حقلت بخائني الذمم
وكان خير أخ مستبصر فهم
موشية بالسناء في نورها التمم
وما تردت لتزجي سيئ النقم
وفي ثناياه آلاف من الحكم
دمعاً يُصيب جفون العين بالسقم

كم اشترينا معاً ، والسوق شاهدة
كم اغتربنا ، فأرض الله واسعة
وكم أقمنا الليالي في تنسكنا
وكم قرأنا تفاسيراً وأدعية
كم اختلفنا وزوجي في معيشتنا
فجاء يمسخ - بالتقوى - مدامعنا
كم استطال علي العير أغلبهم
فصدّهم - بالتحدي - دونما وجل
كم استدنت فأعطاني ، وأمهلني!
كان المثال بحالينا وغربتنا
ولم يخن عهدنا ، ولا أخل به
وإن أنل منه لم يعمد لمنقصة
وكان واصل الأرحام محتسباً
وكان مقتصداً في العيش ينشده
إني التمسث بإبراهيم غائبتي
فكان - في غربتي - الأصحاب أجمعهم
أبتته اليوم بالأشعار أنظمها
لو خيرت هذه السيارة اعتدلت
لكنه قدر الرحمن ليس سوى
والعين - من ألم المساة - باكية

وهذه الوجد في الإصباح والغسم
من طيب القول والأذكار والكليم
وكل عبد سيقلو ضجعة الرجم!
ومن يذم حزنه يكسر ويتهم
وللفراق وجوم غير منكم
مغلباً جانب الوداد والعشم
تجف يوماً ، وإن فرت من الخمم
واهأ لدمع مدى الأيام منسجم!
في كل بيت تعابير من اليثم
يكوي الفؤاد بما يحوي من السدم
لكن نصيبي الذي ألقاه عن رغم
لكن قهرت على النصيب والقسم
فخرأ يغازل نظم الشعر والنعيم
كأنها طائف من عاظر الخمم!
تصرمت ، وشذاها غير منصرم
إذ لا يقوم بها جيل من الأمم!
كأنما صبغت بالورس والعنم
دماؤه في سويعات الشقا الذمم
صدرأ تجلد في الآلام والإزم
بشراك بشراك هذي أطيّب السيم!

والقلب من شجن فاض الخشوع به
ولا نقول سوى ما الله يقبله
إننا رجوع إلى الدين خالقتنا
والله يشهد أن الحزن جنودنا
إننا لمانال (إبراهيم) في شجن
سامحتك اليوم في حقي ورفقتنا
دموع قومك يلبها الزمان غداً
ودمع شعري - في القرطاس - منهمر
والكل يقرأ ما في الشعر من درر
يا آل (رزق) عزائي - في الفقيد - جوى
يا ليتني كنت في البلوى معزيكم!
يا ليتني كنت في قومي مشيعه!
إنني بصحبة (إبراهيم) مفتخر
في عشرة شرفت ، ما كان أقصرها!
في ربع قرن تمضى مثل أمسية
إن كنت أنسى فلا أنسى موافقه
ولست أنسى دمي على ملابسه
ولم أغب يوماً عن وعي من سفكت
إذ ضم رأسي ، وواساها ، ووسدها
وقال: أبشر بسيمما الخير يارجلأ!

به ، وتتهى عن الأوزار واللمم
وفي طواياك عزمٌ غيرٌ منهدم
وفقاً لَمَّا سَنَ في مناجاه اللقم
في حادثٍ لَفَّ بالأشجان والقَحَم
لموعِدٍ بقضاء الله مُنحسَم
كعقد غائبةٍ في الجيد مُنتظم
في شر حال من البلاء منفحم!
أتاكِ كهلاً ليبقى الدهر في رَجَم!
ما الفرقُ بين عطا كهل ومحتلم؟!
كثيرٍ رحبتُ بالمصطفى الهشيم
إليك في رفقة الأهلين والحشَم
وأسعديه ببذل الخير والنعَم
ويَسْطُرُ الشعرُ ما يُملي عليه فمي
والروحُ إذ حُبستُ في مأزقٍ وخم؟
ومَن سيرحُم مثل الراحم الحكَم؟!!

أتيت تأمر بالمعروف مؤتمراً
وجئت تبني الذي ألفت منهدماً
ظني سيشـفـيك ربّ أنت تعبـذه
أنا أصـبـتُ ، و(إبراهيم) بعدُ نجا
لأن في العمر أعواماً لنا بقيتُ
أعوامُه انتظمتُ في مرّها قدماً
واليومَ يرحلُ (إبراهيم) تاركنا
يا (كفر سعد) ألا رفقاُ بصاحبنا
على الرحيل حملتِ الشهمَ مُحتملاً
(عجمان) أكرمتِ الغريبَ ، فاعتبري
فرحّبي بالخليـل اليـوم فارقنا
وناوليـه من الحنـان أعبـه
إنـي أعـزي الألى في موتـه حزنوا
فمن يُعـزي فـوادي في بليتـه
ليمنح الله (إبراهيم) رحمتـه

الدواوين الشعرية النافقة

(أعني بها الدواوين الشعرية التي نصيب الشعر منها التقطيع والأوزان فقط! فليست تحمل قضايا ولا مضامين ، ولا تدافع عن حق سليب ، ولا تنافح عن حقائق مغلوطة ، ولا تدعو إلى خير ولا تأمر بمعروف ، ولا تنهى عن منكر. بل ولدت في سوق الشعر لتموت على أعتابه! وكأني بها ولدت نافقة لا روح فيها! إذ لا نصيب للواقع من أي بيت شعري واحد فيها فضلاً عن القصيدة! فهي لا تمثل الواقع المعاش. فهل أصحابها خائفون مرتجفون؟ أم أنهم لا يحبون أن يعيشوا للواقع؟ أم آثروا السلامة في ظل المناخ الطاغوتي الآسن الذي نعيش ويعيشون؟! أم أنهم يعيشون في الأبراج العاجية بعيداً عن واقعنا نحن؟! ومن هنا خرجت دواوين أشعارهم إلى الحياة نافقة!)

الميّت يكتب ميّت الأشعار	والحي يكتب حيهما ، ويباري
لا شيء يُدعى الدسّ في قاموسه	بل يكتب الأشعار دون توارى
ودواته فيها مِدادٌ صادقٌ	ويراعة مُلئتْ بذبي الأبحار
والشعرُ حيٌّ لا سبيل لموته	وعليه هالاتٌ من الأتوار
ويعيشُ بعد رحيل شاعره الذي	تخذ الهدى والصدق خيرَ شعار
أما الذي بالشعر نافق قومه	ومضى يزور تارة ، ويجاري
فقصيده بالموت عانقه الفنا	فغدا به أثراً من الآثار
نفق القصيدُ فوق جفْرِ في الفلا	ورثته قطعانٌ من الأجرار!
لما يُعالج واقعاً متسربلاً	بالبؤس ، كم فيه من الأوزار!
لما يُخفف من معاناة الورى	إذ كان في دين المليك يُماري
لما يصف مأساة قوم زلزلوا	وتجرّعوا بالظلم كأسَ مَرار!
لما يدافع عن قضية قومه	فيما يقول لهم من الأشعار
لما يجاهد منكرًا في داره	فهناك أثمانٌ لئذا الإنكار
لم يدع أقواماً إلى دين الهدى	إذ كان منطلقاً مع التيار
بل كان يرقص مستسيغاً طبابة!	ويهيم إن ضرب الغشا بالطار
ويشوقه الإيقاع يُشجى حفلة	ويهيم إن أصغى إلى الزمار

من قبل سبي السمع والأبصار!
يبكي بدمع لاعج مغزار
تُشجي مسامع أغلب السّمار!
تُهدي إلى القراء أخبث عار
وتمدّ من يتلو بالاس تهتار!
وتبوخ فيه بكاذب الأخبار
لجاف ل الغيازين والفجار
كثره ل الرهبان والأحبار!
للعيش كي نحياب به ، ونداري!
ثقة ، وفي عمه ، وفي إصرار!
ويل لكل من مُخذل ختار!
وعلو فاحشة بلا إنذار!
فهل التدني فيه أي فخار؟!
هل مثل هذا الشعر يرضي الباري؟!
فعدت كـ بعض مغالطات الزار!
والشعر يدعو للخنا والآر!
والشعر ينشد في أهيل البار!
بالشعر يجعلنا كما الأبقار!
هو والذي أملاه بعث النار!
وحديده - يا قوم - بالعطار؟!

ومشاهد الرقصات تسبي لبه
ونراه دوماً إن قضت فنانة
ولقد يؤتتها بعذب قصيدة
وقصائد الديوان هزل كلها
فقصيدة تُطري الطواغي جهرة
وقصيدة أمسّت تُروج باطلاً
وقصيدة تدعو لتركيع السورى
وقصيدة تُدلي بتميع الهدى
وقصيدة تصف الخنوع وسيلة
وقصيدة تسمرئ الطغيان في
وقصيدة فيها التزلّف طابع!
وقصيدة فيها انتحار فضيلة
وقصيدة فيها التدني عادة
وقصيدة فيها الترخص مذهباً!
وقصيدة نفقت معالم نظمها
شتان بين الشعر يدعو للهدي
شتان بين قريضنا في مسجد
لا يستوي شعر سما بعقولنا
تعباً لشعر ليس يرفع قيمة
وهل استوى الحداد ينفخ كيرَه

أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويّاً

(بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواني الشعراء الإسلاميين الذين أرخ لي ولهم ولشعري ولشعرهم ولدواويني ودواوينهم ، وقدمني وقدمهم للناس أجمعين ، الأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدع ، وذلك في معجمه الموسوم بـ (معجم الشعراء الإسلاميين المعاصرين) ، أنشد من شعري هذه التحية الشعرية لشاعرنا ونحويّنا ومؤرخنا الجدع ، داعياً الله العليّ القدير أن يدخر له ذلك المجهود الجبار في ميزان حسناته يوم يلقى الله. وكنا نجد في مكتبتنا العربية معاجم كثيرة للشعراء الإسلاميين وغير الإسلاميين! واعتدنا على مطالعة تراجم الشعراء هؤلاء وأولئك ، ولكن (معاصرون) لم تكن تكتب على الغلاف ، خاصة للإسلاميين منهم! حتى كان معجم الجدع ذلك السفر الجليل الذي أكمل الثغرة! ولما ذكرني من بينهم في معجمه في مجلده الأول ص 125 ، كان لزاماً عليّ أن أرد هذه التحية التاريخية بأخرى شعرية ، وبرغم أنها تجاوزت التسعين بيتاً من الكامل ، ولكنني لازلتُ أشعر أنني مدينٌ بالفضل والامتنان للأستاذ الشاعر المؤرخ أحمد الجدع! وانطلاقاً من قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا)! (فليشملني إذن قول الله تعالى: (أو ردوها) ، وإن كنتُ أطمع في قوله سبحانه: (بأحسن منها)! وفي حوار أجراه "محمد صالح حمزة" مع الأديب الفلسطيني أحمد الجدع ، عن موقع (رابطة أدباء الشام) على الإنترنت: الأستاذ أحمد الجدع الذي قدّم للمكتبة العربية ألواناً من العطاء شملت الأدب والفكر والتراجم واللغة. وأبرزها الجهد الذي تميّز بطيف واسع من المعرفة ، ويمثّل كنزاً ذهبياً من المعلومات العامة ، والذي لا غنى لأيّ مكتبة عنه وهو "قاموسك الثقافي". لقد عرف أحباب وإخوان أستاذنا الجدع دأبه الشديد على التأليف: فمعظم أوقاته موقوف إما على التأليف وإما على تشييد وإغناء مكتبته العامرة التي تنشر ضياعها العلمي بصورة لافتة وهي "دار الضياع للنشر والتوزيع". ولعلّ استقامته في عمله وخلفه ، وتواضعه الذي ينفذ إلى القلوب كانت من أبرز عُذته في النجاح الذي يسجله باستمرار ودأب. طفنا معه في رحلة نجاحاته. واغترفنا من بحرها الزاخر. فكانت هذه الحصيلة المباركة. * هل لكم أن تقدّموا للقراء بطاقتكم الشخصية ، دراستكم الشهادة التي نلتموها؟ أنا أحمد عبد اللطيف الجدع ، ولدتُ في مدينة جنين ، إحدى مدن شمال فلسطين عام 1941م ، وفي مدارسها درستُ حتى نلتُ شهادة الدراسة الثانوية الأردنية (المترك) وذلك عام 1958م ، وفي كلية النجاح الوطنية بنابلس درستُ الثانوية العامة على النظام المصري (التوجيهية) عام 1959م ، وفي عام 1970م حصلتُ على الشهادة الجامعية الأولى الليسانس في اللغة العربية ، في جامعة بيروت العربية ، وفي عام 1977م حصلتُ على دبلوم عام في التربية وعلم النفس من جامعة قطر ، وفي عام 1982م حصلتُ على دبلوم خاص في التربية وعلم النفس من جامعة قطر أيضاً. * لو أعطيتنا نبذة عن مجالات العمل السابقة وعملكم الحالي! عملتُ في مجال التدريس في مدارس جنين لمدة سنتين ، وفي مدارس مدينة الطائف بالسعودية لمدة ثلاث سنوات ، وفي مدارس قطر لمدة ثلاثين عاماً. وأعمل مديراً لدار الضياع للنشر والتوزيع في عمان. * ما أبرز إنتاجاتكم الأدبية والفكرية؟ ألفتُ العديد من الكتب في مجال الأدب العربي الإسلامي ، كما ألفتُ عدداً من الكتب في مجال الدعوة الإسلامية ، وأخرى في مجال التراجم. ففي مجال الأدب العربي الإسلامي ألفتُ الكتب التالية: 1 - شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث في عشرة أجزاء بالاشتراك مع الأخ الأديب حسني جرّار. 2 - أناشيد الدعوة الإسلامية في أربعة أجزاء بالاشتراك مع الأخ حسني جرّار. 3 - أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر، من المقرر أن يصدر في أربعة

أجزاء ، صدر الجزء الأول منه ، ويضمّ خمساً وعشرين قصيدة. 4- دواوين الشعر الإسلامي المعاصر - دراسة وتوثيق. 5- المطارحات الشعرية: قوانينها ومعجمها الشعري. 6- شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية. 7- شعراء العرب المعاصرون ، صدر منه أحد عشر جزءاً. 8- فلسطين في فكر سيد قطب وأدبه. وفي مجال الإسلاميات: 1- ألقاب الصحابة: مصادرها وقصصها وأهدافها. 2- فدائيون من عصر الرسول. 3- والله يعصمك من الناس. 4- صحابيات ومواقف. 5- نساء حول الرسول - صلى الله عليه وسلم - 6- صراعنا مع اليهود: من أين وإلى أين. وفي مجال التراجم: 1- أبو سفيان بن حرب: من الجاهلية إلى الإسلام. 2- أحمد ديدات: حياته ، نشاطه ، مناظراته. وفي مجال المعرفة العامة: صدر كتابي: قاموسك الثقافي: الكنز الذهبي في المعلومات العامة ، صدر منه حتى الآن خمسة عشر جزءاً. كما اشتركت في تأليف كتب قواعد اللغة العربية لدولة قطر. أما عن الكتب المخطوطة والتي في طريقها إلى الطباعة إن شاء الله فهي: 1- النحو القريب في قواعد اللغة العربية- مرحلة التأسيس. 2- معلقات الشعر النسائية ، وهي عشر قصائد لعشر شواعر من شواعر العرب في العصر الجاهلي هي في نظري أجمل القصائد النسائية ، لذا شبهتها بالمعلقات ، وقد شرحتها شرحاً وافياً. 3- ألقاب الصحابيات ، ويضم أكثر من خمسين لقباً لصحابيات الرسول صلى الله عليه وسلم - مع مناسباتها ولمحات عن حياة أصحابها. 4- الخروج من جحر الضب ، ديوان شعر. ونشرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف والمجلات أهمها المجتمع الكويتية والأمان اللبنانية في عهدنا القديم ، وعندما انصرفت إلى تأليف الكتب تركت الكتابة في الصحف. 4 - الإنتاج الذي تعزّون به أكثر من غيره. ولماذا؟ إنتاج المؤلف جزء منه ، عزيز عليه ، فالمؤلف لا يُقدّم إنتاجه للقارئ إلا إذا كان هذا الإنتاج في رأيه جيداً وذا فائدة. وعلى الرغم من تفاوت حظ مؤلفاتي في الانتشار - والقبول لدى القراء ، إلا أن هناك كتاباً - هو أقلها انتشاراً - له في نفسي تقدير خاص ، ذلك لأنه - في نظري - وحيد في بابيه ، وله قيمة علمية كبيرة ذلك هو: دواوين الشعر الإسلامي المعاصر: دراسة وتوثيق ، فقد وثقت فيه مائة ديوان وديوان من دواوين الشعر الإسلامي المعاصر في عام 1984م ، في الوقت الذي لم يكن أحد يتحدث عن الشعر الإسلامي ودواوينه ، فكان لهذا الكتاب وقعه الحسن لدى الدوائر الأكاديمية والعلمية فقط! أما لدى الأفراد فكان انتشاره محدوداً. 5- الآمال التي عزمتم على تحقيقها ، ماذا تحقّق منها ، وما الذي لم يتحقّق بعد؟ الآمال والطموحات كثيرة وكبيرة. وهي دائماً أكثر وأكبر من الأعمار. كثير من مؤلفاتي كانت آمالاً وأصبحت حقيقة. وكثير من المشاريع في مجال التأليف لا زالت آمالاً ، وأسعى لتحقيقها ، وأسأل الله أن يُحقّقها على يديّ. وأهم هذه الآمال التي أتمنى أن أحققها قبل حلول الأجل إن شاء الله: معجم المعارك الإسلامية ، وهو عمل جليل وكبير ومتشعب يحتاج إلى جهد ووقت ومال. أسأل الله أن يُيسرّها ويُعين عليها. 6 - الساحة تعجّ بأدعياء الأدب ورافعي راية الحداثة ، كيف تنظرون إلى هذا الواقع ، وماذا تقولون لهؤلاء؟ أدعياء الأدب كثر ليس في عصرنا هذا ، بل في كلّ عصر ، فليس عصرنا بدعاً من العصور في هذا المجال ، فكبار الشعراء والأدباء في العصور الأدبية العربية كلّها شكوا من هذه الظاهرة. ولأنّ الزبد -دائماً- يذهب ويتلاشى ولا يبقى إلا ما ينفع ويفيد ، فإنّ كل أدعياء الأدب ذهبوا وتلاشوا ، ولم يبق إلا هؤلاء الذين قدّموا النافع والمفيد ، وعصرنا هذا لا يختلف عن سائر العصور. أما عن الحداثة بالمعنى الذي أفهمه ، وهو تفاعل الأديب مع عصره ، فهو مطلوب ، ونحرص عليه ، وندعو له ولا يكون الأديب أديباً في نظري إلا إذا كان حدثياً بهذا المفهوم. أما الحداثة بمعنى تنحية القيم الإسلامية وإحلال القيم المستوردة محلّها ، فهذا لا يقبل به عاقل ، فإذا وجدنا عاقلاً يقبل به ويدعو إليه ، فلا نشكّ عندئذٍ أنه مدخول الفكر ، ماجور لغير أمته. وإلا فماذا نكون

إذا حملنا فكر غيرنا وتغنيينا بأمجاد أعدائنا ، وأنشدنا أشعار قاتلينا؟ الواقع الأدبي في عالمنا العربي في
تغير مستمر إلى الأفضل ، والأدب الإسلامي يتقدم بثبات وثقة رغم كل ما يعترضه من عقبات ،
وأدعياء الأدب والحدائث في تراجع مستمر رغم ما يلاقونه من تأييد على أوسع مدى ، فالأدب
الإسلامي أدب الواقع والحدائث وأدب السمو والرفيع وأدب التراث المجيد ، والواقع الأليم ، والمستقبل
المشرق ، إن شاء الله. وأنا أشد على أيدي أولئك الذي يجاهدون بالكلمة النظيفة الهادفة ، وأقول
لأولئك الذين انساقوا وراء التيار المعادي لأمتهم: رويدكم وراجعوا أنفسكم ، انضموا إلى صفوف
شعوبكم وانصروا عقيدتكم. هذا هو الخلود الأبدي. أما التلميع المصطنع والدعايات الزائفة فهي إلى
زوال. وقریباً تنكشف الأغطية وتزول الأصباغ. 7 - أعداء الإسلام يتهمون الإسلاميين باحتكار الحقيقة
، وبالتالي نفي الآخر. كيف تردون على هذه الفرية ، وما هو حكم الإسلام تجاه الرأي الآخر؟ بالرغم
من اعتقادنا بأن الإسلام هو الحقيقة الكبرى ، إلا أن الإسلام هو العقيدة الوحيدة التي أبت أن تحتكر
التفكير ، فأعلنت في محكم التنزيل: (لا إكراه في الدين) ، وليس هناك من دليل أقوى وأظهر من وجود
أتباع للديانات المختلفة في بلاد المسلمين على مر العصور ، بل إن الفرق المختلفة لها وجود في كل
بلد إسلامي ، وكان بإمكان الدول الإسلامية في أوج عظمتها أن تتخلص من هؤلاء وهؤلاء دون
اعتراض من أحد ، ولكنها لم تفعل لأن احتكار التفكير ليس من طبيعة الإسلام. والإسلاميون
المعاصرون وهم حملة الفكر الإسلامي الأصيل لا يخرجون في تفكيرهم وتعاملهم مع الآخرين عن هذا
الإطار ، وأسمح لنفسي أن أذهب بعيداً فأقول بأن من مصلحة أبناء الديانات الأخرى أن يحكم
الإسلاميون ، ذلك لأنهم الوحيدون الذين سوف يتيحون لهم حرية التدين الأصيل ، ولست مبالغاً إذا
قلت بأن انحراف أتباع الديانات عن دياناتهم لم يستفحل إلا عندما حكمت الدول الغربية بلاد المسلمين.
وعندما حكم أتباع الأفكار التي سادت عالمنا الإسلامي في هذا القرن احتكروا هم الحقيقة. بل احتكروا
كل شيء ، وقد ساموا الإسلاميين من سوء العذاب ما لا ينكره أحد ، وقد علّقوا على أعواد المشائخ
خيرة المفكرين المسلمين. وهذا لا يحتاج مني إلى برهان. وعندما يرفع الآخرون عقيرتهم ويتهمون
الإسلاميين باحتكار الحقيقة ، فإنهم يسقطون ذلك على غيرهم إسقاطاً نفسياً ، فيخشون أن يعاملهم
الإسلاميون إذا ما استلموا زمام الأمور كما عاملوهم. وأنا أطمئن هؤلاء فأقول لهم: إن ذلك لن يحدث ،
وفي التاريخ شواهد ، فما ساد المسلمون في وقت من الأوقات ، أو في مكان من الأماكن ، إلا ونشروا
فيه حرية الفكر وعدالة الحكم والمساواة بين الشعوب. 8 - الأمة العربية والإسلامية تمرّ بمرحلة غاية
في الذقة والخطورة. كيف تنظرون إلى ذلك؟ وما هو الداء في رأيكم؟ وما هو الدواء؟ بدأت الانتكاسة
الكبرى في حياة الأمة الإسلامية المعاصرة بسقوط الدولة العثمانية وتشرذم الأمة إلى دويلات لا حول
لها ولا طول ، وكان من نتيجة هذا السقوط تمكّن الدول الاستعمارية من شعوب المسلمين. ومما
ساعدهم على هذا التمكن الجهل المطبق بالإسلام وأحكامه وأهدافه لدى عامة المسلمين وخاصتهم.
وعندما ظهر المصلحون الذين ينادون بالعودة إلى الجذور والتمسك بالإسلام لاقوا من شعوبهم قبل
حكّامهم عداءً وحرماً ، وذلك بسبب ما أشرنا إليه من جهل بهذا الدين. ومما زاد هذا السقوط استشرافاً
انجراف شعوبنا خلف الدعوات القادمة من الغرب ظناً منهم أنها المنقذ من الضلال. وبسبب من الجهود
الهائلة التي بذلها الدعاة إلى الله ، وبسبب من النكبات التي أنزلها أصحاب الدعوات المستوردة بالبلاد
والعباد ، ولقد بدأ الناس يفتقون من نومهم ، ويأرزون إلى دينهم ، ونحن على يقين بأن المد الإسلامي
في تزايد ونمو. ولا بدّ للمد أن يبلغ مداه. 9 - ماذا يجول في خاطر وتودون أن تقولوه للفقراء؟ أقول
للذين عرفوا الطريق وساروا فيه: استمروا ، فسوف تصلون إلى المبتغى! وإن لم تصلوا اليوم فسوف

تصلون غداً. وإن لم تصلوا أنتم فسوف يصل أبناؤكم أو أحفادكم. النصر آتٍ وقريب ، ودولة الإسلام الكبرى ليست ما مضى وإنما هي ما سوف يأتي ، وقد بشرت بذلك آيات الكتاب الكريم وأحاديث رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم -. ويُبشّر بذلك واقع الأعداء اليوم. فهو واقع مظلم شديد الظلام ، ويُبشّر بذلك طلائع الرّحف الإسلامي القادم كالسّيل المنهمر. وإن غداً لناظره قريب. وأقول لأولئك الذين تأخروا عن الانضمام للركب السائر في طريق الحقيقة: انزعوا عن أنفسكم ثياب التّردّد ، وانضمّوا إلى الرّكب. ركب النّجاح والفلاح. وأقول لأولئك الذي يُعلنون عداؤهم ويسرونه: لن ينفعكم كيدكم شيئاً مهما عظم ، ولن يفيدكم عداؤكم شيئاً مهما طال ، فمدّنا يرحف ، والعميان لا تراه).هـ. وأما في موقع (أدباء الشام) فكانت هذه الباقية المستقاة من الموقع: (الأديب والشاعر والمؤرخ والنحوي أحمد عبد اللطيف الجعد: متزوج منذ عام 1972م وله من البنين ثلاثة: حسان ومحمد وأنس ، ومن البنات اثنتان: أمامة ودانة. له عشرات المقالات في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية العربية. ومن أبرز إنتاجاته الأدبية والفكرية: (تاريخ القبائل العربية وأنسابها - تاريخ باهلة وغني وأنسابها - تاريخ تميم وأنسابها - تاريخ ثقيف وأنسابها - تاريخ حنيفة وأنسابها - تاريخ خزاعة وأنسابها - تاريخ ذبيان وأنسابها - تاريخ عبد القيس وأنسابها - تاريخ عيس وأنسابها - تاريخ غطفان وأنسابها - تاريخ قريش وأنسابها - تاريخ مازن وسليم وأنسابها - تاريخ هذيل وأنسابها - تاريخ هوازن وأنسابها - نسب أسد بن خزيمة - نسب الأنصار: الأوس والخزرج - نسب الأنصار: أنساب الأنصاريات - نسب قريش: أنساب القرشيات - نسب قريش: قبائل قريش العشر التي توارثت الشرف بمكة - نسب قريش: قريش البطاح وقريش الظواهر وما تفرق من قريش في القبائل - نسب كنانة). وفي مجال الأدب العربي الإسلامي: (أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر - أشهر القصائد العربية المعاصرة: قصائد لها تاريخ - نوادر القصائد العربية - دراسات في الشعر الإسلامي المعاصر - الأمالي في الشعر العربي المعاصر - الأمالي في الشعر العربي الجاهلي - معلقات الشعر في عصر النبوة - اعتذاريات الشعراء للرسول صلى الله عليه وسلم - المعلقات النسائية: أشهر قصائد النساء في الشعر العربي - دواوين الشعر الإسلامي المعاصر: دراسة وتوثيق - المطارحات الشعرية: قوانينها ومعجمها الشعري - شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث (في طبعته القديمة) - شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث - شعراء بلاد الشام - أناشيد الدعوة الإسلامية - فلسطين في فكر سيد قطب وأدبه - معجم دواوين الشعر العربي المعاصر). وأما دواوين الشعر: (الخروج من جحر الضب - العودة من حيث المبتدأ). وفي مجال النحو العربي: (قواعد النحو العربي مرحلة التأسيس - قواعد النحو العربي المرحلة الأولى - قواعد النحو العربي المرحلة الثانية). وفي مجال الإسلاميات: (أولاد الرسول وأحفاده وأرباؤه - معاني أسماء الصحابة - صحابييات ومواقف - مصارع الصحابة - ألقاب الصحابييات - نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم - صراعنا مع اليهود: من أين وإلى أين - فدائيون من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم - والله يعصمك من الناس: وهو عرض تاريخي أدبي لمحاولات اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم - ألقاب الصحابة: مصادرها وقصصها وأهدافها - مجموعة خطب مفتي جنين الشيخ توفيق محمود جرار في الجامع الكبير جامع السيدة فاطمة خاتون - معاني أسماء الصحابييات). وفي مجال التراجم: (معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين - شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية - أحمد ديدات: حياته ، نشاطه ، مناظراته - شعراء العرب المعاصرون: إبراهيم العريض شاعر من البحرين - شعراء العرب المعاصرون: أحمد مشاري العدوان شاعر من الكويت - شعراء العرب المعاصرون: بدر شاكر السياب شاعر من العراق - شعراء العرب المعاصرون: حسن

عبد الله القرشي شاعر من الحجاز - شعراء العرب المعاصرون: سعيد عبد الهادي تيم من شعراء الوطنية في فلسطين - شعراء العرب المعاصرون: صقر بن سلطان القاسمي شاعر من الإمارات - شعراء العرب المعاصرون: عبد الرحمن بن قاسم المعاودة شاعر من قطر - شعراء العرب المعاصرون: عبد الله بن علي الخليفي شاعر من عُمان - شعراء العرب المعاصرون: علي أحمد باكثير شاعر من حضرموت - شعراء العرب المعاصرون: محمد محمود الزبييري (أبو الأحرار) شاعر من اليمن - شعراء العرب المعاصرون: يوسف العظم شاعر الأقصى - أبو سفيان بن حرب من الجاهلية إلى الإسلام - أدباء وعلماء عرفتهم). وفي مجال القصص: (الكنز الذي قتل صاحبه). وفي مجال المعرفة العامة: (قاموسك الثقافي الكنز الذهبي في المعلومات العامة). ووالله إن الدافع من وراء هذه القصيدة الحولية المعلقة هو الأخوة في الله! وإلا فلا أحساب بيننا ولا أنساب! وتحت عنوان: (الأخوة في الله) يقول الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله ما نصه: (لقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أهل مكة من المهاجرين ، وبين أهل المدينة من الأنصار ، في مهرجانٍ حُبٍ لم تعرف البشرية له مثيلاً ، تصافحت فيه القلوب قبل الأيدي ، وامتزجت فيه الأرواح ، حتى جسّد هذا الإخاء مشاهدَ متعددة ، ومنها هذا المشهدُ الرائعُ المشرق ، الذي جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم علينا عبد الرحمان بنُ عوف رضي الله عنه ، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، وكان كثير المال ، فقال سعد بن الربيع: قد علمت الأنصارُ أنني من أكثرها مالاً ، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين! ولي امرأتان فانظر أعجبهُما إليك فأطلقها حتى إذا انتهت عدتها تزوجتها ، فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك ، ولكن دلني على السوق ، فذله عليه ، فذهب فلم يرجع يومئذ حتى باع واشترى وأفضل شيئاً من سمنٍ وأقطٍ ، فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى جاء الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه وضرٌّ من صفرة ، أي ثوب عليه أثرُ الطعام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَهَيْمٌ: أي: ما الخبر يا ابن عوف؟ قال تزوجت امرأة من الأنصار ، قال ما سقتَ فيها؟ قال وزنُ نواةٍ من ذهب ، أو نواةٍ من ذهب ، فقال: أولم ولو بشاةٍ ، أي اصنع وليمة. ولقد نتحسر الآن على زمن سعد بن الربيع ونقول: أين سعد بن الربيع الذي شاطر أخاه ماله وزوجه؟ والجواب: ضاع وذهب يومَ أن ذهب عبد الرحمن بن عوف ، فإذا كان السؤال: من الذي يُعطي عطاءً سعد: فإن الجواب هو أن نقول: وأين الآن من يتعفف بعفة عبد الرحمن بن عرف؟ لقد ذهب رجل إلى أحد السلف الصالح فقال له: أين الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ، فقال له: ذهبوا مع من لا يسألون الناس إلحافاً ، هذا مشهد من مشاهد الإخاء الحقيقي ، وهذا لا ينافي أن الخير باق في الأمة. تلکم هي الأخوة الصادقة ، وتلكم هي حقيقتها ، فإن الأخوة في الله لا تُبنى إلا على أوامر العقيدة الصحيحة ، وأوامر الإيمان النقي المثمر ، وأوامر الحب في الله ، تلکم الأوامر التي لا تنفك عراها أبداً ، تلکم الأوامر التي تثمر الحب والوئام بين أفراد الأمة الإسلامية كلها ، بحيث يكون كل فرد فعالاً ومعيناً ومحباً لأهله وإخوانه ووطنه ، ممتثلاً في ذلك قول رسول الله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، وقول الله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة). إن الأخوة في الله نعمة من الله وفضل ، وفيض من الله يُغدقها على المؤمنين الصادقين! الأخوة شراب ظهور يسقيه الله للمؤمنين الأصفياء والأذكياء والأتقياء ، لذا فإن الأخوة في الله قرينة الإيمان ، لا تنفك عنه ولا ينفك عنها ، فإن وجدت الأخوة من غير الإيمان فاعلم يقينا أنها لقاء مصالح وتبادل منافع ، وإن رأيت إيماناً بدون أخوة صادقة فاعلم يقيناً أنه ناقص ، يحتاج صاحبه إلى دواءٍ وعلاجٍ لمرض فيه ، لذا جمع الله بين الإيمان والأخوة في آية جامعة ، فقال سبحانه: (إنما المؤمنون إخوة ، إن الأخوة في الله نعمة امتن الله بها على المسلمين الأوائل ، فقال سبحانه وتعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) ، وقال سبحانه وتعالى:

(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله آلف بينهم ، إنه عزيز حكيم) ، قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، والذي صلح به أولها هو: الإيمان والاتحاد والأخوة) ، فإلى الأخوة الإسلامية من جديد حتى نتحد ، حتى نتعاون ، حتى ننتصر ، حتى نسعد في الدارين ، ويرضى عنا ربنا سبحانه وتعالى).هـ.
وأما عن الكتب والدراسات التي كتبت عنه: (أحمد الجدد وجهوده في خدمة الشعر الإسلامي المعاصر: حسين صديق حكيم - المتقاف في النقد الأدبي: وفيه تحليل وتعليل وتذليل وتأصيل لقصيدته "الدخول في جحر الضب": الدكتور عودة الله منيع القيسي. أقيم له حفل تكريم في مقر رابطة الأدب الإسلامي العالمية - فرع الأردن بتاريخ 2002/4/16م. وكانت مصادرها في الحصول على هذه المعلومات: رابطة أدباء الشام. شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث - شعراء بلاد الشام - المجلد الثالث. معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين - المجلد الأول. خاص مؤسسة القدس للثقافة والتراث. رحم الله شاعرنا ومؤرخنا ونحوينا وناقدا الأستاذ أحمد الجدد!)

متوشّحاً بالحب والإكرام	لـك يا مؤرّخ سُقّت عذّب سلامي
منقوشة بقريضيّ البسّام	وتحيية مشفوعة بأخوتي
تسمو برفقتنا لخير مقام	أهديك أشواقى وعاطر فرحتي
ومعرفاً بالسادة الأعلام	يا رافعاً ذكّر القريض وشأنه
فبه يُبدد خلّة الإظلام	في معجم يُهدي لقارئه السننا
وبشعرهم في عالم الأحلام	وبه يُرى الشعراء لم يُسمع بهم
عمّا يُداول من هُرا وسُخام	وبه يُطالع بعض أبياتٍ سمّت
أسقطت شعراً طيّب الأنسام	لما هزّزت بجذع دوحه شِعْرنا
أرأيت جوعاً يغتذي بكلام	فجنى الجميع رطيب شعر طيب
أوج التقى والخير والإسلام	ونقدت ما طالبت يدك مؤملاً
والنصح يصقل همّة الإقدام	ونصحت ، لم تكّ وانياً أو باخلاً
ولزمت بذل الوعظ خير لزام	ووعظت حتى قيل أبلغ واعظٍ
كـيلا تكـون ضحية اللـوأم	وأبنت أخطاء الكتابة منذراً
مترفعاً عن وهدة الأقرام	وأراك بـيين مؤرخينـا جهبذاً

أكرم بذى الأسفار والأقلام!
مسترشداً بمعونة العالم
والفضل - بعد الله - للمقدام
والعلم يُتحف طاقة العزم
والبعض خص كتابكم بسهام
ببراعة في الكف مثل حسام
وثذيق نار البغي شرفام
بارك إله الكون في النظام
وأضفت للأبواب والأقسام
عجباً لروعة دقة الإتمام!
كتب الأعارب فيه والأعجام
ولكم يطيب الفكرُ باسـتـلـهـام
نحو الأعارب دون أي لجام!
مسـتـعـطـر النفحات والأفغام
في جونة حوت العبير السامي!
ويجيره من شدة الأسقام
وسبرت غور تلاعب الحكام!
وكشفت ما ساقوا من الإجمام
وأراه للأحرار خير دعـام
وأراه عن أهل الرشاد يُحامي

سفر بسفر حيرته يراعاة
لم تأل جهداً ، ثم لم تن همة
ومناولاً علماً يُبصّرُ جاهلاً
أدليت دلوك في التراجم عازماً
حتى غدت بما بذلت مؤرخاً
فطفقت أوسعه الطعان مريرة
تصلي الذين تطاولوا في خسة
يا أيها (الجدع) المنظم نحوه
جددت نحو العزب وفق تطوّر
وأراك أتممت الفصول جميعها
مستعصماً بالله مطلعاً على
مسـتـلـهـمـاً أفكارهم ودروسهم
وأخذت راحلة القواعد في ربا
وأفدتنا بالنحو فوآخ الشذى
يا أيها (الجدع) المعتق شعره
يُشجي ويظرب كل من يصغي له
جاهدت بالشعر الذين تألهاوا
لم تخش نقتهم وصوله جندهم
يفنى الزمان ، وليس يفنى شعركم
وأراه درب الثائرين ونهجهم

يؤوي المشردَ في منيع خيام
عن دينه كطليعة (القسمام)!
في ساح حرب فجأة وعقام
يشكو مرار القهر والإيلام
فيما يؤمل من هدىً وونام
أمسى يسبب عبادة الأصنام
لمن اكتفى بالبعد والإحجام
في الدرب ضاق بألجاة وظلام
أضحى يعاني لوعة المنضام
تذليل شعر بالبالغ الإعظام
يرنو إلى إرهاصة الإلهام
لما غدوا أضحوكة الأنام
لما انتهجنا منهج النهام
فيمن تقلد مسكة الحاخام
حتى يرى في غاية الأحكام
وأزلت عنه عوارض الإبهام
والصدق يوقد جذوة الأفهام
في نظمه من رائع الإسهام
وأضفت يا كم من كُنَى وأسامي!
أشعاره عانت عتي زكام!

وأراه ظلاً في هجير فلاتنا
وأراه حرباً من يُفح مخلصاً
وأراه سيف مجاهدٍ مستبسل
وأراه تسليمة الكسير فواده
وأراه أغنية السعيد بفوزه
وأراه مطمح كل خورٍ ثائر
وأراه نبراساً يذر تفتاؤلاً
وأراه قنيدلاً يضئ حنادساً
وأراه تسرية تعزي ثاويماً
وأراه مدرسة لمبتدئ رجاء
وأراه أسلوباً يخاطب حادياً
وأراه تفسيراً لحالة قومنا
وأراه تشخيصاً لما قد نالنا
وأراه تششيفية بكل ششاماتٍ
وأراك ما قصرت في تحقيقه
وأراك قد ذلت كل عويصةٍ
وأراك قد صرحت ، لم تك غامضاً
وأعود للتاريخ أذكر ما لكم
شاركت في التنظير حيث أجدته
وجعلتني من بينهم ، وأنا الذي

والبعض ينعتها بالاسم تدمام
بل قوبلت بالصد والإفحام
فصدفت عن تمريرة الإقدام
جعلته لم يعمد لأي صدام
ما الذي بين جوارح ورهام؟!
بمدائح صيغت لخير عظام
وأقول: يا إطرا عليك سلامي!
وأزيد شكر الواحد العلام
فبضاعتي في الشعر دون مقامي
لكن شعري ليس بالهدام
فوضعت أهدافي وبعض مرامي
همم الرجال بإمرة الظلام
والنشر زاحم راحتي وطعامي!
رغم اتباعي نهجه بنظام
والدئين جاوز عالي الأرقام
أو واحد في الناس من أرحامي
متسربلاً باليوس والأوهام
وترهل الأمال والأضام
ووعدت أن أعطي نهاية عامي!
فصدعت للتجار باسمي

لم تحظ بالنشر المناسب لحظة
لم تعط فرصتها ليقرأها الوري
والنشر والتوزيع لم يتحمسا
فطغت على شعر البطولة غزلة
وأنا طمحت إلى السلامة موقلاً
حتى أتى السفر العظيم فخصني
فهرعت للإطراء أسبق الخطا
وفخرت بالأمداح أختصر المدى
وعلمت أني دونما (الجدع) ادعى
وقصائد المزجاة أدرك نقصها
شرف المحاولة الزهيدة غرني
وكتبت لم أخش العوائق تجتني
ونشرت رغم الضيق يدحض قدرتي
ودهاني التوزيع يقتل عزمي
وبقيت رغم الكسب أحياء غارماً
وكان شعري بين أولادي فتى
وإذا بخلت فسوف يبقى جائماً
يبكي ، ويخنقني النحيب لأجله
والربح كان لمن يوزع حياة
ومضت عقود ، والوعود تأجلت

لا حق لي في النقض والإبرام
في شكل حـب مقرفٍ وغرام
بتغنج وتـدل وهـيام
وقريضه الهمجي بيـع سوام
مسـتغنياً بالجرس والأنغام
ليضيع عبر مجاهل الأعجام
وتناقضته (وسائل الإعلام)!
وأنا هنا أجتـر سوء رغام
في ديننا بدليلها المتسامي
بين الوري في الدار بالأزلام!
مترفع عن لمعة الدرهم
يرجو النكاية من هدى الإسلام
شـتان بين الشـيح والدمـدام!
ولئن جرعت سُـلـافة الجرسام!
مهما اسـتطلت تمدد الأعوام

وشكوت لـكن أصدروا أحكامهم
غيري من الشعراء ينشـرُ باطلاً
والبعض يطرح من خفايا عشقه
والبعض - متجرأ - يبيع شعوره
والبعض يسطع الهوى مستشعراً
والبعض راهن أن يغرب شـعرنا
وأقول: قد لقي القبول عزيفهم
وجنوا بما كتبوا مكاسب جمة
شـتان بين الشعر يرفع قيمة
والشعر يخفض عزنا مستقسماً
والله ما استويا قريض مؤمن
وقريض عبـد صاغه بضلاله
والله ما استويا ، ولن يتساويا
سأعيش ملتزماً بهدي عقيدتي
وأموت كي تبقى الشريعة في الذرى

لا لوم على متشاعر

(اعتاد ذلك المتشاعر أن يرتزق بالشعر: فينشد القصائد تلو القصائد حتى يأكل ويشرب. فعظم غير الله وسبّح بحمده. فلما نفق ذلك الغير ظل ينشد ، يبتغي نوال أبناء ذلك الغير. ألا خابت العمالة والعملاء! ولا شئ في نظري يجني على الشاعر وشعره مثل أن ينشد أشعاراً بينها وبين الصدق مسافات بعيدة جداً! إن الفرق بين الشعر الصادق والشعر غير الصادق كما بين السماء والأرض! رزقنا الله كاتباً وقراء الصدق في القول والفعل والعمل ، والشعر من قول الشاعر وفعله وعمله!)

رأيتُ العمالة تُردي الإبا
وتحرقُ نارُ النفاق الصبا
ويطعنُ سهمُ الرياء الحيا
ويتركُ روضَ الوفا مُجدا
إذا شاعرٌ باع أخلاقه
فنجمُ القريض يكون خبا
وإما تشاعر مسـترزق
سـيغدو النفاق له مـذها
وإن هو حاول ترصيعه
سـيجزيه برق الريا خـلبا
وليس يُلام على غشه
وليس التـشاعرُ مُستـعبا
يُلام الذي بالهرا مُعجب
وما كان للفـذ أن يُعجبا
وكم من قصائد تُزجي العمى!
تُغشّي يواقيتنا الغيـبا
سـيبقى لنا الشـعرُ ديواننا
ويحيا لنا غيـثنا الصـيـبا
برغم النفاق وأهل الريا
فشـعر النفاق سـيمسـي هـبا
وسوف يـبوءُ بإفلاسه
مـن استنوقَ الشـعرَ كي يكسـبا
سـتردى العمالاتُ مهمـا زهت
ويوماً على الشـعر لن تُحسـبا
ومهما دواوينها روجت
فلن تأخذ السـبق أو تغلبا
ومهما علا صوتُ من صاغها
وحضّ وزخرف مـن رغبا
سـيطرحها الناسُ أرضاً ، ولا
يرى مـن يُشـجّعها مـهربا

تحية من سويداء الفؤاد

(إن ديوان "الحق المبين" للشاعر / خير الدين وانلي يستحق هذه التحية الشعرية! وقد جنثُ بها متأخرة لأنني آثرت أن أطالع الديوان كاملاً! فلما تم لي ذلك رأيتُني ألهج بالمطلع ، ثم تواليت هذه الأبيات في تقرّظ الديوان وصاحبه!)

الشعرُ يرقصُ في أبياته طرباً
أمسى يُغرّد كالأطيّار صادحة
يُعطّر الحق بالذكري ليظهره!
يواجه الناس بالإسلام في جدٍ
قصائدٌ تُفجّم الخصومَ جاد بها
يراعه من شذى قرآنه ملئتُ
الخيرُ والدينُ صنوانٌ لمِلتنا
ديوانه سَطعتْ شمسُ حِكمته
سيقرأ الناس ما صاغت أنامله
حييتُ فيه أديباً مُخلصاً ورعاً
أبو البيان وسيفُ الضاد والِدُنا
(حقٌّ مبينٌ) بدا من مشربيته
تراه (حقاً مبيناً) ساق حُجته
لم يتركِ الناسَ في فوضى وفي عمه
فبين الحق ، يرجو نصر فرقته
لكنّ تحمّل في صبر وفي جدٍ
وينثرُ الدُرَ - فوق الأرض - والذهباً
ويغمر الأفقُ من تغريده أرباً
وفي إبانته يستعذب النصباً
ويهتك الغبشَ المضروب والحُجباً
مُنافحٌ من سنا إسلامه اختضباً
تبارك الله من أعطى ومن وهباً
وفي مديحهما أديبنا كتبنا
ونجمُ شأنه بالمؤبقات خبنا
ويشكرون له الأخلاق والأدبنا
وَدَّ المفَاخر والأمجاد قد خطبنا
ولا أزغني على ربي المليك أبنا
أمسى يمد لمن يرجو الهدى سببنا
لكل من في هدى الإسلام قد رغبنا
بل قام محتسباً فرداً بما وجبنا
وعندما امثحن المقدام ما هربنا
شأن الذي شعره وجهدَه احتسبنا

صليبية جديدة (معارضة للشاعر سالم النوبي) (مرثية على لسان سراييفو)

(دافعنا عن فن المعارضة من قبل ونحن نقدم في هذا الديوان لقصيدتنا التي نعارض فيها حافظ إبراهيم ولا داعي للتكرار. واليوم نعارض الشاعر القدير / سالم محمد سالم النوبي. وما هذا إلا لأنه عندما قرأ معارضته لحافظ علي في بيته بعجمان في الإمارات وعدته أنني سأعارضه. فكانت هذه المعارضة الشعرية: مرثية جنازية على لسان سراييفو والتي أعزفها على ألحان الانتصار للحنيفية السمحة من مجازر الصليبية الجديدة لأهل التوحيد ، أهديتها بكل الحب لأستاذنا الشاعر الكبير / سالم محمد سالم النوبي وذلك لأعارض بها قصيدته: صليبية جديدة ، والتي مطلعها:

أشعلوها عداوة ومَراراً أيقظوهما بليلة وسُعاراً

وإنه شرف المحاولة الذي يحدوني دائماً عندما أعارض الشعراء. وإن ذكرياتنا هنا في (عجمان) لا يمكن أن تنسى ما حبيت وما كتبت وأنشدت من الشعر. فكم تجاذبنا أطراف الحديث حول الشعر والشعراء ، إلى أن أسمعني من شعره مرثية سراييفو ، فوجدتني أنشد من شعري هذه القصيدة التي تحمل في طياتها لواعج الحزن والأسى ، على سراييفو تلك المدينة المنكوبة الحزينة.)

أمطرونا بالعائدات مَراراً وتمادوا في كيفكم يا سُكارياً
وامكروا أهل الصليب ، وجردوا واجعلوا الظلم جنة وشعاراً
وانفخوا في الجمر السعير طويلاً واستبدوا كي تملاؤه سُعاراً
واغمروا الأرض بالمدمع تُردى من عليها عمداً ، ودُكوا الدياراً
ثم رووا الشر البغيض ملياً واجعلوا من (حفظ السلام) سِياراً
واهتكوا الأعراض الشريفة ظلماً فبناتي - بعد التشفى - عذارى
واقتلوا الأطفال البريئة جهراً وانتقام الجبار يأتي جهاراً
واجعلوا الليل بالقنابل يضوي وانتصار القهار يأتي نهاراً
واحرقوا العمران الذي قرانا وازرعوا في شتى الربوع البواراً
لن تُبِيدوا الإسلام في فلذاتي فعلو الإسلام أمسى مناراً
وشموخ الإيمان فوق تلالبي جعل الغرب حانلاً يتمارى

ورحاكم في الظلم ليس تجارى
كم شربتم من الدماء بحارا!
ونثرتم - فوق الأنعام - الضرارا
إنه في التدمير ليس يُبارى
إيه يا بلقان الشعوب الحيارى
واصمدي للمستكبرين النصارى
وسيضطروا للمنايا اضطرارا
لن يلاقوا عن الجمام خيارا
أسمعتم بالأرض تطفح نارا؟
ففي مفازات الأرض ثم يُوارى؟
ولواها أمسى يعانى انهيارا؟
ما استطاعت - من الخراب - فرارا
كم سُقين - من الكلاب - المَرارا!
والعصافيرُ أمسّت تعانى اندحارا
سوف أغدو لحداً يضم الكفارا
بدماء الصلبان يَروى القفارا
بات قومي للصرَب حقاً جدارا
رَبّ زدنا نصراً ، وزدهم تبارا
رَبّ زددهم هزيمة وخسارا

تَدعون الإنصاف يا من ظلمتهم
وحقوق الإنسان فيكم أهينت
ورفعتم سيف التحدي غروراً
وصليبُ الأحقاد أشعل ناراً
واسألوا البلقان الكسيرة هذي
صابري ، والله القدير يراهم
وعقاب الظلم المرير سيأتي
سوف تطوي الصرب الذناب البلياً
ليت شعري ، كيف استبدوا بشعبي؟
هل سمعتم بالطفل يُشوي ويُرمي
هل سمعتم بالدار تغدو ركاماً
ثم تحت الأنقاض ماتت فئام
وصبايا عند الأعادي سبايا
أسمعتم بالنفط ينسف عدوا؟
أيها الغرب المستهين ببأسي
وسررايفو في النزال جحيم
هل علمتم عزمي وشدة عزي؟
لم يخافوا الأوغاد طرفة عين
غرّم جلم الربّ حتى استبدوا

رسالة إلى لبيد بن الأعصم

(لبيد بن الأعصم يهودي من بنى رزيق ، سحر النبي صلى الله عليه وسلم – في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان. فلبث النبي – صلى الله عليه وسلم – ستة أشهر لا يأتي نساءه وتساقط شعر رأسه ، حتى أرسل الله له الملكين فاستخرجا السحر فنشط النبي مما هو فيه. أخرج الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الطب - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كان رسول الله سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن – قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا – فقال: يا عائشة: أعلمت إن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ، أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم رجل من بني رزيق حليف لليهود كان منافقاً. قال: وفيه؟ قال: في مشط ومشاطة – أي ما يغزل من الكتان -. قال وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت رعوفة – أي حجر في أسفل البئر - في بئر ذروان ، قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه ، فقال: هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج. قال: فقلت: أفلا أي تنشرت ، فقال: أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد منه شراً. * قال ابن القيم - رحمه الله -: (إن الذي أصابه هو مرض من الأمراض ، من جنس الأسقام والأمراض الأخرى المعتادة التي أصابته صلى الله عليه وسلم وشفاه الله منها ، ولا تقدر في نبوته ، لأنه بشر يجوز عليه ما يجوز على البشر من الأمراض ، مثل إغمائه صلى الله عليه وسلم في مرضه ، وإصابته ، في غزوة أحد... الخ ، فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من صدقه ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا). هـ. وقال أيضاً: (ولا عيب ولا نقص بوجه ما في ذلك ، فإن المرض يجوز على الأنبياء ، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ، ونيل كرامته! وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أمهم بما ابتلوا به من القتل ، والضرب ، والشتم والحبس ، فليس يبدع أن يبتلى صلى الله عليه وسلم من بعض أعدائه بالسحر كما ابتلى بالذي رماه فشجّه ، وبالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد وغير ذلك). (بدائع الفوائد – ص 224). ولقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). فلا عذر لأحد يدعي اليوم ولا من أربعة عشر قرناً أنه على دين موسى أو عيسى. أبعث بهذه الرسالة إلى لبيد بن الأعصم خاصة وإلى أحفاده المعاصرين بصفة عامة. ولا سبيل إلى توبة لبيد الأمس. فهل يعتبر لبيد اليوم؟ وإلا يتب فإن الله تعالى سوف يبطل سحره اليوم كما أبطل سبحانه سحر لبيد بالنبي بالأمس. وخيرٌ للبيد اليوم أن يتوب ويُسلم لله فيسلم الناس منه ومن سحره! وطبعاً لبيد بن الأعصم اليهودي يختلف عن الصحابي الجليل والفارس الشجاع والشاعر النبيل لبيد بن ربيعة (أبو عقيل) الذي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يثني على قوله: ألا كل شيء ما خلا الله باطل! ويعتبره أصدق كلمة قالها شاعر! نقول ذلك لنرفع اللبس بين لبيد الحق ولبيد الباطل!)

رويدك ، خاب سعيك يا لبيد!
وسحرُك للنبي غداً ساراباً
وَجُفُوكَ لِمَ يَحَالِفُهُ الصُّمُودُ
تَوَرَّجُهُ - بِمَا يَحْوِي - الرَّعُودُ
ونفثك أبطلت بلواه آي
منزلها هو والله الحميد

فأنت بما أحدثتهُ بنس المكيد!
وليس يبوء بالنصر الحقود
تظلاله السلاسل والقيود
فجنّد الله - في الحرب - الأسود
ونارُ الحق أنت بها الوقود
ويفعل ما فعلت بنا اليهود
وبالموت الزعافِ جرى الوريد
ويعتبروا بما حصد اللبيد
ومكرُ الكفر ليس له حدود
وأيديهم من التذبيح سود
ألا خاب الطواغيتُ القرود!
وسُوح المسجد الأقصى شهود
فساداً في الديار ، وكى يسودوا!
وسئل موتى تلوكهم اللحود
عليهم صبه الجيشُ الكنود
فمن بأس العدا شاب الوليد
ويعلم من يُعاديهِ (الليكود)
وهل سككتت عن الذود الجنود؟
وهل خافت من الحرب الخشود؟
تظن النصر يصنعه الرقود؟!
فواعدها الردى العيشُ الرغيد؟

وكيدك بباء بالسواى ، فأقصر
وحدك أنت تشرب من لظاه
وغلك في حضيض الأرض ملقى
وسيفك لم يذقُ طعم التحدي
ونارك أخدمت في كل صقع
وشربك للدماء له سُعار
وأحرقك السُعار ، وأنت لاه
ألا أبلغ رفاقك كى يُفيعوا
فكم مكروا ، وكم حاكوا المخازي!
وكم سفكوا الدماءَ بغير جرم!
وكم قتلوا بسيف البغي قومي!
وكم هدموا البيوت بكل ركن!
وكم نهبوا الحقوق لكى يعيثوا
وسئل عما جنوه ربوع أرض
وسئل جيل اليتامى عن جحيم
وسئل أرضاً بخالقها استجارت
وسئل حزباً يُعاديننا عيانا
وأسأل: هل كتائبنا استكانت؟
وهل ينست من النصر انهزاماً؟
وهل نامت بحسرتها فنام
وهل رضيت بواقعها ليوت

أم انطلقت جحافتنا صقوراً
تصب الموت فوق الأرض غيثاً
وترمي النار بالمقلاع جهراً
وتقتلع اليهوودَ بغير رفق
وكم ضحّت بما ملكت يداها!
فبالأرواح جاهدت الأعداء
وبالأموال جادت دون حرص
وبالأوغاد أنزلت الرزاياء
لبئد الأمم فانصح من تعاملوا
فأعلمهم بما لاقيت منا
ببوء السحر بالسواى ، ويرمى
وتتحرر المكائد في لظاهها
وتتدحر الدسائس في أساها
وتحرق ناراً من حقدوا قراهم
هو الإسلام لا يعلى عليه
فقل لبنيك يا قومي استبينوا
وحرب السلم ليست كأس خمر
وليس حفلة في جوف ناد
وليس ندوة ضمت سُكارى
وليس مسباحاً يُغري البرايا

وغدتها التوكّل والحديد؟
ويدفعها إلى النصر الشهيد
وصخرُ الطفل في الهيجا عتيد
فهل يُجدي الترفق أو يفيد؟
وإن العفّ بالغالي يجود
وللجنات داعبها الخلود
فنعم البذل صدقاً والجهود!
وهذي لا يُحيط بها القصيد
عن الذكرى ، فكم للخير نودوا!
وأفهمهم نهاية من يكيد
ويقصيه القرآن فلا يعود
ويلطف بالمخاليق الودود
ويهدم دُورَ من مكروا الجُود
وعند الله في الأخرى مزيد
وكيف يذل هامته العبيد؟
فبأس (محمد) بأس شديد
فيشربها النديم ، ويسـتزيد
بها قيثاره تهذي وعود
وتسقيها الخنا في الليل غيد
تباع به المفاتن والنهود

بأعراض بيعت بالبّخس خود
بحدّ سـيوفنا (الماتش) التليد
لكي ترمي على الغيد الورود
عبيدُ الله وحتي يستفيدوا
ليحلوا للمغـاوير الورود
وموتت يا جماعتنا أكيد
وإن رجالها في البأس صيد
فأحرقت المدائن والكبود
ألا اذكروا بما حدثت (ثمود)
ويدرسه المغالط والرشيد
فحرب السلم ينصرها المجيد
ألا كفوا ، فذا الرأي السديد
وتشهد بالذي أحكي الجدود
وينتصـح الذي النصـح يريد
فهـم - والله - ذبـان ودود
فسوف يخيب ما حاك اليهود
عليكم ، ثم ينتصر السجود
وبعد نزالنا نصر سـعيد
وقتلكم إلى النار الوقود

وليسـت مسـرحاً تقـتات فيه
وليسـت ملعباً يجري عليه
وليسـت مرقصاً يحوي الجواري
وليسـت فنـدقاً يـأوي إليه
وحرب السلم ليست نهر خير
ولكن حربـه نارٌ عليكم
وحرب السلم - كلا - لا ثـداجي
سـبقناكم ، فجزبنا لظاهـا
ألا اعتبروا بمن سـبقوا إليها
وتاريخ الأونـل غير خاف
نصحت ، وأنتم للنصح أهـل
فكيف تحاربون الله جهـراً؟
سـلوا التاريخ كم جـيلاً خسـرتم؟!
(لبيد) كفاك ، بعض النصـح يكفي
فدعهم يشربون الموت شـرباً
كما قد خاب سـحرك ذات يوم
وسوف تدور دائرة المنايا
ولكن جولة تهدي لأخرى
وموتنا إلى جنات عدن

رسالة إلى عبد الله بن سبأ

(استحق عبد الله بن سبأ ابن السوداء ، ذلك اليهودي الذي أسلم في خلافة عثمان وهو من أهل صنعاء. أسلم ليس رغبة في الإسلام ، ولكن ليغر المسلمين بإسلامه ويفسد بكل كيد أمورهم ويغري بينهم إلى أن حمل أهل مصر والشام على الاجتماع على قتل عثمان. وضرب العقيدة الإسلامية بأفكار هي الكفر بعينه إذ قال: إن علياً بن أبي طالب أولى بالنبوة من محمد وأن جبريل أخطأ. وقال برجة محمد كرجعة المسيح المنتظرة. وحرّف الأسماء والصفات وقال بالتشبيه والتجسيم فذهب - لعنه الله - إلى أن الله - عز وجل - جسمٌ يتلألاً ، وغالى في علي بن أبي طالب وقال بألوهيته وأن له جانباً بشرياً (ناسوت) وأن له جانباً إلهياً (لاهوت) كما ادعت النصارى في المسيح ، ومن هنا ندرك التشابه بين من اتبعه والنصارى. فهو إذن شخصية مختلف في حقيقة وجودها ؛ يقول المؤمنون بها أنها ظهرت في فترة خلافة عثمان بن عفان وتنسب إليه روايات تاريخية بأنه هو مشعل الاضطرابات والاحتجاجات ضد الخليفة الثالث عثمان بن عفان في الخفاء ، وكان من الغلاة بحب علي بن أبي طالب ومدعٍ لألوهيته ، ويقال أنه أصل هذه الفكرة ومؤسس فكرة التشيع. ويعتبر البعض ابن سبأ أول من نادى بولاية علي بن أبي طالب وبأن لكل نبي وصياً وأن وصي الأمة هو علي بن أبي طالب ، وهو أول من أظهر الطعن والشتم في الصحابة وخصوصاً أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة. يعده العديد من المؤرخين مُشعل الثورة على عثمان بن عفان ، والسبب في وقوع معركة الجمل بعد ذلك. وينسب له أنه أول من غالى في علي وأضفى عليه صفات غير بشرية ، مما اضطر علياً إلى التبرؤ منه. يرى بعض المؤرخين المحدثين ابن سبأ أصل التشيع بصفة عامة ، وأصل الفتن الإسلامية الأولى ، كفتنة مقتل عثمان وحرب الجمل ، ويرجعونه لأصول يهودية بحيث أن تشتت المسلمين كان نتيجة مؤامرة يهودية. من جهة أخرى ، ينفي الشيعة وجود ابن سبأ من الأساس ، ويعتبروه مجرد قصة اختلقها أعداؤهم للطعن في أصول التشيع من خلال إيهام عامة الناس بنظرية المؤامرة ، ويحاجج البعض بإمكانية أن يكون شخص واحد قد أحدث هذا التأثير الكبير على مجرى تاريخ أمة بكاملها ، فمثل هذه الأزمات في رأيهم تكون نتيجة عوامل كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ، قد يكون ابن سبأ بما زعم عنه من تأثير عقائدي أحدها ، لكنه لا يستطيع أن يختصرها جميعاً. اختلف أصحاب المقالات والتاريخ في هوية عبد الله بن سبأ ، بسبب السرية التي كان يحيط بها دعوته. وذهب عامة المؤرخين أن ابن سبأ من صنعاء في اليمن ، لكن الخلاف إن كان من حمير أم من همدان؟ ولأنه من أم حبشية فكثيراً ما يطلق عليه "ابن السوداء". والذي اتفق عليه الذين قالوا بوجوده أن أصله يهودي أسلم زمن عثمان بن عفان ، وأخذ يتنقل في بلاد المسلمين. فبدأ بالحجاز ثم البصرة سنة 33 هـ ، ثم الكوفة ، ثم أتى الشام ثم مصر سنة 34 هـ واستقر بها ، ووضع عقيدتي الوصية والرجعة ، وكوّن له في مصر أنصاراً. استمر في مراسلة أتباعه في الكوفة والبصرة. وفي النهاية نجح في تجميع جميع الساخطين على عثمان فجمعوا في المدينة وقاموا بقتل عثمان. لعب عبد الله بن سبأ دوراً هاماً في بدء معركة الجمل ، وإفشال المفاوضات بين علي بن أبي طالب وبين طلحة والزبير. كما أنه أول من أظهر الغلو وادعى الألوهية لعلي. فقام علي بإحراق بعض أتباعه ، ثم قام بنفي ابن سبأ إلى المدائن. وبعد استشهاد علي ، رفض ابن سبأ الاعتراف بذلك ، وادعى غييبته بعد وفاته. ويسمى

أتباع ابن سبأ بالسبئية. ويرى معظم علماء السنة أن ابن سبأ يهودي دخل الإسلام نفاقاً ليكيد بالإسلام وأهله ، ثم أخذ يتنقل بين البلدان الإسلامية مدعياً أن علي بن أبي طالب أحق بالخلافة من عثمان بن عفان ، وبالفعل أثار الشبهات ، وجمع من حوله الأنصار وزحفوا من البصرة والكوفة ومصر إلى المدينة المنورة ، ولكن علي تصدى لهم وأوضح أن أي اعتداء على الخليفة إنما هو إضعاف للإسلام وتفريق للمسلمين ، فأقنع المتمردين ووقفوا راجعين. حينها أدرك ابن سبأ أنه على وشك الرجوع خائباً وأن الفرصة أوشكت أن تضيع ، لذلك دبر مؤامرة جعلت المتمردون يرجعون ويحيطون ببیت عثمان ويحاصروه ، ثم تسلق بعضهم الدار ، وقتلوا عثمان وهو يقرأ القرآن سنة 35 هـ ، وبمقتل الخليفة عثمان بن عفان كان ابن سبأ قد فتح باباً لفتن أخرى طال أمدها بين المسلمين. ومن المتوقع أن تكون هذه الفتنة هي التي عناها النبي حين بشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه. ومن المؤيدين لفكرة وجود شخصية ابن سبأ من أهل السنة: (أعشى همدان (ت 84 هـ): وقد هجا المختار الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة لقوله: شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف. والحسن بن محمد بن الحنفية (ت 95 هـ). والعدني (150 - 243 هـ). والشعبي (ت 103 هـ). والفرزدق (ت 116 هـ). وقتادة (ت 117 هـ). وابن سعد (ت 230 هـ). وابن حبيب البغدادي (ت 245 هـ). وأبو عاصم (ت 253 هـ). والجوزجاني (ت 259 هـ). وابن قتيبة (ت 276 هـ): (السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ). والبلاذري (ت 279 هـ). وهؤلاء إما أثبتوا وجود ابن سبأ وإما تكلموا عن فرقة كفرية دينية. وكلهم قبل الطبري ، أما بعده فأكثر مما يحصر أو يُعد. والطبري (عام 224 هـ - 310 هـ)، بينما صاحب مصنف ابن أبي شيبة (153 هـ - 235 هـ) ، أورد في رواية ما يهمننا منها: « فقال عبيد الله بن عتبة (توفي عام 94 هـ وقيل 98 هـ): إني لست بسبئي ولا حروري» ، والمقصود أنه ليس سبائي (أي ليس من أتباع عبد الله بن سبأ) وليس بحروري (والحرورية هي إحدى فرق الخوارج) ، وفي السند لا يوجد سيف بن عمر. والجعفي الكوفي المتوفى عام (80 هـ): «أنه دخل على علي بن أبي طالب في إمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر ، يرون أنك تضمّر لهما مثل ذلك ، منهم عبد الله بن سبأ ، فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود ، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيّره إلى المدائن ، ونهض إلى المنبر حتى إذا اجتمع الناس أثنى عليهما خيراً ثم قال: أو لا يبيلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري» ، وفي السند لا يوجد سيف بن عمر. لم ينفرد الطبري وحده بروايات سيف ، بل هناك روايات لسيف تتحدث عن ابن سبأ لا توجد عند الطبري. ولقد جاءت عدة روايات مقبولة حتى على شروط رواية الحديث. فمثلاً قال ابن عساکر في تاريخ دمشق أخبرنا أبو محمد بن طاوس وأبو يعلى حمزة بن الحسن بن المفرج ، قالوا: نا أبو القاسم بن أبي العلاء ، نا أبو محمد بن أبي نصر ، نا خيثمة بن سليمان ، نا أحمد بن زهير بن حرب ، نا عمرو بن مرزوق نا شعبة ، عن سلمة بن كهيل عن زيد قال: "قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود؟ يعني عبد الله ابن سبأ ، وكان يقع في أبي بكر وعمر". وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقال ابن حجر قال الحافظ في لسان الميزان: قال أبو إسحاق الفزاري (يعني في كتابه السيرة) عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن زيد بن وهب: أن سويد بن غفلة دخل على علي في غمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمّر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ ، وكان عبد الله أول من أظهر ذلك. فقال علي: ما لي

ولهذا الخبيث الأسود؟ ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ ، فسيره إلى المدائن وقال: "لا يساكنني في بلدة أبداً". ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله وفي آخره: "ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري". ورجاله ثقات. وعموماً عبد الله بن سبأ لم يكن يعمل وحده ، بل كان زعيماً لفرقة سرية تسمى بالسبئية ، استمرت بعده بهذا الاسم لفترة طويلة. فمثلاً قال يزيد بن زريع: رأيت الكلبى يضرب يده على صدره ويقول: "أنا سبني ، أنا سبني". وأما موقف الشيعة فإن بعضهم ينكرون حقيقة وجود شخصية عبد الله بن سبأ ، ويقر بوجودها البعض الآخر: للتعرف على هوية عبد الله بن سبأ سوف أبدأ بالمنبع الأساس وهو تاريخ الطبري وأعقبه بباقي المصادر عنه ، وسأنقل قول الطبري من خلال ما نقله أبو زهرة ، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم أيام عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول إضلالهم فبدأ ببلاد الحجاز ثم البصرة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ). ثم أن محمداً أحق بالرجعة من عيسى ثم قال بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وعلي وصي محمد ، ومحمد خاتم النبيين وعلي خاتم الأوصياء. وهنا نقاط ذكرها أريد أن أؤكد عليها للمقارنة مع غيرها وهي: أولاً أنه ابن السوداء وثانياً أنه من أهل صنعاء ، وثالثاً أنه يؤكد رجوع النبي (ص) للدنيا ورابعاً أنه ذكر أن علياً وصي النبي ، وخامساً أنه أسلم أيام عثمان ، وبعد ذلك نعود لأبي زهرة وفي نفس كتابه المذكور أي تاريخ المذاهب الإسلامية قال في مورد آخر: عبد الله بن سبأ كان يهودياً من أهل الحيرة ، أظهر الإسلام وأخذ ينشر بين الناس أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً وصي محمد ، وأن علياً أراد قتله ولكن نهاه عبد الله بن عباس فنفاه للمدائن بدل قتله. وبين هذين المقتطفين الفروق التالية ألفت النظر إليها وهي: أنه في الأولى من أهل صنعاء ، وفي الثانية من أهل الحيرة ، وأنه في الأولى أسلم أيام عثمان وفي الثانية أظهر الإسلام ولم يحدد وقت إسلامه ، وأن الإمام أراد قتله كما ذكر في الثانية في حين لم يذكر ذلك في الأولى ، وأنه من المقتطفة الثانية قرأ فكرة الوصاية في التوراة في حين في الأولى لم يذكر مصدر فكرة الوصاية فلنحفظ هذا لنرى ما بين المقتطفات. والأستاذ محمد فريد وجدي في دائرة المعارف قال: (السبئية أتباع فروق وخصائص قد تتضارب. عبد الله بن سبأ الذي غلا في الانتصار لعلي وزعم أنه كان نبياً ثم غلا فزعم أنه الله ودعا إلى ذلك قوماً من أهل الكوفة فاتصل خبرهم بعلي فأمر بإحراق قوم منهم، ثم خاف من إحراق الباقيين أن ينتقض عليه قوم فنفى ابن سبأ للمدائن فلما قتل علي زعم ابن سبأ أنه ليس المقتول علياً وإنما هو شيطان صور على صورته وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي ، وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً وصي محمد (صلى الله عليه وسلم) فلما سمعوا ذلك قالوا لعلي إنه من محبيك فرجع علي قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه عنه غلوه فيه فهم بقتله فنفاه عبد الله بن عباس فنفاه إلى المدائن).هـ. وفي هذه المقتطفة: أنه من أهل الحيرة لا صنعاء ، وأنه ابن السوداء وأن الإمام علياً خدع به ، وأنه ادعى النبوة لعلي ثم ادعى له الألوهية وإلى هنا يمكن الجمع بين هذا الخط العجيب ولكن كيف يمكن بعد ذلك أن

نجمع بين كونه ينسب له الألوهية ثم يجعله وصياً لمحمد: أترك تقدير هذا إلى العقول الجبارة كمحمد فريد وجدي ونظائره ممن يقود خطى الجماهير في دروب الثقافة والحمد لله الذي لا يحمده على مكروه سواه. وأما أحمد عطية الله فقال: (ابن سبأ رأس الفرقة السبائية من الشيعة وهو عبد الله بن سبأ كان من يهود صنعاء وأظهر إسلامه في خلافة عثمان يعرف بابن السوداء انتقل إلى المدينة وبث فيها أقوالاً وآراء منافية لروح الإسلام ونابعة من يهوديته ومن معتقدات فارسية كانت شائعة في اليمن ، برز في صورة المنتصر لحق علي ، وادعى أن لكل نبي وصياً ، وأن علياً وصي محمد ، كما ادعى أن في علي جزءاً إلهياً ، طاف بأحاء العراق ناشراً دعوته فطرده عبد الله بن عامر من البصرة فنزل الكوفة وأوغر صدور الناس على عثمان ، وانتقل إلى دمشق في ولاية معاوية وفيها التقى بأبي ذر الغفاري وحرضه على الثورة مدعياً أنه ليس من حق الأغنياء أن يقتنوا مالاً ، وأخرج من الشام فنزل مصر فالتفت حوله الناقدون على عثمان وفيهم محمد بن أبي بكر وأبو حذيفة ، ووضع على لسان علي أقوالاً لم يقلها كادعاء علم الغيب وبعد استشهاد علي قال إنه لم يقتل وسيرجع وبذلك وضع فكرة الرجعة بين الشيعة).هـ. وفي هذه المقطعة التي رواها عطية الله أمور منها: أن ابن سبأ جمع إلى عقائده اليهودية معتقدات أخرى فنقلها للتشيع ومنها الرجعة ولكن الرجعة هنا لعلي وليست لمحمد كما هي عند أبي زهرة ، ومنها أنه أعطى لعلي جزءاً من الألوهية لا كلها ، حتى يمكن الجمع بين كونه جزء إله وبين كونه وصياً للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومنها الكشف عن هذه الطاقات الهائلة عند ابن سبأ بحيث أن كل الثورات على عثمان ومعاوية كانت من فعله. وهو في بعض هذه الروايات يدعي الرجعة للنبي ، وفي بعضها الآخر يدعي الرجعة لعلي وهو تارة يدعي بأن في علي جزءاً من الألوهية وأخرى أنه إله كامل ، وفي هذه الروايات نجد علياً مرة يحرق الغلاة ولا يخاف ، وأخرى يخاف أن يحرق ابن السوداء مع أنه يهودي بسيط لا يأبه له أحد ، وهكذا نقع في هذا الخليط المضطرب ، وأهم هذه الأمور في نظرنا هو أنه مرة يكون داعياً لفضل علي فقط وأخرى يكون محرصاً على عثمان وواضعاً لأهم عقائد الشيعة من وصية وعلم غيب للأئمة وقول بالرجعة! وهذان الأمران هما روح الموضوع فإن من صنع فرية عبد الله بن سبأ رمى فيها عصفورين بحجر واحد وأراد هذين الأمرين: * الأول: أن عثمان قتل بتحريض من السبائية لا أنه صنع أشياء نقم فيها عليه المسلمون واشتركوا في قتله وفيهم صحابة النبي مما ذكره التاريخ مفصلاً بل كل ما في الأمر أن يهودياً حاقداً حرك المسلمين فانساقوا معه بغباء وبدون تفكير حتى ارتكبوا هذه الجناية وقتلوا الخليفة بدون أن يصدر منه ذنب. * والثاني: أن عقائد الشيعة لا سند لها من الإسلام وإنما هي من هذا اليهودي العبقري عبد الله بن سبأ فالشيعة إذا يهود لا صلة لهم بالمسلمين. أقول: استحق ابن سبأ أن يكون في أمة - محمد - عليه السلام - من يردّ عليه ويوقفه عند حده. فقد لعب ذات الدور الذي لعبه بولس! وها أنذا أقوم بإرسال رسالة له وأعلم جيداً أنه تأخر زمانها ، ولكن أن تأتي متأخراً خير من ألا تأتي.)

ضحّ اليراع ، فلامّة القرطاسُ وجفا المِدادُ ، فزازه الإحساسُ
وهفا إلى سبأ نسيمُ صبابتي فهوت على شوق المُحبّ الفاس
وتذكرت بلقيس ذاكرة الهدى وقد اهتدت ، فكأنها النبراس

عن مجرم أسأتاده الخناس
وتجمعت حول الكفور الناس
من هولها الألباب والأقباس
حتى يشاهد نارها الأخياس
والفتنة الهوجاء ليس تداس
ومصيرها التضليل والإفلاس
الخائن المسكتبر الدساس!
خبث الغفاة الجوقاة الأنجاس!
عجباً يضيق بوصفه القرطاس!
فسعيرها يعنول له الأدناس
فغدوا عبيداً فوقهم نخاس
فتلقوه لأنه لم أتيساس
وكانهم للمفتري خراس
خاب المضيل ، وخاب بعد الكاس!
وطغى عليك بنفته الوسواس؟
ضل المخرف ، ثم ضل قياس!
جل المليك ، وشاهت الأرجاس!
ولذلك اختلطت عليه الناس؟
خابت رؤاك ، وخيبب المقياس!
هل قول مثلك باليقين يقاس؟

ونزلت صناع المنارة باحثاً
فوجدته يغري بقتل خيفة
ويسوق تدجياً وأفكاراً هوث
ويريدها فتناً تموج بأهلها
سباً غداً تطأ الحتوف أناسها
سبئية مثل الجحيم أوارها
ودعاتها خابوا ، وخاب كبيرهم!
والتابعون لها حمير كلهم
إنى لأعجب منك يا أشقى الغثا
زير اليهود لك الجحيم تسعرت
أغرى بك التحريف من أضلتهم
ورأوا بعينيك الضلال مزخرفاً
وتجمعوا حلقاً تناصراً باطلاً
شربوا الغواية من يدي مستهتر
كيف افتريت على المليك وشرعه
أتشبهه المولى بخالق زائل؟
أقول: إن الله جسم لامع؟
أقول: إن الروح أخطأ دربه
فحببا الرسالة أحمداً بجهالة!
وأراك أغييت القيامة عامداً

وامش الهوينى إن قلاك لباس
واخرس ، فلا يسمع بك (العباس)
واصمت ، فلا يسمع بك (النواس)
واهـداً لئلا يعلم الأكياس
وكل الحشيش ، كأنك النسناس
أولى به إما طغى الأرماس
ممن لهم في فقهننا أنفاس
علم يضم عطوره الكراس
وفصوله في نظمها أعراس
ومداده عند الكتابة ماس
يزجي الدليل ، كأنه القسطاس
فالشعر فيها يانع حساس
والفل يشهد ، واللمى والآس
وتأملات لم يزرها الياس
والزهر يلهو غوده الميـاس
ما كان عيش في الدنا أو ناس
فالكلب لم يشهر له القـداس
كلا ، ولم يلعب به الشمساس
متودد بين السورى مناس

دثر ضلالك في عباءة ملحد
واحد من (المقداد) سيفاً صائباً
وامسك لسانك عن مقولة كافر
واكظم سؤمومك ، لا يغررك حلمهم
وإذا كشفت ، فكن حماراً بينهم
إن كيف تحيا بينهم متطاولاً
صنعاء بعدك أخرجت علماءها
فاسأل عن الفذ الأمير وعلمه
(سبل السلام) بما نقول دليلنا
بل و(شوكانيـتا) مثل الضيا
إن (نيل أوطار) العظيم سبيلنا
صنعاء بعدك قدمت شعراءها
أمسى يفوح من الطلاوة وردة
وله بمن يهفو إليه مطامح
درر يضى على القصائد شهدها
كلب اليهود عليه لعنة ربنا
والكلب أشرف منك يا أردى السورى
والكلب لم يكفر ، ولم يك راهباً
والكلب خلق للمليك مسبح

رسالة إلى المتاجرين بالقيم

(لم يشهد ديننا عصراً يُباع فيه مثل عصرنا المر. إن المتاجرين بالقيم من الطابور الخامس من المنافقين لا يضررون إلا أنفسهم ولا يهلكون إلا أنفسهم. والنفاق في عالم الكتابة نفاق عجيب لأن الفتنة به أشد وأكثى. خاصة بعد هذا التطور الرهيب في عالم تقنية المعلومات الذي نعيش. إن الكلمة التي تقال في الهواء لا يكاد يستمع إليها إلا من حضرها. بعكس الكلمة المكتوبة أو المسجلة بالصوت والصورة تنتقل إلى كل مكان في الدنيا بأقصى سرعة. فإذا كانت الكلمة صالحة مُصلحة نفع الله بها وكتب أجزها لقائلها أو كاتبها ، وأما إذا كانت غير صالحة بل باطلة مخزية باء كاتبها أو قائلها بخزي الدنيا وعذاب الآخرة وأضل نفسه وغيره. وهذه رسالة شعرية أرسلها لكل الكتاب والشعراء المنحرفين المتاجرين بالقيم – عليهم من الله الجبار ما يستحقون – وكان الباعث على القصيدة ابتداءً الرواية الملعونة الحقيرة التي كان قد كتبها (حيدر حيدر) وعنوانها (وليمة لأعشاب البحر). وقد تناولها وبين خبثها وضلالها الدكتور جابر قميحة في كتابه! فإلى كل كاتب رخيص وإلى كل شاعر حقير يعمل لحساب آل صهيون أكتب هذه القصيدة لأعلمهم ان أعمالهم إلى زوال. في محاضرة له بعنوان: (وصايا من الله للدعاة) يقول محمد المنجد ما نصه: (وهذه وقفات مع قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان). إن هذا القرآن يشتمل على توجيهات كثيرة جداً للدعاة وغير الدعاة ، وفيه لطائف وحكم وأحكام ، فتأمل مثلاً قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون). إذا: يحمى عليها بالمنافخ وغيرها ؛ مما يضاعف حرها ، فإذا اشتد العذاب جاءت مرحلة الكي ، فيكوى في جبهته وجنبه وظهره ويكون في هذه المواضع ، لأنه كما قال العلماء: إذا جاءه الفقير السائل صعر وجهه ، ثم إذا أعاد السائل عليه ولاه جنبه ، فإذا ألح عليه ، ولاه ظهره وأعرض ، فذلك جعل الكي في هذه المواضع الثلاثة: الوجه والجنب والظهر ، الكي في هذه المواضع أشد على الإنسان من غيرها ، والكي في الجنب والوجه والظهر هو الكي في الجهات الأربع: الأمام في الجبهة ، والخلف في الظهر ، واليمين والشمال في الجنبين ، فجاءه الكي في المواضع التي فيها شدة ، ثم التي حصل بها الإعراض ، فجوزي على عمله ، والجزاء من جنس العمل. تأمل قول الله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا). قال الله: وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ، بمعنى أرادوها وصارت هي همهم ، ولم يقل: إنهم تناولوا منها ؛ لأن الشهوات منها ما يكون حلالاً ، فتناول الشهوة الحلال مباح ، لكن تأمل السر في قوله: اتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ صارت متبوعاً ، وقائداً وهم منقادون ، صارت مطاعة وهم مطيعون اتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ، فالشهووات هي مقصودهم، والغربيون عندهم مبدأ اللذة هي الهدف الكلي ؛ لذلك فسعيهم للذة المال ، والمتعة ، والجنس ، وغير ذلك من اللذات إلا لذة الإيمان واليقين). (هـ.)

يا هازلون ، مصير الهزل خسران والحق هازم من ضلوا ومن خانوا

وسوف يُغرقكم في التيه طوفان
وسوف يُودي بكم يا عير خسران
يمحو أحاجي من زلوا ومن هانوا
فلا يكون لكم بين الورى شان
وناشرُ الشر بين الناس شيطان
وفي الروايات يا أنذال برهان
تعنو الوجوه لها ، والعهر ألوان
وعيركم في دجى التدمير فرسان
بما ارتآه لكم كسرى ودايان!
والزيف للمجرم الأفاك عنوان
وإنما الطهر والأخلاق أركان
وفوقها يخالب الألباب إعلان
والجيل في ساحة الأوغاد نشوان
وللسقوط نواقيس وصنابان
وللتحليل ربات وأخدان

هو الضياع لظي يجتث باطلكم
وسوف تهلككم سواى تطاولكم
ونحن نرقب فجرأ فيه خيبتم
إننا ننتوق لزال يزلزلكم
كم شدتم الدعر يسري في شبيبنا!
وكم سطرتم من البهتان مهزلة!
وكم نسجت ثياب العهر في صاف!
وكم زرعتم لظى الأشواك يخمشنا!
وكم فجرتم براكين الخنا عملاً
وفي الدير شعارات ملفة
أهنتم الطهر والأخلاق قاطبة
وللغواة ضحى مدت موائدكم
والراخ ثرعد ، والآهات جامحة
والموبقات لها نار توججها
وللاباحية الشعاء فيلقها

وَهُمْ لَخُمِرَ الْهُوَى يَا وَيْحَهُمْ لَانُوا!
وَفِي النَّفُوسِ مِنَ التَّدْخِينِ بُرْكَان
وَلِلتَّلَاعِ بِبِالأَعْرَابِ شَطَّان
فِي ثُوبِ إِنْسٍ ، وَهَمَّ فِي الأَصْلِ ثِيرَان
وَبَاتَ لِلرَّقِّ أَغْلَالٌ وَسُاطَان
تُدْمِي القُلُوبَ ، وَأُوكَارٌ وَنِيرَان
وَكُلَّ دَرْبٍ بَسُّ خَطِّ اللَّهِ يَزْدَان
وَلَيْسَ تَخْلُومِ مِنَ الضُّلَالِ أَوْطَان
فِي أَهْلِهَا ، وَلَهُمْ فِي الخِزْيِ إِمْعَان
أَوَاهُ كَمَّ يُفْسِدُ الأَجْيَالُ فَنَان!
وَاليَوْمَ أَصْبَحَ لِلأَفْلَامِ طَغْيَان
كَمَّ ضَاعَ فِي هَزْلِهَا شَيْبٌ وَشَبَان!
أَمْسَى يُبَاعُ ، فَلَا تَتَّقِلْهُ أَثْمَان
وَكُلَّ مُسْتَشْعِرٍ فِي الدُّسِّ ثَعْبَان
وَالفَرْخُ وَالكَرْبُ عِنْدَ الصِّلِّ سِيَان

وَلِلكُؤُوسِ بِأَيْدِي العَيْرِ طَنْظَنَة
وَلِلسَّجَائِرِ فِي الأفْوَهِ دَنْدَنَة
وَلِلتَّفَسِّخِ شَطَّانٌ وَأَرْوَقَة
وَلِلتَّحْلِيلِ وَالفَوْضِيِّ دَهَاقَنَة
وَلِلنَّخَاسَةِ أَفْلاكٌ تَدُورُ بِهَا
وَلِلتَّجَارَةِ فِي الجِنْسِ الرَّقِيقِ رُؤْيَ
وَلِلضِّيَاعِ دَرْوَبٌ خَابَ سَالِكُهَا!
بِضَاعَةِ جَوْقَةِ المَاسُونِ سَادَتُهَا
تَرْبَعُوا فَوْقَ عَرْشِ الدَّارِ وَاتَّجَرُوا
وَقَسَّموا بِيَمِينِهِمْ أَدْوَارَ مَهْزَلَة
يَتَابِعُ النَّاسُ أَفْلَاماً بِهِمْ فَتَكْت
وَكُلَّ فَا لَمْ لَهُ رِوَايَة فَجَرَّتْ
أَمَّا القَرِيضُ فَحَدَّثَ ، ثُمَّ لَاحِرَجْ
فَالارْتِزَاقُ بِهِ أَضْحَى مُجَاهِدَة
يُغَيِّرُ الجَلْدَ إِنْ عَنَتْ مُنَاسِبَة

والشعرُ طوعَ للأهواءِ مُنجِداً
حتى كوته بدمع الـذلِ أحزان
فصِـيغَ مِيتاً بالروحِ تحرّكه
وليس في لفظه المقبور تبيان
ولا يُزيّنه إيقاعُ قافيةٍ
وليس في نظمه المجنون ميزان
مات القريضُ على أنفاسٍ من سجدوا
للظالمين ، وسَادَ الدارَ نكران
تمرّغوا في ثرى الطاغوت فانحدروا
ولم يعد في قلوب القوم إيمان
سال اللعابُ على دنيا تموجُ بهم
وليس يقبل ما صاغوه إنسان
لكنما نيمٌ بيعتُ فما ارتفعت
بالحق وزناً ، وفي التطويح خذلان
والشعرُ في كِبّةِ التلوين مُحترقُ
مضت عليه بهذي الحال أزمان
تبكي القوافي على ما نال عزته
وبعدُ تأسى على بلاؤه أوزان
حتى الرواياتُ قد طمّنتُ مُصيّبتها
إذ صاغها اليومَ أنذالٌ وذؤبان
كأنهم لحساب الكفر قد عملوا
أواه ، كم يختلُ المأفونَ كُفران!
فمن لبانِ يهود الأرض كم رضعوا!
فقدّموا الغهر في كل الذي كتبوا
وكم يُغرّ بماء التيه ظمآن!
وشاهدني اليوم (محفوظ) وجوقته
كأنهم ليهود الأرض خـلان
وثم (إدريس) يمكو في مراتبنا
و(حيدر) الفسق مشهودٌ ، و(جبران)
وعاش يعزف لحن الغهر (إحسان)

وسل (أنيساً) و(توفيقاً) ، وكن فطناً
وسل عن الوطن الموءود كوكبة
وسل عن الشعر كم بيعت نزاوته!
يُصاغ في الفخر بالطاغوت دون حيا
أمسى يؤله من في كُفرهم غرقوا
والشاعرُ النذلُ من يشدو بمن فجروا
والشعرُ يبكي على آلام صدمته
يبيعه اليوم للحانات مُرتزق
أمسى يُداولُ في سر وفي علن
يُباعُ جهراً لدجال وقانيّة
فيسـتغيث ، ولا يلقي له سـنداً
هو القـريضُ إذا الإخـلاصُ توجّه
وإن يبيع أهله يوماً ضمائرهم
ولى زمانُ الغطاريف الذين مضوا
صاغوا القريض ، فجاسوا كل قافية
لما يُحاك ، فإن الدعر مُزدان
لولا اليهودُ لما سادوا ولا كانوا
في مدح من كفروا ، وشكر من خانوا
كأنما الشعرُ بالطاغوت ريان
ومدح من كفروا ، والكفرُ صنوان
لأنه بسرّاب الفجر جـذلان
وفي الفؤاد من الأنات أطنان
كما يُباع بسوق الرق عبـدان
ويدعي نظمه عـيرٌ وجـردان
ويستباح ، فلا يؤويه بُنيان
لأن من كتبوا الأشعارَ فـيران
يسودُ في نظمه نورٌ وعـمران
فإن عاقبة النفاق خسـران
وهـم لشـعر الهـدى شمّ وأعيان
وذو حة الشعر أثمارٌ وأفـنان

بالأمس كانت رياضُ الشعرِ عامرة
 وما اعترته - معاذ الله - نازلة
 فالشعرُ ليث تخاف الخُمُرُ صولته
 وسَلَّ عن الشعرِ حساناً لتعذرني
 لكي ترى الشعرَ مُزداناً له ألقُ
 وإن جهلت لحسان مكانته
 وكم حوى شعرةً للناسِ من دُرر
 فشعرُ (حسان) نورٌ يُستضاءُ به
 وإن (حسان) في دنيا القريضِ سَمَا
 مُخضرمُ الشعرِ ، لم تذبُلْ بلاغته
 فصاحةٌ من سِوى (حسان) ما عهدتُ
 وهمةٌ من معينِ الذكرِ مُفعمة
 جازاك ربك يا حسان مكرمة
 والشعرُ مُبتهجُ الإحساسِ يَقظان
 إلا ويشهد بالهيجاءِ مِيدان
 واللفظُ ذُرٌّ زها ، والوزنُ مرجان
 فيما ارتأيتُ ، وأندى الناسِ (حسان)
 وشِعْرُ (حسان) في الأعرابِ مُزدان
 ففي الصحائفِ للضُرغامِ ديوان
 كأنها في سنا التاريخِ إيوان!
 مُهندٌ من قريضِ العُربِ فتان
 لَمَّا يَجِبُ أفقها الفياضَ (سحبان)
 وزادَهُ رقعةٌ في النظمِ قرآن
 ولم يشبُها - بفضلِ الله - نقصان
 بالخيرِ ، والشعرُ في الظلماءِ فرقان
 وبياءُ بالخُسْرِ والإفلاسِ من خانوا

اللاشعر المتفلسف

(إن مؤامرة اللاشعر المتفلسف (وهذا الاسم الذي أرى أنه يُريح ضميري وقلبي) مؤامرة على القرآن واللغة العربية والإسلام والعرب. وأظن أنه قد أن الأوان لكل التسميات ، التي زينت لأصحابها هذه الفرية ، أقول أن الأوان لأن يُفبق هؤلاء من غفلتهم وغبوتهم ، ويعودوا إلى رشدهم وصوابهم ويعلموا الحق. * هو لا شعر متفلسف مهما أسموه (الشعر الحر ، أو الشعر المنثور ، أو النثر المشعور ، أو شعر التفعيلة ، أو تفعيلة شعر العرب ، أو الشعر المتحرر ، أو الشعر الحديث ، أو الشعر الثائر ، أو الشعر المتطور ، أو شعر الحداثة ، أو الشعر المنطلق)! هو عزيف كعزيف الجن والعفاريت ، وهو ضرب من ضروب الغي والإفلاس ، وانعطاف خطير بالعربية نحو الهاوية لا يزيد. * الشعر في تعريفه العربي الأصيل هو الكلام الموزون المقفى ذو الوحدة الموضوعية والصور والمحسنات البديعية والبيانية والفكرة المثالية السامية. وإلا يكن ذلك كذلك فالعرب لا تعده شعراً ، ولا نحن نعدده شعراً على الإطلاق. والآن نستعرض آراء النقاد العرب:

- ابن منظور في اللسان يُعرف الشعر بقوله: (والشعر: منظوم القول غلب عليه الشرف بالوزن والقافية). ونفس القول قد ذكره صاحب القاموس المحيط. كما ذكر صاحب اللسان عن الأزهري في تعريف الشعر قوله: (والشعر: القريض المحدد أو المحدود بعلامات لا يُجاوزها) والمعنى أن له مقاييس ومعايير وضوابط تلزم له كشعر. وإلا فلا يُعد شعراً أبداً. ولا شك أن هذه تعاريف دقيقة!

- ابن خلدون في مقدمته يقول: (اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين: (فن الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى. وفن النثر: وهو الكلام غير الموزون). وإذن فابن خلدون جعل الفارق بين الشعر والنثر تميز الشعر بالوزن والقافية. وهذا كلام واضح جدا من خلال تعريفه لهما ما هنا.

- محمد خير أبو حرب: (الشعر هو الكلام الجميل الذي هو موزون ومقفى معبر عن إحساس الشاعر) ، وكان محمد خير أبو حرب قد خالف قاعدته في معجمه الرائع (القاموس المدرسي) عندما اعترف بالشعر المنثور حيث عرفه بقوله: (والشعر المنثور هو قول يجري على منهج الشعر وهذا دون الوزن) وهذا محض تناقض منه ، إذ كان يلزم من تعريفه للشعر عدم اعترافه أبداً

بما يُسمى بالشعر المنثور هذا. ولعل هناك متأخر ومتقدم في كلام الرجل وليس هذا مجال بحثنا!
- معجم المنجد: (والشعر هو كلام يقصد به الوزن والقافية وفي الأمثال: (أعذب الشعر أكذبه!) ومن هنا فهذا اعتقاد أن الشعر هو مقر الكذب)! والذي يعيننا من المنجد هنا هو التعريف ، بقطع النظر عن مدى صدق مقولة أصدق الشعر أكذبه. وإلى هذه المقالة ذهب الدكتور علي أبو زيد!

- المصباح المنير: (والشعر العربي هو النظم الموزون ، وحدّه ما تركب تركباً متعاضداً وكان مقفياً موزوناً مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود أو من بعضها ، فلا يسمى شعراً ولا يسمى قائله شاعراً. ولهذا فإن ما ورد في الكتاب والسنة موزوناً فليس بشعر لعدم القصد أو التقفيه. وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد لأنه مأخوذ من شعرت إذا فطنت وعلمت. وسمي الشاعر شاعراً لفطنته وعلمه به فإذا لم يقصده فكأنه لم يشعر به).هـ.

- د. إحسان عباس في كتاب (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) ينقل عن أحمد بن محمد بن حسن المرزوقي قوله في تعريف الشعر العمودي الأصيل: (إن لعمود الشعر سبع نقاط: شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام

أجزاء النظم والتتامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ وشدة اقتضاؤهما للقافية حتى لا منافرة بينهما).هـ. وإذن فيكاد يكون هناك إجماع على لزوم الوزن والقافية حتى يكون الشعر شعراً بالمعنى الحق.

- د . ممدوح حقي في كتابه (العروض الواضح) ص 13 يعرف الشعر بقوله: (فالشعر إذن هو الكلام الموزون على نغم موسيقي خاص ، والمنتھية أواخر سطره بكلمات متشابهة في اللفظ ، وتقف على حرف واحد تسمى القافية ، وكل سطر من سطره يسمى بيتاً ، وإذن فالشعر هو الكلام الموزون المقفى)! ثم يفرق الدكتور حقي بين الشعر والنثر بقوله: (والمقياس في التفريق بين الشعر والنظم يعود إلى الذوق الأدبي بالدرجة الأولى ، وهذا الذوق الخاص للتفريق بينهما أي بين الشاعر والناظم يتربى بالإدمان على مطالعة الشعر الجميل واعتياد تذوقه واستساغته ، ولا بد لمن يعاني الشعر أن يبتدئ بالنظم ويدرس قواعده وأساليبه ثم يرتقي فيشعر ، والعلم الذي يبحث قواعد النظم يسمى علم العروض) ، ثم يبين الدكتور حقي الفارق بين العرب والإغريق في تصورهم للشعر بقوله: (حيث اهتم العرب بالوزن والقافية والفكرة والخيال والإيقاع والإيحاء في الشعر ، بينما قد اهتم اليونان بالخيال والعاطفة والعقل فقط في الشعر).هـ ، وإذن فالفرق بين العرب والإغريق هو الفرق بين الشعراء الحقيقيين أنصار الشعر العربي العمودي الأصيل وبين المستشعرين المتشاعرين المفلسين من أنصار اللا شعر المتفلت الذي الآن يعرف عندهم بشعر التفعيلة. وهذا الأمر واضح وضوح الشمس . وعار على من كتب الشعر بقواعده أن يكتب الهراء! وفي ص 18 يفرق الدكتور حقي بين الشعر والنظم فيخلص إلى خلاصة كافية شافية جامعة مانعة بعد مناقشة عدة تعاريف لكل منها فيقول: (فالشعر ما أثار عواطفنا أو حرك عقولنا وحلق بخيالنا ، واتسقت نغماته الموسيقية متوافقة متلاحقة ، يرسم بالصور بالكلمات المنتقاة ويمازج بين الأشعة والظلال الفكرية والعاطفية والخيالية حتى تكاد تلمس بالأصابع. والنظم هو ما انتمت كلماته في سلك النغم الموسيقي من غير شعور ولا عاطفة ولا خيال ولا صورة).هـ.

- في كتاب (عيار الشعر) لابن طباطبا ص 14 يضع أول معيار يعرف به الشعر الجيد من الردي من أنه العقل الثاقب والفهم الواعي المدرك لأسر الجمال ومواطن القوة فيقول: (والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه ونفيه للقبیح منه اهتزازه لما يقبله وتكرهه لما ينفیه أن كل حاسة من حواس البدن إنما تقبل ما يتصل بها مما طبعته له إذا كان وروداً لطيفاً بكل اعتدال لا جور ، وبموافقة لا مضادة معها ، فالعين تألف المرأى الحسن وتقذى بالمرأى الكريه القبيح ، والأنف يقبل المشم الطيب ويتأذى بالمنتن الخبيث ، والفم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر ، والأذن تتشوق للصوت الخفيض الساكن وتتأذى بالجهير الهائل ، واليد تنعم باللمس اللين الناعم وتتأذى بالخشن المؤذي ، والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق والجائز المعروف المألوف ويتشوف إليه ويتجلى له ، ويستوحش من الكلام الجائر والخطا الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه ويصدأ له).هـ. ص 15 من عيار الشعر لابن طباطبا يقول: (فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً مصفى من كدر العي مقوماً من أود الخطأ واللحن سالماً من جور التأليف موزوناً بميزان الصواب لفظاً ومعنىً وتركيباً اتسعت طرقه ولطفت مواجھه فقبله الفهم وارتاح له وأنس به الضمير ، وإذا ورد عليه ضد هذه الصفة وكان باطلاً محالاً مجهولاً انسدت طرقه واستوحش ونفاه عند حسه به وصدئ له وتأذى به كتأذى سائر الحواس بما يخالفها).هـ. وأما ص 16 فيقول ابن

طباطبا عن معياره الثاني: (ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي يعد معناها لها كالممدح في حال المفاخرة وحضور من يكتب بإنشاده من الأعداء ومن يسر به حقاً من الأولياء ، وكالهجاء في حال مباراة المهاجي الحط منه ، حيث ينكى به استماعه له ، وكالمراثي في حال جزع المصاب وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه والتعزية عنه ، وكالاعتذار والتنصل من الذنب عند سل سخيمة المجني عليه المعتذر إليه ، وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران وطلب المغالبة وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق واهتياج شوقه وحينه من يهواه).هـ. وأما ص 7 فيقول ابن طباطبا في تعريف الشعر: (الشعر – أسعدك الله – كلامٌ منظومٌ بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتكم بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جبهته مجته كل الأسماع وفسد على الذوق).هـ. وهكذا كان موقف ابن طباطبا.

- قدامة بن جعفر في كتاب (نقد الشعر) ص 3 يقول: (والشعر قولٌ موزونٌ مقفً يدل على معنى).هـ. وشرط ابن جعفر شرط صحة لا مرية فيه قط!

- ابن رشيق في كتاب (العمدة) ص 134 ج 1 يقول: (الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة).هـ.

- ولقد احتوت اللغة العربية على الأوزان والقوافي والصور بكل أنواعها والمحسنات وغيرها من مقومات الشعر في العربية قبل أن يستنبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي. ولذا فمن الإنصاف أن نعت الخليل بأنه استنبط الأوزان والعروض ، ولم يؤلفها من عنديات نفسه. فهي إذن أوزان عربية أصيلة من قبل الخليل. نعم خليلية باستنباط أو اكتشاف الخليل لها ، وليست خليلية بصناعة الخليل لها من عنده ، فيمكن من هنا تسمية الخليل بأنه مكتشف الأوزان والعروض وليس قط صانعها. ومن هنا فلم يخترعها الخليل على غير مثال قد سبقها. ولذا فهي أوزان وبحور الشعر العربي وليست أبداً أوزان وبحور الخليل. ومن هنا تسقط دعوى المفسرين هؤلاء الجهلاء السفهاء الذين يقولون في خبث وانحطاط تفكير وسقول فكر: (هل أوزان الخليل وحي أنزله الله؟ هل هي كتاب وسنة؟ هل هي مفروضة علينا فريضة الصلوات الخمس والزكاة؟) فنقول لهم: أيها الجهلاء والسفهاء: لم يفرضها الخليل ، ولكن فرضتها اللغة العربية للشعر فرضاً ، فهي جزء لا يتجزأ من اللغة العربية الأصيلة العريضة.

* الحداثيون والعلمانيون وأفراخ الاستعمار وأذئاب الغرب الرطبة وتلاميذ الفرنجة المفسلون هم الذين حاكوا شعر الغرب الذي لا يحمل فكرة ولا منهاجا ولا وزنا ولا إيقاعا ولا إيحاء ولا حقيقة ، فأوجدوا ما أسموه بالشعر التفعيلي. وأسميه صدقاً: باللا شعر المتفلسف. وأستبعد بالمرّة أن يسمى بالشعر العربي أو بالنثر العربي ، ذلك أن كلا من الشعر والنثر العربيين يحمل خصائص ومميزات وصفات ومؤهلات تميزه. وبالفحص والدرس والنقد تبين أن اللا شعر المتفلسف ليس له خصائص الشعر لنقول هو شعر ، كما أنه لا يحمل خصائص النثر العربي لنقول هو نثر. ولقد أرجعت البصر فيه مرة بعد لآتين حقيقته وماهيته وكُنْهه ، فانقلب إليّ البصر خاسنا وهو حسير ، فما هذا الهراء بالشعر ولا هو بالنثر. لماذا يستحسن المفسلون الغواة الغفاة لا شعر التفعيلة؟ والجواب يستغرق عدة نقاط نحاول إيجازها فيما يلي:

- لضرب اللغة العربية وقرآنها التي انبثقت منه فيحقق جميعهم آمال الأعداء وأمنياتهم التي عملوا لها طويلاً: - لكي يشوه المفلسون صورة الأدب العربي الفذ ، والذين يمشون في ركابه من شعراء العربية الملتزمين وزناً وقافية ونحواً وصرفاً ووحدة موضوعية وكنايات ومحسنات ونحو ذلك.

- لكي يشغلوا الساحة الإعلامية بقضايا كانت الأمة في معزل عندها عبر تاريخها الطويل (أعني الدفاع والهجوم): - الدفاع عن شعر العربية الأصيل الملتزم بشروط وضوابط الشعر ، ثم هجوم المفلسين عليه وانتقاد ومحاولات النيل والانتقاص دون جدوى (ومن هنا تملأ الساحة الإعلامية بالدفاع والرد. - لمحاولة إبعاد المسلمين عن الإحساس بالشعر العربي ، ومن ثم عدم إدراك الجمال في اللغة وأدائها الفني قرآناً وسنة. - لكي يوهموا بعض السذج والحمقى النبلهء من المسلمين بأن القرآن ضرب من ضروب الشعر التفعيلي بزعمهم ، وكفى به إثماً مبيهاً: أن يطعن القرآن بسهام الضالين هؤلاء. - لكي يثبتوا للمبتدئين على درب الشعر أن شعر التفعيلة أسهل وأيسر من الشعر العمودي التقليدي الرجعي المتخلف بزعمهم ، ألا قبحهم الله ، بنس ما قال القوم وما فعلوا.

* ألا وإن هناك فرقاً بين أن نترجم عن الغرب بعض قصائد شعرائه ، لما احتوى عليه من حكمة أو فكرة ، أو لنتبين الفوارق البينة بين شعرنا العربي وشعرهم فتكون هذه أشبه بالدراسة التي هدفها المقارنة ، وبين أن نتبعهم في صياغتهم للشعر. إذ كل لغة لها أجروميتها ونحوها ووزنها وقوافيها وضوابطها وشروطها ، فلماذا التبعية لهم في الشعر؟ هل العربية مثل الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها في نحوها وصرفها وأوزانها وقوافيها؟ لماذا افترض التشابه وهو بعيد محال؟

* لغات الغرب ليست أصيلة ، بل تتطور وتتبدل زماناً بعد زمان ، ذلك أنها في نشأتها لم يدعها كتاب مقدس ولم يسن مقاييسها وقواعدها أنبياء ورسول ، بل هي مجموعة كلمات وأصول مشتتة من هنا وهناك. على عكس العربية الأصيلة التي نزل بها القرآن ، وتكلم بها النبي الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وأرسى قواعدها النحاة ، وساعدهم البلاغيون وأهل العلم مستنبطين ذلك كله من القرآن الكريم. بل حتى الأوزان والبحور هي من القرآن ، وليس القرآن بالشعر. ولو أردنا أن نأتي بآيات أو أجزاء من آيات فهي على وزن كل بحر لفعلنا وذلك أمر يطول شرحه وقد أغنانا عنه غير واحد من العروضيين ، فليُرجع إلى ذلك في مظانه وهو متوفر والحمد لله - عز وجل.

* إن التقيد بمقاييس الشعر العربي من أوزان وقوافٍ ووحدة موضوعية ومحسنات بديعية وصور بيانية وخيال مطرد وخيال مجلوب ظاهر وخفي وموسيقى إيحاء وإيقاع وتركيب ، لا يشق شئ من ذلك أبداً على متشاعر بليد كاره للعربية غير موهوب أو مبدع ، بل هو حاقد على العرب في شعرهم ولغتهم وتقاليدهم ، فينفلت عبر غياهب الأحقاد وحنادس العجز ومدلهمات القصور ودياجير الضعف في لغة العرب ليخرج علينا باللا شعر المفتقد لك مقاييس الشعر ليسميه شعر التفعيلة.

* إن الشاعر الموهوب المبدع العالم بالعربية ، المتذوق لشعرها ، المحب لشعرائها وتراثها وعاداتها وتقاليدها تلك الموافقة للشعر المطهر ، لا يعجزه أبداً صياغة الشعر وكتابته وارتجاله وإنشاده بمقاييسه تلك عربياً أصيلاً وزناً وقافية نحواً وصرفاً ، صورة وإيقاعاً ، إيحاء وتركيباً ، وإن هو عجز عن شئ من ذلك تدفعه ملكته وحبه وإبداعه وتصميمه لكي يتدارك القصور حتى يصل لدرجة يشعر معها بالرضا والكمال والجمال. فإن عازره شئ من التقويم التمسسه عند الآخرين المخلصين ممن سبقوه على الدرب ، فأبدعوا وأنتجوا.

* لماذا يتحرج المفلسون المتشاعرون أصحاب ما يُسمى الآن بشعر التفعيلة وما هو بالشعر ، من أن يسموا ما يكتبون (نثراً) مع تحفظنا نحن من إطلاق لفظ النثر عليه ، وذلك لأن النثر له معايير ومقاييسه التي هراء التفعيلة منها ، ليس النثر بالجميل؟ لماذا يطلقون على ما ليس قط بالشعر شعراً؟ إن الشعر أيها المفلسون له توليفة وصبغة وتركيب ومعيار وأسلوبية معينة ، لا يسميه العرب شعراً قط إلا بتوافر ذلك كله. أما لمجرد الالتزام بتفعيلة معينة تسمون ما تكتبون شعراً؟ قمن أجاز لكم ذلك؟ من سبقكم إليه من الأقدمين؟

* يقول بعضهم: إن الموشحات الأندلسية ضرب من ضروب شعر التفعيلة ، فهي إذن رخصة لنا فرعنا عليها كأصل. وأظن الدكتور عدنان النحوي في كتاب (الحدائث) قد كفانا مؤنة الرد على هذه الشبهة المستهلكة الملعوننة. وألخص في كُليّات كلامه فأقول: (الموشحات ظهرت في الأندلس ، يعني في عصور الضعف الأدبية ، ولم تسبق ولم تمتد ، يعني لم يسر عليها الشعراء الجاهليون ولا المخضرمون ولا حتى الإسلاميون ولا المعاصرون ولا اللاحقون. ثم إنها نحلة واكبت الغناء وبئس المواكبة والمزامنة: يعني الموشح أغنية تتبعها رقصة!) ألا يكفي هذا لتحقير شأنها وديدننا؟

* يقول بعضهم: إن بعض الشعراء العموديين التقليديين يكتبون كفراً في شعرهم. أقول / الشعر وزن وقافية وصورة وإيحاء وتركيب وفكرة وخيال ووحدة موضوعية وموسيقى خفية وأخرى ظاهرة ، بغض النظر عما يحمله من موضوعات وقيم وأفكار: فإن حمل قيماً إسلامية يسمى شعراً إسلامياً متادبا بأدب العقيدة والتوحيد وأحكام الإسلام. وإن حمل ضلالاً أو كفراً أو عهراً أو فسقاً أو دعر أو مجوناً أو ميوعة أو رجزاً أو إباحية أو انحلالاً ، لا يكون إسلامياً قط ، ويبقى شعراً ، فالعيبُ ليس في الوعاء ، بل فيما يحمل ذلك الوعاء. كمثل الكأس يمتلئ بالحليب فهو مباح ، أو يمتلئ بالخمير فهو محرّم. فنحن أمام قضيتين متباينتين مختلفتين: مغرض يقول: إن بعض الشعراء العموديين التقليديين يكتبون كفراً في بعض أشعارهم ، وعلى ذلك فالشعر العمودي ضلال وتخلف ورجعية وردة أدبية وعودة إلى الوراء وخروج إلى الناس في القرن الحادي والعشرين بعملة أصحاب الكهف. ومغرض آخر يقول: إن شعر التفعيلة بريء يدافع عن فلسطين والإسلام والأقصى والشيشان وكشمير وبورما والبوسنة والهرسك. وأظن أنه قد ظهر الحق من أن مشكلتنا مع هذين النموذجين هي مشكلة وعاء تصب فيه الكلمة: فإذا حملت الكلمة هذي مقاييس الشعر وضوابطه وشروطه فهي شعر ، بصرف النظر عن المضمون والمحتوى ، وإن حملت الكلمة هذي مقاييس ومعايير وضوابط وشروط النثر فهي نثر ، بصرف النظر عن المضمون والمحتوى! ذلك أن بعض الشعراء الذين هم شعراء الحدائث التفعيليون وماهم عندي أبدأ بشعراء إن كتبوا كفراً فيما يصوغون من أشعار وما هي عندي أبدأ بأشعار ، فيكونون بذلك قد جمعوا بين مخبتين (الكفر واللا شعر). وهناك ارتباط وثيق ومشابهة عميقة بين هؤلاء الجهلاء الغفاة وبين بعض المتبرجات في تعييبهن للحجاب والمحجبات ، عندما يؤمرن بالحجاب! ونسأل: هل العيب عيب الحجاب أم عيب بعض المحجبات المتسترات في التطبيق وممارسة العمل بشرائعه تبارك وتعالى؟ هذا أن بعض الأخوات المؤمنات وحاشاهن يأتين ما يسئ إلى الحجاب وأهله! وأيضاً بعض تاركي الصلاة ، يؤمرون بالصلاة فيعيبون بعض سلوكيات من يصلون. نسألهم: هل العيب في الصلاة أم في سلوكيات بعض من يصلون. وأيضاً بعض البلاد تطبق بعض شرائع الإسلام فيكون فيها من الكوارث والمصائب ما الله به عليم. نسأل: هل العيب عيب الشريعة الربانية الإلهية أم أنه عيب

المسلمين في التطبيق؟ أيها الجهلاء الأغبياء: اكتبوا الشعر والتزموا بضوابطه ومعاييره وشروطه ومقاييسه حتى تشهد بأنكم شعراء وأن الذين كتبتموه شعر ، ثم نحاكم ما كتبتموه إلى الشرع المطهر ، فإن وافقه فحي هلا ، وإن خالفه بقيتم شعراء متبعين لامرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة وغيرهما. المهم أن تكون المادة الخاضعة للتقييم شعراً عربياً بقطع النظر عما تحمله.

* في كتاب (الأدب الإسلامي) للدكتور / عدنان النحوي: ص 217 ، 218 مقارنة بدعية بين النثر والشعر يقول فيها: (النثر هو شكل الكلام العام بين الناس ، لا يخضع لوزن ولا لقافية ، وقد يظهر في بعض مقاطعه شيء من الوزن أو الجرس الموسيقي ، ولكن هذا لا يجعله شعراً ، ولا ينقله من النثر إلى الشعر. والنثر يخضع لقواعد اللغة كلها من النحو والصرف والبيان. والنثر له أساليبه المتميزة في التعبير: تختلف في قوتها وضعفها وجمالها أو بعدها عن الجمال ولكنها كلها تظل أيسر على الناس وأسهل تناولا وليس كل النثر يكون أدباً ، فلا بد من أن تتوفر الخصائص الفنية للنثر حتى يرتقي إلى مستوى فني يصبح عنده أدباً. أما الشعر فهو الكلام الموزون المقفي الذي يستوفي العناصر الفنية للشعر لترفعه إلى مستوى دائرة الأدب ، وتقوم صياغته ويمضي أسلوبه على نحو متميز بسبب الوزن والقافية ، ويكون الوزن والقافية على النحو الذي استقرت عليه قواعد اللغة العربية في تاريخها الطويل. ويمكن أن ينمو العمل الفني ويتطور في أشكال متعددة وأساليب متنوعة مع الزمن دون أن يخرج التطوير عن قواعد ثابتة مستقرة في اللغة ودون أن يهدم بناء أو يقطع جذوراً وأصولاً. فيمكن للقافية أن تتنوع بعد عدد من الأبيات على قاعدة تحفظ للشعر جماله وميزته. وأما الوزن فلا بد وأن يستقر مع الوحدة الشعرية والبحر الشعري. وأساس التفرقة بين النثر والشعر هو الوزن والقافية ، ثم يأتي بسبب ذلك الأساليب المتميزة والصياغة المتميزة لكل منهما. وعناصر الجمال الفني يمكن أن تتوافر في النثر كما تتوافر في الشعر ، وكذلك أسس البيان والبلاغة والصور والحركة ، وكل ما يمكن أن يهب النص الأدبي رعشة وقوة وجمالاً وما يشاء الناس أن يضيفوا من تعابير جمالية. هذه كلها يمكن أن تجدها في النثر والشعر. فلا يصلح أن تكون أساساً للتفرقة. فلا يعقل أن نسمي كل كلام حمل شيئاً من الجمال شعراً ، وإلا لم يعد للنثر مكان. فأساس نشوء الشعر في لغات الأرض كلها بروز نغمة الموسيقى والجرس ، على نحو ينمو مع اللغة في تاريخها الطويل ، فالوزن والقافية أمران أساسيان في الشعر العربي ، ونرى أنهما أساسيان في كل شعر ، دون أن يلغي هذا ضرورة الجمال الفني الذي تحمله العناصر الفنية الأخرى. وكل ما يمكن تطويره في هذا الميدان هو تغيير القافية بعد عدد من الأبيات ، أو على نسق فني جميل يحفظ للقافية دورها في بناء الشعر ، وكذلك يمكن استخدام أكثر من بحر شعري في عمل فني كالمسرحية الشعرية أو القصة الشعرية مثلاً ، أما اليوم فقد ابتلينا بأذى ومسنا ضر كبير وغلب العدوان على بلادنا وفكرنا ثقافياً وفكرياً ونفسياً وكذلك عسكرياً ، على نهج مرسوم وخطة مدروسة فأصابت العجمة الكثيرين ، وانحرف الطبع عند العديد ، وامتد الجهل إلى مختلف الميادين فأصبح فساد الطبع وعدم نقائه وعجمة الألسن وعدم استقامتها وظلمة الجهل وشدة سواده أصبح هذا كله يمثل عاملاً من العوامل الرئيسية التي بعثت كل هذه المذاهب المنحرفة اليوم).هـ. أعتقد أن الدكتور النحوي لم يدع مجالاً للتعليق ولا للإضافة ولا للاستدراك أبداً.

* يقول المفلسون المفترون عن اللا شعر المنفلت بأنه شعر حديث تلقته الأمة بالقبول. ونسأل: أية أمة وأي قبول وأي شعر؟ إن الأمة هنا هي شردمة المفلسين الذين عجزوا عن الإتيان بمثل شعر

العرب الأصيل ، وإن استطاع بعضهم ذلك فقد عجز عن الاستمرار في السير على درب اللغة العربية في شعرها الأصيل ، فراح يحاكي الغرب ، وينبهر أمام جرم تخريبه للغة العرب ولشعرها وقرآنها. وأما القبول هنا فهو الرضوخ لهراء الغرب الحدائين والمفسدين والعلمانيين الخواة الغفاة الحاقدين على الشعر العربي الأصيل. وأما الشعر هنا فهو اللاشعر المتفلت أو التخريب المتفلت: نعم تفلت من مقاييس ومعايير وضوابط وشروط الشعر ، فلم يعد يصح في بدهة العقل والمنطق واللغة أن نسميه شعراً ، كما أنه قد تفلت من ضوابط ومقاييس ومعايير وشروط النثر ، فما هو بالنثر ، إنه هراء وادعاء بالقول أجوف وزعم أبتري لا يزيد.

* وما أظن أن الذي سار على درب الحدائين العلمانيين في محاكاة اللا شعر المتفلت من أهل الشعر العربي العمودي الأصيل إلا أنه قد سن في الإسلام سنة سنية ، وأخشى أن يكتب الله عليه وزرها ووزر من اتبعه فيها إلى يوم القيامة. لم؟ لأن المسمى للشعر العربي مسمى للغة العربية ، ومن أساء إلى اللغة العربية فقد أساء إلى الإسلام. لأنها لغة كتابه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -. * والعجيب أن بعض الناس بعد أن منّ الله عليه وتفضل عليه وأنعم عليه باتباع سبيل الشعراء المؤمنين ، فأشدد الشعر العربي الأصيل ملتزماً شرائطه ومقاييسه وضوابطه ومعايير ، فإذا به بعد أن يسير في النور ينتكس فيتخبط في الظلام ، وينحدر إلى هاوية اللا شعر المتفلت رغبة منه في التجديد ، ونزولاً على طلب أصحابه. لقد يصح العكس: يبدأ بالهراء أو اللا شعر المتفلت ثم يتبين له أنه درب مظلم وهوة سحيقة وتخريب للغة العرب فيتطور إلى الأحسن والأفضل ، ويفعل الأليق الأجدر والأحرى ، فيصبح شاعراً أصيلاً بعد أن يمن الله عليه بنعمة الهداية فينشد الشعر العربي الأصيل. * عجيب أمر فئة المفتونين باللا شعر المتفلت أو ما قد أسموه زوراً وبهتاناً بشعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر ، عجب أمرهم إذ ينكرون على الحدائين رفضهم القديم كله حتى لو كان شاعراً عربياً أصيلاً وعقيدة في الله ورسوله والقرآن ، فيفترون بذلك على الله ، ينكرون المفتونون بالحدائين هذه النزعة المتمردة على الشعر واللغة والعقيدة والدين فيرفضون ذلك كله منهم وينبرون للتصدي لهم والدفاع عن الحق وإيقاف الحدائين عن حدهم ، ثم في المقابل يقبلون تمردهم على الشعر وحربهم على اللغة العربية بكتابتهم اللا شعر المتفلت فيحاكونهم فيه: بمعنى آخر يرفضون من الحدائين تمرداً على الدين والقيم ، ولا يرفضون تمرداً على اللغة والشعر فيقلدون الحدائين في اللا شعر المتفلت أو ما يطيب لهم تسميته الآن بشعر التفعيلة وما هو بالشعر. إن رفض الحدائين لدين باعتباره قيماً قديمة بالية يشبه تماماً بتمام تمردهم على الشعر العربي العمودي الأصيل باعتباره جزءاً من لغة القرآن والسنة اللذين هما مصدرا العقيدة والتوحيد. * ابن طباطبا في كتابه (عيار الشعر) ص4 يقول مبيناً قيمة الوزن والعروض في الشعر: (ومن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي تعد ميزانه. ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدق به حتى تعتبر معرفته الاستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه).هـ.

* ابن خلدون في المقدمة ص573 يقول: (الشعر هو: الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والقافية والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة).هـ. وطبعاً هذا وضوح قاطع في التعريف. * ابن فارس في مقاييس اللغة: (والشعر مأخوذ من الشعار الذي يتنادى به القوم

ليعرف بعضهم بعضاً. والأصل قولهم شعرت بالشئ إذا علمته وفطنت له ، وليت شعري أي ليتني علمت. قالوا: وسمى الشاعر شاعراً لأنه يظن إلى مالا يظن له غيره. قالوا: والدليل قول عنتره: (هل غادر الشعراء من متردم؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم؟). والمعنى: إن الشعراء لم يغادروا شيئاً إلا فطنوا له).هـ.

* أرسطو: (إذا كان الشعر محاكاة بالكلام فإن هذه المحاكاة تتحقق باللغة عن طريق الإيقاع والتناسق. والإيقاع هو نظام الحركات ، وموضوعه الأزمنة المتخللة بين النغم والنقرات المتنقل بعضها إلى بعض ، والتناسق في التأليف الجميل بين النغمات).هـ. على ان أرسطو وثني جاهل يعبد الأصنام ولا يؤمن بالله ولا بيوم الحساب ، إلا أن تعريفه دقيق للغاية. بل هو أدق من بعض العرب.

* مقال (فن الشعر) د. بدوي طبانة - مجلة كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود العدد(9) ينقل عن أرسطو فيقول: (ولم يعترف أرسطو والذين سبقوه بشعر خلا من نظام الأوزان ولم يضعوا اسماً أو مصطلحاً لذلك الفن الذي يستخدم اللغة وحدها في المحاكاة ، أي من غير إيقاع أو تنسيق. وهو ما قد يسمى في زماننا (الشعر المنثور بما فيه من خصائص الفن الشعري في التشبيه والتمثيل ، والتصوير والتخيل. ولا يبعده عن الشعر بالمفهوم المصطلح عليه إلا خلوه من الإيقاع والتنسيق ، أي من الأوزان. ونجتزئ في هذا المقام قول ابن سينا: (إن الشعر كلام مؤلف من أقوال ذات إيقاعات متفقة متساوية متكررة على وزنها ، وهي متشابهة حروف الخواتيم).هـ. وفي ذات المقالة يختم د. بدوي طبانة بقوله: وفي رأبي الذي لا أخرج من التصريح به أن هذا الشعر الحر بعد هذه التجارب الكثيرة وبعد هذه الفرصة الزمنية الطويلة التي تهيأت له ليظهر أصالته وقدرته على البقاء - لا يمثل خطوة إلى الأمام في سبيل تجديد الشعر العربي ، والوصول به إلى آفاق عاق الوصول إليها نسق الشعر العمودي بأوزانه وقوافيه. وليس الشعر الحر كما يزعم بعض المتأدبين - حركة تقديمية بل هي حركة بدائية تعيد إلى الأذهان صورة من المحاولات الأولى التي حاولتها الإنسانية وهي تحبو في سبيل التعرف على المعالم المميزة لفن الشعر. وكانت بعد هذه المحاولات تجارب وتجارب ، حتى اكتملت تلك المعالم ، ونضج بها الفن الشعري واستوى على سوقه وانتهى إلينا في ذلك المعرض الأنيق النسق الفني الرفيع).هـ. * وأخيراً وبعد هذا البيان الكافي الشافي عن مهزلة ما يسمى بالشعر الحر ، أما أن الأوان لأهله أن يضعوا بعدُ حداً لهذا التطاول الممقوت الذميم الأثيم على اللغة العربية؟ لقد دخلوا معركة الصراع المرير ضد الشعر العربي العمودي الأصيل بعد ما قال لسان حالهم: سأوي إلى جبل يعصمني من الماء فرد الشعر العربي الأصيل: أيها الهُراء ، لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم. فظل أنصار اللاشعر المتفلت ينفخون في عزيفهم وهرائهم ، ويعطون من شأن الحضيض ، وظلوا يرفعون اللافئات الخادعة المكشوفة دون جدوى ، وكان شعرهم المزعوم وما هو بالشعر من المهزومين ، وقيل يا أرض النزال بين الشعر واللاشعر ابلي هراءك وتخاريفك وعزيفك وزيفك ويا سماء الأدب أقلعي وكُفي عن الإقناع والإثبات ، وغيبض الشعر ، وقضي الأمر واستوت سفينة الشعر العربي العمودي الأصيل على جودي الأدب العربي الأصيل الخالد خلود القرآن الذي هو مصدره الأول وخلود اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، وقيل بعداً للمستشعرين المخرفين الهازلين. لقد حارب هؤلاء الأوغاد الشعر العربي دون هوادة وجندوا لحربهم الملعونة جميع المنافقين الجاهلين والمتاجرين والمنفعيين. والله يشهد إنهم لكاذبون في دعوى التجديد والمعاصرة. إنها المؤامرة على الفصحى شعراً ونثراً عندما يزرعون هذا الجنين النشاذ القبيح الذي يسمونه الشعر الحر ، في أحشاء اللغة العربية العريقة. وما هو بالشعر ولا هو بالنثر. ذلك أنه يفتقد إلى خصائص وضوابط ومقاييس

الشعر ، كما أنه ليس بالنثر لأنه يفتقد إلى ضوابط ومقاييس ومعايير وشروط النثر ، ومن هنا صحت تسميته بالعزيف اللقيط الشانه الذي ولدت وفاته يوم مولده ، ولم يستمر طويلاً لأنه يفتقد إلى أسباب الحياة وما ينبغي لشيء لا روح فيه أن يعيش. فالشعر العربي العمودي الأصيل ولد يوم ولد ليعيش أبد الأبدين ، ودهر الداهرين ، وما ذاك إلا لأنه ولد وروحُه معه ومقوماته فيه وأسباب الحياة والنمو تكتنفه وتحتضنه وتحيط به من كل جانب. إن العلاقة وثيقة بين الشعر العربي الأصيل واللغة العربية والقرآن. ذلك أن القرآن هو مأوى اللغة العربية ، فمنه استمدت روافدها الأولى وشواهدا الغالية. والشعر العربي هو روح العربية وديوان العرب ، فهو خالد خلودها وحي حياتها وطبيعي طبيعتها وجميل جمالها. في مقال عنوانه: (الشعر وحقيقته ووسائل البراعة فيه والارتياح له وتحلي العلماء به والتجديد فيه) للعلامة الشيخ محمد الخضر حسين ، يعرف للشعر فيقول ما نصه: (الكلام إما نثر، وهو ما يلقى من غير قصد إلى تقييده بوزن ، ولا يلزم بناؤه على حرف معين تنتهي به جملة. وإما منظوم ، وهو الكلام الذي يُصاغ في أوزانٍ خاصة ، وتبنى قِطْعُهُ على حرف خاص يختاره الناظم ويلتزمه في آخر كل قطعة منه ، وهذا هو فن الشعر. ورأي بعض الأدباء أن من المنظوم ما لا يختلف عن الكلام العادي إلا بهيئة الوزن والتزام القافية ، فلا يحسن أن تجعل ميزة الشعر شيئاً يعود إلى مقدار الحروف وأشكالها ، والتزام حرف منها في آخر كل قطعة منه دون أن تكون له خاصة تميزه عن غيره من جهة المعنى ؛ فزادوا في بيانه قولهم: من شأنه أن يُحَبَّبَ إلى النفوس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكره إليها ما قصد تكريهها إليها ، وتحبيبه الأشياء أو تكريهها بوسيلة ما يشتمل عليه من حسن التخيل. فالكلام الموزون المفقى الذي يحبب إلى النفوس شيئاً، أويكرهه إليها بوسيلة الحجة التي يصوغها العقل ، وتجري عليها قوانين المنطق لا يسمى شعراً على وجه الحقيقة ، لأنه خالٍ من روح الشعر الذي هو حسن التخيل. والحق أن الشعر ما يقصد به حمل النفوس على فعل الشيء أو اعتقاده ، أو صرفها عن فعله أو عن اعتقاده ، من جهة ما يشتمل عليه من حسن التخيل أو براعة البيان ، ومن هنا دخل في الفنون الجميلة ، ولا جمال في المنظوم إلا أن يكون في معناه غرابة ، أو في تركيب ألفاظه براعة. فالكلام الموزون المفقى إنما يكون حفيماً باسم الشعر متى بدى فيه وجة من حسن الصنعة ، بحيث يكون هذا الحسن زانداً على أصل المعنى الذي يقصد بالإفادة أولاً ، ولا فرق بين أن يكون أثر البراعة في التخيل ، أو أثر البراعة في ترتيب المعاني وإيرادها في ألفاظ مؤتلفة سنيّة. ولا ننسى أن للنفس عند سماع الكلام الموزون حالاً من الارتياح غير حالها عند سماعه منثوراً ، يدل لهذا الجُمْلُ البليغة المرسلّة إذا تُصِرَّفَ فيها بنحو التقديم والتأخير حتى وافقت وزناً من الأوزان المألوفة ؛ فإن ارتياح النفس لها بعد هذا التصرف يكون أوفر.... واستمر الأستاذ على ذلك في التعريف إلى أن تناول الشعراء فقال في نهاية مقالته: ومن الشعراء من يبرع في فن أو فنون ، كما يبرع عمر بن أبي ربيعة في فن الغزل ، والمنتبّي في إرسال الحكمة. ومن العصور ما يشيع فيه بعض فنون الشعر أكثر مما سواه ، كالعصر الذي يحمي فيه وطيس الحروب ؛ فإنه يغلب فيه الحماسة والفخر ، والعصر الذي يشيع فيه الفسوق يغلب فيه النسب ووصف الخمور. وإذا غلب فن من الفنون وجد رواجاً حتى عند من لا ناقة له في ذلك الفن ولا جمل ، فتسمع الحماسة مثلاً في شعر الجبان الذي إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً وتسمع الغزل ممن لم يحمل قلبه صباية ، ووصف الخمر ممن لا يعرف للخمر رائحة. أما عصرنا هذا ، ففيه إباحية وإحاد ، فلا عجب أن نرى من الشعر الرفيع ما تنبذه مجالس أهل الفضل ، ولا عجب أن نرى من الشعر المارق من الدين ما يلقي بالمستضعفين في تهلكة ، وإننا اليوم في حركة علمية اجتماعية ، تنادي كل طائفة منا لأن تسعفها بما لديها من قوة. ولكثير من شعرائنا في تقوية هذه

الحركة مواقف محمودة ، وأملنا أن يكون الفن الذي يُعرف به الشعر في هذا العصر فنَّ استنهاضِ الهمم ، والصعود به إلى ذروة العز والمجد ، فنَّ تقويم الأخلاق ، وإصلاح الحياتين: العلمية والمدنية).هـ. وأعتقد أنه قد آن الأوان لمطالعة هذه القصيدة في الرد على أحد هؤلاء المفتونين بشعر التفعيلة الذي هو أخطر من الشعر الحر وما هذا ولا ذاك من الشعر العربي في كثير ولا قليل. * لما عرض الدكتور ممدوح حقي في كتابه (العروض الواضح) لما يسمى بالبحور الشعرية الجديدة أو ما يعرف بمقلوبات البحور الأصيلة (المستطيل – الممتد – المتوافر – الممتد – المنسرد – المطرد) ماذا كان تعليقه عليها وقد خالفت كل تفاعيل الشعر العربي الأصيل؟ قال ص 147: (هذه البحور الجديدة التي لم نرها في صف البحور الستة عشر التي ذكرها الخليل وقد ولد هذه البحور الجديدة العروضيون بدافع هو الحاجة إلى فنون جديدة ، خمرتها الحضارة العباسية ببغداد حينما أحكمت أو اصر الصلة بينهم وبين الفرس وسواهم ومن شعوب الأرض واطلعوا على آدابهم وشعرهم وأفكارهم وأغانيتهم وألحانهم. وهي مشتقة من البحور الأصلية المعروفة. والطريقة التي نهجوها في استنباط هذه البحور ليست أبداً التحري في أشعار العرب كما فعل الخليل ، بل واستخلصوها على الطريقة العرضية من الدوائر العرضية ، فابتدعوها ابتداءً ثم نظموا عليها. كأنهم يشقون بهذا طريقاً جديدة للألحان الشعرية. ولكنها لم تجيء موزونة اللحن جميلة الإيقاع ولعلها تتناسق مع المعنى أكثر مما تتناسق مع أي تلاوة شعرية عادية).هـ. وطبعاً هذا الكلام لا يكاد يضاف له. * يعود الدكتور حقي ص168 من كتابه (العروض الواضح) فيعلق على الفنون المبتدعة في الشعر العربي والتي لم تعمل فقط على تخريبه ، بل عملت على تخريب الذوق العربي فيقول: (أما الفنون الثلاثة: الموشح والدوبيت والسلسلة فلم يكد أصحابها يخرجون بها علينا حتى خالفوا الأساليب اللغوية من نحو وصرف ، وما كادوا يفتحون هذا الباب حتى انحدروا في هاويته فكسروا قواعد النحو أولاً كما في (عروض البلد ، والكان كان)! ثم اندمجوا في العامية فأنشأوا فناً آخر هو (الزجل والموالي وما شابهه) ففسدت الأذواق أخيراً فاهتموا بالألعايب اللفظية كالمنقوط والأرقط. أو بالصور والمظاهر كما في المسمط والمربع والمشجر. وهناك ألعايب بهلوانية مثل الشعر الأرقط والعاطل والحالي والتوأم والأخيف والمعكوس والمطرز والمضمن والمصغر والمورخ ، وكذا المربع والمشجر. وهناك صور وأشكال مثل التسميط والتخميس التشطير ولزوم ما لا يلزم والتفوييف والتشريع. وعلى أبواب العامية كان: الشعر القواديسي والكان كان والموالي والقوما وعروض البلد والزجل ونحو ذلك ، مما يسمسه الدكتور حقي بالإسفاف الأليم حيث يقول: (وقد أسف بعض النظامين بالشعر إسفافاً أليماً منذ بدء عصر الانحطاط حتى العصر الحاضر ، وطفقوا يهتمون بالألفاظ ويتلاعبون بها كأنها كل ما ينبغي للشاعر أن يهتم به ، فتولد عندهم صور والأعيب لفظية كثيرة).هـ. ثم يصف الدكتور حقي هذا الهراء الذي يسمى بالشعر الحر بأن به انعداماً للذوق الفني وأنه انطلق من الترهات وأنه تدمير للذوق الموسيقي في الشعر فيقول: (إنه يحتوي على الترهات التي انطلقت من انعدام الوزن والقافية والوزن الفني. إنه ظاهرة هدامة للذوق الموسيقي في الشعر. إن الشعر أرسنقراطية الكلام أي الذروة من الكلام في بلاغته وسباكته ، لا يستطيع تدوقه واستساغته والاستمتاع به إلا من بلغ درجة من الثقافة والذوق والفهم عالية. موسيقاه تنبع من توالي تفعيلاته على نسق معين ، ينسجم ضمن اتزان من الإيقاع محسوب ، وتختار له الألفاظ الموحية المتناغمة والصور الناعمة الهفافة في الغزل والرقص والغناء وما شابهه والألفاظ المججلة الطنانة في الحماسة والوطنية والحرب وما شاكلها ، وهي في جملتها الأدوات التي رفعت عن مستوى الكلام العادي ، كلام الشارع ، وميزته من الكلام المنشور. فإذا زالت عنه هذه الصفات زال معها اسم

الشعر ووصفه ونعته!) هـ. * وكأني بالمفلسين من أنصار اللاشعر المتفلت قد اقتدوا بالشيوخ الروس وبالآداب الماركسيين الاشتراكيين الذين أول مبادئهم الثورة على القديم والتقاليد والأعراف والعادات أي القديم بكل ما فيه ولو كان ذلك القديم ديناً منزلاً من عند الله أو لغة تكلم بها وأنشد شعره على أساسها الجيل الأول الخير. إن الاشتراكيين الملاحيين يكيلون بمكيالين. إذ نجد أن روسيا وهي ربة الاشتراكية المعاصرة قد حفظت آثار كل أسلافها ، وجعلتها موضع احترام لجميع الأجيال ، وزينتها في متاحفها وتحدث بها الدنيا ، واهتمت بآثار الكتاب والأدباء والشعراء السالفين وخلدت ذكراهم ، فلماذا لا نثور على كل قديمها أولاً؟ هكذا كالمضالون المنحرفون الملاحدة. * على أن أبا تمام في كتاب الحماسة قسم الشعر إلى عشرة أقسام: (فإن عبد العزيز بن أبي الإصبع على ما ذكر الفذ الإبيشي في المستطرف - قال: الذي وقع لي أن كل فنون الشعر ثمانية عشر حرفاً وهي: (غزل - وصف - فخر - مدح - هجاء - عتاب - اعتذار - أدب - زهد - خمريات - مرث - تهان - بشارة - وعيد - تحذير - تحريض - ملح - وأخيراً باب أفرد للسؤال والجواب). هـ. وآخرون قسموا الشعر إلى خمسة أقسام (مرقص - مطرب - مقبول - مسموع - متروك) ، وإنني لأسأل: أين موقع ما يسمى بالشعر الحر؟ وما هو بالشعر ولا النثر. أين هو إذن من هذه الأقسام المذكورة؟ * يتعلل بعض اصحاب اللاشعر المتفلت بأن الأدب العربي قديماً استوعب الموشحات الأندلسية بقوافيها وأوزانها وقد استساغها ، وكانت مع الشعر العمودي جنباً إلى جنب ، وكان قد اعترف بها الأدباء والشعراء ، ونسجوا على منوالها ، وسارت مع الأدب العربي على مدى تاريخه الطويل. إذن فلم لا يستوعب الأدب العربي اليوم شعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر الحر؟ والجواب على هذا السؤال الخبيث يطول بنا شرحه ونوجز فنقول: قد كفانا الدكتور عدنان النحوي مؤنة الرد وتجشم الجواب فقال في كتاب (الحداثة) 211 ، 212 ما مختصره في ثمان نقاط هي: (أولاً: ظهور الموشحات في أرض واحدة من ديار العالم العربي والإسلامي ، فقد ظهرت في الأندلس ، ونقلها ابن سناء الملك إلى المشرق على قصور فيها في المشرق عما بلغته في الأندلس. ولم ترافق اللغة العربية في الأرض. إنها ولادة أرض محدودة وعصر محدود فهي لم تمثل نمواً ممتداً في لغة ممتدة. - ثانياً: لم يكن قط ظهورها إلا في فترة الانحطاط ، مع آثار سينة على اللغة ، جعل الأدباء الكبار لا يقبلون عليها. وهذه نقطة مشابهة لحاله الشعر الحديث. - ثالثاً: من عوامل ظهور الموشحات انحلال الأخلاق الذي أودى إلى هاوية الرقص والغناء واللهو الطرب. - رابعاً: ليس هناك إجماع من المؤرخين على أول من بدأ به. وإن فلم يمتد مع تاريخ الأمة ولا لغتها إلى اليوم ، وإلا فمن اليوم ينظم الموشحات؟ - خامساً: لقد أظهرت بعض محاولات معقولة لا تقتل جذور الوزن والقافية في العصر العباسي كالمخمسات والمزدوجات والمسمط مع محاولات في القافية ، لا تلغي القافية ولا تقتلها. ومع هذا لم تعش هذه المحاولات في الأمة ولم تمتد. وذلك لاصطدامها مع طبيعة راسخة وجذور ممتدة. - سادساً: إذا كانت الموشحات أتت لتخفف قيود الوزن والقافية (كما يدعون) فقد وضعت بدل ذلك قيوداً هي أصعب وأدهى ، يراجع فيها كتاب (دار الطراز) لابن سناء الملك ، وهي قيود خانقة ، وليس هناك قيود للشعر ، بل حاجة وأدوات فنية ضرورية ممتعة كذلك إذا صادفت الموهبة الصادقة أو وقعت على الملكة الحادة. - سابعاً: إن قيود الموشحات من حيث الوزن والقافية والفعل والبيت والأجزاء والبسيط والمركب وغيره ، لا يمكن أن تخرج من سجية وفطرة وبداهة. إنها صنعة وتكلف وتعقيد. ولكن الشعر العربي انطلق فطرة فيها موهبة. ولذلك عاش الشعر العربي آلاف السنين لأنه نمو طبيعي نابع من طبيعة لغته وفطرة إنسان وموهبة سليمة. وأما الموشحات فطويت تاريخاً وذكريات. - ثامناً وأخيراً: هناك موازنة معاصرة بين إقامة علاقة بين

الموشحات والشعر الفرنسي القديم والإسباني القديم الذي كان جُل اهتمامه الغناء والطرب. وموازنة أخرى بين إقامة علاقة بين شعر الغرب إنجليزياً أو فرنسياً مثلاً والشعر الحديث إنها مغالطة). هـ. وحفظ الله الدكتور النحوي ذخراً للإسلام واللغة العربية ومنافحاً عن الشعر العربي الأصيل ، فقد ناظر في ذلك كثيراً ، وناجح بكل ما أوتي من بيان عن العربية شعرها ونثرها وعروضها وقواعدها بالقدر الذي لا يجعل القارئ يتشكك أو يرتاب في أن الذي كتبه الدكتور عدنان النحوي هو عين الحق والحقيقة! والأُن لنطالع معاً قصيدة: (اللاشعر المتفلت) التي تبين موقفي الصارم من هذا الهراء.)

جادل عن المستشعرين ، وزور
وانصر على الحق الهراء وأهله
واضرب بسيفك هامة الشعر التي
واقذف سهامك في البريئة ضادنا
وارم العروض بكل رُمح غادر
وانبش أيا أفاك قبر خيلنا
ودع القوافي في القيود مهيضة
واحجز على شعر الأعراب كله
وافجر ، وصادر يادعي تراثنا
واقفأ غيوان الشعر كي يرضى العدا
وامحق عطا الخنساء والقوم الألى
وانسف بغير هواده ديواننا
(حسان) مات ، فروجن ماتدعي
وشواعر الأعراب في جوف الثرى
كسر الحسام ، فلا تخف طعناته
وفوارس الشعراء بوح قريضهم

واصبغ جدالك بالخداع وحوور
وأطل دفاعك - في النزال - ونظر
شمخت ، وعن ساق الترهل شمّر
واطعن فواد الشعر دون تندر
وبكل وزن - في القصائد - شهّر
واسفك دم الأشعار يا ذا المفتري
واشحد أيا مُحْتال نصل الخنجر
حتى تجامل كل غير مُمتر
عمداً ، وحاكم يا سافية (البحثري)!
واقدم إلى الهيجا بسيفٍ مشهّر
طلعوا على الدنيا بشعر عبقرى
وضع القصائد في مهبّ الصرصر
ومضت من الأعراب أمة (جمير)
والفارسات نعين بنت (الأوزر)
وقضى البيان ، وغاب جيش العسكر
وكماترى أقلامهم في المأسر

فاغمز حصانك ، وانطلق كالقصور
صمت يطمع من يلوك ويمتري
فلك الكلام عن الغفاة ، وزور
يئذ الحقائق في الأنام ، ويفتري
قد أصبحت هدفاً لجيل المكّر
ويقض مضجعها بفكر مهتري
حتى يُروج للهراء الجعظري
واققادها بالرغم نحو المقبر
وادهن نفاقك بالهدوء ، وحبّر
من كل من تكس الروى متحجر
من كل مبتذل النهى مستهتر
شعراً ، وزانوه ببعض تطور
والهازلون - اليوم - أسوأ معشر
وصفوه بالمس تهجن المتأخر
وقد افتروا إثماً عظيماً المخبّر
وأصاب أشقاهم برئ المنخر
والشعرُ جزءٌ من تراثٍ نير
واغتال شعير العرب من لم يشعر
أبئس بسعي للقطيع متبّر
وعدت لهم كتب تشدّ المشتري

وخلالك الجو الذي أمّته
هذا (عكاظ) ، وقد غزا شعراءه
و(مجنة) يُغريك لين حديثه
وارفع على الأصقاع راية هازل
وامح انتسابك للغروبة ، إنها
من كل مرتكس يُزيل صيانها
ويبيد رونقها ، ويمحق شعرها
ويقول: إن السلم أخر مجدها
فالبس عباءة من تذرّع بالهوى
سيعيرك المتفلتون عزيهم
ولسوف يغطك القساة قلوبهم
تعس الحداثيون ، أسموا هزلهم
والشعرُ يبرأ من ركافة من لغا
قتلوا عمود الشعر ، ثم تعلوا
ذهبوا مذهب لا سبيل لوصفها
رموا القريض بحربة في قلبه
طعنوا التراث بما لديهم من هراً
سففكوا دماء شعورنا وشعارنا
أكلوا نضارة ضادنا بشراهة
وتقاسموا دوراً يشوه حسنها

والشعرُ أصبَحَ مَؤنلاً للمُنكر
وكذا القوافي كاليباب المُقفر
وكبيرُهم يهتاجُ فوق المنبر
خافٍ ، وآخرُ ظاهرٌ لم يُضمَر
والآخرُ المأفونُ بين الأسطر
فحلٌّ يزودُ عن الترات الخير
وزنٌ وقافية وفكرة مُبصر
لُمُراد (كسرى) أو لَمَنهج (قيصر)
وليه بريقٌ ساطعٌ كالجوهر
إلا الأديبُ الألمعي العبقري
وليه شذوٌّ في الجو مثل العنبر
وليه بحورٌ ذلت للمُبحر
حتى غدت أبياتُه كالأزهر
تزجي الترنمَ للقريض المُزهر
يشدو الوضوحُ بها كصبح مسفر
أمرٌ يروقُ لذاكر مُتدبر
شعراً بهي المُلتقى والمنظر
أمرٌ يطيبُ لراشدٍ مُتفكر
ولم الجدالُ عن الخنا والميسر؟
ولم التنطعُ في اللجاج الأبتـر؟

لحساب هُود يعملون ، ولا حيا
لم يضبطوا وزناً بأي قصيدة
والفكرة انحدرت لقعر حضيضهم
سُوءان: في فكر ، وفي تفعيلة!
قبحان: قبحٌ في المبادئ جاسم
برئوا من الشعر الأصيل يسوقه
الشعرُ يا أوغادُ أغنية لها
وليه رسالته التي لا ترعوي
وليه شمائله التي يزهبها
وليه فنونٌ لا يُحيط بعلمها
وليه سُموٌّ لا يُنال جنابُه
وليه قوافٍ ينتشي طرباً لها
وليه احتفال بالبديع يزينه
وعذوبة التركيب في إيقاعه
وطلاوة الإحساء في تصويره
وحلاوة الأشعار في صدق الصدى
وسُيولة الأفكار تهدي عطرها
وتناغم المعنى يُزخرف جرسه
فيم الدفاع عن الحداثة منهجاً؟
ولم التشدقُ بالتحرر مذهباً؟

وسكنتم للكيـد أـخـزى أو كـر
ولأنتم - والله - أشقى جيهـر
ولأجل من يا جوقـة المـسـتـعـمر؟
يصف التبختر في القوام السـمـهـري
ثوب الحضارة فوق أنكى منـزر
يا خيبة المتفهيـق المـسـتـشـعر
لكنه لغو وشـرُّ تحـرـر
وتحرروا من نحونا والأبـحـر
قد خاب من يصغي لهم ، أو يشترى
وضلالهم يلقى بصوت أجهـر
وبخورهم يحتج فوق المـجـمـر
والويل مدخر لمن لم يعهر
والقيـدُ مُرتـصـدٌ لمن لم يدع
وكان أبقاراً بدت للأثـور
وعلى الحضور طغى احتساء المـسـكـر
أبئس بجمع معرض مُستـسـخـر!
إننا نعاقبُ بالقطيع المـدـبـر
شر الـورى عاشوا بأخبث أدور
لغو تذرع بالضلال المـجـتـري
خلق السماء ، وشق كل الأنهر

خربتم الفصحى ، فكانت فتنة
ورأيتم أسداً على ضاد الهـدى
لحساب من تتكرون لشعرها؟
وعلى الأنام خرجتم بهـرـائـم
ويضحم الفسق الشنيع ، ويرتدي
جمع التحلل في الكلام مع الخنا
لا فكرة يحوي الكلام ولا هـدى
هم حرروا ألبابهم من دينهم
وإذا لهم كتبٌ تُداول جهرة
وحناجر من ربها لا تستحي
والأمسيات لهم بغير مُنازع
دجل وعربدة وعهر كـالـح
ودعارة يندى الجبين لذكرها
حتى النساء خلعن ملحفة الحيا
والحفل باللاشعر يُشـجـي أهله
حتى خيوط الفجر يلغو جمعهم
ضل القطيع ، وخاب سعي غفاته!
تبأ لما صاغت قرائح عيرهم!
شعر التفاعيل الذي قد لفقوا
وأراه لا شعراً ، وأحلف بالذي

هذا العزيفُ بقضاه وقضيضه!
الشعرُ أوزانٌ وقافية تُرى
ما كان قد وسع الأعرابَ قبلنا
أما اتخذ الغربُ أسمى قدوة
إن خربوا أشعارهم ، فلأنها
لم يكتبوا شعراً له معياره
والفلسون اليوم في تقليدهم
فاقوا الكفارَ تميعاً وتحلاً
(مارينتي) لم يأت الذي كتبوه من
لما يسئب الله (بودلير) الذي
وكذاك (جوستاف) انبرى في شعره
ومضى يُندد بالفضائح - أهله
وأسأل عن (الفرلين) يهدي قومه
وأسأل (ملارمييه) عن أفكاره
واسأل (ماياكوفسكي) عن أهوائه
إذ لا يُلام على شناعة ما دعا
وادرس (أدونيس) الذي فاق الألى
فلقد تبني البنيوية مساكاً
تعس الجوار ومن يُحاور والفنا!
بعدت رموز القوم بُعداً لهاثم!

والشعرُ يبرأ من دعاة تحضر
وقضية تُلقى بكل تدبر
إي فليس غنا اليوم دون تنكر
فهو الشقاء ، وإن تطاول مُفتر
هزلٌ أحيط ببأسه المُتجبر
لنقول خاضوا في القريض المزهر
نشطوا بدون تمعن وتفكر
كلّ توشح في السباق بمزهر
فجر تمخض في الدنا عن منكر
جعلوه أسنوتهم بكل تأثر
للوامع المُنحط دون تحير
يأتونها علناً - ولم يتنكر
لمعيشةٍ مثلى ونهجٍ مُثمر
لم يدع للتغريب مثل المكمر
تلك التي جارت بكل تبخر
فالكفرُ بالرحمن أعتى منكر
سابقوه ، والتضليل تحت المجر
ولها جوارٌ شذخلف الأبور
واشؤم جمع مقرفٍ مُهثور!
أبئس بجمع في الخراب مُيسر!

رباه خُل بين الغشا والمتجر
ودم بغيض في الخلائق مُهدر!
أكرم بشعر في الهدى مُتبحر!
أحلى لذي من الحلا والسكر
من أجل ذلك من حديثك أقصر
وانظر إلى أبعدها والمحور
كي يطعنوك ، وما ذكرت تدبر
أسفي على مثلوم متحسر
أتراهم بلغوا مكانة (عنتر)؟
وهم وما كتبوا كروث الجودر
وكبيرهم قد خاب من مستشعر!
وكاننا يا صاحبي في مجزر
أنعم بتوبة مسكتين خيّر!
أو دون ذلك بالقريض المزهر
فكتابة اللاشعر أكبر منك
ما أنت يا أستاذنا بالمفتر
فارجع لرشدك راجحاً يا عبقر

هم في دماء الضاد باعوا واشتروا
شنتان بين دم حصين مُكرم
لا شعر إلا ما تلت خساؤنا!
لا شعر إلا ما شدا حساننا
أعلمت ما سطرته ، يا صاحبي؟
وزن المقالة: لفظها ومرادها
لا تعطٍ للحمقى حساماً صارماً
إنني أعيذك أن أراك مُفتناً
جادلت عن تخريفهم ، فتعننروا
ما زالت ترفعهم ، وترفع رجسهم
حتى تمادوا في الضلال ، وناوروا
وعلى هدى أسيادهم سحبا المدى
تب للمليك ، ولا تنافح عنهم!
لولا أحببك لم ألمك لحبظة
فدع الهراء ، وعد لما علمتنا
لا تحتسب شعراً هراءً صغته
إنني نصحتك ، والمهيم غايتي

حسابي مع حاقد

(أحد المعارف هو بحق سفية حاقد نذلّ جبانٌ حقير ، تعجز الكلمات عن وصف ما بلغ من الحقد والنذالة والحقارة والخسة. ذلك أنه بلغ في هذه الصفات مبلغاً عظيماً للغاية ولا أزيد. سولت له نفسه الحقيرة أن يتناول على من سخره الله له فعلمه بعد جهل: فأصبح بذلك أعق تلميذ لأكرم معلم. (ولا أزكي هذا المعلم على الله بل أحسبه هكذا). لقد أعطاه ذلك المعلم ما تعجز الكلمات عن وصفه من الرعاية ومن الجود والأخلاق الكريمة ، ومن العلم النافع والأدب الجم والأهل. فأخذ ذلك السفية الوغد يسب معلمه ويرفع يده عليه يريد نهره ولكزه وضربه (معاذ الله أن ينال من المعلم إلى هذه الدرجة وإلى هذا الحد). وأخذ ذلك المعتوه الحاقد يزيد حبات الطين بلة برفع يده عالياً يلوح بها لمعلمه. ألا شلت الأيدي التي ترد الجميل بالإساءة. أخذ يلوح بيده لمن يده قد سخرها الله له فأغنته بعد فقر. ولرجل مكن له في الأرض بعد شتات وأعزه بعد مذلة وآواه بعد أن كان مأواه كل رصيف وشارع ، وجاد عليه بكل ما يملك. وهم الحاقد العريبد الجبان أن الحقيقة يمكن أن تموت. وكم قدم المعلم السماح من قبل مراتٍ مماثلة رجاء أن يمن الله عليه بالهداية. ولكن دون جدوى ازداد المجرم إجراماً. وإذا بالقشة التي قصمت بظهر بعير العلاقة والتي ناء بها التعارف ، وقيل: يا أيتها العلاقة ابلي مودتك ، ويا قرابة انتحري وقضي الأمر وانتهت المشادة السبائية التناولية الملعونة بالفراق الذي ليس بعده وصل وبالاختلاف الذي ليس وراءه اتفاق ، واستوت سفينة هذه المعرفة على جبل البغض في الله حتى يموت هذا المعلم المظلوم المهضوم الحقوق (إلا أن يشاء الله ويهدي ذلك الجافي المتجاوز لحدود الله تعالى). وقيل بعداً لأقارب لم يراعوا حق القرابة ، ولمعارف لم يعرفوا حق التعارف ، ولرعاديد أوباش أراذل أخسة أنذال جنباء دخلوا حياة المعلم البانس المسكين ، فجنى بمعرفتهم الحنظل ، وتجرع المصائب والمحن والإحن والآلام. والخطأ خطوه إذ افترض الخير فيهم وهم من غير أهله. (وهنا الطامة الكبرى أن يفترض زيدها من الناس من عمرو منهم ما ليس فيه. ترى يخدع من؟ إنه لا يخدع إلا نفسه!) فقربهم المسكين من نفسه ، وجعلهم صفوة من يعرف في هذه الدنيا ، وهم ذناب بشرية في جثامين الإنس يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويتكلمون بألسنتنا وهم من جلدتنا ، فلهم أسماء المسلمين وشعارات المؤمنين الموحدين. ولما كانوا على قلب رجل واحد في العداوة والشر والبغضاء قام ذلك دليلاً عنده على هزال الصلة التي كان في حقيقتها مخدوعاً فيهم. ولن تموت الحقيقة أبداً. وسيعيش ذلك المعلم المخلص يحفظ تلاميذه وأبناءه ومن يمت له بأي صلة نشيداً هو (وكن للناس ما كانوا لخالقهم) ويحذروهم من أن يفترضوا واقعاً وصفات حميدة جلييلة في أنذال أراذل هم عارون تماماً عن شئ من القيم. ولقد صبر ذلك المعلم المبتلى جداً على الدغاول والمصائب التي أنزلها به هؤلاء الجبناء. وعزاء هذا البانس: أن الله يسمع ويرى ، وأن الله يستجيب دعاء المظلوم ويقسم بذاته العظيمة بأن ينصرها ولو بعد حين. وعلى الله جزاء المفترين الحاسدين الحاقدين. ويخاطب هذا المغرور (الطاووس) فيسأل: إلى متى الغرور واستعباد الناس؟ وإلى متى النفخة الإبلسية الملعونة الكاذبة؟ وإلى متى المعيشة في البرج العاجي والركون إلى الأوهام والآمال والأمانى؟ وإلى متى إجبار عباد الله على السير بالمنطق المتسافل عبر المنظومة الدجلية الممقوتة التي تفضي بهم جميعاً إلى جهنم والعياذ بالله. ويذكر ذلك المظلوم من تناول عليه بالباطل فيقول: ألا تذكر أيها الحاقد الجبان

جميل معلمك عليك يوم لم تكن شيئاً مذكوراً في المجتمع المريض الذي نعيش فيه؟ إن هذه القصيدة من قصاندي التي أفتخر بها ، إذ هي تمثل مرحلة تقييم جديدة وتخط درباً هي الجديدة من نوعها للتعامل مع ثعابين الإنس وذئابهم. (وما اعتدينا إنا إذن لظالمون) ، (ذلك ومن عوقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله. إن الله لعفو غفور). ولئن كنا في زمان العيال وموت الرجال ، فلقد يأتي زمان يُطالع فيه الأحفاد فضلاً عن الأبناء ما صاغ الأجداد. فلا يسيرون على نفس الطريق الذي نزف الأجداد عليه الدماء وتمزقوا إلى أشلاء. بل يدركون الدرس العظيم ويستلهمون العبرة الثمينة. يقول الله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون). ومن هنا ينتصر هذا المعلم المظلوم عبر قصيدتي ، وقد جندت قلبي للدفاع عن قضيته. وأذكر معه وصية أبي جعفر الخطمي التي ينقلها عن جده عمير بن حبيب وكان بايع النبي - صلى الله عليه وسلم ، أوصى بنيه فقال لهم: (يا بني إياكم ومخالطة السفهاء فإن مخالطتهم داء ، وإنه من يحلم عن السفية يسر بحمله ، ومن يحبه يندم ، ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفية يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى وليوقن بالثواب من الله عز وجل ، إنه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مس الأذى). هذا ، وقد كان أحد الأعراب قد ذم حماره فقال: (الحمار بنس المطية . إن أوقفته أدلى ، وإن تركته ولى ، كثير الروث ، قليل الغوث سريع الفرارة بطيء في الغارة لا توقي به الدماء ، ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الإناء). والشاهد من هذا كله أن هذا المعلم المفترى عليه يريد أن يقول لأبنائه ولأحفاده ولكل من يُطالع وصيته وهو يدخل من بوابة أبي جعفر الخطمي ومن بوابة الأعرابي ذام حماره ليقول للكل: (السفاء كالحمير إن وقفتم معهم كانوا وبالأ عليكم وأخروكم عن بلوغ الذرى والمنى ، وإن تركتموهم ولوا عنكم مدبرين وقد نقلوا عنكم للناس ما أنتم عنه عارون ، وقالوا لهم ما ليس فيكم وكنتموا بذلك عن الناس خير سجاياكم. والسفهاء قليلو المروءة ، عديمو الوفاء. يتدينون بالسفاهة في القول والفعل والكلام. ليس عندهم شهامة ولا نخوة ولا مروءة ، لا يتورعون عن الكذب والنفاق والرياء والخداع ، ولا يغيثون ملهواً مستغيثاً ، ولا يخفون إلى نجدة أو مروءة!) ونعوذ بالله من الجبن والردالة والغش والنفاق والحقد والبخل والحسد والخسة. آمين)

- | | |
|-------------------------------|------------------------------------|
| حتى متى النذل بالأحقاد مشغول؟ | إن السفية - عن الأضغان - مسؤول! |
| حتى متى شبح يُغريه ما كسبث | يدُ الجبان ، فتغويه التماهيل؟ |
| حتى متى شبة تشوي جوانحه | والحقْدُ - من ثقل البلواء - مفتول؟ |
| حتى متى تمحق الظنون نيته | وتستبد بروياه الأضاليل؟ |
| حتى متى يكتوي بنار خرقته | هذا الحقيِرُ ، وتعرّوه الأباطيل؟ |
| حتى متى الغل يسري في جوارحه | والقلبُ بالغل مقبوح ومردول؟ |

والظالم - الدهر - مهذور ومختول
والخذل عار ، ومن يخذل فمخذول
والقوم - عن نصرة تُرجى - مناكيل
في ظلها الحق للمظلوم مكفول
حق ، كأنهم عير مهازيل
من الكرامة ، نعم القوم والجيل!
من زاد عيشته فينا الأقاويل
والوزن ألبس ، والتقييم مشكول
والجود إن دعت الحاجات مبذول
وفوقه خنجر الإجرام مسدول
بالجود بالنفس والأموال مشغول
إلى العفيف ، لسان الغدر ضليل!
إن الأصيل لما تأتيه مغلول
لا يستوي عاطر الرؤيا ومدخول!
وفي مداخلها الرعاء تفصيل
وماله سبب يرضي ، ومدلول
كلا ، ولا منطق في الحق معدول
لا حبذا ناضل يخزي ، ومنضول!
كأنها أبيض في الحرب مسلول
هل جاء باللعن قرآن وتنزيل؟

حتى متى الظلم ترجيعاً يردده؟
حتى متى البطش بالإنسان ديدنه؟
ضاعت حقوق ، سعي الحيف بددها
وقطع البغي - بين الناس - آصرة
وذبح الجور أعناق الكرام بلا
والحمق أودى بما شاعت ضمائرهم
والموبقات غدت ديراً يتيه به
ولم تعد تثقل الإنسان شرعته
يا حاقداً غره فينا تسامحنا
يا مجرمًا قلبه في الجرم مُرتكس
شئت يمينك إذ تهوي على رجل
كف اللسان إذ امتدت خناجره
هذي الحقارة من يرضى فظاعتها؟
هذا التطاول من يرضى بباطله؟
هذي الدناءة في أخزى معالمها
هذا السفول ، وأنت - اليوم - رائده
هذا السقوط ، ولا شيء يُبرره
هذا النضال لدحض النور مهزلة
هذا التراشق بالألفاظ جارحة
هذا التلاعن للأجداد قد رحلوا

لميّت القلب ، مَنْ بالهزل موصول
هل جاء بالسب توراة وإنجيل؟
قضى ضحيتها بالبغي بهاول
وفي التلافيف للرائي تفاصيل
وفي السراديب تهتاج الأفاعيل
كان (أبرهة) ، وتحتاه الفيل
وفوق موكبه الطيرُ الأبابل
من بعد ما ضمه للكيـد سجيل
وفي النزال أراجيفٌ وتزيميل
وبعدُ أغراك تقسيمٌ وتنفيـل
وما اعتراك عن التقبيح تخجيل
وما عداه فتوقيرٌ وتزييل
وخاطرُ الشهم مرهوبٌ ومأمول
وما سبب العقل ترجيحٌ وتفضيل
كان عقلك - يا معتوه - مخبول
إلا الرعايدُ ، والعدوانُ مهزول
وسيفُ غدرك في الهيجاء مصقول
تذيبُ قلبك في البأسى التهاويل
وأنت من صولة الأعداء مكبول
إن الذليل - على الهوان - مَجبول

هذا التردى ، وقد طابت مرارته
هذه المسبة من في الأرض شرعها؟
هذي الرعوناة للأرحام مذبحه
هذي الجهالات ، من يأوي لحماتها؟
هذي الدغاول أججت الأوار بها
وأنت بالنفخة الكأداء مُدرعٌ
والأشرم الصل يجتاح الوغى حرباً
ترمي الحجارة في فخر وفي صلف
تغشى النزال ، تخال الخصم مُرتجفاً
جعلتني هدفاً في كل خدمة
ما ردك السن ، يا صعلوك عن سفه
وفرّق ما بيننا عقدٌ يباعدنا
وما استحيت ، فلأستاذ هيبته
وما احترمت مشيباً زارني عجلاً
وما اشتريت كراماتٍ عبثت بها
أشهرت سيف اعتداءٍ ليس يُشهره
أعلن الحرب يا غدارُ في وضح؟
نارٌ علينا ، وللأعداء قِطتهم
غضنفرٌ أنت - إن حاربتنا - شرسٌ
لن نشحد الرفق من قاس يُحاربنا

لن نركع اليوم إما رُميت ذلتنا
نحن الكرامة في أسمى مدارجها
نحن الرشاد ، فرب الناس أرشدنا
نحن الشجاعة جلت عن تساقمها
لن نكتم الحق مهما طف باظلمكم
مهما انحدرت إلى قعر الحضيض فما
الوحد أنت ، ولي الجوزاء مركبة
لا أمدح النفس ، إن الله أعلم بي
لكن أعدد فضل الله محتسباً
إني أحدث بالتكريم جملني
فهل رُيت شريفاً طاب مَحْتِدُهُ
وهل نثرت على الأصهار ما نثرت
وهل خصصت بشئٍ فيه منقبة؟
وحاملٌ همَّ خلق الله محترماً!
وإن قصدت لأمرٍ فيه بذل عطا
وإن أتاك معوز كي تبلغه
في نفسك الشخ ، والتقتير مدخر
دناوة مالها في الناس من شبه
وخسة مالها في الأرض من مثل
ونفخة تعترى شخصية حُبست

ولا يُهددنا يا وغد تذليل
ودارنا - رغم أنف المعتدي - الغيل
وتلك نعمته ، والخير مفضول
ونحن بالحق - في الدنيا - بهاليل
نحن الأصول ، فهل تزوى التاصيل؟
مثلي يُجرجره للقاع توحيل
وإنني علم ، وأنت مجهول
ونكر نعمة رب الناس مقبول
وذاك للآية الزهراء تأويل
وللمليك بشعري العف تجيل
بل كل ما تدعي يا نذل تضليل!
يذ الجواد؟ ونكر الخير تبطيل!
أم عالية أنت ممجوج ومملول؟
لكن مثلك ياد هقان محمول
فإن جودك تسبيط وتكسيل
حار المعوز ، وأزته العقابيل
والاعتذار بملء الفم معسول
والفهم مُنعدم ، والفكر متبول
ونية خبثت ، والعزم مبتول
في غيها ، وبها الإحساس مقتول

أواه ، كم يذبح الإنسان تسويل!
في حماة المال مغموس ومقول
تشدو بها غرداً ، والقلب مجذول
نذلاً بضاعته كبر وترهيل!
بين الخلائق ، بل جهل وتجهيل
على المعلم ، بس الفعل والقيل!
تشينك الدهر ، إن العقل معلول
نور الحقيقة لا يخفيه تخييل
وبين من قوله فصل ومعقول!
بضاعتي إذ دعاني الحق تطويل!
وكل دوري لهذي الكف تقبيل
قلت مرابع صرعاة المكاييل
حتى متى أنت مخدوع ومعزول؟
ولن يفيدك ترقيع وتجميل
ولا يغرك تميغ وتمييل
هو المشرع ، ما للنشرع تعديل
وما أحل لنا فنعم تحليل!
هل ذاك عنه ولي الله مغفول؟
أو جنة بخلاها البر مشغول
إذ ليس يعبا بالتوحيد ضليل

وسافل دنس الشيطان عالمه
وراغب عن هدى الرحمن مرتكس
والعجبية في دنياك أغنية
والحمق طبعك يا بوس الألى صحبوا
والجهل أنت ، فلا علم تتيه به
لولا سفولك لم ترفع يداً قطعث
لولا ترديك لم تنطق بنابية
أتكر الفضل قد جاد الأصل به؟
شتان بين عطيب القول مجتري
تريدني تبعاً في كل مهزلة
تمد كف الأذى بالشر مشرعة
منظومة لعنت يا غر في زمن
انزل من البرج ، إن البرج من صلف
الناس صنفان: مطياع ومبتدع
حدد هويتك الرعناء ، يافسق
إما عبادة رب واحدٍ أحدٍ
إن حرم الله شيئاً لا نقارفة
يا مستريب ، وإما شرع من كفروا
واعرف مصيرك: إما النار مؤصدة
كم قد دعوناك للتقوى ، فما نفعث!

وليس في سيف شعري - الآن - تفليل
فبؤ بائمي كما قد باء (قابيل)
وقدوتي اليوم يا غدار (هابيل)
يداك يا غر: هذا الطول والطول
من بعد ما أخدمت فيها القناديل
أما السباب فمقبوح ومسمول!
مع العدو ، ففي الإرجاف محبول
وفي منازل الأعداء مشلول
إذا رأيتهم قلت: الرأبيل
وهم إذا صحت الرؤيا عطايل
وإن أصابوا فهم - صدقاً - مثاكيل
والذئب في ذمة التسديد ممطول
ودربهم هربت منه المناويل
عن الأمانة هم - صدقاً - مشاغيل
لأن أعيانهم عن حقا حول
هم النساء ، وفي السوق الخلايل
لأنه عند صدع الحق مثلول
وعندكم يستوي جبت (وجبريل)
تأتون صاحبها ، والأمير تعجيل
وتم للغير تمليك وتحصيل

لما نباغثك بالعدوان يا قذراً
لئن بسطت يداً بالغدر قد ملئت
حتى تكون بنار الله مصطلياً
أجرى المليك على يدي ما كسبت
كنت السراج ، أضاء الدرب إذ حكت
واليوم ترفع كف البغي كالحاة!
الهر أنت إذا كانت مواجهة
وساعد النذل مرفوع يهدونا
شباب العيال بلا علم ولا أدب
وهم صغار عقول ، خاب مادحهم!
إذا أصابوا رأيت الكيد ديدنهم
إن حدثوا كذبوا ، أو عاهدوا غدروا
والخلف للوعد تاج فوق رؤسهم
أما الخيانة: حدثت ، ثم لا حرج!
لم ألق من بينهم شهماً يوقرنى
هم الحثالة ، إن غابوا وإن حضروا
هم الأخرسة مهما عز باطلهم
إن النفاق لكم دين يميزكم
وإن بدا لكم نفع ومصالحة
حتى إذا ما انتهت شأن ومنفعة

من بعدما شمل الأوغاد تخويل
حتى احترقت ، وأردتني الأباطيل
وأنتم في افتراء السواى مقاويل
وقد تضيق بما يحكي التماثيل
إن لم يُجره فذا بالكيـد مشمول
وماله - عندنا - إن عشت تأجيل
لأنني - من لظى أهليه - مثقول
نهاية الدس والتغريـر تقـتيل
والشعرُ سيفٌ على الأوغاد مصقول
ولغز وجهيه - بين الناس - محلول
ويُذحرُ الكيـدُ فوراً والتحاويل
آثرتُ سيفاً له بالشعر تهـايل
من الهوان ، وفي الأبيات تظليل
لكي تصفـيها بعد الغراييل
ولكـزه ، ومهينُ الشـهم مـردول
من الإهانة ، والتهديدُ تنكيل
قومي ، فبعثني - في الدرب - تطفيل
وكان لي في الورى عز وتجليـل
يفري الفواد على التقبيح مجبول
كأس المذلة ، إن الذل منكول

عيب الذي كنتم ترجون نفحته
خدعتُ فيكم ، ولم أنظر لعاقبتى
كم اخترعت حكاياتٍ ملفقة!
في الافتراء أفقتم كل مجتري
ويحفظ الله من يغدو لكم هدفاً
هو النفاق - من الأعماق - أمقته
عهدٌ عليّ أعريه وأفضحه
و(ابن السلول) فمقتولٌ بمقصلي
هذا العقابُ يكافي ما جنت يده
إن المنافق - مهما عاش - مفتضح
وسيفٌ باطله لا بد منـتلم
والشعرُ أنجعُ في فضح السفيه ، لذا
أسطر اليوم شعراً ما أمر به
هذي الحقائق من قلبي أدونها
كيلا أرى الابن ينسى سب والده
كيلا أرى الزوج تنسى ما ابتليت به
كيلا أسامح من حثا التراب على
كيلا أعود لظعان يُجرحني
كيلا أعود للغان عديم حيا
كيلا أعود لغدار يُجرعني

مع الأراذل ، حيث القال والقيل
أروي الحقيقة ، ما عندي أقويل
وهم - ورب الورى - بهم مناكل
فعالهم سافلت ، والقول منحول
أما القوافي ، فأضنتها التآيل
وليس يرجع ما قد ضاع تأميل
ولن يطيبها - والله - تكحيل
وقض مضجعا - في الكرب - ترجيل
والأمر فيها - إلى الجبار - موكول
وكم تنوء بنا هذي المثاقيل!
وليس يجدي - مع التدمير - تبثيل
وأعجلتنا فمافى الأمر تمهيل
فبئس ما اقترفت ، وبئس تكليل!
فبئس ما صنعت! وبئس تعطيل!
كلا ، وليس له في الخلق تمثيل
إذ يقتل الوصف تهوين وتقليل
والشعر يتحرف إذ يحدوه ترسيل

كي يقرأ الأهل والأحفاد تجربتي
حيث الكرامة تبكي ذل صاحبها!
كي يعرف الناس أوباشاً وثقت بهم
كي يعرف الخلق ما عانيت من عجز
نزف الجراح غدا في الشعر منتحياً
والحزن في القلب ، والشكوى محيرة
والعين دامة تبكي مصيبتنا
أما الضمير فقد غاضت نضارته
هذي المواقف خطت درب صحبتنا
هذي البلايا على أعصابنا ثقلت
هذي الدعاوى فتت في علاقتنا
أدمت خطانا ، ولم ترحم تغربنا
وكللت بالأذى سعياً يجمعنا
وعطلتنا عن الإسلام نحرسه
وكبلتنا بقيد مال له شبة
ولا أقلل من وصف يحددها
وسوف أقرأ هذا الشعر معتبراً

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

الأضغان: أوساخ القلب. التماهيل: ج تمهيل وهو الإمهال والإملاء. الأضاليل: جمع ضلال. تعروه:
تغره. مختول: مخدوع. الحيف: الظلم. مناكيل: متقاعسون. أصرة: رابطة أو صلة. مكفول:

مضمون. الجور: الظلم. عير مهازيل: أي حمير هزيلة. الأقاويل: سفاسف الأقوال. مشكول: مخلوط. ضليل: أي ضال. مدخول: معيب. السفول: السفالة. مدلول: مبرر ومسوغ. الأبيض: السيف. التراشق: المبارزة (والبادي أظلم ولا شك). المسبة: العار. الرعونة: القبح. بهلول: العظيم في عشيرته. الدغول: المصائب. أبرهة: هو أبرهة الأشرم صاحب جيش هدم الكعبة. الصل: الثعبان. الوغى: الحرب. الطير الأبايل: أي طيور متتابعة في صور جماعات عظام بعضها في أثر بعض من كل ناحية ، وأبايل: اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وقيل: واحدة إبالة وهي حزمة الحطب الكبيرة شُبّهت بها جماعات الطير في تضامها. سجيل: السجيل هو الديوان المدون فيه عذاب الكفار ، واشتقاقه من الإسجال أي الإرسال. النزال: الحرب. تزميل: إخفاء ولف. خندمة: أي معركة. تنفيل: تقسيم الغنائم. تخجيل: حياء وخجل ولوم. عقد: عشر سنوات. توقير: احترام. مخبول: فيه الجنون والعتة. الرعايد: أرادل القوم. الهيجاء: الحرب. غضنفر: أسد. مكبول: مكبل مقيد. مجبول: مفطور. مدارجها أي درجاتها. الغيل: الأجمة تأوي الأسود. تسامق: علو وسمو. بهاليل: سادة شرفاء. طفّ: زاد وفاض. التاصيل: الأصول والدعائم. توحد: وحل الطين. تأويل: يتأول الآية أي أنه كان يفسرها. مَحْتَدَه: أصله وشرفه. منقبة: شرف وسؤدد ومكانة. مملول: يمله الناس. تثبيط: حمل الناس على التقاعس. العقابيل: الموانع. الشح: البخل. متبول: سقيم. مبتول: مقطوع حسير. تسويل: أي وسوسة الشيطان. ممقول: معمى عليه مغموس مطموس البصيرة. العنجهية: العجرفة والقبح. مجزول: فرحان. ترهيل: كسل عن معالي الأمور. القيل: أي الكلام والقول. المكايل: أي المعايير والموازين. صلف: غرور. مطياع: كثير الطاعة وهي صيغة مبالغة من طانع. فسق: فاسق. تميل: ميل عن الحق وحمل الناس على ذلك. لا نقرفه: لا نقربه. مستريب: شاك. مغفول: مصروف حيل بينه وبين الحق. ضليل: ضال. نباغتك: نفاقك. تفليل: من فلل السيف أي ثمله. قابيل: ابن آدم القاتل. هابيل: ابن آدم المقتول. الطول والطول: كناية عن العز والرجد في المعيشة والترف فيها. حلكت الدرب: أظلمت. مسمول: الكلمة مأخوذة من قول العرب عين مسمولة أي مفقوعة. محبول: وقع في الحباله (الشرك). الرابيل: الأسود. عطايل: النساء الجميلات فائقات كل حسن. مثاكيل: ج ثكلى ، وهي المرأة الكسيرة قد كسر فؤادها حزناً على ميت لها. ممطول: فيه مظل. المناويل: جمع منوال وهو ما نعي به معالم الدرب وعلامات الطريق. مشاغيل: مشغولون. أعين حُول: أي فيها حَوْل بين يمنع هذه العيون من رؤية الحق وإدراك الصواب. السوق: السيقان. الخلاخيل: ج خلخال وهو ما تزين به المرأة ساقها. مثمول: مهدم. الجبت: السحر أو الصنم. العير: الحمير. تخويل: أي تمليك. الأباطيل: الضلالات. السواى: الباطل والسوء. مقاويل: ج مقول وهو من يجيد الكلام. التماثيل: ج تمثال. أمقته: أحقره. مثكول: مجروح. ابن السلول: المقصود به هنا عبد الله بن أبي بن سلول شيخ المنافقين وصاحب الإفك لعنة الله تعالى عليه. مقصلة: حربة. الدس: هو افتراء القول. التغرير: الخداع. مصقول: مشحوذ مسلول. التحاويل: محاولات والأعيب الخداع. تطفيل: التلوث بوجه التراب كناية عن الذل والهوان. تجليل: احترام. منكول: بنيس. بُمهم: أي بهائم. الثاليل: جمع ثؤلول وهو الدمّل.

تغير الحال أم الخال؟!

(تجشم المشتاق لزيارة خاله بعد فراق دام عقداً ونصف. وإذا بالخال يعتذر عن اللقاء رغم استطاعته. فراح ابن اخته يذكره بالماضي ويلومه على هذا السلوك العجيب ، ويعترف له بالفضل والجميل ، ويذكره سالف عهده من العطاء والتفاني بلا حدود. ويتمنى لو عادت هذه الأيام التي كانا يتبادلان الحب الحقيقي دون أحقاد أو ضغائن أو منغصات ، في كنف عائلة كريمة متحابية متألّفة يعطف كبيرها على صغيرها ويرحمه ، ويحترم صغيرها كبيرها ويوقره. أيام كانت أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع إذا قورنت بأيامنا الحالية. ويعود تاريخ كتابة هذا النص إلى صيف عام 2000 م ، وكان عمري عامها سبعة وثلاثين عاماً ، وكنت قد عانيت في كتابة هذه القصيدة الأمرين ، وترددت كثيراً قبل الشروع في كتابتها. وهممت بعد أن جف الحبر عنها ورفع القلم عن تصحيحها واعتبرتها واحدة من قصائدي العتابية ، هممت أن أمزقها وألقي بها بعيداً عن عيني. ولكنني أردت أن أجعلها مثلاً يُحتذى ودرباً يُتبع في العتاب الذي يتعين بين ابن الأخت والخال ، خاصة إن كان خالاً يستحق معنى الكلمة الحقيقي عندما يقوم بواجبات الخوولة كما ينبغي لها أن تكون. الخال الذي يعتبره المصريون والداً له من الوالدية الجزء الكبير! فإذا به ينقلب فيتنكر لما تقتضيه الخوولة والوالدية والضيافية التي كان ينبغي أن تراعى! إنني أعتب هنا وأسأل: ما الشئ الذي تغير؟ ومن الشخص الذي تغير؟ إننا نعلم الأحوال والأغيار عندما نتهمها بالتغيير! وأجعل عنوان القصيدة هكذا: (تغير الحال أم الخال؟!) وإنني لأسأل الله تعالى أن يزيل الغشاوة التي على عيني ذلك الخال ليُدرك أن ابن اخته لا يزال حافظاً للود مراعيّاً للقرابة معترفاً بالجميل والفضل مبقياً على كل وشائج المودة والقربى حتى آخر رمق في حياته. وما عانيت في حياتي كلها من خلق دني في إنسان ما بعد الكفر والشرك بالله قدر ما عانيت من مسلم يهضم الآخرين حقوقهم ويأخذ ولا يعطي وينتفع بالصحبة والأخوة والقرابة ولا ينفع أهلها إن استطاع. إن الحياة أخذ وعطاء ، ومنفعة وانتفاع. وليست كما يحلو لكثيرين أن يتصوروها أنانية وخذلاناً للآخرين وانتقاصاً لمقاديرهم وهضماً لحقوقهم! ألا إن المروءة والنجدة والجود صفات ثمينة لا يتحلى بها اليوم في الناس إلا القليل! وهذه الخلال لا دين لها ، فلقد يتحلى بها المسلم والكافر على حدٍ سواء. قال معاوية للحسن بن علي: ما المروءة يا أبا محمد؟ قال: فقه الرجل في دينه ، وإصلاحه معيشتة. قال: فما النجدة؟ قال: الدُّبُّ عن الجار ، والصبر عن النانية ، والإقدام على الكراهية. قال: فما الجود؟ قال: التبرع بالموجود ، والإعطاء قبل السؤال. وجرى بين أبي الأسود الدولي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه ، وأراد أخذه منها فصار إلى زياد وهو وال بالبصرة ، فسبقتة المرأة فقالت: أصلح الله الأمير! هذا ابني كان بطني له وعاء ، وحجري له فناء ، وثديي له سقاء ، أكلوه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل كذلك سبعة أعوام حتى كملت خصاله ، واستوكفت أوصاله ، فحين أملت نفعه ، ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرهاً ، أيها الأمير. فقال أبو الأسود: أصلحك الله هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعتة قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في أوده أمنحه حلمي ، وألهمه علمي ، حتى تحكم عقله واستحكم فتله. فقالت: أصلح الله الأمير – صدق ، حمله خفاً ، وحمله ثقلاً! ووضعه شهوة ، وضعته كرهاً! فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك ، ودعني من سجعك يا أبا الأسود! وليت الخال إذ تنكر للمروءة اعتبرني ضيفاً عليه لا ابن أخت ، فخلع عليّ

وصف الضيافة وأولاني حقوقها! قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يؤثمه) متفق عليه. ومعنى: (جائزته يومٌ وليلة) أي: يكرمه ويتحفه ويحفظه يوماً ، وثلاثة أيام ضيافة ، وقال الخطابي معناه: أنه يتكلف له في اليوم الأول ما اتسع له من بر والطف ، وأما في اليوم الثاني والثالث فيقدم له ما كان بحضرته ، الاجتهاد في اليوم الأول هو الجائزة ، والثاني والثالث ما كان بحضرته ولا يزيد على عاداته ، وما كان بعد الثلاث فصدقة ومعروف ليس بواجب عليه. وقوله (صلى الله عليه وسلم): (ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يؤثمه) معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عند المضيف بعد الثلاث من غير استدعاء إلا إذا أصر وألح عليه وطالبه بذلك ، لئلا يقع المضيف في الإثم والحرَج. وعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة الضيف حق على كل مسلم ، فمن أصبح بفنائه - أي: الضيف - فهو عليه دين إن شاء اقتضاه وإن شاء تركه) رواه أبو داود. وعن عقبة بن عامر قال: (قلنا: يا رسول الله! إنك تبعثنا فننزل بقومٍ فلا يقرؤنا فما ترى؟ فقال: إن نزلتم بقومٍ فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا ، فإن لم يفعلوا فأخرجوا منهم حق الضيف الذي ينبغي له) خذوا منهم ، رواه مسلم. أقول: ليت هذا الخال العجيب أمره إذ أسقط حق الخؤولة لأي داعٍ من الدواعي ولأي سببٍ من الأسباب ، ليت منحنى كما أسلفت حق الضيف ، بموجب هذه الأحاديث على قائلها أزكى صلوات الله وأتم تسليماته ووافر بركاته! تلك الأحاديث التي قرنت حقاً كمال الإيمان باكرام الضيف! وأسأل الله أن يعي ذلك الخال المبدأ الذي كتب له النص!

- | | |
|------------------------------------------|-------------------------------|
| خَالَ بِأَيِّ شَنْارٍ بُوَّتَ يَا خَالَ؟ | وكيف أرتك أطواراً وأحوالاً؟ |
| وكيف تطعن بالبهتان سُمعتنا؟ | والطعن والكذب والتضليل أوبال |
| وكيف ترمي بسيف الغدر عِشرتنا؟ | فأين عُرفٌ تلاقى عنده الآل؟ |
| وكيف تقصم بالتوهيم مَحْتَدنا؟ | أواه كم تنقص الأقول أفعال! |
| وكيف تنكسر مُحْتالاً علاقتنا؟ | لطالما زيف الصلوات محتال! |
| وكيف تقطع حبلأً كان يجمعنا؟ | عليه كم عُقبت رُوى وآمال! |
| وكيف تهدم ما شادت عزائمنا | من الوداد ، وفي النيات أطلال؟ |
| وكيف ترفع كفاً طالما بذلت؟ | تهوى بها مثلما يحتج أنذال |
| وكيف تُشهر سيف الكيد مُحدرأً | إلى الحضيض؟ ألا خانتك أصلال! |
| وكيف أهدرت عن عمدٍ قرابتنا؟ | أهكذا يذبح القرابة الخال؟ |

ويكذبون إذا عن شأننا قالوا؟
إن قلت حقاً سعتُ بالحق أشبال
فكنت تعذرنا ، فنحن أطفال
وأنت للخير مِقْوَالٌ ومِفْعَال
ويوم المنافى في الخلق إذلال
والجودُ يسلكه في الناس أبطال
فنعَمَ منقبةً! ونعمَ أقوال!
وأنت يا خال - بين الأهل - مِفْضَال
والجودُ بالثوب إيثارٌ وإِفْضَال
وحملك الغيْرَ توفيقٌ وإِجْلَال
فلم تغفنا عن الأمجاد أهوال!
وليس يحيا رفيع الشأن مجهال!
وحينها لم يكن - في قلبك - المال
على الخيور لها في الفكر إعمال!
وكل شهم له جودٌ وإِفْضَال
وكم تنوءُ بأسد الغاب أحمال!
كما تقل - لأهل العزم - أمثال
والهمة انتكست ، واحلواك الحال
فكيف يلويك عنا القيل والقال؟
وأنت بالأهل موفورٌ ومِكمال؟

كم كان يحسدنا الأغرأب إن نظروا
وكم رأيتك في الجوزاء قدوتنا!
وإن تحذر من الأخطاء نفعلها
علمتنا الجد في الأمور نركبها
أعنتنا يوم أحنى الضعف هامتنا
وجُدت إذ بخلت دهرأ أقاربنا
وكنت شجعت من خارت مطامحه
وكنت أعطيت من يرجو مساعدة
وكم أعرت رداءً كنت تلبسه!
وكم أبنت علوماً شدماً عجمت!
وكم سهرت تقوي أزر همتنا!
وكم أعرت كتاباً من يتوق له
وكم تصدقت بالأموال تملكها!
وكم تفضلت بالنصائح اشتمت!
وكم تجشمت أعباءً مثلتاة!
وكم تحملت في صبر وفي جلد
وقل مثلك في الأهلين أجمعهم
واليوم حالك لا يرضي وشيجتنا
حتى رأيتك لا تغشى محلتنا
ماذا تغير كي تبيع صُحبتنا

من بعد أن قطعَتْ للوصل أحبّال؟
بنس الفراق طغى! وبنس إيغال!
حق؟ فبنس خطي! وبنس ترحال!
تُردي ، وملحمة تُفني ، و(زلزال)
وإن هذا - على التحقيق - إضلال
لكنّ غيث ودادي اليوم هطال!
وإن صمّت فشعري الغضّ مقوال
فربما فطنت للشعر أجبال
فصرختي اليوم ألوان وأشكال
وتارة يحتوي عينيّ شلال
حتى يُقال بأنّي جدّ هوال
أن لا أشمّت من عن نجدتي مالوا
والخذل موت ، وبعض الخذل أغلال
وخلفهم قد سعى بالخذل أخوال!
نار الصراع ، وفيها الجور يختال!
فطالما حطم الضمير إغفال!
وكل خير له قصد وإعمال
والأمر متضح ، ما فيه إشكال
إلا اعترافك بالتقصير (يا خال)!

أتستبيح بلا عُذر قطيعتنا
أتوغل - الدهر - في آفاق فرقتنا؟
أترحل - العمر - في درب الخصام بلا
تشن حرباً لها في التيه موعدة
وتدعي أننا بغنا علانقتنا
قد يصدق القول في أهل بليت بهم
ألوم إن كان لومي مثمراً عبّاً
وأزرع الشعر في أصقاع تجربتي
فطالعت صرختي مما جنت رحمي
طوراً أخبئ في قلبي جوى ألمي
وتارة أشتكى من هول مُعضلتي
ويعلم الله أنني في الأسى قمين
لكنه الجرح من قرابة خذلث
مصيبة أن ترى الأعمام قد خذلوا
وخيبة أن ترى الأرحام موقدة
يا خال راجع ضميراً غاب وازغه
إنّي أتيتك أبغي الوصل محتسباً
حتى وجدتك عن لقيائي مُعتذراً
حقّي لديك أسير لا يُحرره

ويمضي حديث الزمن

(اعتاد على الوقاحة والتوقح في حق والديه. فعوقب العاق بذات العقوبة. حيث رزق بأولاد توقعوا في حقه وأفحشوا وحجلوا واسعاً ، فعقوه عقوقاً لم يخطر له ببال! وتعددت صور العقوق لتجعل منه مسخّة بين الناس. وكانت زوجته أشد توقحاً في حقه ، حيث انضمت لابنائها حيث صاروا الأقوى. ولعل هذا الذي ابتلي به ذلك الأب من أبنائه وأمهم من عاجل عقوبته في الدنيا بنص الحديث! فقد أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالْأَصْبَهَانِيَّ وَقَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: {كُلُّ الدُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا عُفُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ}. وفي حديث مَرْفُوعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ: {مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ}. وفي حديث مَرْفُوعٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ: {وَلَعَنَّ اللَّهَ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ}. فكان الرجل بحالته تلك حديثاً يحكيه الزمن للعبرة. والعاقل العبقري هو من اعتبر بغيره واستلهم دروس الزمان والأحوال!)

أَخْرَجَ لِلرَّوِيِّ فَحَوَى سِجْلِي	لعلني أردع الحمقى ، لعلني؟
فكلم أودى بجبار عُقُوقٌ	تجبر بالتسلط والتولي!
أهان الوالدين ، فعاش وغداً	وقضى العمر في ضنكٍ وذل
وذاق من المرارة كل هونٍ	ولم يظفر من الدنيا بخيل
على أيدي البنين رأى البلياً	وذاق من الحلياة كل غل
وعاقبه المليك على فعال	جناها بالتطاول والتسلي
حديثاً بات ذاك النذل غثاً	كمثل الصهد زایل كل ظل
ليحكىه الزمان لكل وبش	يُصفد والديه بكل غل
وينشره كتاباً في البرايا	يُجسد كل أوصاف التخلي
ألا إن الزمان له حديث	مشوقٌ ليس عندي بالممل
وإن الدهر علمني كثيراً	وأنسني بترحالي وحلي
وبصرتني بما يغتال شأني	وأردف كل مُعضلةٍ بحل
وأخبرني بعقبى من تعدى	خُود الله بالعيش المُذل

نسمة في سماء الهداية

(عاش يبجل شعره ذلك الشاعر. وأعطاه الشعر من بعد الإيمان الأمل في الحياة. فاعتز بشعره لأنه صاغه منذ صاغه على منهج وفي سبيل قضية كرس لها حياته وما يملك! إننا كثيراً ما نصدم عندما نهدي دواوين لشعراء ، وعندما نهّم بمطالعتها وتصفحها نجدها لا تحوي قضية ولا تعرض لموضوع ذي بال! ويكون أصحابها قد أنفقوا عليها الكثير من جهد ووقت ومال ، فإذا بها تقاطع وأوزان هي إلى عريف الجن أقرب منها للشعر! ومن هنا رحّت أحبي ذلك الشاعر الصادق الذي سخر قلمه لقيمة غالية ولقضية ثمينة ، نذر لها حياته ووقته وماله لينفع القراء من بعده وينفحهم! فأنشدت عن نسمة الأمل التي يقذفها الشعر المؤمن الصادق في قلب المخلص الصادق.)

دعني من الأمل المعطر أرتوي
إن القريض يجوسُ بي الدرب السوي
دعني أسامرُ بالقصائد خاطري
وأدعبُ الإحساسَ يوماً بالرووي
دعني وأنسامَ الأماني وحننا
إنني لأنسامَ الأماني أروعوي
أحنو على الأمل الرطيب يشوقتي
وإذا مضى أرى بي الجزع الغوي
والشعرُ بلورَ فكرتي ومقاصدي
ورؤاي باللفظ الأديب التريوي
أطلقتُ للشعر العنان ، فقادني
لأواصر الأمل التقوي الأخروي
لم يتخذ لغة الغموض وسيلة
كلا ، وفاصل كل درب ملتوي
سلسلتُ عبارته بدون تقعر
وعلى الفضائل بات شعري يحتوي
وصفتُ قريحته بغير تكلفٍ
إن التكلف يقتل الشعر القوي
لما أردأ أبداً به دنيا الوري
لا خير في شعر وضيع دنوي
وحدي شقيتُ به ليسعد من تلا
ولقارئ الأنغام ، ثم لي الجوى
وأننا الذي برموز شعري أكتوي
ولقد يسرّ القارئون بلفظه
وهي نسمة الأمل المعطر بالصدى
تسعى لقلبي كي يدفّ ويرتوي

نشيد وردة في ربيع العمر

(إن هذه الوردة التي أشرقت في ربيع عمري هي كل دوواين شعري السبعة ، التي هي زاد المشيب
وعدتي لمن أعول ، بل وذخيرتي النظرة يوم ألقى ربي ، وشهادتي على العصر بما حوى. والشعراء
الصادقون أصحاب الرسالة يفهمون ما أقول! أما الشعراء المرتزقة الذين يكتبون حسب الطلب ووفق
الأهواء ، فلا يعون من كلامي حرفاً! وإذا كان الشاعر سيموت يوماً لا محالة ، فليترك شيئاً عظيماً وإرثاً
غالياً ، يذكره به ورثته وقراؤه ، فيترحموا عليه من قلوبهم بكل صدق! وينقلون بدورهم تجربته
ووصاياه ونصائحه ومواعظه للأجيال اللاحقة لتنتفع بها كذلك!)

دواوين أشعاري لحوني الروائع
حوت جمل عمري في شبابي وشيبيتي
ورود شامت العطر منها مضماً
تجاريب عيش ، والإبلاء يزينها
وتبصير قوم بالذي ساد عصرنا
فطوراً يغني كالبلابل شعرها
وتحكي كفاحي والحياة تعوقني
وشعري ربيع العمر ، يشدو لطيفه
تشاطرنى روعي القريض شجية
شقيت ليحيا الشعر في أوج عزة
ولم أدخر جهداً ليعاوش أنه
وأرسلت بالأشعار للصيد راجياً
وجاهدت نفسي كي أرى الشعر شامخاً
وسطرت أشعاري بدمعي وآهتي
ألا إن شعري وردة أزهار الجوى

ففيهن عمري والروى والوقائع
وفيها حبوري والمنى والمواقع
وغنت تسليها الطيور السواع
وذبابة عبدة زخرفتها الصنائع
وإن دواويني بهي هذا مراجع
وظوراً بدمع الحزن تهمني المدامع
وتروي طموحاً خللته الفواجع
ويشري القريض الحلو ما القلب بائع
فتلقي من الأشعار ما العزم سامع
وتشهد بالأحداث تترى المواقع
ولم يك يلويني الهوى والتراجع
بلوغ الذرى بالشعر ، والصبر طابع
وما صرفتني عن مرادي الذرائع
لأصدق من أي ، وبعد يطالع
فذي عن حياض الحق عاشت تدافع

أخا الأوطان ، ماذا أسميها؟

(أدلتُ من حولها بغناها. ووعظتها فتكبرت. واحترتُ ماذا أسمى هذه الشخصية. وأراها قد أضاعت جُل عمرها وشبابها في جمع المال ، الذي منحها بدوره القدرة على استعباد من حولها والمن عليهم ومعايرتهم صباح مساء! فهل أدركتُ هذه المغرورة أن المال كله يمكن أن يذهب كما أتى ، بفيروس يصيبها ، أو كارثة تلحقها ، أو مصيبة تلم بها؟ ألا ترى ما ينزل بجُل ذوي الأموال من المستكبرين والمتعجرفين؟ إن العاقل من وعظ بغيره! فهل تتدارك أمرها وتكف عن ممارساتها القُدرة من الاعتداد بالمال والمن به على الآخرين؟ ومن هنا كتبت لها شعراً هذه الموعظة!)

أغرّك في البنوك سنا الرصيدِ؟ لذا فاخرتِ بالعيش الرغيدِ
أغرّتك البيوتُ بكل صُقع؟ فجاهرتِ الخلائق بالوعيدِ
عليك فهوني ، فالمال يفنى! ويفنى كل من تفخ الوريدِ
خُصصتِ بنعمةٍ ، وحرمتِ أخرى وفرقٌ بين جُمُر والجليدِ!
أرى تقوى المهيمن خير زادٍ فجازاني المهيمن بالمزيدِ
وأنت حبيسة في حب دنيا وفرقتها ترفرف من بعيدِ
وقلبك قد تغشته الأماني وما عقلُ العشيقة بالرشيدِ
وروخك في بريق المال غاصتُ لذلك عشيتِ بالأمل السعيدِ
وحيرني ارتكابك للمعاصي وتسليماً لشيطان مريدِ
ولستُ مسمياً ما أنت فيه غروراً لف بالفهم البليدِ
ولكن نفخة بلغت مداها ويومَ ترشُ بالدم يومَ عيدِ
أسميها اعتداداً لا يُبارى وقرحاً ضاق ذرعاً بالصيدِ
أسميها التطلّـول دون حق وطيشاً غصّ بالرأي السديدِ
وجهلاً بالحياة وما عليها ويشقى صاحبُ الجهل العتيدِ
نصحتك راجياً أن تستقيمي وضمنتُ النصيحة بالقصيدِ

لتبيننه للناس ، وكفى يا أخية

(تم زواجهما رغم معارضة جُل أفراد الأسرتين. ثم منَ الله على هذين الزوجين فكانا سبباً في نعيم الأسرتين. وقامت الأسرتان غير الكريمتين برد الجميل خذلاناً وتشقياً وانتقاماً ونقضاً للعهود. ففطن الزوج لهذا ، فناشد زوجته أن تشهد بالحق وتبينه لهم مهما كان الثمن. ذلك أن الجهلاء عندما يجهلون ، والعلماء عندما يكتمون ، تضع الحقيقة وتزهق روح الحق! إن لبيان الحقيقة وإظهار الحق ثمناً غالياً على أصحاب الحق وعُشاق الحقيقة أن يبذلوه! وما أسهل تزييف الحقائق وما أيسر تزوير الأدلة وطمسها! وإن فكل من علم حقا وحاز حقيقة عليه ببيان كل منهما حسب الأحوال! وإلا يكن ذلك كذلك فوا أسفى على الحق والحقيقة! ولنتذكر قول نبينا – صلى الله عليه وسلم -: (لا يمنعن أحداً هيبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو سمعه أو علمه!) والحديث صحيح عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه -.)

قولي لمن خان العهود: كفى وعُدْ
أنا لم أبغِ خلي ، ولم أك ظالماً
أحسنْتُ ظني ، واشتريتُ تعففي
ظهرَ الجميغُ على حساب صغارنا
نقلوا من العوز الشديد يُذلهم
ومكانة في الأرض بين عبيدها
بالأمس كادوا ، ثم خاب نكالمهم
جعلوا جزا الإحسان تدمير الألى
قولي لهم: دأبي الوفاء بعهدنا
أنا لم أزل أرى المودة والإخا
قولي: لِفعل الخير أجرٌ وافرٌ
ولك الخيار إذا أردتِ جوارنا
وأراك منهم ، غير أني واثقٌ
وغداً ترين عقابهم ومصيرهم

بينني وبينك يحكمُ الفرد الصمدُ
فلما التماذي في متاهات الجحد؟
ودنوتُ ممن عن فؤادي يبتعد
شربوا الفرات ، وعللونا بالزبد
ذلاً إلى سعة التطاول والغدد
بنس المكانة والعلائقُ والعُبد!
واليومَ كيدٌ للتحدي يستعد
جعلوا لهم شأناً يُصارعه الحسد
مهما طغى غيري ، وكابرَ واستبد
وبرغمَ من يهجو الوفاء ، وينتقد
في جنة الرحمن مولانا الأحد
وإذا أردتِ لنا الفراق إلى الأبد
من أن مثلك ليس تخلفُ ما تعد
أواه من هول الدغاول يوم غد!

أريج البطولة

(كتب الاستاذ / محمود عبد الرؤوف القاسم كتابه: (الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) ذلك البحث الذي طال انتظاره. وكان قد دعمه بالأدلة القوية من كلامهم. ويقع الكتاب في 900 صفحة. وميزة هذا الكتاب أنه يستشهد كثيراً بأقوال الغلاة منهم! مما يجعل القارئ في غنية عن أن يرجع للمصادر والمراجع! وأراه بذلك قد أقام عليهم الحجة وفصل المحجة! وعلى الباحثين أن يهتموا بهذا السبق العلمي تحقيقاً وتنقيحاً! ولقد طالعتة كله رغم طول متنه وعمق مادته فألفيته سفيراً علمياً عظيماً فذاً! ومن هنا حبيته شعراً وحييتُ صاحبه ، فكتبتُ من المديد هذه القصيدة.)

تلك أنسام الهمام البصير
أخبرتنا عن ضلال خطير
بصرتنا بالرشاد جلياً
بدليل واضح مسـتتير
تفضح الضلال في كل صقع
وتعري ما اختفى في الصدور
حجة قامت على من تمادوا
في متاهات الظلام المبير
هي من أفواههم قد خرجت
تكشف الزيف الذي في الضمير
باطل الأوباش أغرى قطيعاً
ومن القطعان أعتى الحمير
للدراويش على أرض قومي
هيبة غالت وراء الدثور
كم أضلوا من جموع البرايا
وأضاعوا من نبيه بصير!
لكن (المحمود) دك قواهم
واعتلى في الحرب مهر المغير
في اليمين سيف علم صقيل
وعلى الهامة تقوى الغفور
ما اعتدى (محمود) كلا عليهم
إنما العدل دوا كل زور
لم يُجامل برهة من تردوا
واستزادوا من أحاجي الشرور
إن (محموداً) لشههم شجاع
لم يخف غير العزيز القدير
بطل في الحرب أعتى مراساً!
عقري ، بأسه كالصقور
ربي بارك في كتاب بديع!
ثم بارك في الجهاد العطير!

كوني برداً وسلاماً

(طلب الأسود العنسي أبا مسلم الخولاني. فقال له: أتشهد أنني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بنار فألقي فيها ، فوجدوه قائماً يصلي فيها. وقدم المدينة بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم) فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ، من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله. إنه صدق العقيدة وصفاء التوحيد ، أن يعلم المسلم المؤمن الموحد أن المجرمين والظالمين لن يُنزلوا به أمراً ما أراده الله! وأن يوقن أن الله يسمع ويرى ، وأنه سبحانه لا يتخلى عن أوليائه وجنده أبداً! ذلك أنه يبتليهم فإن صبروا واحتسبوا كفأهم بالثبات ، فيثبتهم على الحق حتى يلقوه ، فتكون المكافأة الكبرى الجنة! فكتبتُ أحيي أبا مسلم الخولاني وكل أبي مسلم يُلاقى اليوم من الظالمين ما لقيه أبو مسلم من العنسي!)

رب عيش بذاتية وثبور
إن نار الكفر استشاطت سعيراً
فاستحالت برداً يفوخ سلاماً
ليس بعد محمدٍ من رسول
لن يقول بما تريدون يوماً
فاضربوا في الجدران كل رؤوسٍ
واقطعوا بالسكين كل لسان
أيها (الخولاني) كنت مثالاً
قد رسمت للمتقين سبيلاً
يكسرون به انتفاخ الطواغي
تضحيات بكل غال نفيس
لن يكون إلا الذي شاء ربي
فلماذا تطغى الحياة علينا
ولماذا نخاف نار البرايا
والمنايا تجتاح صفوف الصبور
ثم طالعت عبد المليك القدير
وأريجاً ممسكاً بالعبير
فخذاها من التقى البصير
وسيرضى بما رأى من مصير
أحدث في ذات الإله الخبير
قال زوراً على البشير النذير
لخيل الرحمن ، يا للبشير!
يتقون به لهيب الشرور
ويدكون ما لهم من غرور
ثم جودّ بكل ملك وثير
إن غلبنا فبقوي النصير
ونغرر بترهات الغرور؟
ثم لا نخشى ما بجوف السعير؟

وما أسالكم عليه من أجر

(وقف يخطب الجمعة. وتناول زنا العين من حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا. فإذا بصعلوك هاج وأرادها فتنة ، فثبت الخطيب وهزمه شر هزيمة. والأمر كما يقول الأستاذ محمد المنجد: (قد شاع في وقت من الأوقات أن النظر المباح ، والحديث الطليق ، والاختلاط الميسور ، والدعابة بين الجنسين ، وإقامة العلاقات ، والتعارف البرئ أمور تزيل الكبت ، وتجنب العقد النفسية ، وتخفف من الضغط الجنسي ونحو ذلك ، ولكن الناظر إلى مجتمعات الانحلال وما عند الغربيين يجد أنهم غرقوا في هذه الشهوات ، حتى الثمالة رشفوا من كأسها ، هؤلاء الذين ليس عندهم حجاب ولا غص بصر. ماذا عندهم إلا الانحلال والهزل في إقامة علاقات هل حصل عندهم تهذيب للدوافع الجنسية؟).هـ. ومن هنا رحب بقصيدتي أحيي الخطيب الفذ العبقرى الذي ردّ الشبهة تلك وانتصر حقاً!)

كفكف جوارك ، قد طفت براكيني
مازلت بالثورة الرعاء تربكنا!
فاغضض من الصوت قد طغت نكارتة
واجلس سأسمك الجواب في وضح
أجري عليه ، لهذا لست أرزؤكم
وقاني الله ما تحيون من محن
فاطعن غرورك ، إن الناس في شغف
ولست منسحبا من ساح خندمة
دع التشنج ، واسمع ما أقدمه
فالفتنة اشتعلت ، وأنت موقدتها!
إن الحديث كمثل الشمس ساطعة
(الله أكبر) قد دوت تصد هوى
مازال في الناس محبورا يرددوها
سلاخنا إن طغت في الأرض شردمة
واسمع جوابي وتفصيلى وتبييى
إن انفعالك عاتٍ غير موزون
في كل جرس توارى نصل سكين
إن المليك حباتي الفقه في الدين
لذا أعيش بتوقير وتمكين
والله جنبني كي يد الشياطين
إلى سماع تفاصيل البراهين
إنني أتيت بسيفٍ جد مسنون
وخل عنك أفاعيل المجانين
تفوح جمراً كأشبهه القوارين
فيم التلاحي بمعلوم ومكنون؟
وللخطيب بها بأس السلاطين
هي الدواء لأتباع الهوامين
وغدة الحرب في لقياء الفراعين

الأمير الطيان

(جاءت امرأة إلى الشام وسألت عن قصر الخليفة عمر بن عبد العزيز. فدلواها على داره ، فلما بلغتها ، وجدت امرأة بثياب بسيطة تجلس على بساط عتيق ، ورجلا يدها في الطين يصلح جداراً في الدار. فدهشت المرأة عندما علمت أن هذه الجالسة على البساط هي فاطمة بنت عبد الملك زوج الخليفة. فقالت لها: ألا تتسترين من الرجل الطيان؟ فأبتسمت ثم قالت: هذا الطيان هو أمير المؤمنين زوجي! إن الإمارة والملك عند الأتقياء تكليف وليس تشريعاً! ذلك الأمر الذي جعل الصديق أبا بكر يقول يوماً: (ليتني كنت جزوراً فأذبح!) وجعل عمر لا يقبل بترشيح ولده للخلافة من بعده! إن أمير القوم مسؤول بين يدي الله عن رعيته: عن طعام القوم وشرابهم ومسكنهم وملبسهم ودينهم وعقيدتهم وتوحيدهم! ذلك أن عليه أن يذلل العقبات ليعيش الناس في أمن وإيمان وسلامة وإسلام! ويبذل قصارى جهده ليتفياً الناس ظلال الإسلام الوارفة! ومن هنا رحبٌ أحيي سيدي الأمير الطيان عمر بن عبد العزيز! وكما قلتُ وأكرر: إن تحية الشعراء تكون بالشعر!)

بذكر الصيـد تستهدي القلوبُ
وترتحلُّ الدغاولُ والكُروبُ
وتذكر شأنها نفسٌ تعاني
ويحمل زهره الغصنُ الرطيب
وتتبعث العزائمُ والأماني
ويُرسل نورَه الأمل الخصب
ألا يا قدوة يخطو خطاها
من الأخيار شبانٌ وشيب
نشرت العدل خفاق المحيَا
فأيدت القبائلُ والشعوب
وعادت صولة للحق غابت
فرفرف خلفها البأس السليب
وأنت بما جنى الضلال أدري!
بصيرٍ أنت بالتقوى لبيب
وطين الأرض في يدك الثريا
يُزال به التصدعُ والندوب
مناقبُ في العُلا بلغت مداها
ومعدلة يُوازرها شموخ
ويحمي بأسها السيف الخشب
وروخ تواضع ليست تُبارى
وخوفٌ من لظى الموت رهيب
وزوجٌ طلقَتْ دنيا البرايا
ونصحٌ من رعيته أريب
أميرٌ عز دنيا بعد دين
وسعيٌّ بالحنيفة لا يخيب

الخنساء الشاعرة

(كلنا يعرف الخنساء الصحابية الجليلة والشاعرة النحريرة الفذة المجيدة ، تلك التي كان النبي صلى الله عليه وسلم – يستنشدنا من شعرها ويقول: هيه يا خناس! الخنساء تلك الأم المجاهدة ، التي ابتليت بفقد أربعة أولاد شهداء ، فصبرت على فقدهم واحتسبتهم عند الله تعالى بصناعة الإيمان لها. وإلا فإنها في جاهليتها كانت قد بكت أخاها صخراً بشعر من الرثاء بدرجة لا توصف. حتى أننا لو طالعنا ديوان الخنساء اليوم بقلوبنا ما كففنا عن البكاء! إن الإيمان يصنع المسلم والمسلمة صناعة جديدة! ما الخنساء وما شعرها قبل إسلامها؟ ولكنها بعد إسلامها إنسانة مختلفة ، حيث صقلها الإيمان صقلاً ، وصاغتها العقيدة صياغة ، وصنعتها التوحيد صناعة! نقول ذلك لنذكر مدى النقلة البعيدة التي انتقلتها تلك الصحابية! ولذا انشدت أحيي الشاعرة العظيمة.)

شرفاً تحدرَ من شمائله الفدا
وكرامة تزهو فتقحم المدى
وعقيدة في الله راسخة المضا
ويقين مؤمنة يواكبها الصدى
وسنا احتساب لا وصول لأوجه
وتعفف يزجي لعزته الفدا
وتمسكك بالحق دون ترهل
وترقب للنصر يرهبها العدا
وتسلح بالصبر عند مصيبة
وتجلد لتهون غائلة الردى
خنساؤنا في الصبر مدرسة ترى!
خنساؤنا صنعت على عين الهدى!
دعت المليك ، تريد حسن ثوابه
ترجو الجنان لمن ثوى واستشهدا
(بنث الشريد) لمن أصيبت قدوة
وبصبرها عند الشدائد يقتدى
أبناؤها لم تبكهم كشيقيها
إذ قلبها برسول مولاه اهتدى
فيم التسخط ، والجنان مآلهم؟
أمسى الشهيد بجنتيه مخلدا
يا سعد من في الله جاد بروحه
فهوى على ساح الجهاد ممددا
وتضمخ الجسد الزكي بكلمه
وقتاله الكفار لم يذهب سدى
في الوجه سيما الصالحين تزينه
والسيف يحتضن الأنامل واليادا
يا رب الحقنا بمثل رعيلهم
وامنن برفقة من مضى منهم غدا

نهج نهج البردة 1425هـ

(قرأ معلم لغة عربية زميل قصيدتنا: نهج نهج البردة ، والتي نشرت من قبل في ديوان: (الأمل الفواح) سابقاً. وعلق الأستاذ الفاضل بأنها لم تكن بمستوى البيان المتصور. فوعده بأنني سأقوم بكتابة نهج جديد للبردة في مستقبل الأيام ، وهذا إن قدر الله لي وشاء وجاءتني الملكة الشعرية بالإيحاء والصورة. وقد كان ، فأحسست بجنين البردة يتحرك في ضميري. فأهديت سيدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهجاً جديداً للبردة: أتحدث إليه فيها لست متوسلاً به - معاذ الله - فهذا شرك لا يرضاه لنا رسول الله قط ، ولكن أكلمه من مشربية (السلام عليك أيها النبي ، ورحمة الله وبركاته). كما أنني لست أشكو له الحال ، فإن ذلك لا يكون إلا لله سبحانه. بل أقارن حال الأمة المسلمة اليوم بحالها بالأمس. وذلك في باقة عطرة من الجمال ، الذي يناسب الحديث إلى الرسول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - . وكنت قد عرضتها على الزميل الذي نقد بردة الأمس. فأخذ يمتدحها فشكرته. والحقيقة أنني غلبت فيها الواقعية ، وإنما كان الخيال في الصور والتراكيب! في مقال عنوانه: (الشعر وموقف الإسلام منه) يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصريف يسير: (قديمًا قال النقاد: "أعذب الشعر أكذبه" ؛ أي: إن الشاعر متى اعتمد في صورته الشعرية على الخيال المجنح الغارق في المعاني غير الحقيقية كان في إلهامه الشعري بعيداً عن الواقعية ، مما يفرض عليه التعمية والألغاز أحياناً في تلمس المعنى والخروج به إلى المتلقي في ثوب قد يُعري من الصحة ، ويتعكس الإبداع فيه إلى صورة مشوهة يمجها الذوق وينفر منها العقل وترفضها الفطرة السليمة ، وتلك المأخذ قد عري منها الشعر المتأدب بأدب العقيدة والتوحيد ذلك لأنه في نزعه الإسلامية تفيد بالمعاني الحقيقية التي يمنحها الإسلام لكل فرد ولكل مجتمع ، فانطلق الشاعر في صورته ومعانيه وأخيلته من هدي الإسلام الذي هو معانٍ حقيقية لا تحتل التأويل والتخييل المفرط. ومن خلال دراسة بعض القصائد الإسلامية ومن خلال دراسة نظرة الإسلام وتصوره الشامل للحياة يمكننا القول عن موقف الإسلام من الأدب بعامة ، ومن الشعر بخاصة: إن أول ما يحسن ذكره في هذا المقام أن نقف على شيء من النظم والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدة إبان العهد الجاهلي لتتضح الرؤية في تحديد موقف الإسلام من الأدب عامة ومن الشعر خاصة. وإذا كنا بصدد الكلام على موقف الإسلام من الأدب بعامة وموقفه من الشعر بخاصة ، فإن هنالك عادات ونظمًا وتقاليد وأعرافًا وأخلاقًا درج عليها العرب في جاهليتهم ، وجاء الإسلام فأقر من هذا كله ما هو وثيق الصلة بتشريعاته وفق كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - . فمن العادات التي درج عليها الجاهليون: عادات في الزواج ، وعادات في المهين والصناعات ، إلى جانب التمرس بأخلاق إيجابية وأخرى سلبية. فمن الأخلاق الحميدة: عزة النفس ، وكره الذل ، وبغض الظلم ، والترفع عن أخذ الدية ، وإكرام الضيف ، وحب السلام ، وحفظ حقوق الجار. ومن الأخلاق السيئة التي تفتت في المجتمع الجاهلي: لهو الشباب ، وقلخ الشواب ، وابتذال المرأة صغيرة وكبيرة ، ومعاقرة الخمر ، ولعب القمار ، والدعوة إلى الثأر وتأريث العداوات. وقد خالغ هذه الأخلاق ألواناً من المحامد والفضائل ؛ كصفاء النفس ، والإيمان بالله - تعالى - وإكرام المرأة للرجل ، وإكرام الرجل للمرأة ، والتأثر بالحكم الصادقة وحب المشورة والحلم والأناة. وحين جاء الإسلام أقر من هذه القيم ما يلي: حب السلام ، والشجاعة، والإيثار ،

والكرم ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، ومساعدة الفقراء وحسن المعاشرة ، والحلم ، والصدق والأمانة ، والوفاء ، والرأفة بالحيوان ، والتكافل الاجتماعي ، ومقت الظلم ، وحقوق المرأة ، والحقوق الزوجية ، وبرّ الوالدين ، ثم ختم هذه القيم الرفيعة والمثل العليا بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وهذا يعني - بالضرورة - أن الأدب الإسلامي بمصدره النثر والشعر قد اتخذ من هذه القيم مادته التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حدّ سواء. وعلى الرغم من أن نقاد الأدب قد نادوا بتأثير العقل والعاطفة والخيال على العطاء الأدبي ، فإن الإسلام في نظرتهم إلى الأدب قد وسّع دائرة النظرة عند النقاد فسّمًا بالعقل ، وسما بالعاطفة ، ولم يحجب الرؤية الأدبية من خلال الخيال الشعري ، ولكنه عمل على تهذيب العواطف والارتفاع بخيال الأديب عن سفايف الأمور ؛ حتى لا يطغى جانب العاطفة على جانب العقل ، فلكلّ منهما أثره وجدواه في جودة الأدب ورفعته ، وقيمه الفنية. وقد تحدث الإسلام عن المعين الأول للأدب والقيم الإنسانية كلها ، ذلك المعين هو (العقل) ؛ فقد جعل له الإسلام مزية تفوق أرقام الحساب ، ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييد هذه المزية إلى المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الآراء. وتلك المزية هي: التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضًا غير مقصودة ، وقد يلمح فيها القارئ - أحيانًا - شيئًا من الزرارية بالعقل أو التحذير منه ؛ لأنه منزلة العقائد ، وباب من أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتكرّر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يُحثُّ فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها. وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المدرك ، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمّ الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة. فالعقل - في مدلول لفظه العام - ملكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع من المحظور والمنكور ، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة "العقل" التي يؤخذ منها العقال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها منات الملايين من البشر. وهذا يعني أن الأدب فنّ جميل قوامه العقل والعاطفة معًا ، فلا يحسن أن يطغى جانب أحدهما على الآخر).هـ. وتحت عنوان: (الشوق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) قال محمد المنجد: (وقد اشتاق الصحابة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته وبعد مماته ، وأحبوه حباً لم يعرف التاريخ مثله ، حتى قال أنس: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ). رواه أحمد ، وإسناده صحيح. وقال علي رضي الله عنه: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأبائنا وأمّهاتنا ومن الماء البارد على الظمّ). الشفاء بتعريف حقوق المصطفى. "وَلَوْ سُنِّتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ" كما يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ. رواه مسلم. وقال عدوه: ما

رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً". السيرة النبوية الصحيحة. وهكذا تغلغل حبه في قلوبهم فوصل إلى الحشايا وتعمق في نفوسهم ، فكان أحب إليهم من أموالهم وأولادهم ووالديهم والناس أجمعين ، كما قال لهم وعلمهم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين). رواه البخاري. بل كل من صدقت محبته للنبي - صلى الله عليه وسلم - أحبه أكثر من نفسه ، ولذلك كان أحدهم يقول: نحري دون نحرك. وقال عمر للعباس: يا عباس والله لإسلامك يوم أسلمت أحب إلي من إسلام الخطاب - يعني أباه - لو أسلم وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم". الطبراني. وعمر رضي الله عنه لم تمنعه قوة شخصيته ولا غضبه في الحق أن يكون صاحب مشاعر حساسة وقلب مرهف تجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقد فرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وخمسة مائة ، وفرض لابنه ثلاثة آلاف ، فسأله ابنه عن ذلك فقال: لأن زيداً كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، وأسامة أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، فأثرت حب رسول الله. الترمذي. وقد حكى التاريخ حبه له ، حتى أن الملوك لا يفعل معها كما يفعل معه ، لا من باب الذل والعبودية ، ولكن من باب التوقير ، والله إن رأيت ملكاً قط - يعني ما رأيت ملكاً قط - يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمداً ، والله إن تنحمت نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدثون إليه النظر تعظيماً له). رواه البخاري. وكانت محبته في قلوبهم أصيلة ، وكان شوقهم إليه عظيماً ، هذا ثوبان مولاه كان قليل الصبر عنه ، يشناق إليه كل يوم ، جاءه يوماً وقد رأى في وجهه تغيراً فقال: (ما غير لونك)؟ فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وخشيت شديدة حتى ألقاك ، والله إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك ، فأنظر إليك ، وإذا ذكرت الآخرة عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك! فنزل قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. الطبراني في الأوسط. وقال الألباني: صحيح بشواهده. وكان بلال يرددها قبل أن يموت ، وكان خالد بن معدان لا يأوي إلى فراشه إلا ويذكر شوقه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن مضى من أصحابه وآله ويقول: هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحن قلبي ، طال شوقي إليهم. وهكذا كانت العجائز في بيوتها إذا نفشت الصوف تتذكر محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الأخيار ، وكيف كان بكاؤهم بالأسحار. ولما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - لواحد من الصحابة: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ). قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ. رواه البخاري ومسلم. كيف لا وهو سبب منع العذاب عنهم؟ ، لأن الله قال في كتابه: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}. كيف لا وهو مصدر الوحي ، يأتيهم عبره ، كيف لا وهو قدوتهم ، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. ذو البجادين تربي في حجر عمه ، فنازحته نفسه إلى الإسلام ، فقال: يا عم كنت أنتظر سلامتك بإسلامك فلا أراك تريد محمداً فأنذني لي في الإسلام. فقال: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك حتى ثوبيك! فصاح لسان عزيمته: نظرة من محمد عليه الصلاة والسلام أحب إلي من الدنيا وما فيها. فجرده عمه من كل شيء حتى الشباب

فناولته أمه بجاداً لها ، فقطعه نصفين ، فاتزر نصفاً وارتدى نصفاً. وأتى رسول الله ، فقال: ما اسمك؟ قال: عبد العزى. فقال: بل عبد الله ذو البجادين". اللطائف وصفة الصفاة وحلية الأولياء. وهكذا زيد رضي الله عنه يقول للكفار: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي! الطبراني في الكبير). هـ. ومن هذا المنطلق أكتب النهج الثاني للبردة النبوية تعبيراً عن مدى حبي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشوقي إليه! والآن لنطالعها سوياً. وأعتذر عن الطولين المتعمدين: طول المقدمة وطول القصيدة!)

وابعث أريجك عن بُعدٍ وعن أمم	مسك القريض ، أفض من زهرك الفغم
واغمز يراعتة بنورك الـتم	وامنح عبيرك شعراً يستنير به
من البيان ، مداها غير منبهم	وهات من جونة الأشعار ملحمة
شذى يفوخ ، فيفري لجة السام	وضمخ الشعر بالريحان ، إن له
روح البديع ، فتزكو هممة الكالم	وزخرف اللفظ بالنسرين تهف له
في عالم الشعر نفحاً عاطر النغم	واعمد إلى المنديل المعطار ، إن له
لثذهب الحزن المعجون بالألم	واصبغ بصـ ذلك الفواح جبهته
فالجود بالعطر من بـوحاة الكرم	وبالخرامى أفض يا مسك في كرم
وألقه بفوادٍ فيك مـبتسم	وبالبنفسج جمـر عذب مـبسمه
فالشعرُ بالعطر يُردي غصة الغم	وذوب النرجس المحبور في ولـه
تتيهه فخرأ بشعر نابـه فـقم	وبالقرنفل بخـر صـورة بـرزت
شِعراً تضلع من فحوى عزيز دمي	بالجئنار فحـضـب ما أسـطره
طيب القريض أتى من شيق الخلم	وادهن بعنبرك الإيحاء مرتقبـاً
شدو البلايل في مسامع القمم	ونسـم الشعر بالكافور يسـم على
لأن في الشعر ألواناً من الحكم	وطيب الحرف بالخطمي في ألق
ففي القريض يواقيت من الشيم	وجـد بسوسنك الأجواء عابـقة

بالياسمين تعقب كل قافية
وبالورود تتناول ما أبوح به
بالزعفران تخلل شعراً مرتجف
وغط بالفل أبيات أسجلها
وبالأراك فسوك تغر منشده
وبالزبرجد زين جيد صورته
وبالزمرّد طرز ثوب لهجته
وبالعقيق تتبع نور عزمته
وزركش الشعر بالفيروز محتفياً
وحل بالماس - براقاً - مقاطعه
وجمل الوزن بالمرجان يتحفة
باللازورد فذهب قاع مخمليه
وافرش من السندس اللّماع نمرقة
وباللائل ليج (بحر البسيط) ، فلا
وضع صداه على الديباج ، وارق به
لأن كاتبه يهديه في شرف
(محمد) الحق هاديننا ومرشدنا
ومن به أنقذ الرحمن عالمنا
نبي سيلم وتوحيد ومعداة
رسول مرحمة مثلى وملحمة

حتى تزيد سنا الترجيع والنغم
من القريض بلا عي ولا لسم
يغوص في الوزر والعصيان والأثم
والشعر بالصدق عفا غير منهمزم
إن الخاوف يناوي لذة النهم
وزد نضارته بلامع القضم
بعقد نور - على الأبيات - منتظم
حتى يفارقه محلواك الظلم
بخير من سار في الدنيا على قدم
ومح عطرك في القرطاس والقلم
فكسر وزنيك يردي رقة الرنم
حتى يفوق ضياء طلعة النجم
وانصب خيامك - فوق الأرض - بالدعم
تدع خداه ، فهذا بحر ذي الهمم
رقي محتسب بالله معتصم
لخير خلق مليك الناس كلهم
رسول رب الورى للعرب والعجم
من الضلال ، ومن ظلم ، ومن ظلم!
وصفوة الله حقاً سيّد الأمم
أحيا الأنام بهذا المنهج اللقم

حاز المعاليَ ذا في كل منقبه
جلت عن الوصف أخلاق به اقترنت
صلى عليه مليك الكون ما طلعت
دعا إلى الله في سر وفي علن!
وكم غزا ثرى للحق عزته
وحربه سطعت في كل معترك
فحرر الناس من أغلال من عبدوا
عفا عن الناس لما صار منتصراً
فقلت: يا قوم في هذي الدنا انطلقوا
ومن إلى داره ياوي ففي دعة
ومن لدار أبي سفيان ياو فلا
سماحة لم تر الدنيا لها شبة
وقلب (أحمد) لا قلب يضارعه
ولقن الكفر درسا لا يجاوزه
وأمسك السيف في (بدر) يذود به
وعلم الأمة العصماء شرعتها
وبات حاكمها ، وبعد قاضيها
وعاش أسوة من أخلاقه اتبعوا!
وجل في الوصف عن سواي ومنقصة
رعى الجوار ، فلم يغدر وإن غدروا

أحيا المليك به الدنيا من العدم
ولا حدود لما يعروه من قيم
شمس ، وجن هزيغ الليل بالسخم
لم يخش بأس كفور القلب مجترم
فلا يذوق أذى بسيف ذي غشم!
تقيم شرعاً ، ولا تأوي لسفك دم
غير المليك من المخلوق والصنم
ف قيل: أنت أخ يحنو على الرحم
ويسلم اليوم من يلوذ بالحرم
فلا سبيل إلى ثار ولا نقيم
يخاف هضماً ولا شيناً من القصم
وعفة توجت بالعز والشمم
خلامن الغل والبهتان والوغم
على شواظ من التوحيد محتدم
كأنه أسد قد هيج في الأجم
فزاده شرفاً بالمنهل الشبم
أكرم بأحمد من قاض ومن حكم!
من يتبع هديه الوضاء يستقم
وجل عن منكر يُزري وعن كثم
والغدرُ أخبث ما في الأرض من جرم

وبالبيان تحدى كل ذي أدب
والمعجزات على يديه قد بهرت
ثم القرآن أتى للناس معجزة
ثم النبي يجلي كل غامضة
تبارك الله من بالحق أيده
وبايع الصاحب في عز نبيهم
كانوا الزهور بوادٍ غير ذي زهر
كانوا النجوم لسار في دياره!
هم الصناديد إن ضاق العدو بهم
ويحتمون بخير الخلق في ثقة
والكل يفدي رسول الله محتسباً
تقبل الله ، يا جيلاً نتيه به
تفرد الجيل بالقرآن تربية
واليوم يظلم في تقييم من جهلوا
يُنال منه بلا ذنب جنته يد
مجدات تعاف العيين رؤيتها
وترهات عن الأصحاب باطله
بالأمس من حربة الأعداء ما سلموا
واليوم يطعنهم أبناء ملتهم
بحرٍ يمجج بتأفيق ومهزلة

قرآن ربك باري الخلق والنسم
ألباب من عقلوا ورؤية النهم
يهدي الأنام إلى المهيمن الحكم
لكن شائنة عن الرشاد عمي
فراح يدعو بلا ضعف ولا وهم
أنعم بهم في الورى من سادة لزم!
والله ببارك في أزهاره الفغم
والصيد إن وجدوا في شدة القم
ذرعاً ، وأبدى لهم أحوال من تقم
حيث النجاة لهم إذا الوطيس حمي
إن طاش سيف بغي ، أو بالسهم رمي
يارب فارض عن الرئالة الكرم
فراح يرفل في الأفضال والنعم
وحوله نسجت كم من فرى جسام!
وعنه تكتب أيدي العير والعجم
وأمسيات تصيب الأذن بالصمم
تغري العدا ، وتغذي النار بالحمم
فجر عوهم كؤوس الحرب عن رغم
بالغمز واللمز والتجريح والقلام
ويزهق الحق في أمواجه البيهم

والكيْدُ ظال نساء المصطفى طرياً
وأمهات نساء المؤمنين على
من كل مهترئ الاخلاق مُرتكس
حتى الروافض من ضلوا ومن فسقوا
تناولوا بمِداد الإفك (عائشة)
تظاولوا ، وجميع الناس تعرفهم
وكذبوا بصريح النص يكبتهم
هي البريئة ، والقمرآن شاهذا
نحبها ، ونحب الأمر تشرعها
نجلها ، ونجل القول تذكرها
بنت التقى (أبي بكر) ، وذا شرف
وحفصة الخير لا ننسى مواقفها
جلت عن الوصف في دين وفي نسب
ويوم طلقها (المختار) طلقتهما
يقري السلام على سمع النبي ضحى
راجع (حفصة) ، هذي نعم مؤمنة!
صوامة ، حبذا الصيام منقبة
قوامه ، خير ما تأتيه مسلمة
فردّها ، وجراخ الحفص ما اندملت
بنت المهاجر - رغم الكيد - في عن

وما تورع عن فحش وعن لمم
أوراقهم مِزق طابقت لماتهم
يمسح زيفاً عن الكرائم العضم
يُوججون أوار السدس والوصم
و(ابن السلول) لهم نار على علم
وأشعلوا فتنة تعج بالضم
وبئس قوم غلوا من فسق غشم!
جلت عن الإفك والتخريص والتهم
وشمس سُوددها ، والله ، لم تغم
عن النبي بلفظ جد محترم
أكرم به من عفيف منفق حشم!
فإن سيرتها تروق ذاهم
وجودها في المعالي ليس بالأمم
أتاه (جبريل) في مهوى لدى إضم
من الإله الرحيم المُقسط الحكم
وانها ساعد في حالك الإزم!
لولا اتباع الهدى والحق لم تصم
لولا مجاهدة الشيطان لم تقم
تبكي دماء ، وتبدي حسرة الندم
والجو يعصف بالأرياح والديم

والكفرُ شمر عن سواعدٍ حملت
فقال: أقتل من يأتي يبارزني
أهاجر - الآن - لا أخشى صوارمكم
وأستهينُ بفرسانِ تحمُّسكم!
فإن قتلتمهم ضاعت عوائلهم
خاض الغمار فأجلى كل داهيةٍ
ثم اعتلى (عمرُ الفاروق) دولتنا
وعاش ليثاً يرى الأعداء صولته
كان الرحيم بأهل السلم أجمعهم
وكان عون أبي بكر إذا اندلعت
للهمَّ فارض عن (الفاروق) إن له
يا رب وارض عن الصديق ما اكتحلث
قد آمننا برسول الله ، وامتثلا
كذا (عليّ وعثمان) وآلهم
يا رب وارض عن الأصحاب ما بقيت
على العدالة هم ، رغم الألى انصرفوا
اختارهم ربنا عوناً لأسوتنا
أهدي إليك سلاماً يا نبى ، وبى
بأن تكون شفيعي عند خالقنا
لم نتبعك كما تحب أنت لنا

سيوفها ، ورجالٍ في الوغى بهم
كالحوت يفتك إما شاء بالبلم
وسيفنا - في الدواهي - غير منتم
لي الحياة ، وأنتم في دجى العدم!
لقد يُعانون وخز الأيم واليتم
لأنه بطلٌ في الحرب خيرٌ كمي
فوطد العدل ، يروي أنجع النظم
نصيرٌ مغتصب الحقوق مهتضم
عليهم قلبه يفيض بالرحم
نارُ الخلاف برأى غير منصرم
فضلاً على جيلنا مستشرق العظم
عينٌ بغمض وفي الأحداق قطر دم
ليدخل الله كلاً جنّة السلم
أنعم بهم وبأهلهم وبالخدم!
نفسٌ تتوق إلى شفاة الهشم
ومن يدسون أعتى السُم في الدسم
كانوا البدور تجلّي شدة العشم
شوقٌ إليك ، ولي شئ من العشم
في يوم بعث الورى من رقدة الرجم
ولم نحافظ على آل ولا ندم

وقطعت - بيننا - الأرحام في وضح
ولم تُحَكِّم كتاب الله أمتنا
والشرع يعصم من يحيا يطبقه
وفي الديار منطبق فلاسفة
في كل ضقع قوانين مُحَكِّمة
وللزنا والخناف في الدار قد بُنيت
أما الربا فله البنوك رافعة
إني لأقسم أن الدار قد فسقت
أكاد أقطع أن الأمة انحدرت
ولو رآها رسول الله أنكرها
لأنها بدلت أحكام خالقها
فأرخصت عرضها ، وأهدرت دمها
تعيذ ذكرى ثمود في تكبرها
تناست المجديسري في حواضرها
واليوم قسمت الديار بين قوى
وقد تداولها الذوبان في شره
إذ تناول ليلت عن مكانته
كنا جهابذة في كل معترك
حدثت الناس عنا ما نمارسه
والفرس والروم خافوا من كتائبنا

يا ويح فرقنا مسودة العرم!
حتى استهانت بوحى الله والخرم
ومن قلاه فما للغرم من عصم
وعند حق يُصاب الكل بالبكم
رغم التقارب في البلدان والتخم
شتى الصروح ، وفيها أفسق النسَم
لواء حرب على الجبار كالعلم
ولست أحنث - إن أقسمت - في القسم
إلى الحضيض ، وعانت جيفة الرمم
ولا يرى أن هذي أمة السلم
حتى تداعت عليها أكفر الأمم
لولا تنكرها للحق لم تُرم
وتأخذ البطر المقوت عن إرم
وبالمعاصي زهأء المجدم يدم
تلوك ثروتها ، أبئس بذي القسم!
كما تداول قطعاناً من الغنم
لقد يلوذ بها حشد من الخلم
والبأس يصحبننا في كل مصطدم
من مبدأ - في المعالي - غير منكم
كم أنزلت بهم من أشرس القضم!

كانت صياقلنا - في الحرب - ماضية
وفي العلوم ضربنا خير أمثلة
في الطب كانت لنا أبحاث كوكبة
وفي الحساب لنا مباحث حفظت
وفي التداوي سبقنا من يناوننا
وفي السلاح خبرنا كيف نصنعه
كنا نطبّق شرع الله نحرسه
ننفي الشرك عن الرحمن نعبده
عفواً رسول الهدى ، فالشعرُ شجعتي
إني إلى الله أشكو حال أمتنا
كالعيس تحمل ماء المزن ظامنة
أو كالنيق وفيها الماء مُدخّر
يا أمتي دونك القرآن فاتبعي
صلاح أمرك في الإسلام ليس سيوى
والشرع يقصم غرباً بات يسحقنا
عذراً رسول الهدى ، فالأمة انتكست
تحتاج شاعر فتى فذ يُذكرها
شط القريض ، فصيغت منه ملحمة
وطرزت بالجوى أجراس قافية
وكنت أنوى قصيداً فض جؤنته

منها يذوق العدا مُحلولك السدم
كنا نرى الجهل أخزى مرتع وخم
وفي البحار وفي الأفلاك والأكم
والغرب ينهل في حرص وفي نهم
في درب علم عجيب السر مُعتلم
والفضل يرجع للمنان ذي النعم
حبّل المليك لنا من خير مُعتصم
ونخلص الدين ، نرعى بيضة القيم
وانهال فوق كمثل الوابل الرّدم
تعيش في كُرب تزجي الأسى دُهم
يا عيسُ فلتشربي من مائك الشبم
تشكو الظماء ، فيا للأنيق الرّسم!
ألم يقل غيرنا هذا من القدم؟
فيمّ التشاغل بالأغنام والنعم؟
كيف التقلب في أهوائه القصم؟
تنن خائفة في ثوب منهمزم
أنعم بشعر فتى فذ ومُعتزم!
فيها الجياد تحدث شدة الشكم
مثل الأساور في الأقدام والعصم
يكاد يُروى إذا شم العبير ظمي

يُهدى إلى المصطفى في بُردةٍ شرفت
رطيبة الجرس لا إقواء يُزعجها
ولا تُجرّح مُعوججاً ، فيحرقها
لكنها خرجت - بالرغم - مشهرة
تبيين الحق ، فالتوضيح ديدنها
وأغلبُ الناس لا يدري معالمه
وكنيتُ حَبْرَتُ بالعطور مَطْلَعُهَا
أردتها غداة تطفئ شبيبتها
أردتها غضة تزجي الحبور لنا
أنا المقصّرُ في تعتيق زبدتها
شنتان بين القريض العذب ينسجه
وبين آخر لم تخدم مقاطعه
شنتان بين الجواد الفحل تُلجمه
والشعرُ إن تسقيه سبكاً وتجربة
إن جل لفظ على الإيضاح فسره
بعضُ القريض غداءً الروح من سغب
طوراً يُمدك بالآمال مُشرعة
وقد تراه لَمَّا يُضنيك منتحباً
وقد تراه لَمَّا يُشجيك في مرح
يذوب - وَجُداً - إذا يلقاك مُكتنباً

جهيرة اللفظ ، لا تشكو من البكم
ولا تُبالغ في تصويرها القصم
ولا تخمّشُ جرحاً غيرَ ملتئم
صمصامة النقد والتقييم بالقلم
من بعد نكبتَه على يد العمم
ونوره غاب عند العالة الوثم
حتى تبدد ما في النفس من بشم
ولا تغالب أوجاعاً من الهرم
لكي تُصارع ما في القلب من وجم
حتى بدا شكلها لحمياً على وضم
من يستعير له من فنه العمم
أمانة روعة الفحوى على الخدم!
وأخر يُعتلى قهراً بلالجم!
يذهب من النفس - فوراً - سؤرة السدم
لفظ تمطى على بغيره السنم
وبعضه كطعام غير مؤتمم
وفجأة يُدخل الإنسان في الأدم
تبكي سرانره من شدة الجشم
يفوق في شدوه ترجيعه الرنم
يبدو بوجهه - من الأحران - مضطرم

يطير - في الجو - صداحاً بأجنحةٍ
يُغرد الدهر إن كانت بلهنية
ويحمل السيف في الهيجا إذا اندلعت
وقد يُريق دم الأعداء مُسكباً
وقد يحن إلى ماضٍ فيذكره
يَهيمُ في ذكرياتِ الأمس قاطبةً
والذكرياتُ غِذاءُ الشِّعر إن صدقت
والشعر يصفو إذا ما الذكرياتُ صفت
تخبو الفنونُ ، وشعرُ العرب مستبقٌ
ديوانُ عُربِ حوى شتى وقائعهم
وكان يدخل في أرحاب خندمةٍ
فلا يخاف جحيم الموت يقطفه
فينقل الحرب من بين السيوف دماً
شِعراً صدوقاً له التاريخ مُنتصتٌ
أهدي السلام إلى المُختار مُختتماً
صلى المليك على الحبيب أسوتنا
والتابعين لهم في الدين أجمعهم

أمضى - إذا انطلقت تسمو - من الرخم
ويسـتقرّ على الأفـاق والـركم
أنعم بسيف قريض قاصـل خـذم!
فوق البطاح ، كنهـر فاض في الدلم
حنين طفل يُعاني لوعاة اليـتم
حلت لديه ، وإن لم تحل لم يهـم
وإن تردت فهذي معول الهـدم
وإن تكـدرت اسـتولى على السـحم
نحو الذرى ، فوق هذي الأرض كالهـرم
مذ كان سادّتهم يحثو لدى الزلم
خلف التلال ، وعبر الرمل والتلم
ولا يهاب سعيـر القـيظ والسـتهم
حتى تسطر - فى القرطاس - بالقلم
عند الخلاف ، يُداوي كل مُحـتكم
والسـلم أفضل مـبدوءٍ ومُختـتم
وأفضل الخلق من عُربٍ ومن عـجم
إلى لقاء المليك الواحد الحكم

بعض معاني المفردات غير المطروقة

أمم: قرب. القريض: الشعر. أريج: رائحة العطر. جونة: قنينة. المندل والصندل والبنفسج
والنرجس والقرنفل والعنبر والجلنار والخطمي والسوسن والريحان والنسرين والياسمين

والزرعفران والفل: كل هذه الأشياء زهور أو ورود لها عطر مميز. الزبرجد والزمرد والعقيق والفيروز والماس والمرجان واللآزورد واللؤلؤ: هذه الأشياء إما أحجار كريمة أو معادن نفيسة. الديباج والسندس: أي الحرير. الغم: ج غمه أي شدة الحزن. فقم: زكي عبقرى. الشيم: خلال الكريمة. الرنم: أي النغم والترنم. النجم: ج نجمة. الدعم: هي الدعائم والقواعد ، ج دعامة اللسم: أي الصمت عيا أو عن حياء. الأثم: هو الإثم. النهم: الشغف الشديد بشئى ما. القضم: ج قضيمة وهي قطعة الفضة. الخداء: الغناء الحزين. المنهج اللقم: أي الواضح المستقيم. المنقبة: هي المزية. السخم: شدة السواد. مجترم: شديد الإجرام والشر. معترك: مكان المعركة. العجم: أي العجموات والسوانم. الحُمم: الأبخرة النارية المتكاثفة تسبق البركان. الحشم: الأهل ومن يمت للعائلة بصلة. الأمواج البُهْم: أي السوداء المظلمة البهيمية. اللمم: صغائر الذنوب. العُصم: ج عصماء وهي الشريفة العفيفة الحصان. الوصم: العار والشنار. غشم: أي شديدو الغشم والبطش. لم تغم الشمس: أي تغرب. الحشم: ذو الأخلاق والقيم الرفيعة. إضم: وادٍ بالمدينة ليس بالبعيد عنها. الإزم: ج أزمة وهي المعضلة. الديم: مفردها ديمة وهي العاصفة الشديدة. رجال بُهْم: شجعان صنادديد. لم ترم: أي لم تقصد. القسم: جمع قسمة من تقسيم الشئ. الخلم: جمع حلمة ، وهي دويبة معروفة تأكل الجلد. القضم: ج قاصمة وهي الداھية الشديدة. السدم: الظلمات. مرتع وخم: شديد السوء. الأكم: ج أكمة وهي الصخرة العظيمة ومنه قول العرب: وراء الأكمة ما وراءها! معتلم: ذو معالم. ذو النعم: صاحب العطايا والهبات. الوايل الرذم: المطر الشديد. كرب دهم: أي كرب عاتية. الماء الشيم: البارد الصافي. الأينق الرسم: النوق الفارھة. النعم: أي الأنعام والماشية. الأهواء القسم: أي المُحمّلة بالهموم والصعاب. الشمم: الإباء. القضم: ج قاصمة وهي الداھية. الوغم: الحقد. جزم: جرائم. شواظ محتدم: أي اللهب لا دخان فيه. الأجم: أحرار الغابة. الكثم: النقص في الخلق أو الحسب. النهم: ج نهام وهو الراهب. الوهم: هو الوهم. سادة لزم: أرباب الفصل في القضايا. أزهار فغم: ج فغوم ، وهي صيغة مبالغة من فغم فلانا أي ملأه به وملأ به خياشيمه منه. القحم: هي الأمور الشاقة العظيمة. الرئبالة: ج رئبال وهو الأسد. فرئ جُسم: أكاذيب جسيمة. البلم: صغار السمك. اليتم: أي اليتيم. السلم: الإسلام. الرُحم: ج رحمة أي رحمت. الهشم. أي الهاشمي. الغسم: سواد الليل. العشم: الطمع. الرجم: القبور. العرم: هو الشدة. الحرُم: الحرّمات. عصم: ج عصمة وهي النجاة من النار. التخم: أي التخوم والحدود بين البلاد. القسم: هو اليمين. انتكست: أي هبطت إلى الحضيض. العصم: ج معصم. الشكم: ج شكيمة وهي القطعة من الحديد توضع في فم كل حصان. العمم: ج عمّة. الوثم: القليل من الناس. البشم: الحزن: الوجم: الوجوم والسكوت. الخدم: ج خدمة. لجم: ج لجام. السدم: الهم مع الندم. الجشم: شدة الأمر. السنم: أي المسنم المرتفع السنام. الأدم: القبر. الرنم: المغنيات. الرخم: طائر. الركم: السحاب المتراكم. قاصل: ماض جدا. الدلم: مفيض مصب الوادى. الهدم: الهدم. السحم: السواد. الزلم: الأزلام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية الأولى. التلم: الأخدود في الأرض. التهم: شدة الحر ومنه تهامة. عجم: جمع عجمي. خدمة: معركة. ديوان عرب: إشارة إلى أن الشعر ديوان العرب ، والمعنى: فيه كل مآثرهم وأمرهم.

إلى مظلوم مقهور

(أجعل حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الظلم ظلمات يوم القيامة ، مقدمة ومعنى عنوان هذه القصيدة وكفي ، إذ إنه - صلوات ربي وتسليماته عليه أوتي جوامع الكلم. وأصبر بهذه القصيدة الحزينة كل مظلوم. وأوصيه بالاحتساب والتصبر حتى يأتي الله بأمره. وأذكره بأن الظلم والظالمين في جلد على امتداد التاريخ الإنساني كله. في كتابه (وماذا بعد الظلم؟) يقول الأستاذ عبد الحميد السحبياني ما نصه: (إن الناظر في أحوال الأمم والشعوب قبلنا - وبخاصة الظالمين منهم - ممن أهلكه الله - تعالى - ليأخذ من ذلك عظات وعبراً ؛ كيف لا وقد قال - سبحانه: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). إن في تأمل مصير الظالمين وما جرى عليهم من الإهلاك عبرة لكل جبار عنيد ؛ نعم ؛ الجبار الذي ما كان يهدأ له بال في الدنيا إلا وهو يرى بألم عينيه دماء الأبرياء من المؤمنين تنزف على يد زبانيته المجرمين ، فما يحرك له ذلك ساكناً ؛ بل وكأن شيئاً لم يكن! وهو - زيادة على ذلك - قد أطلق لنفسه العنان ، فأغرقها في الشبهوات والشبهات ؛ منتهكاً بذلك الحرمات ، ضارباً بالشرع المطهر عرض الحائط: (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). ما المصير الذي صار إليه أولئك الطغاة الذين ملكوا القوة والمال وأسباب البقاء والعلبة؟! ألم يأخذهم الله جميعاً بعدما فتنوا الناس وأدوهم طويلاً! (فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). وهكذا يكون مصير كل ظالم ومتجبر على مر الأزمان والدهور ، ولا يبقى إلا حماية الله - تعالى - وركنه القوي الركين. إنها حقيقة ضخمة غني بها القرآن الكريم ؛ حيث قررها في نفوس الفئة المؤمنة ، فكانت بذلك أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقها ، وداست بها على كبرياء الجبابرة في الأرض ، ودكت بها المعازل والحصون. لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة في كل نفس وعمرت كل قلب ، واختلطت بالدم ، وجرت معه في العروق ، ولم تعد كلمة تقال باللسان ، ولا قضية تحتاج إلى جدل ؛ بل بديهية مستقرة في النفس لا يجول غيرها في حس أو خيال. قوة الله هي القوة ، وولاية الله هي الولاية ، وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال ، ومهما تجبر وطغى ، ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتكليل. إن ابن كثير - رحمه الله - في كتابه (البداية والنهاية) تناول نهاية كثير من الطغاة والظالمين ؛ بدءاً بفرعون وقومه حتى العصر الذي عاش فيه ابن كثير). هو. فهو إذن الصراع المستمر المتواصل إلى يوم القيامة. وعزائي أن الله يرفع دعوة كل مظلوم فوق الغمام ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين. وعزائي أن الله يسمع ويرى! وعزائي أن ظلم الظالمين يحدث لحكمة ، وهذا يكفي).

كفكف دموعك - في المصاب ، وردد	الله حسبي - في البلاء - ومُنجدي
واكبج نشيجك ، واصطبِر في محنة	واخذ نحيبك ، واحتسب ، وتجد
واخذ كروباً أشعلت فيك الأسى	واذبح همومك ، وامض لا تتردد
وأطلن دعاءك للمليك تذلاً	وأدم قيامك ضارِعاً ، وتهجد
لا تشك أقدار الإله لخلقه	ما ذاك شأن المخبت المتعبد

وعذاب قلب ناره لم تخمد؟
وتروح شكوى ، ثم أخرى تغتدي؟
تطغى عليك ببأسها المتوقد؟
ضجراً ، ويحرمك التطلع للغد؟
والى متى ثأراً يُحاك لمعتد؟
وتتال منك بسيفها المتصلد؟
ووأدت آمال المضام المتجدد؟
موج الوسواس في الخضم المزبد؟
فحُبست في سجن الركون الموصد؟
فأسبرت في أغلال ذل مُرعد؟
مهما تذرع بالهوى المستأسد؟
ويبيد ظلمة كل ليل أسود؟
فلسوف يحقق كل شر مُجهد؟
يُردي هوى المتخرص المتبلد؟
وبرغم أنف الكاذب المتزيد؟
كالطود ، رغم الظالمين الحسد؟
بث في التحدي من سراب صنيهد؟
بتبتل ، والزم رياض الهجد
لم يدن من موله كالمتهجد
هذي ورب الناس سُنة (أحمد)

حتى متى لوم ، وخرقة يانس
والى متى الآهات يحدوها الجوى؟
والى متى الأنثا باكية الصدى
والى متى ماضيك يُشهر سيفه
والى متى نظر يتوق إلى الورا
والى متى الأطلال تذخر عزمة
أتراك بعثرت الأمانى عاجزاً
أكسرت مجداف السفين ، فعاقه
أطغنت بالأوهام خاصرة الإبا
أرقت في دعة تشامخ هيثم
أنسيت أن الحق يدمغ باطلاً
أنسيت أن النور يجتث الدجى
أنسيت أن الخير إن يغش الوغى
أنسيت أن الرشيد في دنيا الورى
أنسيت أن الصدق يرفع أهله؟
أنسيت أن العدل يبقى شامخاً
أنسيت أن حقائق الأشياء أثم
يا أيها المظلوم ، اخلص في الدعا
وابذل دعائك في السجود ، فإتما
وارحم ذوي قرباك ممن أجرموا

سأل الجميع بلهجة المتوود
قالوا: أخ برّ عظيم المحتد
والأمن موعدكم ، فيا دنيا اشهدي
والأمن في أبياتكم غضّ ندي
فبمثل هذا ، هل سمعت بمشهد؟
والرفق أجدي من تطاول ألود
تجتت غيم خلافتا المتباد
عز الإخاء ونور درب السوود
يرنو إليك بفرحة وتوود
واخفض جناحك للمحب الأرشد
بل مهادر بين العشير الغند
واستضعفوك ، وأنت أقوى أصيد
أن يسمعوا حقاً نقي المورود
فيصول صولة منصف متوعد
كالفجر يقتل طول ليل سرمد
فيعيد حقاً ، سيفه لم يُغمد
فإذا به يُردى بخبث الكد
أبئس بفعل المُستبد المُفسد!
فطغت على نيّاته والمقصود
وينال بالتهديد كل موحد

لما تمكن من رقاب خصومه
ماظنكم قومي بما أنا فاعل؟
قال: اذهبوا الطلقاء أنتم في الدنيا
من يدخل البيت الحرام فأمّن
و(أبو معاوية) أمّا إن داره
العفو أنجع إن أردت سعادة
والصفح أنفع حياة ووَسيلة
والسالم أفضل من خروب أهلكث
يا أيها المظلوم ، حقك واعد
فارق به من أخذ قارعة الردى
لما يضغ حتى تعاني فقده
نكروه ، بل سلبوه دون هوادة
فاجهر به عند الذين تصامموا
فلربما استهوى الذي يرثي له
ولربما عهدت تجدد بذوه
ولربما جمع يراجع نفسه
كم ظالم - في الناس أعماه الهوى
نهب الحقوق ، ولم يكن متعففاً
غرّته دنياه ، فكان أسيرها
ومضى يوز بقضه وقضيضه

وسَخَاوَهُ فِي الْعِيرِ لَمَّا يُجْحَد
وتَجَرَّعَ الكَرِبَاتِ أَهْلُ المَسْجِدِ
فبِدا كَبِيرُهُمْ بطلعة فرقة
ففي أمة الإسلام غير مُحدّد
بالظلم يختم خافقيه ويبتدي
وضغائن الكفار لَمَّا تنفد
ورياضها وهضابها والأوهـد
والكفر مُختال بوجهه أربد
ترنو لهيعة مشرفي مُنجد
متتـرس بسلاحه مُتسيّد
وأتى الكفار ضحى لأحقر موعـد
هي من دم مُتضمخ مُتبدد
يأذل صقع للعِدا مُستعبـد!
وتعقبوا الأطفـال فوق الأنجـد
ما بين مغدور به أو مُطرـد
والكفر قبح من أثيم موقـد!
ما بين مفتوك به ومُصـفـد
يغتالها الهندوس دون تـرد
يحيا التقى بها بقلب مُكـمـد
ولسوف يُسفر عن أذى وتشرـد

سَلِمَ العِدا مِن هولـه ورماحـه!
أمن الغتاة من الظلموم جميعهم
وبنى لأهل الجهل مجدا زانفا
يا أيها المظلوم: إن عزاءنا
فلئن ظلمت ، فإن أمتك اكتوت
أمم الصليب على ترائبها جئت
ويهود أرض الله فوق سهولها
وعلى ربا الأقصى دماراً قاصلاً
وترى فلسطين الكسيرة تشـتكي
وترى على بغداد أخبث جفـل
فوق الرووس صليبه مُترنـخ
ويخط - فوق الرمل - سـطوته التي
سحقوا الديار بأهلها ، لم يعبأوا
طعنوا النساء ، ولم يراعوا حُرمة
ذبحوا الكبار ، ولم يبـالوا غيلة
وعراقنا تحت الدغول أحرقـت
وشبابنا ذاقوا الأسى بصنوفه
وهناك في (كشمير) كوكبة الهدى
وهناك في (البلقان) أكبر فتنة
أسفى ، وفي السودان شرّ مُحـدق

يؤذى ، ومسلمة مكبلة اليد
كيد الطغاة الكافرين الحشد
هذا التسابق للرخاء المخلد
ونقودنا حيزت لأظلم أعبد
وتراثهم تحت الدمار المرصد
ذهبت سدى مع زهرها المتورد
تزجي المنى والجاه للمتشرذ؟
شلتان بين مولود ومغرد!
حب وخوف وفق شرعة (أحمد)
نار تلظى للطغاة بمرصد
وبه الكوارث لانفراج أغيد
ودواء كل من احتواك بمرصد
وبه الكوارث لانفراج أغيد
ودواء كل ملفق مترصد
وبه تسير على الصراط الأقصد
مثل التقى ، فيا لأعظم سيد
والعالمون - الدهر - أنبل قصد
خاب الذي في عيشه لم يزهدا!
فاجأر إليه بحرقه المسنتجد
فادع المهيمن في جوى وتوجد

أنى اتجهت على البسيطة مسلم
وحققونا ضاعت ، وأذهب عزها
وديارنا اغتصبت ، ودك صياتها
ودماؤنا سُفكت بدون جريرة
وكرامة الأعراب في جوف الثرى
ومروجهم في الأسر تبكي خضرة
يا أيها المظلوم: هل من هبة
لا يستوي المحبور والمقهور ، لا!
ما العيش إلا طاعة لله في
ورجاء رحمة ربنا والخوف من
والصبر نور في دروب المبتلى
والحلم زين ، لاسجية مثله
والصبر نور في دروب المبتلى
والحلم زين لاسجية مثله
والرفق مرقاة تُبلغك العلا
والعز يدركه التقى ، فلا ترى
والعلم أفضل ما ينال من اتقى
والزهو يجعل سالكيه أكابراً
يا أيها المظلوم ، ربك ناصر
فالنصر للمظلوم منه تفضل

هو رافع هذا الدعا فوق الغما
بل واعد بالنصر مظلوماً ، ومن
ولكل مخلوق تجبر ساعة
ويقال للمظلوم أخبر بالذي
ويقال للجبار أقصر واستمع
وإذا الموازين التي ما أغفلت
لا ظلم ، والرحمن يقضي بينهم
ويقال للمظلوم: جنتك أزهت
وأساور الأضياف أنصغ فضة
ولباسهم فيها الحريز معطراً
وحريمهم حور الجنان ، فهل ترى
وشربهم عسل وماء والحليب
وطعامهم لحم وفاكهة ، وقد
وفراشهم من سندس غض ومن
وهودوا إلى طيب الكلام وعذبه
يا أيها المظلوم: سل رب الورى
واحقن سعار الغيظ تسم إلى العلا
وأدم دعائك للمايك تذللاً

م ، ومقسم أن لا انتصار لمعتد
حاشا من الرحمن أصدق موعد؟
يقتص فيها من عتي الود
لاقيت منه ، ويا خلانق فاشهدي
ويمر بين الخلق أفضع مشهد
مثقال خردلة ثرى كي تفتدي
ويغل بالأصفاد أظلم مفسد
وتزينت أرحابها بزبرجد
ولآلىء قد رصعت بزمرد
ومطرزاً بجواهر في عسجد
في الكون أجمل من حسان خرد؟
وخمرة ، يا نفس يا أنسى ردي!
لفت بطلح في الجنان منضد
إستبرق يسبي العيون مُمهد
وترنم بالقول مثل المنشد
جنات عدن في جوار (محمد)
واهرع إلى التقوى ، ولا تتردد
وعلى السميع إجابة المتهدد

رسالة إلى سائق متهور

(صدم ذلك السائق المتهور صبياً صغيراً بسيارته ، وكان بكل سهولة ويسر يتمنى أن يتحاشاه ، ولو كان هناك شيء من يقظة يسيرة وانتباه زهيد. وحاول الهروب فأوقفته وتوعدته من أن الأمر لن يمر وأنني شاهدٌ على هذا الحادث ، فحمل ضحيته لا حراك فيها بالمرّة. وأنا على مثل اليقين أنه قد فارق هذه الحياة. وذهب هذا المتهور به إلى المستشفى. وفي خطبة له بعنوان: (الإسراف في القتل) يقول محمد المنجد ما نصه: (أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن آخر الزمان وما يكون فيه من الفتن والإثم والعدوان. فأخبرنا عن الفوضى وسفك الدماء والقتل. فقال: لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج. قيل: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل القتل. متفقٌ عليه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لياتين على الناس زمانٌ لا يدري القاتل في أي شيء قَتَلَ ، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتِلَ. فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج). والقتل في الإسلام ليس قضية عبثية ، وإنما هو لله وعلى ملة الله التي بعث الله أنبياءه عليها. وأخبرنا عليه الصلاة والسلام أن أول ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة الدماء. ويكون القصاص عند رب العالمين. وقال: يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: يا رب ، هذا قتلني. فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان. فيقول: إنها ليست لفلان. فيبوء بائمه. رواه النسائي وهو حديثٌ صحيح. فمن قتل مسلماً من أجل فلانٍ أو إعلان ، أو لتكون الهيمنة لفلانٍ أو فلان ، فلن ينفعه شيئاً عند الله. ويُلاحظ أن أعداء الإسلام قد حوّلوا كثيراً من بلدان المسلمين إلى مصارع للنفوس وساحات لإراقة الدماء. ودخل في ذلك من دخل ممن تساهل في أمور الدماء. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: من خرج على أمتي وفي رواية: بسيفه. يضرب برّها وفاجرّها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهدٍ عهده. فليس مني ولست منه. وواضح من الحديث قضية التحاشي والاكتراث والانتباه والدقة. فمعنى لا يكثر ، لا يخاف وبال ذلك وعقوبته ، وكذلك لا يبالي. وهذا وعيدٌ شديد. وأعداء الله تعالى يريدون أن يشيع القتل في المسلمين ، وأن تتحول ديارهم إلى أماكن للفوضى بحيث لا يعرف الناس كيف يدبرون مصالحهم. ولا كيف يعيشون. فضلاً عن أن يعرفوا كيف يعبدون الله ، وكيف يتعلّمون دين الله تعالى ، وكيف يدعون إليه. إن القتل في الدين ليس عبثياً. {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا}. ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام. بل إن القتل في الإسلام من الأمور العظيمة ، وله حدودٌ شرعية ، ومبادئٌ سامية ، وأغراضٌ إسلامية. وليس كلُّ قتلٍ وفوضى - كهذا القتل - مُقرّةً في الشريعة أبداً. ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: لا يدري القاتل في أي شيء قتل. ولا يدري المقتول على أي شيء قُتِلَ. ينبغي أن يكون ذلك في ضمن هذا العمل. في أي شيء قتل ، وعلى أي شيء قُتِلَ. حتى لا تكون القضية عبثية ، ولا فوضى. لا بد أن يكون هنالك هدف. في أي شيء قُتِلَ ، وعلى أي شيء قُتِلَ. إن القضية واضحة جداً في هذه الشريعة. ولما جاء الشرع بقتل بعض الناس كان القتل لهدفٍ واضح. لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد إلا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس. والثيب الزاني. فحماية الأعراس وزوجات المتزوجين ، وتخلّصاً من هؤلاء الذين لم يفهموا الحلال عن الحرام ومواقعة الحرام.

فذاقوا الحلال ، وكانوا في عصمة النكاح. ولكنهم أبوا إلا أن يخربوا ذلك ويلوثوه باتيان الحرام. فهذا مُحَصَّن سبق له الوطء في نكاحٍ صحيح ، وعرف الحلال وذاقه ثم يتركه إلى الحرام والوقوع في الزنا والفاحشة. فماذا ستكون عقوبته إذا ثبت الحدّ عليه؟ وماذا يستحق؟ القتل رجماً! وكذلك الذي يقتل عمداً معصوماً فإنه يُقتل. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَدَابٌ أَلِيمٌ}. وقال: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}. فإذا كان القتل قصاصاً لحماية النفوس ، بقية المجتمع. ولذلك رأينا أن من وراء تشريع القصاص حماية للحياة. وأما المرتد عن الدين ومن كفر بعد إسلامه فقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه. رواه البخاري. فالذي عرف الحق والإسلام ودخل فيه ، وبعد ذلك كله ارتدّ عنه ، وهو منابذ لدين الله ، خارج عن دين الله ، كافر بدين الله ، مختار لملةٍ أخرى غير ملة الإسلام. وكل ملةٍ غير ملة الإسلام باطلة. فتمرد على دين الله الحق مسلماً. ولا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً أو جاداً ، فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه. القتال في الإسلام لإقامة الدين ، ودرء المرتدين ، وتطبيق الشريعة. فإذا تمرد المرتدون وأرادوها ولاءً لأهل الكفر واليهود فلا بد من إزاحتهم ومقاتلتهم وإذلالهم وإرغام أنوفهم ليعم الأمن البلد ، ويكون الدين لله. إن الله امتنّ على المؤمنين بأن جعل لهم هذا الإسلام الذي فيه الرعاية والحماية والأمان. وذكر الكافرين بنعمته عليهم في الأمن بمكة. {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ تَمَرَاتٌ كُلَّ شَيْءٍ عِ؟}. فهكذا كان الدين مسانداً ورافداً ومقيماً للأمن. {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ؟}. {فَلْيُعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}. وما يصيب الناس من مصيبةٍ فيها خوفٌ فيما كسبت أيديهم. ولذلك قال سبحانه وتعالى: {وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}. هـ. فكان هذا القصيد رسالة إلى هذا المتهور وكل متهور. لعل الله يشرح لها كل قلب يطالعها فيتجنب مثل هذا التهور ويتذكر قول الله: (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً). رزقنا الله تجنب خطأ الغير وعصمنا من دماء من عصمهم الله في الأرض وأنجانا من الذي ابتلى به عباده.)

إن يوم البعث آتٍ فاستعدا	أيها الراكبُ متن الجور فردا
غرك الكبرُ الذي ألبست بُردا	أنت مخدوعٌ ، ترى الرمل عقيماً
كل حر - لك - بات اليوم عبدا	عابتٌ أنت ، ترى الخلق تراباً
وغتلت تحسب التـدجيل رُشدا	مجرمٌ تقتات إجراماً وظلماً!
مستبيناً ، فظننت الرمز مجدا	نقش الكبرُ على خديك رمزاً

والأحاجي تقراً التدشيين وردا
تفعم القلب جهالاتٍ وحقدا
والشياطين غدت للغر جندا
أصبح الرأس لها بالرغم - طودا
مطبوق ، إحكامه أصبح قيـدا
قولها أخزى مقاماً ومردا
عن هدى الإسلام ، والظلم تبدى
لتعاليم الأعداء بات صيدا
حيث أصبحت - بما علمت - وغدا
ويراك الناس تيساً يتحدى
وتكبت السبيل الحق عمدا
وملأت القلب يا معتوه عنـدا
والذي يفعل هذا يتردى
وبك الدود - قريباً - يتغذى
زادك البعد عن الرحمن جـدا
يعبد الدولار والقصر وهندا
خان - مختاراً - موثقاً وعهدا
وحود الله - ظلماً - تتعدى
وبرأي - خاب - صيرت المسـتـبدا
في دروب الغي ، خال الزيف جـدا

والخيالات - على دربك - شتى
والأضاليل - إلى قلبك - تهفو
والأراجيف - بما أنجزت - تشدو
والأماني - في عيون النذل - كهف
والأغاليط - على روحك - غل
أقمتك الكبر أفواة تعاملت
أشربتك الظلم أفكاراً تخلت
وسقاك الجور تعليماً مقيت
وتعلمت ، ولكن دون جدوى
ورأيت الناس أقزاماً وعيراً
واحتقرت الخلق في سر وجهر
وتنقصت البرايا في غرور
وتطاولت - على الحق - كثيراً
أنت ، من أنت؟ أديمّ وتراب
أنت ، من أنت؟ حضيض وانحطاط
أنت من؟ أنت سراب وخيال
أنت من؟ قل ، أنت مخلوق حقير
أنت من؟ قل ، أنت شيطان رجيم!
أنت من؟ قل ، أنت مخدوع تلهى
أنت من؟ قل ، أنت محتال تمادى

فرأى - في السم والترياق - شهدا
ولمن آمن بالله تصدى
والحماقات غدت للكبر مهدا!
قيمة الأرواح خذل يتبدي
وعلى أشلانه تلعب نردا
وإذا القاتل قد أصبح (لوردا)
لم يتم الطفل - يا ظالم - عقدا
يبدل المسكين في اللعبة جهدا
يملأ الدنيا أزاهاها وردا
تنتشي حبا وأحاناً وودا
فإذا بالمفتري يحفر لحدا
يحصد العمر بسيف الغدر حصدا
ويزيد الكيد - بعد الكيد - كيدا
وجرى ينشد في الأعصاب خردا
لكن الأقدار لا تعرف بُعدا
وخدا بالروح تعذيباً ولمدا
مئنت - مما ترى - خزنأ وكمدا
وإذا بالبرق يهدي القلب رعدا
وإذا بالنار تزكي النفس وقدا
يرسل الحنق رسولاً كال سهدا

أنت من؟ قل ، أنت موهوم تغابي
أنت من؟ قل ، أنت دهقان تمطي
آه من كبرك أودى باصطباري
رخص الإنسان ، فالناس تراب
تقتل الطفل ، وتمضي دون خوف
دمه فوق الثرى ، والأرض ظمأى
أسلم الروح ، وعن دنياك وآلى
ومع الأصحاب كان الطفل يلهو
عاطر البسمة ، يسعى في سناها
وعلى الوجه يواقيت الأماني
يعبر الدرب ، ولكن دون وعي
يحمل الموت على كف المنايا
يشدخ الرأس ، ويجتر البقايا
لم يُراع الوغد رباً أو عشيراً
غرّه بُعد الورى عن صدم شبل
قدر أنى أرى ماراع قلبى
وإذا الرعشة - في الوجدان - كلمى
وإذا الآلام تجتأخ فوادي
وإذا بالحسرة الثكلى احتوتنى
وإذا الغيظ - على الرأس - جبلاً

من شعور فاض أوجاعاً وكذا
دمعة والسيف قد فارق غمدا
كخضم غاض جزراً ثم مدا
أحمل الأشجان والأطلال فردا
يحرم العين - مدى الأيام - رقدا
ويفوق اليوم في التذكير (زيدا)
وتزيد المرء - في العيشة - زهدا
ويجافي قلبه (لبنى) و(دعدا)
واعتباراً يجتني عزاً وصمدا
واتعاضاً يحتوي درساً ونقدا
والذي يمضي - إلينا - لن يُردا
نحمد المولى على ذا الموت حمدا
تنشد الرحمة في الأحداث نشدا
لم تدع شيباً ، ولا لم تنس وُلدا
وشفير طفف نيراناً وصهدا!
ولحيذٌ وعليه البؤسُ شُدا!
وعلى سُؤلي له لم ألق ردا
وأنا عن دمه كم ددت ذودا!
وسردت الأمر - رغم الحزن - سردا
ومضى لمارأى الرانين حشدا

وإذا الخرقاة تشوي ما تبقى
حيرة بين التيعاع وانفعال!
لوعاة بين ابتئاس وانتقام
ذهب الناس جميعاً ، كنت وحدي
دم هذا الطفل طوفانٌ بعيني
صمته أبلغ من خطبة (قس)
عبرة تذهب بالعقل مآيها
تجعل الإنسان يُزري بالأمان
عظه تجرح قلباً لا يبالي
نظرة بالعين تمحو كل كبر
ينتهي المرء ، ويمضي كل حي
كتب الموت علينا في كتاب
رقدة في القبر مأوى كل إنس
ضجعة لا بد منها للبرايها
ما استوى قبرٌ من الجنات يُروى
ما استوى قبرٌ به الروضة فاحت
طرح الطفل على الأرض جباناً
غارقاً في الكرب طفلي مستكيناً
ورميث الوغد بالحجة عفاً
فارعى لمارأى التهديد مُراً

وأحاسيس من الأخلاق جردا!
وجهول يحسب الإنسان قردا!
تلك فوضى - بيننا - تتشد خدا
قسمة ضيزى ، محت دوراً وبدا
منه قانونك أضحى مُستمد
فتنة فيها التقى أخطأ قصدا
تصدم الإنسان ، أمر بات إدا
وكرام الناس تبكي منه وجددا
وجبال الأرض خرت منه هدا
ويعاني الأهل للمقتول فقدا
ثم يلقى ميتاً في ساح بيددا
دامياً رأساً وجيداً ، بلن وخدا
وكان الصدم هذا طال زندا
ورفاق اللعب كانوا فيه أسندا
وجحيم الصمت يرجو الآن خمدا
جاءهم مُستعبراً يحمّل بندا
وصغير قد جرى يأمل عودا
تاركاً قومياً ، وقومياً يتحدى
إنه يُحصي الخطا: وقعاً وعدا
والذي يؤمن جنات وسعدا

آه من غلظة قلب وشعور
آه من موت ضمير وفؤاد
عنده الإنسان فلساً لا يساوي!
ديّة المرء على (التأمين) جبراً
منطق الغابة هذا والضواري
ماتت النخوة ، والإيمان ولي
مثلما تصدم كلباً في طريق
فالسماوات لهذا في انقطاع
وكذا الأرض لهذا في انشقاق
أن يُراق الدم فوق الأرض بخساً
أن يُلاك اللحم بالرمل ، ويرمى
وعلى التلة طفلي بات نسياً
واضعاً كفيه خلف الظهر قسراً
مغمض العينين ما أزجى حراكاً
لكن الصمت احتواهم في مصاب
لعبوا حتى إذا ما الموت وافى
كلهم يجري ، فهذا للتسلي
هكذا الدنيا إذا الموت أتاها
من جنود الله ، فالأمر قضاءً
وعَد الله الذي يكفر ناراً

هل ترى الله - في ذا العدل - ندا؟
هل تقى - في الدنا - ينشد خلدا؟
من ترى - من ربنا - أصدق وعدا؟
لاستفاد - الدهر - من يرقب فيدا
مُرعدات السير لا تعرف تيدا
ليست الأعين هذي قط رمدا
قد جعلنا صالح الأعمال زيذا؟
صدنا - عن ديننا - الشيطان صدا
وحسبنا العيش بالعصيان رغدا
وظننا الغي رجحاناً ورشدا؟
عن هدى الله؟ فزدنا عنه بُعدا
أم ترانا قد طردنا منه طردا؟
توبنا خير ثواباً ومردا
منك ، واجعلنا لدين الحق جندا
فغدونا للضلال المحض عبدا
أمل من رحمة المولى تبدي
ثم هم قد أخلصوا سعياً وعهدا

جل شأن الله لا يظلم شيئاً
كل مخلوق له يوم ارتحال
ذاك وعد الله ، إن كنت بصيراً
عبرة لاحت ، فلو قيل استفيدوا
عمرنا هذا سويعات نراها
أعين الأيام تحصي كل شئ
نحن ضيفان على الدنيا ، فهلا
عن هدى القرآن كم كنا ابتعدنا!
كيف تهنا عن سبيل الله دهرأ؟
كيف ضعنا في دروب التيه صرعى
كيف لم نفظن إلى سير ابتعاد
هل ترانا نهتدى للحق يوماً؟
هل نتوب - الآن - عن فعل المعاصي
يا إله الناس زيننا بعفو
هذه الدنيا أضلنا كثيراً
نحن يا رباه لم نياس ، ولكن
فارحم اللهم قوماً قد أفاقوا

الأشقاء الأعداء

(أشقاء شاذون لا يستحقون ما تحتويه الكلمة في طياتها من معاني الإخاء والحب. أحسن إليهم أكبرهم ، وسخره الله لهم أباً دون أب ، وصدرأ حانياً بعد أن لفظتهم الصدور ، وكان لهم رداء وظهرا في الغربة. وجعل هؤلاء الأشقاء الأعداء جزاء المعروف خيانة وخسة وغدراً. فسمحوا لشقيقهم بالإهانة وهو الذي أعز شأنهم بين الناس بتوفيق الله إياه لذلك الجميل العظيم وسمحوا له بالضياح الذي أعدوا له عدتهم ، وسمحوا له بذل النفس بين الأراذل ، وكادوا له كيداً ليس لعدو! فأعلنها صراحة أن هؤلاء ليسوا مني ولست منهم إلا في مجرد الادعاء الأجوف على الأوراق والألسن ، ورب أخ لك لم تلده أمك. إن كل مسلم لم يعدم الأخوة الحقيقية في أحبائه وأصفيائه من أهل الإيمان بالله. فأرسل ذلك الشقيق الأكبر هذه الرسالة ، يكشف فيها نوايا الأشقاء الأوباش الذين افعلوا تمثيلية فقط يفتعون أخاهم أنهم عادوا وأنابوا ، والله يشهد إنهم بكل ما تعنيه الكلمة لكاذبون. إذ الحقوق لم ترجع ، والأمر كما أعدوا ورتبوا. إنهم يريدون عودة جوفاء لا أخوة صادقة فيها. وفي مقال عنوانه: (الأخوة في الله) يقول كاتبه أبو سعد الأثري ما نصه: (ينزل المسلم أخاه المسلم منزلة الصاحب لديه ، فيقوم بحاجته من فضل ماله إذا احتاج ، ولا ينتظر سؤاله فإن أجه إلى السؤال فهو دليل على تقصيره في حق أخيه ، وإذا انحط المسلم عن هذه المرتبة فهو مقصر مذنب يحتاج إلى فحص نفسه ، وتهذيبها والتوبة إلى الله تعالى. روى أن رجلاً جاء أبي هريرة فقال: إني أريد أواخيك في الله فقال: أتدري ما حق الإخاء في الله؟ قال له: عرفني! قال: ألا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني! فقال الرجل: لم أبلغ هذه المنزلة بعد. فقال أبو هريرة رضي الله عنه: فدعك عني. وليس هذا من بنات أفكار أبي هريرة رضي الله عنه فقد وردت مجموعة من الأحاديث تؤكد هذه الحقيقة العظيمة التي مفادها أن المؤمنين بوثقة واحدة ، ليس بينها حواجز. فعن أبي سعيد الخدري قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعْذُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعْذُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) . وعن عائشة رضي الله عنها أنها اغتلت بعيراً لصفية بنت حيي وعند زينب فضل ظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب: (أعطيها بعيراً فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة والمحرّم وبغض صقر). وعن ابن عمر قال: (ثم لقد أتى علينا زمان أو قال حينٌ وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا أغلق بابي دوني فمنع معروفه). ثم يرتفع بعض المؤمنين الصادقين إلى مرتبة الإيثار فيقدم إخوانه على نفسه فيلحق بأولئك الأفضال الذين خلد ذكرهم المولى عز وجل في القرآن الكريم: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). فيصبح من المفلحين الذين يغبطهم الشهداء والنبيون. عن يحيى بن سعيد قال: (سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَفْطَعَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ حَتَّى تَفْطَعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تَفْطَعُ لَنَا قَالَ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةَ فَأَصْبَرُوا حَتَّى تَلْفُونِي). ومن هذا النوع من الإيثار الذي يعجز الزمان أن يأتي بمثله ، ما حصل بين المهاجرين والأنصار عندما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بعد الهجرة. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي
وَأَنْظُرُ أَيَّ رُوحِيَّ هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فإِذَا حَلَّتْ تَرَوَّجَتْهَا قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا حَاجَةَ لِي فِي
ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سُوقٌ فَيَنْفَاعِ قَالَ فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَرَاخَمَهُمْ وَبَزَهُمْ فِي مِيدَانِهِمْ ،
فَمَا لَبِثَ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى كَسَبَ مَالًا وَتَاهَلَ مِنْ مَالِهِ وَلَمْ يَرِزْ سَعْدًا بِشَيْءٍ). لقد كان عبد الرحمن عفيفاً
ولكن تعجز النساء أن يلدن مثل سعد بن الربيع رضي الله عنه. هذه مرتبة مستحبة ، وليست هي
واجبة أو فريضة محتمة كما كان في دين السيد المسيح الوجيه المقرب صلى الله عليه وسلم ، إذ قد
روي أن أتباعه كانوا يخرجون من أموالهم ويضعونها في صندوق مشترك تصرف منه أمراؤهم على
كافة أفراد الجماعة. طيب الكلام والمبسم والبشاشة في وجه الأخوة ورد السلام والفرح باللقاء! لأنه
مدعاة لجلب المحبة ودوامها وفي هذا يقول المولى عز وجل: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). ووصف عباده
الصالحين أنهم طيبي الكلمة فقال عز وجل: (وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ).
والقول الطيب والكلام الحسن يبطل كيد الشيطان ويسد أمامه الطريق للإفساد والتفريق بين الأخوة
وفي ذلك يقول تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا). وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى يفيد وجوب طيب الكلام وحسنه واختيار أفضل
العبارات أوضحها في التعبير عن المقصود وإدخال السرور على قلب أخيك كل ذلك يدخل في مفهوم
طيب الكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ). ومن طيب الكلام أن يدعو
أخاه بأحسن أسمائه ، وأحبها على قلبه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ثلاث يصفين لك ود
أخيك تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه). والمبسم والبشاشة في
وجه الأخوة من موجبات الأخوة الإيمانية وكذلك هو من وسائل كسب القلوب ، لأن الوجه عبارة عن
المرآة التي تعكس ما هو موجود في داخل أعماق الإنسان ، فإذا كان الوجه طليقاً بشوشاً كان موحياً
بالبشر والمحبة في نفس المقابل ، أما عن كان عبوساً مظلماً فلا شك أنه يوحي في قلب المقابل
بالضيق والاشتمزاز وعدم الانشراح ، فعلى الإخوة أن يطلقوا وجوههم فيما بينهم وفي ذلك يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ). (هـ).

أيها الأوباش ، عزّ الطلّبُ	ومن الدعوى يفوح الكذبُ
حصص الحق ، فلا تعتذروا	ما عليكم - في التدني - عتب
خبية حلت على أكبركم	والأشقاء الخزياسبب
حسرة في القلب تكوي غده	وبلاء - من عل - ينسكب
وشقاء يغمر النفس جوى	ومصائب شرب فيه التيب
ودموع تغرق العين أسى	وعذاب - في صداة - اللهب
وجراح نزهها منفعلة	واباء في الدجى ينتحب
وشموخ هان يا أوبئة	وعلى الباغى اللظى ينقلب

وعلوّ - في الورى - بدّده
 وكراماتّ ثوى سُودّدها
 لا تقولوا: ذا شقيقّ أبداً
 لا تقولوا: ذا أخونا ، فأنا
 لا تقولوا: إنني أكبركم
 لا تقولوا: ذاك منا ، فأنا
 لا تقولوا: دمه من دمننا
 اصدقوا الناس ، ولا تخرعوا
 لم تراعوا حرمة شرعها
 أنتم نازّ بدي اشتهت
 أيها الأوغاد أنتم ألمى
 إنني قد متّ خيرى غرداً
 فانتقلتم من ضنى يقنكم
 كنتم - في الناس - عبناً قذراً
 ثم أصابتم زكاماً مجلاً
 ليس عودّ - بيننا - يا همجّ
 إنني في غيركم مبهتجّ
 أحمدُ الله على فرقتنا

كيد من - بالموبات - اختضبوا
 وانزوى - خلف السراب - النسب
 إنكم لم تفعلوا ما يجب
 لست للصرعى - إذن - أنتسب
 بيننا ضاعت - ترؤن - النسب
 كل نذل منكم أجتنب
 فدمي عن دمكم مغترب
 منكم الصدق غدا ينتحب
 ربنا المولى ، فلا تضطربوا
 والأسى - من وهجها - يلتهب
 ليتني من مكرم احتجب
 عند لربي إنني أحتسب
 وقلائم فكم ركم والودب
 واعتلتكم - فى البرايا - الكرب
 وقطيعاً - فى الورى - يحترب
 أنتم فى الناس بنس العصب!
 وبكم قلبي مهيض لجب
 ثم - بعد اليوم - لا أكتب

إلى مسلمي العالم

(وأما هذه القصيدة فرسالة إلى كل مسلمي الدنيا ليعتبروا بماضيهم وليصلحوا حاضرهم. وفي محاضرة له بعنوان (الامة الأبية) يقول محمد المنجد ما نصه: (لما قالت امرأة هاشمية من بني هاشم: وامعتصماه وهي أسيرة في أيدي الروم لما أهانوها ، بلغ نداؤها الخليل المعتصم فقال: لبيك ، ونهض من ساعته ، وصاح في قصره النفير النفير ، وجمع العساكر ، وأحضر قاضي بغداد ومعه ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلاً من أهل العدالة ، فأشهدهم على أمواله ، فجعل ثلثاً لولده ، وثلثاً لله تعالى ، وثلثاً لمواليه ، ثم جاهد ففتح عمورية ، وعندما كتب ، نقفور إلى هارون الرشيد ، يقول له: من نقفور ملك الروم ، إلى هارون ملك العرب ، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي ، أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، طبعاً الرخ والبيدق ، حجران من حجارة الشطرنج الرخ: القلعة ، والبيدق: هو هذا الجندي في المقدمة ، وطبعاً البيدق ضعيف ، والرخ أقوى ، قال: الملكة التي كانت قبلي ، من قومي ، التي كانت تدفع لك مالاً ، وجزية ، ضعيفة ، امرأة ضعيفة ، أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيق بحمل أمثالها أمثاله إليها ، وهذه طبعاً كبيرة ، يقول لهارون: أنت الأولى أن تحمل الجزية تدفعها لنا ، وذلك من ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي هذا ، فاردد إلي ما حملت إليك من الأموال ، وافتد نفسك به ، وإلا فالسيف بيننا وبينك ، فلما قرأ هارون الخطاب ، أخذ الغضب الشديد ، حتى لم يستطع أحد أن ينظر إليه ، ولا أن يخاطبه ، وأشفق جلساؤه عليه ، ثم استدعى دواة وكتب على ظهر الكتاب ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين ، إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون ما تسمعه ، والسلام. ثم سار حتى نزل بباب هرقل ، وفتحها وأخذ ابنة ملكها ، وغنم من الأموال شيئاً كثيراً ، وخرّب وأحرق حتى طلب نقفور ، الموادعة على خراج يؤديه إليه ، في كل سنة ، فأجابه الرشيد ورجع. لقد أثبتت المواقف سوءاً على القدرة على جهادهم ، أو عدم القدرة ، قوية ، وابن تيمية رحمه الله ، لما ذهب إلى قازان ، ملك التتر ، لمقابلته ، وخرج معه جماعة من دمشق ، من علمائها وكبرائها ، لما دخل ابن تيمية رحمه الله على قازان ، ملك التتر ، جعل يكلمه ويرفع صوته ويخفض ويعض وينهى ويأمر ، ويقول: كيف تدعي الإسلام ، ومعك قاضٍ بزعمك ، وإمام ، ومؤذن ، ثم تقتحم بلاد المسلمين ، وتقتل ، وتريد أن تقتحم دمشق ، لما وضع الطعام! والتتر لما وضعوا الطعام للوفد المسلم ، أبا شيخ الإسلام أن يأكل ، قالوا له: كل ، قال: لا ، قالوا لماذا؟ قال: وهل هذا إلا ما سلبتموه من غنم المسلمين وأموالهم؟ فإذا سلبتموه من غنم المسلمين وأموالهم ، تذبحون لنا منه ونأكل ، إنه لا يجوز أكل المغصوب والمنهوب ، ولا المسروق ، وجعل يعظ ملك التتر ، وقائد التتر ، حتى وقعت هيبة شيخ الإسلام في قلب الملك ، وسأل عن اسمه؟ وجعل أصحاب ابن تيمية يجمعون ثيابهم مخافة أن يسقط رأس ابن تيمية ، والدم ينضح علينا ، فجعلوا يجمعون ثيابهم مخافة أن يصيبها دمه ، ولكن الله عز وجل ألقى هيبة شيخ الإسلام ابن تيمية في نفس ملك التتر ، فوعده خيراً وأنه لن يقتحم البلد ، وردّه مكرماً ، قالوا: كدت والله أن تهلكنا ، يقول الذي خرجوا معه الوغد ، كدت والله أن تهلكنا ، يعني على هذه المواقف الجريئة ، والله لا نصحبك بعدها أبداً ، قال: فذهبوا من طريق آخر ، قال: فأما شيخ الإسلام ، فسمع أهل دمشق بما فعل من أجلهم ، وكيف أنه كان يأمر

وينهى ملك التتر ، فخرجوا إليه واستقبلوه ، واجتمع عليه الناس ، وأكرموه ، حتى دخل دمشق ، وأما نحن فخرج علينا جماعة من اللصوص ، فشلحونا ، وكان في هذه الأمة والحمد لله ، من يتصدى لواضعي الحديث النبوي ، ولما جيئ بذلك الزنديق الذي وضع ، أربعة آلاف حديث ، فقال له الخليفة ، يقرره بما فعل: نعم وضعتُ على نبيكم ، كذبتُ أربعة آلاف كذبة ، صارت بين الناس ، يعني الآن سواء قتلتنى أو ما قتلتنى ، والأحاديث شاعت وانتشرت ، أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها ، سارت بين الناس ، قال: وأين أنت من عبد الله بن المبارك ، وأبي إسحاق الفزاري ، وفلان وفلان ، ينخلانها حرفاً حرفاً ، يعني أن عندنا من علماء المسلمين ، والمحدثين من يكشف هذه الأحاديث ولما قام في المسلمين ، تشبه بالكفار ، بالأخذ عنهم ، وتقليدهم ، وأخذت أفلامهم ، وألعابهم ، وسرت أعيادهم ، وحصل التشبه بهم في أشياء كثيرة ، قام في المسلمون من يغير هذا ، ولما غزونا حتى في الألعاب ، في البوكي مون وغيره ، قام في المسلمين من يبين ، حقيقة هذه الأشياء ، لما غزونا بالفلنتين وعيد الحب ، قام في المسلمين من يبين ، حكم هذه الأشياء ، وأنه عيد بدعي لا أساس له في الشريعة ، وأنه يشغل بالتفاهات ، وأنه سبب فتح الباب الحرام ، والتعارف ، تعرف الرجل الأجنبي من امرأة أجنبية ، وأن فيه التشبه بالكفار ، وأنه يحرم على المسلم الإعانة عليه ، بأكل أو شرب أو بيع أو شراء ، أو صناعة أو هدية ، أو مواصلة أو مراسلة أو إعلان أو غير ذلك ، وأنه لا يجوز بيع هذه الهدايا والورود فيه ، وما يعين على الاحتفال ، لقوله تعالى: (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) ، ولما قام بعض الأذئاب بالوقوع ، في بعض شرائع الإسلام ، مثل تعدد الزوجات ، وجعلوا يكتبون على صفحات مجلاتهم ، من الخارج والأغلفة ، نعم أو لا للزوجة الثانية ، أيسفتى على الأحكام الشرعية ، الأحكام الشرعية المقررة المنتهية ، التي أجمع عليها العلماء ، المذكورة في كتاب رب العالمين ، من جعل الاسفتاء على شريعة رب العالمين تقبل أو لا تقبل ، قام العلماء يولفون في ذلك ، وحكمة إباحة تعدد الزوجات ، وفوائد تعدد الزوجات وتعدد زوجاته في إطار الضوابط الشرعية ، وبين العلم والدين ، وهكذا ، لما قام في المسلمين ، من ينادي بأخذ الحضارة الغربية ، بحلها ومربها ، ويشكك في القرآن الكريم ، وفي بلاغته.(هـ).

يا مسلمون: لواء الحق يُغتصبُ
والدارُ تدهمها الآلامُ والكُـرْبُ
هذي المصائبُ ، مَنْ فينا يُوجِّبُها؟
وَمَنْ يشج العُرى لتذهب الطنْبُ؟
وَمَنْ يُعربد - في أصقاعنا - طرباً؟
وَمَنْ يُمزق صفاً كان يجمعنا؟
يا مسلمون: أفيقوا من دغاولكم
طالبت بمحنتنا الأماذ والحقب
أما اعتبرتم بما قد كان من محن
الأمهـا - في بقاع الأرض تلتهب؟
أما أساءكم ما كان من كُـرْب
أمسث لها مهج الأبرار تنتحب؟

والنارُ يسبقها الحميمُ واللهب
لأنه لهُدى الفساق ينجذب
وإن أفاق ففى السفسافِ يحترب
نحو الضياع إلى الضلال ينقلب
بجوقه زأدها الآهات والشبب
ولم يعد لهُدى الإسلام ينتسب
وشردوه ، فأضحى - اليوم - يغترب
واليوم قد أصبحت - بالرغم - تُغتصب
ومن دماء دُعاة الحق تختضب
بنس المكاند والتدمير والغضب!
وفرقة بالذي أهلُّهُدى اكتسبوا
والموبقات دروبٌ ، والهوى سبب
يُظلمهم ، وعلى أحرارهم يثب
وأمة الخير خلف الهون تحتجب
وأهلها بالذي يأتي العدا طربوا
أما الشعوب فيُردي عيشها الودب
فطبَّقوه ، ففيه النصر والغلب
من الهزيمة ، فانصاعوا لما يجب
وعنده وحده يا قوم أحتسب

ألا تخافون بأس الله يدمغكم؟
هذا الشبابُ سرابٌ التيه يسحقه
يسايرُ الركب نحو الموت مُتجهاً
يقلد الكفر ، لم يفتأ بتابعه
لم يعرف الحق حتى ضل مقتدياً
أمسى يُرقع دنياهُ بشرعه
طوراً يُداجي الألى باعوا كرامته
والدارُ قد هجرت قرآن خالقها
تكالبت أمم التلمود ، تنهبها
وأحكمت أمم الصُلبان قبضتها
والمسلمون خلافٌ شجَّ قوتهم
ذيلُ الشعوب لهم مأوى ومُنجع
والذل قد ضربت قهراً عباءته
وفي الحواضر سادت خيبة عظمت
حقوقها تنزوي في جوف غاصبها
يحيا الطواغيت في يسر وفي سعة
يا مسلمون: كتابُ الله مُنقذكم
وحكموا الشرع ، إن الشرع يعصمكم
أعلنت نصحي ، ورب الناس مُطلع

بصقة تائب فاحتسبها!

(طلب من غني مسلم صدقة لفقراء المسلمين ، فبصق ذلك الغني في وجهه وأبى. فقبل الأخ البصقة وقال: هذه صدقتك لي ، وأنا قبلتها ، فأعطني صدقة المسلمين. فأجزل الغني العطاء ، وقال: ادع الله لي! قال تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قال تعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك) رواه مسلم ، فهذا وعد الله. والمَلِكُ يدعو ويقول: (اللهم أعطِ منفقاً خلفاً) ، والنبي يوصي بلالاً ويقول: (أنفق يا بلال ، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً). قال تعالى: الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ، يقول: لو أنفقتَ نقص مالك ، أنت محتاج إليه ، والله يقول: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ!)

المال في هذا الزمان بلاء	وكوارث فوق الورى وشقاء
نفخ الأراذل نفخة خداعة	إذ يفعلون بمالهم ما شاؤوا
يتكبرون بنقدهم وعقارهم	وهم بفقر قلوبهم قد باؤوا
وعلى الفقير تدور دائرة الردى	والصبر تُذخرُ عنده البأساء
فعلى الذي احتسب الجهود تجلّد	إن التجلّد في الخطوب ضياء
ومواجهات الأثرياء مريرة	وأمر منها المدخ والإطراء
فجزاك ربي الخير يا من خضتها	وعلى جبينك عزة شهباء
تسعى ، وتحمل عبء كل مُشردٍ	أو أسرة ضاقت بها البيداء
بين الجوانح كرب كل مضيق	يشكو ، وفي قلب التقي رجاء
ويذوب من ألم ضمير مُعذب	ويسرّ خاطره البئيس عطاء
والوجه أغرقه البصاق فلم يثر	كلا ، ولم تك غضبة رعناء
بل قال: إني قد قبلت ، فجد لمن	يرجون منك لأنهم فقراء
قال: الذى ترجوه رهن إشارة	واصفح ، وسامخ ، إنني الخطاء
قال: اتفقتنا ، والمليك شهيذنا	وجميع وعدك يا أخى وفاء
رباه فاقبله ، وكثر ماله	أحبتّه ، وله عليّ دعاء

وليس التفاح كالحنظل

(عاش مع زوجته الراحلة. وكان له منها الولد ، فعرض عليه أولاده الزواج من أخرى فأجاب: كيف يحلو الحنظل بعد التفاح؟ وأبى أن يعيش لأولاده ولا أن يدخل عليهم زوجة أب تذيبهم الزقوم والشيخ والحنظل. فأنشدت أحبيه! تحت عنوان الوفاء قال الدكتور محمد الطيب النجار: (ولولا أن الله يسر هذا الخلق لتعطلت المتاجر ، ووقف دولاب العمل ، وتغلب القوي على الضعيف ، وكثر العدا والجداء ، واشتعلت نيران الثورات والحروب ؛ فما هي إلا أيام أو أعوام حتى تنقرض الأمة وتخرب البلاد ؛ فالوفاء هو الحجر الأساسي في بناء مستقبلهم ، والمحور الوطيد الذي تدور عليه رحا عزهم وسعادتهم ؛ لذلك كان العرب يقدرون تلك الصفة حق قدرها ، ويرفعون من شأن من يشتهر بها ، حتى كانوا يضربون بهم الأمثال ، ويلهجون بذكرهم في الأندية والمجمعات ، ويترنمون بمدحهم والثناء عليهم في كل وقت وحين).هـ. ومن هنا رحب أمدح الوفاء وصاحبه! ذلك أن الوفاء في زماننا صار عملة نادرة لا وجود لها!)

هل يستوي العنب المعسول والشيخ؟	هل للحضيض يحن القلب والروح؟
إنني شرقت بقول ما سعدت به	قول على مجهر التحقيق تجريح
وما العقوق إذا لما يكن قولكم؟	هل بين أمكم والودون ترجيح؟
توبخي اليوم شئ من جمائلها	والدمع في مهج الألفاظ مسفوح
لم يخل قلبي من حب يتيه به	حتى أسير كما تسير بي الريح
لم تقل طرحتها يوماً ضفائرها	وعطرها بهواء الدار مجدوح
جلبابها لم يزل في الركن منسدل	وباب غرفتها للكل مفتوح
حجابها دامع العينين مبتئس	وخفها من لظى الفراق مذبوح
أنى اتجهت أرى أطياف طلعتها	فأذرف الدمع ، والمكروب مفضوح
في كل ركن لها لمن يرى أثر	وسعيها بيننا بالخير ممذوح
واها لكم ، خاطري الملتاع يشكركم	وماء بنر الجوى بالرغم منضوح
إن الأيومة كهفت سوف أسكنه	إن المعدد يُردي عزمه الشيخ
كيلا أرى عزكم في الوحل منجدلاً	إن اللطيم بذل العيش مجروح
ليرحم الله أمماً بعدتها شجن	إن الدعاء بظهر الغيب ترويح

صفحة أورثت توبة!

(أخذ علبه السجائر من أمام أبيه وأمه المدخنين. وأشعل الفتى ذوي السنوات العشر سيجارة. فصفعه الأب محذراً وناصحاً فقال الابن: هذه النصائح وتلك التحذيرات لي وحدي؟ أم لنا جميعاً؟ وتاب الوالدان عن التدخين بحيلة الابن. وكانت فاتحة خير على الكل حيث بدأ الأبوان عهداً جديداً وعيشاً سعيداً خالياً من التدخين! وكانت الصفعة التي رست على وجه ذلك الابن الذكي العبقرى سبباً مباشراً في هذا الخير الذي لحق الأسرة!)

لك في الشجاعة منطقٌ وضَاءٌ
هو للسقيم وقايةٌ وشفاءٌ
واجهتَ لم تخش الأذى مستبسلاً
فأتاك منه تعنتٌ وبلاءٌ
ومُصيبةُ الأبوين أنت مُبيدها
وبفعلك الأسمى يزول شقاء
هذي النصيحة أنت حائكٌ ثوبها
سَيماؤها رغم الغماز هراء
لم يُفلها أحدٌ عليك زهيدة
والنصح يزهرق روحه الإملاء
أمضى من الصمصام في يد فارس
نصحٌ تتوقُّ لهولته الهيجاء
لما يدعُ من شبهةٍ لمغالطٍ
إذ يقتل النصح الأريب مراء
جادلتَ ، فانصاع الكبار لما ترى
نعم الجدال يسوقه البلغاء!
أفصحت عن حب محالٍ وصفه
حبٌ تسامى ، داره الجوزاء
وهدى بك الرحمن من قد أعرضا
عن نور علم خطه الفقهاء
وأراك للأبناء خير معلوم
بك يقتدي في العيشة الأبناء
فأثبتت على الحق المبين وكن على
وأبوك فاغفر ما جنته يمينه
فأصفح ، ولا تك حاملاً لضغينة
إن المتاب عن الدخان عزاء
فادعُ المليك لكل عاص مؤغل
في الضعيف سلاحه الشحناء
في السوء ، أخير ما تسوق دُعاء

هنياً لك الإسلام يا لينة!

(فتاة من بلاد الشام جاوزت عقدها الثاني بسنوات ، وكانت نصرانية ثم من الله تعالى عليها بالإسلام. وأصرت على لقاء داعية شاعر ، وراحت تسأل وتستفسر وكان يجيبها ، فألفها صاحبنا عقلية فذة متوقدة ، فدعا لها خير ونصح لها بصدق متوجهاً إلى الله تعالى بالدعاء الحار ان يثبتها على الحق. وناشدها بقراءتين: الأولى في دينها القديم الباطل من خلال تقييمه ووزنه بميزان العقيدة الإسلامية الحقة ، والثانية في دينها الجديد الحق الإسلام الحنيف. كما ناشد المحيطين بها أن يولوها اهتماماً كبيراً أن يعتنوا بها ويتخذوها أختاً لهم في الله ورسوله. وسعد الداعية الشاعر بهذه المسلمة جداً. فأنشدت على لسان ذلك الرجل هذه القصيدة الرائية من البسيط مترنماً بتهنئتها بالإسلام وتقديم الشكر للداعية. الذي طلب إليها أن تلزم التربية المتدرجة التي تسير بالمسلم شيئاً فشيئاً ، وترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون ، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطمة. ولكي ندرك أهمية هذا العنصر من عناصر الثبات ، فلنعد إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسائل أنفسنا: ما هو مصدر ثبات صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ، إبان فترة الاضطهاد؟ كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر ، وغيرهم من المستضعفين وحتى كبار الصحابة في حصار الشعب وغيره؟ هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة ، صقلت شخصياتهم؟ لنأخذ رجلاً صحابياً مثل خباب بن الأرت رضي الله عنه ، الذي كانت مولاته تحمي أسياخ الحديد حتى تحمر ثم تطرحه عليها عاري الظهر ، فلا يطفنها إلا ودك [أي شحم] ظهره حين يسيل عليها ، ما الذي جعله يصبر على هذا كله؟ وبلال تحت الصخرة في الرمضاء ، وسمية في الأغلال والسلاسل. وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني: من الذي ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين لما انهزم أكثر المسلمين؟ هل هم حديثو العهد بالإسلام ومُسلمة الفتح الذين لم يتربوا التربية الكافية في مدرسة النبوة والذين خرج كثير منهم طلباً للغنائم؟ كلا! إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدراً عظيماً من التربية على يد رسول الله عليه السلام لو لم تكن هناك تربية هل كان سيثبت هؤلاء؟ بالطبع ما كانوا ليثبتوا!)

وَفَقِيتِ قَوْمَكَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْقَدْرِ	خَصِصْتِ بِالْفَضْلِ وَالتَّقْوَى مَدَى الدَّهْرِ
وَنَلِيتِ عِزًّا مَنِيْعَ البَأْسِ وَالنَّصْرِ	وَحُزْتَ مَجْدًا عَظِيمَ الشَّانِ مُوْتَلَقًا
وَقَدْ كَسَرْتَ قِيُودَ الشَّرِكِ وَالكُفْرِ	وَفَزْتَ بِالنَّشْرِ فِ المَهْيَبِ مَحْتَدُهُ
دُنِيَا تَمَدَّكَ بِالتَّكْرِيمِ وَالخَيْرِ	بَلَّغْتَ بِالسَّلَامِ دُنِيَا لآخُدُودِ لَهَا!
نَفْسٌ بَلَاحِرَجٍ بِالنَّهْيِ وَالأَمْرِ	أَفْلَحْتَ إِنْ صَدَقَ الفُؤَادُ ، وَالتَّزَمْتُ
عَلَى الضَّلَالِ ، وَهَذَا مَنْتَهَى الفَخْرِ	أَحْيَيْتِ قَلْبَكَ بِالإِسْلَامِ مَسْتَمِيًا

وقد تبوات بالتوحيد مرتبة
وجاءك السودد المأمون في شغف
وكل هذا من الرحمن تكريمة
يا لينة الخير: لا تأسي ولا تهني
والحزن فيم؟ وأنت اليوم في فرح
والأهل خلق مهين لا اعتداد بهم
وأنت ودعت تلتثياً به اتصفوا
وأنت في النور ، والأهلون في ظلم
فعاودي النصح هذا حقهم ، وثقي
أنت النجاة لهم من سوء باطلهم
وجاهدي واصبري يا أخت واحتسيبي
أشدت شعري لما أنست من رشدي
تساؤلاتك حول الحق باعثة
تستفسرين عن الإسلام في شغف
وتعجلين إلى الجواب مُسكرة
لما يصدك عن معلومة خجل
حييت فيك على الأيام داعية
جادلت خلقاً كثيراً عن شريعتنا
وكنت كالبحر يُهدي من لنائه
لكن مثلك لم تنزل بساحتنا

والعيشُ بالسلم أقصى غاية الذخر
يُنيرُ دربك في الظلماء كالبدر
فللمليك على ما خصك الشكر
وعند ربك أرجى الفوز والأجر
وقد نقلت من التضيق لليسر
لا يملكون ورب الناس من ضر
الساقطون هم في الوعي والفكر
في الرجس هم رتعوا! وأنت في الظهر
من أن ربك بالمرصاد للشر
فناصي الكل في سر وفي جهر
والأجر عند المليك الواحد البر
وأنت أهل لما أزجيه من شعر
على التفاول والعطاء والبشر
شذاه أطيب من نضارة العطر
يراعة الحق في عشق وفي صبر
ولم يردك ضيق كان في صدر
تذود عن ديننا في اليسر والعسر
والطعن زائل من طور إلى طور
وتارة يكتوي بالمد والجزر
أنت العريزة في الإخبار والخبر

يهفو إليك كمثال العين للزهر
وحاذري غفلة تطيح بالعمر
كي تدركي الفرق بين التمر والجمر
ولتعلمي ما حوى (التمود) من وزر
فمن تنطع قضى العمر في خسر
ترين أولها في ضمة القبر
لما يرى كفرهم ، بل غاص في العذر
وتنتهي بالبوار المخض والثبر
مثل الكلام وذات الله والجبر
وما وجدت له حلاً سوى البتر
فليس في ديننا للعقل من أسر
وكيف يُردى سراج العقل بالقهر؟
حتى إذا اختلطاً كبر على الدور
شتان شتان بين البحر والنهر!
إن الأخوة تُزكى بأعت البر
نخشى عليك من الأعداء والضير
من يطمحون إلى الإشفاء والثأر
ما سبحت ربها قوافل الطير

يا لينة السلم ، إن العلم منتبة
تثقي ، وخذي الدليل ، واطلعي
قراءتان ، ففي حق وفي ضلل
تعلمي شريعة الإسلام في نهم
وأغلي في دروب السلم في دعة
ولتذكري دائماً نهائية كُتبت
ولتبرئي من جميع المشركين ومن
ولتبصري بدروب خاب سالكها
ولتطرحي عنك أفكاراً مضاللة
علم الكلام - على التحقيق - مهزلة
واستعلمي إن بدت للعقل مسألة
وزايلي كهنوت القوم ، وانطلقِي
للعقل دور ، وللتسليم منزلة
كالبحر والنهر: كلّ فيه عالمه
ونحن أهلنا لا تنسي إخوتنا
ونحن قومك ، والإسلام قبلتنا
وقد نجيرك من أعداء ملتنا
إليك مني سلاماً دائماً أبداً

محاوِراتِ عابِرِ سبيل

(أسلمتا عن يقين وعلم ، وتركتا إلى غير رجعة دين التثليث وأهله ، وأمّنتا بالله الواحد الأحد. فكاد لهما بنو جلدتهما ، حتى جاء (عابر سبيل) فقرأ على من كفر قول الله حكاية عن مؤمن آل فرعون: (ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة ، وتدعونني إلى النار ، تدعونني لأكفر بالله وأشرك ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار)! فكفّ الله عنهما كل مشرك ورد الله الكيد. فرُحِتْ أحكي شعراً ما حدث. وطلبت منهما لزوم القرآن العظيم فهو وسيلة الثبات الأولى ، وهو حبل الله المتين ، والنور المبين ، من تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه أنجاه الله ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب منجماً مفصلاً هي التثبيت ، فقال تعالى في الرد على شبه الكفار: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} فهو للتثبيت لقلب من يتلقى القرآن ومن يتبعونه! والمسلم يجد عزاءه في هذه الآيات!)

سيوفٌ خوفكما بالرغم تُمتشقُ والكافرون بما أتيتما شَرِقوا
ورجفة القلب تُودي بالثبات ، لذا كونا على ثقةٍ ليرحلَ الفرق
فيم التذبذبُ والجبار منتصرٌ لمن تساموا وفي إيمانهم صدقوا؟
أسلمتما عن يقين بعد تجربةٍ يا سعد من بسنا التوحيد قد نطقوا
فلتثبّتا رغم من كادوا ومن كرهوا ورغم من هددوا جهراً أو اتفقوا!
وخلياً عنكما من شدّ منزره ومن شوى قلبه وعقله القلق
بضاعة ربنا حتماً سيوهنها وناز كيدٍ بها الدهقان يحترق
دعاهُ لي ، وأنا بالآي أهُزْمُهُ لقد يكفّ إذا ما عسعس الغسق
أقول: ما لي إلى النجاة أرشدكم حتى أرى الجمع للإسلام يعتنق
وبعدُ تدعونني للنار في وضح كمثل من كفروا بالله ، أو فسقوا
للشرك تدعونني ، ولسنُ متبعاً قوماً إلى النار في أخراهم استبقوا
يوماً نعود إلى الرحمن ، فانتظروا ولا علينا بمن في كفرهم غرقوا
ستذكرون الذي أقول أنصحكم إن العباد لتقوى الله قد خلقوا

مأساة حقيقية في موسم العرض

(إنه عرضٌ لسلعةٍ لطالما رخصتُ في الأسواق وهانت على أهلها. إنه عرضُ ملكاتِ الجمال اللاتي أصابهن الدور ونجحن. أجارنا الله من أجيال الإباحية ومواسم النخاسة وبيع الرقيق الأبيض. والأمر كما وصفه الأستاذ أحمد محمد شاكر: (ما أقلّ ما قلنا (كلمة الحق) في مواقف الرجال ، وما أكثر ما قصرنا في ذلك ، إن لم يكن خوفاً فضعفاً ، ونستغفر الله ، وأرى أنه قد آن الأوان لنقولها ما استطعنا ؛ كفارةً عما سلف من تقصير ، وعما أسلفنا من الذنوب ، ليس لها إلا عفؤ الله ورحمته ، والعمر يجري بنا سريعاً ، والحياة توشك أن تبلغ منتهاها. وأرى أنه قد آن الأوان لنقولها ما استطعنا ، وبلادنا ، وبلاد الإسلام تنحدر في مجرى السيّل ، إلى هوة لا قرار لها ، هوة الإلحاد والإباحية والانحلال ، فإن لم نقف منهم موقف النذير وإن لم نأخذ بحجزهم عن النار انحدرونا معهم ، وأصابنا من عقابيل ذلك ما يصيبهم ، وكان علينا من الإثم أضعاف ما حُمّلوا).هـ.)

بعدهما راجتُ في الديار الدعاية	(موسم العرض) ضمّ أهل الغواية
وغدا ترويحُ الفواش غايية	رخصتُ أعراض النساء ، وهانتُ
فرفعن الإغواء في الأرض راية	واستساغتُ عُهر اليهود نساءً
وإذا بالإغراء أمسى هواية	وارتضين الفجور سمتاً وطبعاً
بعدهما كانت سُبّة ونفاية	ورأى الناس للمسارح شأناً
بعد أن ضلوا عن دروب الهداية	يحسب القوم للنفون حساباً
ولعل هذي خيوط البداية	وشئونُ النساء فيهم تردتُ
أوليستُ للأهل أدنى ولاية	(ملكات الجمال) باتت شعاعاً
بنس جاب يجبي ، وبنس الجباية!	أعلى حُسن البنات تجبي نقوداً؟
وعلى راعي البنات نزع الوصاية	شرفات تباع فيها الغواني
أخبروني: ماذا تكون النهاية؟	أي دين هذا؟ وأي رشاد؟
هل فقدتم بالغرب أدنى دراية؟	أجهلتم حتى تقاليد دار
فاقرأوا يا قوم عنها الرواية	هل أتت ما تاتون (أم جميل)؟
إن سفر التاريخ يروي الحكاية	ما سمعنا بعريها في رجال

من أتون ترجمة الوهم

(زوج ابنه من صلوكه ساقطة لا دين ولا دنيا! وذلك بناء على طلب الابن الهازل الذي لم يكن يختلف عن زوجته. وتوهم الأب أنه يمكن أن يصنع منها صالحة تقيه تعمل بدين الله تعالى. فكانت ترجمة الوهم منها السب واللعن والفحش والبذاءة. فدفع الثمن من دمه وأعصابه ودموعه. فقامت بترجمة ذلك الوهم شعراً ليكون عظة وعبرة لكل أب يفعل مثل هذا. إن دور الأب في مثل هذه المناسبات والظروف أن يأخذ موقفاً ، ويجعل ذلك الموقف في الله تعالى! حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها وأسفر الفجر عن صباح كان الأب قد أدى رسالته! أما أن يجاري ابنه في الباطل فلا ينصح له فهذا ما يتنافى صارخاً مع الأبوة الحقيقية. وإنني لأهمس في آذان الأبناء أن ينتصتوا لوصايا الآباء عندما يكونون حكماً! ذلك أن الآباء يرون بخبرة الحياة ما لا يراه الأبناء وأقرانهم! أما مبدأ التسرع والتهور واتخاذ القرارات العشوائية دون دراسة أو تمحيص فالأبناء وحدهم هم الذين يدفعون الثمن! ويكتشفون بعد حين أنهم لعبوا بالنار فاحترقوا وأضاعوا فترة من عمرهم!)

وَحُزِمِ مِنَ الْوَهْمِ أَسْقَاماً وَأَوْجَاعاً	رِدِّ الْمَهَالِكِ أَشْكَالاً وَأَنْوَاعاً
أَنْتَ الَّذِي بِالْهَوَى زَوَّرْتَ أَوْضَاعاً	وَاجْتَرَّ وَهْمَكَ فِي سِرِّ ، وَفِي عَلَن
وَصِرْتَ تُقْتَعُ مَن قَلَاكَ إِقْنَاعاً	أَنْتَ الَّذِي اخْتَرْتَهَا ، وَشِدَّتْ عِزَّتَهَا
عَمَّا قَرِيبَ ، فَرَدَّ الْوَهْمُ طَمَاعاً	وَكَنتِ تَنْشُدُ طِيناً سَوْفَ تَمْلِكُهُ
خَابَ افْتِرَاضُكَ ، وَالتَّخْمِينُ قَدْ ضَاعَا	وَكَنتِ تَفْتَرِضُ الصَّلَاحَ يَغْمَرُهَا
وَرَغِمَ ذَلِكَ مَا أَقْلَعْتَ إِقْلَاعاً	وَكَنتِ تَبْصُرُ بِالْعَيُونِ كَالْحَاةِ
وَبَعْدُ خَادِعْتُمَا أَهْلًا وَأَتْبَاعاً	خَدَعْتَ قَوْمَكَ ، وَالحَمَقَاءُ قَدْ خَدَعَتْ
كَيْلَا تَكُونُ بِمَا زَيْفَتْ خَدَاعاً	مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ أَنْ صَارِحْتَ مُحْتَسِباً؟
وَعَانَ - بَيْنَ الْوَرَى - حُزْناً وَأَوْجَاعاً	ذُقْ مُرَّ سَعِيكَ ، وَالأَيَّامُ مَاضِيَةٌ
وَدَمَعُ وَهْمِكَ - أَمْسَى الْيَوْمَ - هَمَّاعاً	وَإِذْ رَفَّ دَمُوعُ الأَسَى أَنْتَ الحَرِيَّ بِهَا
تُجِيرُ مُكْتَتَبَ الْفَوَادِ مُلْتَاعاً	وَإِدْعُ المَلِيكَ ، وَحَوْقِلْ ، عَلَّ حَوْقَلَةٌ
حَتَّى تَرُدَّ لَهَا مِنْ فِعْلِهَا صَاعاً	وَمَنْ فَتَنَتْ بِهَا رَبِّي سَيَهْزِمُهَا
تَتَرَجَّمُ الْوَهْمَ - بَعْدَ الْوَهْمِ - إِمْرَاعاً	يَوْمًا سَتَنْقَشُغُ الأَوْهَامَ صَاغِرَةً

أيها الحادي

(ظل ذلك الحادي يتهم البحور والأوزان العربية الأصيلة بأن بعضها خال من التناغم واللحن. وزاد حبات الطين بلة عندما قال: إن بعض البحور العربية يصلح للإنشاد والحداء والبعض الآخر لا يصلح لشيئ من ذلك. وزعم بأن الكلمة هي التي تصنع اللحن ، فراح صاحبنا يثبت له بالدليل المنطقي من البحور والتفاعيل والأوزان أنه كلها متناغمة متناسقة بل وحدانية مادامت ملتزمة بالعروض العربي وشروط القافية... واستشهد شاعرنا بالبحور (الخفيف والمتقارب والمتدارك ، وزاد فذكر الوافر والكامل والرميل والطويل) وأنشدها أمامه مجردة بالأنغام واللحن ليثبت أن اللحن شيء والكلمة شيء آخر. نعم قد تزيد الكلمة جمال الأداء ولكن اللحن ثابت ليس بالكلمة بل بالوزن والقافية. والأمر على ما وصف الأستاذ محمد الخضر حسين: (يبهر بعض العلماء في الشعر ، ولكن فحول الشعراء من غير العلماء يكون جيد أشعارهم أكثر ، ونفسهم في الشعر أطول ، وقرانهم إلى المعاني أسرع. ويجري على السنة المحاضرين ، وأقلام الكتب حديث التجديد في الشعر ، ولسنا ممن يتجافى عن رأي التجديد ؛ إذ التجديد سنة من سنن الشعراء النابغين ، وإنما نريد بحث ما يعنى بكلمة التجديد ، حتى نصل إلى ما فيه إصلاح الشعر ، ونتحامى هدم ناحية من نواحي اللغة الفصحى. للشعر مقاييس ، وقوافٍ ، ومعانٍ ، وألفاظٌ ، وأساليبٌ ، وفنونٌ. أما المقاييس فقد نظم العرب في ستة عشر مقياساً ، وما زال الشعراء يصوغون أشعارهم على هذه المقاييس إلى الدولة العباسية ، وفي ذلك العهد حدثت موازِينٌ خارجة عن الموازين السالفة).هـ.)

كفكف غلوعك يا حادي	فلقد أدمى لغة الضاد
مازلت تتال بلا حق	فارجع عن غيِّك يا عاد
تتهم الوزن ، وتطفئه	وتردد قول الأوغاد
وتقول قوافي الشعر خبت	وتوافق جهل النقاد
وبحور الشعر لقد برئت	من زيفك يا هذا الحادي
شمخت تختال بعزتها	لترجع عذب الإنشاد
غناها الصيْدُ بلا ملل	بلحون تهوي الشادي
كم أسرت من لب ورؤى	أطربت الرائح والغادي!
ليس اللوم عليها ، فافهم	وتلام جموع القصاد
هم ما فطنوا لحلاوتها	بل تبعدوا جيل الخساد

النار الرماد

(عشيقته وهو زوج صديقتها ، ورغم أنها ذات زوج طيب محترم. وراحت تلعب بزواج صديقتها المؤمن القانت العفيف ، وتذيقه من كيد الأنثى غير المتأدبه بأدب العقيدة ما الله به عليم. فتراسله فلا يرد ، وتزوره فلا يمكّنها أبداً من دخول بيته ، واتخذت من صديقتها الغافلة محسنة الظن مَعْبِراً لقلبه الذي تأبى عليه عقيدته اللعب بعواطف الناس. فحذرهما وقد فطن إلى قصدها وغوايتها بالقدر الذي لا يُمكن معه إحسان النية أبداً. وبيّن لها في صدق وصراحة وصرامة خطورة اللعبة القذرة ورجسها ، وهددها بإخبار زوجها وزوجته. فقالت: أنا في غاية السعادة أن أذيقك ناري وغرامي! فقال: نارك رماد أيتها العاشقة الولهانة وسوف أستعين الله عليك وعلى نارك. ولتعلمن أننا سيكسب الجولة. قال الأستاذ أبو! المحترقة بنار العشق رحمة / محمد نصر الدين محمد عويضة في كتابه: (تحذير الأنام من زلة الأقدام في العشق الحرام) ما نصه: (إنّ ممّا ابْتُلِيَ به المسلمون وعمّت به البلوى « انتشار مذهب العُشَّاقِ الفُسَّاقِ ، وما ترتب عليه من ضياع الأخلاق» ، فقد انتشر هذا الداء العُضال والمرض القُتال بين المسلمين انتشار النار في الهشيم ، وخلف وراءه فساداً عريضاً ودمر أخلاق الأمة ، وأطاح بكثيرٍ من بيوتها ، وألقى بها في براثن الفتن ومستنقع الرزايا والآثام ، فمما يَدْمِي القلوب ويفري الأكباد ، أن وقع كثيراً من الناس في شرك العشق الحرام والعياذ بالله ، فأزْدَتْ أحدهم قتيلاً ، وأورثته حزناً طويلاً ، فالعشق الحرام هو الفتنة الكبرى ، والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خالقها ، وملّكت القلوب لِعُشَّاقِها ، فأحاطت القلوب بمحنة ، وملأتها فتنة فالمحب بمن أحبه قتيلاً ، وهو له عبدٌ خاضعٌ ذليل ، إن دعاه لَبَّاه ، فهو غاية ما يتمناه).هـ.)

النارُ ستحرقُ مَنْ خانَتْ	وعليها العِفَّة قد هانَتْ
لم يردعها خوف المولى	أو حتى العُرف المُتْهافِت
فانطلقت تنبُّغ شهوتها	وبعشق يقتلها باحت
لم تستعفف أو تحفظ	أو تصرف بصراً ، وتعامت
حتى سقطت في شِقوتها	وصديقتها عنها غابت
وحليل الزوجة لم يلعب	بسعير هو أمن الشامت
لم يتلاعَب بمراهقةٍ	لم يتبذل أو يتخافت
لم يستعذب صحبة أنثى	في أخدود الخيبة غاصت
هددها ، وتسامى غرداً	إن الصالح عَفَّ قانت
قالت: لن تنجو من ناري	قال: رماد نارك خافت

غيرة القلب

(نظرتُ إلى إحدى التسجيلات الإسلامية في أيام العشر الأول من ذي الحجة ، وقد أغلقتُ وما عادت تقوم بدورها الرائد في دعوة الناس. فسألتُ الناس فأخبرت بأن أحد العملاء المرتزقة الذين يأكلون بالدعوة ، فتحملهم وهو عبء جد ثقيل عليها ، وقد سعى ذلك العالة المرتزق في إغلاق هذه التسجيلات المباركة بدون أدنى وجه حق له في ذلك. فليتحمل المرتزق دعاء المسلمين عليه في أيام ذي الحجة وحتى يوم عرفة المبارك الميمون. وأنا أعجب كيف يتقرب عبد إلى ربه بمثل هذا العمل في أيام ذي الحجة؟ إنه الموت الذي يتمكن من القلوب عندما تعبد الدنيا والمال من دون الله عز وجل. على حين كنت ترى محلات الفيديو الجاهلية عن اليمين وعن الشمال! هذه التسجيلات تباع ولا حرج. فغرثُ بقلبي ثم ترجمتُ غيرة قلبي نفثة بهذه القصيدة. كتب أحمد أمين عن التضحية فكان مما قال: (ليس مظهر التضحية مقصوراً على الجنود في مواقف القتال؛ فليس هذا إلا مثلاً عالياً من أمثلة التضحية ، ولكن هناك أمثلتها العديدة في الحياة اليومية لكل فرد ؛ فالذي يتنازل عن لذته الفردية الضيقة ؛ للمصلحة العامة الواسعة يكون مُضِحياً على قدر ما يبذل ، والموظف ينال شيئاً من العناء ؛ لراحة الجمهور مُضِحٌّ ، والمدرس يبذل أقصى جهده في إعداد درسه وإبصاله إلى طلبته مُضِحٌّ ، والغني يتنازل عن بعض لذائمه لخير الناس مُضِحٌّ ، والمزارع يرعى حال فلاحيه مُضِحٌّ. وعلى قدر انتشار هذه الروح في الأمة يكون مقدار رُقِيَّها ونجاحها ، ولا تفلح أمة يبحث أفرادها عن لذائهم الشخصية فقط ، مهما حسن تشريعها وصلح قادته ، ما دام كل فرد لا ينظر إلا إلى شخصه). هـ. والداعية الصادق من أعظم المضحين حقاً بحظوظ نفسه من أجل المصلحة العامة!)

غار القلبُ على شرعته	حاربها أحد المرتزقة
والنفسُ بكث من فعلته	وغدت في البلوى مُحترقة
خلفها جزاً بلقعة	حتى الغُرفُ النذلُ اخترقه
كانت تزجي الخير بهيجاً	واليوم انطرحت مُختنقة
وبها كان الزرعُ بهيماً	وهي الآن كمثل الزلقة
حطم ربي من عطلها	واتهم الصفوة بالسرقعة
تلبس ثوب دعاة التقوى	مصطحباً يا وبش الشفقة
تأكل بالإسلام رضياً	تطلب ممن حضر الصدقة
أنت برئ من دعوتنا	وهي بمثلك تحيا قلقة
أخلع ثوب الدعوة ، واهزل	وتمنطق وارقص (يا فرقة)

للشاعر أمل

(يظن كثيرٌ من أصحاب الجرائد والمجلات ، أن أصحاب القيم وحراس المبادئ وأرباب المناقب والفضائل عبيدٌ أرقاءٌ عندهم. ويبدو ذلك واضحاً عندما يقصد هؤلاء الأدباء العماليق إلى أصحاب الجرائد والمجلات لنشر ما أفاض الله به عليهم. فبدل أن يلقوا الترحيب وسعة الصدر ، يلقون الغمز واللمز وتقطيب الجبين وهز الأكتاف والإيماء بالرؤوس والاعتذار الغث المكشوف. إن هذه القمم من الأدباء والشعراء لا يُشرفهم بالمرّة النشر في جرائد التطويح ولا مجلات الغواية. إن الشرف العظيم يكون لهذه الجرائد والمجلات عندما يتفضل هؤلاء العماليق الجهابذت بالتنازل عن أبهتهم وعزتهم عندما يقبلون النشر في هذي الجرائد وتلك المجلات. وإنه لتواضع غير معهود أن تتنازل القمم أصحاب القيم. وإنها لخيبة كبرى أن يترفع أهل الحضيض أصحاب الرمم. وأراني شاعراً من هذا الطراز ، الذي يعيش لقضية ولمبادئ لا يتنازل عنها مهما كانت التضحيات! فعزمتُ على مواصلة المسير قدماً والاستمرار في إخراج شعري ديواناً يحوي ما أوّمن به وما أمر به. فكان لي أمل كبير أدندن عليه وأحيا له بعد أن أحجمت الصحف والمجلات أغلبها عن النشر. إن الشعراء الذين لا يكتبون شيئا يمس واقعهم ولا يتناولون في شعرهم قضايا أمتهم ، ليسوا عندي بشعراء ، بل هم مجموعة من صنّاع القريض يُجيدون التقطيع والأوزان ليس إلا! وتبقى أشعارهم كالورد الصناعي (له شكل الورد الطبيعي لا حقيقته!) وكذلك أشعارهم لها شكل الشعر ، ولا تستوعب حقيقته! إن شعر العرب الأصيل كلام موزون مقفى ذو وحدة وقضية!)

أملّي بالتعجيز سيُصقلن	وســــــــــــــــيتحدى ، وســــــــــــــــيتحملن
لن ينصاع لمن قد خذلوا	وأنا كي يتحقق أعمل
أملّي فوق الكيد ، فكيدوا	وإبــــــــــــــــائي يجعلني الأكمــــــــــــــــل
وجرائدكم لن تسعفني	ومجــــــــــــــــلات الباطل أرذل
وقريضني لن يهبط أبداً	وعفــــــــــــــــافي يجعله الأجمــــــــــــــــل
وبعــــــــــــــــيداً عنكم ســــــــــــــــيغني	وعلــــــــــــــــيكم لا لن يتطفــــــــــــــــل
سيُغامر في الدرب وحيداً	ولثمرتــــــــــــــــه لن يتعجــــــــــــــــل
وأنا - فوق المحن - سأخطو	وعن الذكري لا لن أغفل
أملّي أقوى من باطلكم	وبرفضــــــــــــــــكم لا لن يُقتــــــــــــــــل
فانتحروا بالحرص خزايا	ولشــــــــــــــــعري (الديوان) الأمثــــــــــــــــل

مسئولية أمة الإسلام

(لقد خسر العالم بانحراف المسلمين عن دينهم خسارة كبيرة ، فصلها أبو الحسن علي الندوي في كتابه المسمى بـ: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) وأزيد الأمر وضوحاً فأقول بأن خسارة المسلمين أنفسهم كانت أكبر وأفدح من خسارة غيرهم! وكان الأحرى بالمسلمين أن لا ينحطوا ذلك الانحطاط كيلا ينحطوا وينحط العالم بأسره لانحطاطهم! ومن هنا تبدو مسؤولية أمة الإسلام عن انحطاطها وانحطاط العالم من حولها! ونسأل الله أن يقلل عثرتها وتصبح قوية فتية!)

تجرعت الأرض قيح الردى
وما حكموا شرعه في الدنيا
وباعوا الديار ، ودكوا العرى
وظنوا المناسك إسلامهم
على الأتقياء كمثل اللظى
وقط وديع على من طغى
ولم يغر أعداءهم دينهم
إذا ما تساووا بأعدائهم
تمسك أعداؤهم بالذي
مُصيبة امتنا أجهزت
وبالأمس كانت ملاذ الغنا
وكان يذل لها من علا
وكانت تجاهد من أشركوا
لماذا هي اليوم تحت الثرى
بتعطيها شرعها عُقبنت

إذ المسلمون أضاعوا الهدى
وما فتتوا رُكعاً سُجداً
وما لتحللهم من مدى
وسنة خير الورى (أحمداً)
يُحرق من تاب ، ثم اهتدى
لطيف المُحييا كمثل الندى
وكيف بمسـتهتر يُقتدى؟
ولم يلمسوا عندهم سؤداً
لديهم ، وكان لهم مـورداً
فغابت قواها ، وغاب الصدى
وكانت لمن هلكوا مُنجداً
وكانت تـؤدب من أحداً
وتوقف بالسيف من عربداً
وليسـت تُهاب ولا تُفتدى؟
وأضحى الكفور لها سيدياً

شب عن الطوق

(بنى علاقته ذلك النذل الخسيس الانتفاعي الحقير ، بالناس على أساس المنفعة. فلما تمكّن واستغنى تنكر لمن أكرموه ، فكان صورة مثلى وقدوة حسنة لمن حذا حذوه من الانتفاعيين الأخسة! والناس تعودوا أن يحبوا الكريم منهم ، ويمقتوا البخيل الشحيح. والأصل أن زيداً يحمل عمراً اليوم ليحمله عمر غداً! أما علاقة الانتفاع والمصالح فبنست العلاقة! ومن هنا كتبت هذه القصيدة على لسان كريم لكل نذل وضع خسيس يعيش لنفسه ويحيا للمصالح ويصاحب للمنافع! لعلها ترد القوس إلى باريها ، وتضع الأمر في نصابه! ولعل الأندال يعتبرون بها يوماً!)

ألا يا نذل عافتك القلوبُ وسَمتك بات يَكشِفُه اللبِيبُ
وليس الشهمُ يُنكر فضلَ شهم ويُنكر فضلَ مَنْ بذلوا المعِيب
أتنكر ما بذلتُ مِنَ العطايا وتخترع الزيوف ، وتسـتريب؟
أطاب لقلبك البهتانُ مأوى؟ ويأمرك الغرورُ ، وتسـتجيب
تناسيتَ الجميلَ بدون حق ألا هذا هو العجبُ العجيب!
وتنشد - بيننا يوماً - سلاماً وقد ناعت بكلكها الحروب
ألا خاب انتفاعك والنوايا وقد بعدتُ بخلتنا الدروب
وعودتنا لما كنا مُحالاً وريحُ الشر أزكاها الهبوب
وشمسُ لقائنا أعضتُ حياءً وأطفأ نورَ طلعتها الغروب
لقد نزلتُ علاقتنا دماءً وكفكُ من إراقتها خضيب
مليتُ عتابكم واللومَ حتى تطاولتم فما منكم مُنيب
وكم يجني العتاب على كريم! فتعروهُ المثالُ والبُوب
وقد شب الفتى عن طوق لوم وأمسى البُعد عن دربي يطيب
خدعتُ بما أبديتم من رشاد! قضاءً الله ، والبأوى نصيب
فسبحان الذي خلق البرايا فذا نذلٌ ، وذا بطلٌ نجيب!

أبو غياث المكي

(أما بطل قصيدتنا فهو التابعي أبو غياث المكي. ذلك العابد الزاهد الذي تنبثق بطولته من مراقبته لله تعالى. وقصة أبي غياث المكي وزوجته لبابة قصة مشهورة في كتب التراجم والسير! قال ابن جرير الطبري – رحمه الله تعالى -: كنتُ في مكة في موسم الحج فرأيت رجلاً من خرسان ينادي ويقول: يا معشر الحجاج ، يا أهل مكة من الحاضر والبادي ، فقدتُ كيساً فيه ألف دينار ، فمن رده إليّ جزاه الله خيراً وأعتقه من النار ، وله الأجر والثواب يوم الحساب! فقام إليه شيخ كبير من أهل مكة فقال له: يا خرساني بلدنا حالتها شديدة ، وأيام الحج معدودة ، ومواسمه محدودة ، وأبواب الكسب مسدودة ، فلعل هذا المال يقع في يد مؤمن فقير وشيخ كبير ، يطمع في عهد عليك ، لو رد المال إليك ، تمنحه شيئاً يسيراً ، ومالاً حلالاً! قال الخرساني: فما مقدار حلوانه؟ كم يريد؟ قال الشيخ الكبير: يريد العُشْرَ مائة دينار هي عُشْر الألف. فلم يرض الخرساني وقال: لا أفعل ، ولكنني أفوض أمره إلى الله ، وأشكوه إليه يوم نلقاه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل. قال ابن جرير الطبري: فوقع في نفسي أن الشيخ الكبير رجل فقير ، وقد وجد كيس الدنانير ويطمع في جزء يسير ، فتبعته حتى عاد إلى منزله ، فكان كما ظننت ، سمعته ينادي على امرأته فقالت له: لبيبك أبا غياث. قال: وجدت صاحب الدنانير ينادي عليه ، ولا يريد أن يجعل ويقول: يا لبابة لواجده شيئاً ، فقلت له: أعطنا منه مائة دينار ، فأبى وفوض أمره إلى الله ، ماذا أفعل يا لبابة؟ لا بد لي من رده ، إنني أخاف ربي ، أخاف أن يضاعف ذنبي! فقالت له زوجته: يا رجل نحن نقاسي الفقر معك منذ خمسين سنة ، ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمي ، وأنت تأسعنا ، لا شاة لنا ولا مرعى ، خذ المال كله ، أشبعنا منه فإننا جوعي ، واكسنا به فأنت بحالنا أوعى ، ولعل الله عز وجل يعينك بعد ذلك ، فتعطيه المال بعد إطعامك لعيالك ، أو يقضي الله دينك يوم يكون الملك للمالك. فقال لها يا لبابة: أأكل حراماً بعد ست وثمانين عاماً بلغها عمري ، وأحرق أحشائي بالنار بعد أن صبرت على فقري ، وأستوجب غضب الجبار ، وأنا قريب من قبوري ، لا والله لا أفعل! قال ابن جرير الطبري: فأنصرفت وأنا في عجب من أمره هو وزوجته ، فلما أصبحنا في ساعة من ساعات من النهار ، سمعت صاحب الدنانير ينادي يقول: يا أهل مكة ، يا معشر الحجاج ، يا وفد الله من الحاضر والبادي ، من وجد كيساً فيه ألف دينار ، فليرده إليّ وله الأجر والثواب عند الله! فقام إليه الشيخ الكبير ، وقال: يا خرساني قد قلت لك بالأمس ونصحتك ، وبلدنا والله قليلة الزرع والضرع ، فجد على من وجد المال بشئ حتى لا يخالف الشرع ، وقد قلت لك أن تدفع لمن وجده مائة دينار فأبيت يا هذا ، فإن وقع مالك في يد رجل يخاف الله عز وجل ، فهلا أعطيتهم عشرة دنانير فقط بدلاً من مائة ، يكون لهم فيها ستر وصيانة ، وكفاف وأمانة فقال له الخرساني: لا أفعل ، وأحتسب مالي عند الله ، وأشكوه إليه يوم نلقاه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل. قال ابن جرير الطبري: ثم افترق الناس وذهبوا ، فلما أصبحنا في ساعة من ساعات من النهار ، سمعت صاحب الدنانير ينادي ذلك النداء بعينه

ويقول: يا معاشر الحجاج ، يا وفد الله من الحاضر والبادي ، من وجد كيساً فيه ألف دينار فرده على له الأجر والثواب عند الله. فقام إليه الشيخ الكبير فقال له: يا خرساني ، قلت لك أول أمس امنح من وجده مائة دينار فأبيت ، ثم عشرة فأبيت ، فهلا منحت من وجده ديناراً واحداً ، يشتري بنصفه إربة يطلبها ، قال الخرساني: لا أفعل وبالنصف الآخر شاة يحلبها ، فيسقى الناس ويكتسب ، ويطعم أولاده ويحتسب ولكن أحيله على الله وأشكوه لربه يوم نلقاه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فجذبه الشيخ الكبير ، وقال له: تعال يا هذا وخذ دنائيرك ودعني أنام الليل ، فلم يهنا لي بال منذ أن وجدت هذا المال يقول ابن جرير: فذهب مع صاحب الدنانير ، وتبعتهما ، حتى دخل الشيخ منزله ، فنبش الأرض وأخرج الدنانير وقال: خذ مالك ، وأسأل الله أن يعفو عني ، ويرزقني من فضله! فأخذها الخرساني وأراد الخروج ، فلما بلغ باب الدار ، قال: يا شيخ مات أبي رحمه الله وترك لي ثلاثة آلاف دينار ، وقال لي: أخرج ثلثها ففرقه على أحق الناس عندك ، فربطتها في هذا الكيس حتى أنفقه على من يستحق ، والله ما رأيت منذ خرجت من خرسان إلى ههنا رجلاً أولى بها منك ، فخذ بارك الله لك فيه ، وجزاك خيراً على أمانتك ، وصبرك على فقرك ، ثم ذهب وترك المال! فقام الشيخ الكبير يبكي ويدعو الله ويقول: رحم الله صاحب المال في قبره ، وبارك الله في ولده! قال ابن جرير: فوليت خلف الخراساني ، فلحقتي أبو غياث وردني ، فقال لي اجلس فقد رأيتك تتبعني في أول يوم وعرفت خبرنا بالأمس واليوم ، سمعت أحمد بن يونس اليربوعي يقول: سمعت مالكا يقول: سمعت نافعا يقول: عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لعمر وعلي رضي الله عنهما ، إذا أتاكم الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس ، فاقبلها ولا ترداها ، فترداها على الله عز وجل ، وهذه هدية من الله والهدية لمن حضر! ثم قال: يا لبابة ، يا فلانة ، يا فلانة ، وصاح بيناته والأختين وزوجته وأمها ، وقعد وأقعدي ، فصرنا عشرة ، فحل الكيس وقال: أبسطوا حجوركم فبسطت حجري ، وما كان لهن قميص له حجر يبسطونه ، فمدوا أيديهم ، وأقبل يعد ديناراً ديناراً ، حتى إذا بلغ العاشر إلي ، قال: ولك دينار ، حتى فرغ من الكيس ، وكان فيه ألف دينار ، فأعطاني مائة دينار! يقول ابن جرير الطبري: فدخل قلبي من سرور غناهم أشد من فرحي بالمائة دينار ، فلما أردت الخروج قال لي: يا فتى إنك لمبارك ، وما رأيت هذا المال قط ولا أملته ، وإني لأنصحك أنه حلال فاحتفظ به ، واعلم أنني حقيقة كنت أقوم فأصلي الفجر في هذا القميص البالي ، ثم أخلعه حتى تصلي بناتي واحدة واحدة ، ثم أخرج للعمل إلى ما بين الظهر والعصر ، ثم أعود في آخر النهار بما فتح الله عز وجل على من تمر وكسيرات خبز ، ثم أخلع ثيابي لبناتي فيصلين فيه الظهر والعصر ، وهكذا في المغرب والعشاء الآخرة ، وما كنا نتصور أن نرى هذه الدنانير ، فنفعهن الله بما أخذن ، ونفعني وإياك بما أخذنا ، ورحم صاحب المال في قبره ، وأضعف الثواب لولد ، وشكر الله له! قال ابن جرير: فودعته ، وأخذت مائة دينار ، كتبت العلم بها سنتين ، أتقوت بها وأشتري منها الورق وأسافر وأعطي الأجرة ، وبعد ستة عشر عاماً ذهبت إلى مكة ، وسألت

عن الشيخ ، فقيل إنه مات بعد ذلك بشهور ، وماتت زوجته وأمها والأختان ، ولم يبق إلا البنات ، فسألت عنهن فوجدتهن قد تزوجن بملوك وأمراء ، وذلك لما انتشر خبر صلاح والدهن في الآفاق ، فكنت أنزل على أزواجهن ، فيأمنسون بي ويكرموني حتى توفاهن الله ، فبارك الله لهم فيما صاروا إليه! يقول تعالى: {ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه}. إنها الأمانة تعلي شأن حافظها وتكرم مؤديها بين الناس كلهم جميعاً!

وتحت عنوان: (الخلق المفقود : الأمانة) يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (هذا الخلق المفقود اليوم بين الناس ، وهو الأمانة ، أقول : يجب على الأئمة والعلماء وطلاب العلم وعمامة الناس ، تذاكر هذا الموضوع بعد الصلوات من قبل الأئمة ، وعلى المنابر من قبل الخطباء ، وعبر المحاضرات والكلمات من قبل العلماء وطلبة العلم عن طريق المساجد أو عبر وسائل الإعلام المختلفة ، وكذلك إشاعة مثل هذا الأمر وتذكير الناس به عن طريق المناسبات والاجتماعات ، وهكذا حتى يدرك الناس حقيقة الأمانة وما تدل عليه ، وما تشتمله من حياة العبد ، فالأمانة ليست كما يعتقد كثير من الناس أنها تتعلق بالودائع وحفظ الأمتعة والأموال لحين عودة صاحبها ثم يردها له أو ينكرها ، بل الأمانة أعظم من ذلك بكثير ، فالأمانة أشمل من ذلك وأعظم منه بكثير ، الدين الذي من الله به عليكم أمانة في أعناقكم ، جسدك أمانة ، أبنائك أمانة ، زوجتك أمانة ، مالك أمانة ، كل ما يتعلق بك أمانة. واليوم لقد ضعفت الأمانة ، وقل التعامل بين الناس بها ، حتى لا تكاد ترى رجلاً أميناً تأمنه على مالك أو سرك أو غير ذلك. وللأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين ، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها ، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من إضاعتها والتهاون بها ، وأشار إلى أن في إضاعتها انحلال أمر المسلمين وهو حديث توسيد الأمر لغير أهله وسوف يأتي بإذن الله عز وجل. ولي عمر رضي الله عنه القضاء على عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وبعد سنة من توليه القضاء جاء إلى أبي بكر وقدم استقالته ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : "أمن ثقل المسؤولية يا عمر؟" قال: لا ، ولكن لي سنة في قضاء المسلمين ولم يأت إلي أحد. لماذا لم يأت إلى القاضي أحد خلال سنة كاملة ؟ لأنه مجتمع مؤمن ، يحترم بعضه بعضاً ، يؤدي كل واحد منهم حقوق الآخرين ، ولا يبغض منها شيئاً ، مجتمع طاهر نقي تقي ، كل يخشى ربه ، ويخاف خالقه ، مجتمع أسلم بكامله لله عز وجل ، أوكل أمره إلى الله ، مجتمع لا يعتدي فيه أحد على أحد ، كل فرد منه يعرف ماله وما عليه ، لأجل ذلك استقال عمر رضي الله عنه من القضاء ، سنة كاملة لا يأتيه شخصان يختصمان ، زمن فاضل ، وأناس فضلاء. أما اليوم ومع كثرة القضاة ، إلا أن المحاكم لا زالت بحاجة ماسة وملحة إلى أضعاف مضاعفة من قضاة اليوم). هـ. ولما أعجبتني قصة الخراساني الجميلة ، أنشدت هذه القصيدة تعبيراً حياً عنها!)

بزهديك عاد الحق إذ كاد يُعصَبُ ووافي الخراساني ربحٍ ومكسبُ

ألا يا أبا غياثٍ ازددت رفعة وعشت صدوقاً مخلصاً لست تكذب

بها العيشُ وسط الأهلِ ضنكٌ وغيب
وبالألفِ تمت حاجةٌ ثم مأرب
وبالسنةِ العصماءِ لا يتأدب؟
وإن الذي يشرعُ المولى محبب
حرامٌ ، وهذا إذا رام العُلا يتوجب
ويدعو أناساً هديته قد تنكبوا
صوابك حتى عفته تتلهب
وما زال بالإغراء والمكر يدأب
وهل تنفع الأموال إذ هي تغصب؟
به الناس للأمثال في الفقر تُضرب
لما في يدك ، الأمرُ أعتى وأصعب
وليس من الأحوال ساءتك مهرب
حريصاً على التقوى فسوف تخيب
ستحرمهم ، والفقرُ يُشقي ويلهب
يخاف دخول النار فيها يُعذب

أبيت الحرام المحض يُنهى ضرورة
وعادت دنائيرٌ حلمت بعشرها
وما المرء إن لم يجعل الشرع قبلة
يُحل حلال الله في كل أمره
وكل الذي قد حرم الله عنده
يعيش على الإسلام عبداً موخداً
ألا يا أبا غياثِ المالُ قد سبأ
ووسوس إبليسٌ ليُخذت فتنة
وحلى لك الغصب المقيت تكلفاً
وقال بأن البيت يشكو خصاصة
وقال بأن الأسرة احتاج أهلها
فأعطهم الأموال جاءت تغيثهم
وسدد وقارب في الأمور ، ولا تكن
وإن (الخراساني) أغنى من الألى
فقلت لإبليس مقالة مسلم

وليس لعصيان المهيمان يركب
بسيف التحدي قال: لا لست أهرب
ولست الذي للمال للغير أنهب
ككل ظلوم ما لدى الغير يسلب
ولست الذي في دينه يتقلب
وأبحث عن مرضاة ربي ، وأرقب
وإن جنى الإحسان بالخير يعقب
نقودي لماذا عن عيوني تُحجب؟!
وهل مسلم من بات يسطو ويهرب؟
ولكنه بالأجر ليس يرحب
كأن الذي حقاً له المال (أشعب)!
وعدت إلى الأهل المساكين تطرب
وتلك التي منها فوادي يعجب
وكلُّ تقِيٍّ لا محالة يكسب
يفز بالرضا دوماً ، وإن كان ينصب!

ويؤثر مرضاة المليك ، ويتقي
وإن أزه الفقر الشديد ، وناله
ولست أخاف الفقر يجتاح أسرتي
وأصبر حتى لا أوافي بسرقتي
وأصدق في الإيمان قلباً وقلباً
وأجعل إسلامي عزيزاً وغالياً
وأحسن أرجو الأجر ، والله حافظي
وعاد (الخراساني) يسأل حانراً
أفي كعبة المولى ظلومٍ وسارقٍ؟
وأنت تريد الأجر في رد ماله
وكنيت رددت المال من بعد حيرةٍ
وفزت برأس المال ، هذي وصية
تقول: ربحتُ المال عُقبى أمانتي
تعالى إليه الناس وفي بعهده
ومن يتق المولى ويصبر ويحتسب

بكاية إسماعيل سليم

(التقيته صاحباً محترماً وصديقاً غالياً هنا في عجمان عام 1993م. أأ هو الأستاذ إسماعيل علي سليم ، من أهل (ظفر)! وكان جاري حيث سكمت في بيت عبد الغني النجار في ذات البيت الذي أسكن فيه! والذي أعجبني فيه حبه الشديد للتوحيد والعقيدة ، وحرصه على مدارستهما جداً! وكان لا يمل من سماع خطب ومحاضرات التوحيد والعقيدة! وأحب الشيخ الدكتور محمد جميل غازي كل الحب ، وتابع محاضراته ودروسه! وأحب من الميتين الأحياء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناءه وأحفاده ممن حذا حذوه واتبع منهجه! واقنتى العديد من كتاباتهم وأبحاثهم! ودارت بيننا نقاشات عديدة حول اللغة العربية شعرها ونحوها وصرفها وبلاغتها وأصول اشتقاقها! ولم يكن يرى كبير فرق بيننا في السن ، رغم أنه كان يكبرني بأعوام! وكان يحب الشعر العربي الموزون والمقفى ، واعتاد أن يحتفظ بقصائدي بعد نشرها! فأعد حقيبة في داره - أراني إياها - ليحتفظ فيها بما أنشره من أشعار! الأمر الذي لا يصنعه أهلي! وسافرنا معاً ، وتبادلنا الزيارات بالأهل وبغير الأهل! وكان لا يفرق في معاملته لي ومعاملته لإخوته من أبيه وأمه! وكان يردد: أراك لي في غربتي أفضل منهم! لأنني إن أصابني مكروه ، كنت أنت أقرب منهم وأسرع نجدة وأطول يداً! وكنت إذ يمدحني أقول له: لا تقطع عنق أخيك! وأتوجه إلى الله تعالى بدعاء الصديق - رضي الله عنه -: (اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، ولا تفتني بما يقولون ، واغفر لي ما لا يعلمون)! وكان يقدمني للناس من معارفه وزملائه معرفاً بالاسم بالأستاذ ، وكأني عنده الأستاذ الوحيد الأوحد فلا أستاذ قبلي ولا أستاذ بعدي! ويذكر لهم من مناقبي وأشعاري ودواويني ما يجعلني أوجل من فرط إطرائه ومدحه! وسألته عن ذلك فقال: أنا إذ أفعل ذلك فأنا أمدح نفسي! لأن صاحبي بهذا الموصفات فكأني صاحبت رجلاً ذا شأن فاعذرني! وكنت أعذره بناء عن طلبه! ولكنني ناشدته أن يقلل من مدحه وإطرائه وثنائه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً! وكان يخصص لمدارسة العلم وتلاوة القرآن وإنشاد الشعر في بيته أوقات أسبوعية نحضرها سوية بغير انقطاع إلا في الظروف القاهرة جداً! فيعد العشاء والشاي ، ويطلب من أهل بيته أن لا يدخل علينا أحد ، ولا يزعجنا أحد! وخاصة عند تلاوة القرآن ، فاقد اعتدنا على قراءة جزء كامل ، ونتدبره ونتجاذب أطراف الحديث حول ما يشكل من الآيات! كما اعتدت أن أعرض عليه جُل قصائدي ليراجعها ويصححها ويدققها ويحققها ، وذلك قبل أن أرسلها للصحف والمجلات والجراند ، وبعد أن أرسلها كنت أدفع إليه بنسخة ليلقي نظرته الثانية بعد النشر! وكان صريحاً ودقيقاً للغاية ، وذلك لشدة ملاحظته وقوة شخصيته ، فاعتاد أن يكتشف الأخطاء للوهلة الأولى! واعتاد أن يصطحبنا في سيارته إلى منزل الأخ محمد عبد الوهاب صابر في فلج المعلا! وذلك في سفرات ممتعة رائعة جميلة بصحبة الأهل والأولاد. وظل الحال على ذلك حتى تدهورت صحته إصر إصابته بسرطان الرئة وقد أنهك جسمه تماماً العلاج الكيماوي! فإذا بالجسم الطويل الممتد العريض جلد على عظم كما يقولون! وإذا بالوجه قد بدا عظماً وتنوعات بارزة لناظره! حتى توفاه الله تعالى! في تسعينات القرن المنصرم! فرحمه الله رحمة واسعة! وأسأل الله أن يكون قد قبضه شهيداً! وأن يجعل صراعه مع المرض كفارة لما اقترف من الذنوب! مات وأسرته ومحبه وأصدقائه وجيرانه في أمس الحاجة إليه وإلى خلقه وأدبه وعطائه ونصائحه! فأسأل الله أن يخلفه فيهم جميعاً وأن يرزقهم الصبر والعزاء والسلوان على فراقه! وعسى الله أن

يجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا! إن تأبيني اليوم لأخي الأستاذ إسماعيل علي سليم يعد من بعض جميله علي وامتثاني بما قدم لي من معروف في هذه الغربة القاسية ، وخاصة بعد تخلي الأهل والأقربين ، وبعد خذلان القاضي والداني لي بغير مبرر لهم جميعاً في ذلك! فكان إسماعيل أبو سليم رجلاً بمائة بمعنى الكلمة! وكان أماً بكل ما تحمله كلمة الأخ من معاني! وكان صديقاً حميماً مخلصاً ولا نزكيه على الله ، فالله تعالى حسيبه ووكيله! كما كان الأستاذ إسماعيل سليم (أبو عبد الله) رجلاً صريحاً لا يخاف في الله لومة لائم! يقول الحق ولا يهمله ضجر فلان أو غضب علان! وما سألت أحداً من أهل ظفر الموحدين المؤمنين منهم إلا مدحه وأثنى عليه خيراً! ولم يكن يذمه وينال منه إلا عبدة القبور والأضرحة من الذين لم يحققوا ركن الشهادة الأول! فلهه درك يا إسماعيل! لا يمدحك ولا يثني عليك إلا أهل التوحيد والإيمان والعقيدة! وكنت أتمنى أن لا أعيش اليوم الذي أؤين فيه إسماعيل سليم ، ولكنها إرادة الله وقدره ومشينته! وإن القلب ليخشع ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: (وإنا على فراقك يا إسماعيل لمحزونون لمحزونون لمحزونون)! وأدرك أن أبناءه اليوم صغار لا يدركون من القصيدة مغزاها ولا معناها ولا ما وراءها ولا المراد منها! وعندما يأتي اليوم الذي يدركون فيه هذا كله ، سوف أذفع إليهم بقصيدة تأبين أبيهم – رحمه الله رحمة واسعة -.

يا إسماعيل أنا - والله - محزون	والقلب - من ثقل المأساة - مطعون
أبكي عليك بدمع لا تجففه	ذكرى مكابدة حاررى وتأبين
والنفس يخنقها أنين كربتتها	والوجد بالنفس رغم الأتف مقرون
والروح لاعجة تنعى أخى ثقة	دنياي طابت به ، والعيش ، والدين
وبالمشاعر آلام تجنن دلهما	وليس تنقص ما أروي البراهين
وللأحاسيس أنات وملهبة	لأن صاحبها ثاوم ومحزون
ولا أزر ف ما أحكيه من كمد	إذ يقتل الشعر والإحساس تدشين
كم يفقد الشعر بالتدشين من قيم!	وكم يشوّه ما يحويه تزيين!
ولكن الصدق يعطي الشعر نضرتة!	فينطق النص ما تحوي المضامين

ففي غربةٍ كلنا فيها مساكين؟
لهم بجمع الدنانير الأفنانين
فيه القريضُ نديُّ النصِّ موزون؟
والأجر عند مليك الناس مضمون!
وبيننا الرفقُ والتيسير واللين؟
حتى أحبك مُحْتَاجٌ ومَدِينون؟
حتى يكون لمن تعول تأمين؟
لا تستقرّ ببلواها الموازين
مُسْتَعْذِباً ما ترى ، والخيرُ مَكْنُون!
سطا عليها مَفَاليسٌ ذَهَابِين
لأنَّ جُودَكَ - باليقين - مَحْصُون
لله لَمَّا مضت بها الشياطين!
فأمرُ رب الأتنام الكافُ والنون
يُدا أبيضه ، لأنَّ الأبَّ مسكين!
ففي غربةٍ يزدهي فيها القوارين

يا إسماعيلَ لَمَن تركت خُلْتنا
مِن حولنا الناس تشقيهم دراهمهم
أما تذكرت ما قلناه من كَلِم
أما تلونا كتاب الله صُبحَ مَسَا؟
ألم تدققْ من الأشعار أغلبها
ألم تجذُ بفضول الخير مُحْتَسِباً
ألم توصل لمستشفى الألى مرضوا
ولستُ أنسى سيول الغيث هاطلة
وأنت تبصرُ في (عجمان) وطأتها
حتى إذا سُرقتُ - في الليل - مَرَكِبَة
تجذتُ أخرى لكي تأتي توصلنا
مُفَوَّضاً أمرَ أولاك التي سُرقتُ
لو شاء ربك - بعد البحث - أرجعها
ثم اشتريت دواء الطفل إذ عجزت
دارت عليه رحي خُذلان إخوته

بعض الأمان ، وبذلُ الخير ممنون!
طول المسافة ، مهما نالك الحين
بما ينوء به الجنُدُ الأساطين
محببة عاشها العُمر الميامين
فمطبخ البيت محروقٌ ومدخون!
ثم انطلقتُ كما يجري المجانين
وبعدُ جئتُ فغالتك الأظنانين
والبذلُ للصحة العصماء عربون
فاخترت موتك ، إن الموت مسنون؟
وما طواك - مع الفنانين - (تدخين)
تعأنة ، أو تدانيه الطواعين!
كما تعيش هنا الأُسْدُ العرانيين
فالصحة اندحرت ، والجسم عُرجون
سُقَم ، وليس لحال الجسم تحسين
والجسمُ من عظم البلواء مطحون

وكم ذهبَت إلى الأهلين تمنحهم
في (كفر سعدٍ) تزور الأهلَ محتملاً
وحاملاً لهمُ الحقائقِ امتلاتُ
عشنا كما الأهل في (عجمان) تكلأنا
ويومَ أحرقتِ النيرانُ مطبخكم!
وزوجكم - بعد حيرتها - بنا اتصلتُ
أريد نجاتها وسلمَ دارتها
فأخمدتُ نارها بفضل خالقها
يا إسماعيل فهل مللت صحتنا
لو خَير الموتُ لم تذهبْ ضحيته!
قد كنت فينا صحيحاً لا تعرقله
عافاك ربك من داءٍ ومن مرض
حتى ابتليتُ بأوجاع شقيت بها
ومن رآك بكى الشبابَ سربله
والوجهُ أمسى عظاماً للورى برزتُ

بَيْنَ لَنَا ، قَدْ يُجِيبُ السُّؤَالَ تَبِيِين!

وَالشُّعْرُ يَبْكِي ، وَتَرْتِيكَ الدَّوَابُّ

وَمَحْسُوسِيَّةٌ إِنْ كَانَ تَفْطِين

وَفِي ابْنَتِيهِ ، وَعَوْنُ اللَّهِ مَضْمُون!

كُلُّ بَرَاةٍ يَقُودُ الْعَيْشَ مَرهُون

فِي الْأَرْضِ مِثْلَكُمْ عَاشَتْ مَلَائِين

وَعِنْدَ رَبِّكُمْ لِلنَّاسِ تَوْهِين

فَفِي تَذْكَرِهِ سَلَوَى وَتَهْوِين

فِيْتَمِهِ فِي جَوَاهِ الْيُسْرِ مَكْنُون!

شَمْسٌ ، وَخَالِطُ مَاءِ الْوَابِلِ الطَّيْن!

إِذْ كُلُّ عَبْدٍ بِمَا يَهْوَاهُ مَفْتُون

مَاذَا أَصَابَكَ بَيْنَ النَّاسِ يَا رَجُلًا؟

يَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيْكَ الْعَيْنُ دَامِعَةٌ

أَجْرٌ وَعَافِيَةٌ ، وَرَحْمَةٌ نَزَلَتْ

وَيَخْلُفُ اللَّهُ عَبْدًا فِي خَلِيلَتِهِ

وَفِي صَبِيِين مَا اشْتَدَا وَمَا ارْتَدَا

يَا أُسْرَةَ فَقَدْتُ فِي النَّاسِ رَاعِيَهَا

لَا تَسْتَكِينُوا لِبُلُوَاكُمْ وَمَحْنَتِكُمْ

تَذَكَّرُوا الْمَوْتَ قَدْ وَافَى (مَحْمَدْنَا)

تَذَكَّرُوا الْيُسْرَةَ قَدْ دَهَى (مَحْمَدْنَا)

وَيَرْحَمُ اللَّهُ إِسْمَاعِيلَ مَا طَلَعَتْ

وَيَغْفِرُ اللَّهُ ذَنْبًا كَانَ قَارْفَهُ

عكرمة

(كتب كثيرون عن الصحابي الجليل عكرمة بن أبي جهل - رضي الله عنه - ، ولكن الأستاذ محمود فرحات أحسن الكتابة عنه بأسلوب بلاغي قصصي بديع! حيث قال عنه: (كان في أواخر العقد الثالث من عمره يوم صدع نبي الرحمة بدعوة الهدى والحق ، وكان من أكرم قريش حسباً وأكرمهم مالاً وأعزهم نسباً ، وكان جديراً به أن يسلم ، كما أسلم نظراؤه من أمثال سعد بن أبي وقاص ومصعب بن عمير وغيرهما ، من أبناء البيوتات المرموقة المحترمة في مكة لولا أبوه! فمن هو هذا الأب يا ترى؟ إنه جبار مكة الأكبر ، وزعيم الشرك الأول ، وصاحب النكال الذي امتحن الله ببطشه إيمان المؤمنين فثبتوا ، واختبر بكيده صدق الموقنين فصدقوا ، إنه أبو جهل وكفى هذا أبوه ، أما هو فعكرمة بن أبي جهل المخزومي ، أحد صناديد قريش المعدودين وأبرز فرسانها المرموقين! وجد عكرمة بن أبي جهل نفسه مدفوعاً بحكم زعامة أبيه إلى مناوأة محمد عليه الصلاة والسلام ، فعادى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أشد العداة ، وأذى أصحابه أفدح الإيذاء ، وصب على الإسلام والمسلمين من النكال ما قرّت به عين أبيه ، ولما قاد أبوه معركة الشرك يوم بدر وأقسم باللات والعزى ألا يعود إلى مكة إلا إذا هزم محمداً ، نزل ببدر وأقام عليها ثلاثاً ينحر الجزور ويشرب الخمر ، وتعزف له القيان بالمعازف ، ولما قاد أبو جهل هذه المعركة كان ابنه عكرمة عضده الذي يعتمد عليه ، ويده التي يببطش بها ، ولكن اللات والعزى لم يلبيا نداء أبي جهل ، لأنهما لا يسمعان ، ولم ينصراه في المعركة لأنهما عاجزان ، فخر صريعاً دون بدر ، وراه ابنه عكرمة بعينيه ، ورماح المسلمين تنهل من دمه ، وسمعه بأذنيه وهو يطلق آخر صرخة انفرجت عنها شفتاه. وعاد عكرمه إلى مكة بعد أن خلف جثة سيد قريش في بدر ، فقد أعجزته الهزيمة عن أن يظفر بها ليدفنها في مكة ، وأرغمه الفرار على تركها للمسلمين فآلقوها في (القليب) وهو بئر ، ألقيت فيه جثث المشركين ، مع العشرات من قتلى المشركين وأهلوا عليها الرمال. ومنذ ذلك اليوم أصبح لعكرمة بن أبي جهل مع الإسلام شأن آخر ، فقد كان يعاديه في بادئ الأمر حمية لأبيه ، فأصبح يعاديه اليوم ثاراً له ، ومن هنا انبرى عكرمة ، ونفر ممن قتل آباؤهم في بدر يوقدون نار العداوة في صدور المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويضرمون جذوة الثأر في قلوب الموتورين وهم أهل الثأر من قريش ، حتى كانت وقعة أحد خرج عكرمة بن أبي جهل إلى أحد وأخرج معه زوجه أم حكيم ، لتقف مع النسوة الموتورات في بدر وراء الصفوف وتضرب معهن الدفوف تحريضاً لقريش على القتال ، وتثبيتاً لفرسانها إذا حدثتهم أنفسهم بالفرار وجعلت قريش على ميمنة فرسانها خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ، وأبلى الفارسان المشركان في ذلك اليوم بلاء رجح كفة قريش على محمد وأصحابه. وحقق للمشركين النصر الكبير مما جعل أبا سفيان يقول هذا بيوم بدر ، وفي يوم الخندق حاصر المشركون المدينة أياماً طويلة مريرة ، فنقد صبر عكرمة بن أبي جهل ، وضاق ذرعاً بالحصار فنظر إلى مكان ضيق من الخندق ، وأقم جواده فيه فاجتازه ، ثم اجتازه وراهه بضعة نفر في أجراً مغامرة ذهب ضحيتها عمرو بن عبد ود العامري. أما هو فلم يُنجه إلا الفرار وفي يوم الفتح رأت قريش أن لا قيل لها بمحمد وأصحابه ، فأزمت أي قررت أن تخلي له السبيل إلى مكة ، وقد أعانها على اتخاذ قرارها هذا ما عرفته من أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر قواده ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم من أهل مكة. لكن عكرمة بن أبي جهل ونفراً معه خرجوا على إجماع قريش ، وتصدوا للجيش الكبير ، فهزمهم خالد بن الوليد في معركة صغيرة قتل فيها من قتل منهم ولاذ بالفرار من أمكنه الفرار ، وكان في جملة الفارين عكرمة بن أبي جهل عند ذلك أسقط

أي ندم وتحير عكرمة فمكة نبت به أي لم يبق له فيها قرار بعد أن خضعت للمسلمين ، والرسول صلوات الله عليه عفا عما سلف من قريش تجاهه. لكنه استثنى منهم نفرأ سماهم وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وكان في طليعة هؤلاء النفر عكرمة بن أبي جهل لذا تسلل متخفياً من مكة ويمم وجهه شطر اليمن إذ لم يكن له ملاذ إلا هناك عند ذلك مضت أم حكيم زوج عكرمة بن أبي جهل وهند بنت عتبة إلى منزل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ومعهما عشر نسوة ليبياعن النبي عليه السلام. فدخلن عليه وعنده اثنتان من أزواجه وابنته فاطمة ونساء من نساء بني عبد المطلب ، فتكلمت هند وهي منتقبة وقالت: يا رسول الله ، الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه ، واني لأسالك أن تمسني رحمك بخير أي تحسن معاملتي لما بيني وبينك من قرابة ، فإني امرأة مؤمنة مصدقة. ثم كشفت عن وجهها وقالت: هند بنت عتبة يا رسول الله! فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام: (مرحبا بك) فقالت: والله يا رسول الله ما كان على وجه الأرض بيت أحب إلي أن يذل من بيتك! ولقد أصبحت وما على وجه الأرض بيت أحب إلي أن يعز من بيتك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وزيادة أيضاً. ثم قامت أم حكيم زوج عكرمة بن أبي جهل فأسلمت وقالت: يا رسول الله ، قد هرب منك عكرمة إلى اليمن خوفاً من أن تقتله ، فأمنه أمك الله ، فقال عليه السلام: هو آمن! فخرجت من ساعتها في طلبه ومعها غلام لها رومي ، فلما أوغلا في الطريق راودها الغلام عن نفسها فجعلت تمنيه وتماطله ، حتى قدمت على حي من العرب ، فاستعانتهم عليه فأوثقوه وتركوه عندهم. ومضت هي إلى سبيلها ، حتى أدركت عكرمة عند ساحل البحر في منطقة (تهامة) وهو يفاوض نوتياً أي بحاراً مسلماً على نقله والنوتي يقول له: أخلص حتى أنقلك ، فقال له عكرمة: وكيف أخلص؟ قال : تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال عكرمة: ما هربت إلا من هذا! وفيما هما كذلك إذ أقبلت أم حكيم على عكرمة وقالت: يا ابن عم ، جنتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس من عند محمد بن عبد الله ، وقد استأمنت لك منه فأمنك ، فلا تهلك نفسك ، فقال: أنت كلمته؟ قالت: نعم أنا كلمته فأمنك ، ومازلت به تؤمنه وتطمئنه حتى عاد معها. ثم حدثته حديث غلامها الرومي ، فمر به وقتله قبل أن يسلم! وفيما هما في منزل نزل به في الطريق ، أراد عكرمة أن يخلو بزوجه ، فأبى ذلك أشد الإباء ، وقالت: إني مسلمة ، وأنت مشرك ، فتملكه العجب وقال: إن أمراً يحول دونك ودون الخلوة بي لأمر كبير. فلما دنا عكرمة من مكة ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه: (سيأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً ، فلا تسبوا أباه ، فإن سب الميت يؤدي الحي ولا يبلغ الميت!) وما هو إلا قليل حتى وصل عكرمة وزوجه إلى حيث يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآه النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وثب إليه من غير رداء فرحاً به. ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عكرمة بين يديه وقال: يا محمد إن أم حكيم أخبرتني أنك أمنتني فقال: النبي عليه الصلاة والسلام: (صدقت ، فأنت آمن) فقال عكرمة: الإم تدعو يا محمد؟ قال: (أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني عبد الله ورسوله ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتي الزكاة.) حتى عد أركان الإسلام كلها! فقال عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق ، وما أمرت إلا بالخير. ثم أردف يقول: قد كنت فينا والله قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً وأبرنا برأ ، ثم بسط يده وقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله ، ثم قال: يا رسول علمني خير شيء أقوله. فقال: تقول: أشهد الله ، وأشهد من حضر أي مسلم مجاهد مهاجر. فقال عكرمة ذلك. عند هذا قال له الرسول صلوات الله عليه: (اليوم لاتسألني شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتك إياه). فقال عكرمة: إني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها ، أو مسيرٍ أوضعت فيه ، أو مقامٍ لقيت فيك فيه ، أو كلامٍ قلته في وجهك أو غيبتك فقال

الرسول عليه الصلاة والسلام: اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها ، وكل مسيرٍ سار فيه إلى موضع يريد به إطفاء نورك ، واغفر له ما نال من عرضي في وجهي أو أنا غائب عنه. فتهلل وجهه عكرمة بشراً وقال: أما والله يا رسول الله ، لا أدع نفقة أنفقتها في صد عن سبيل الله لا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتالاً قاتلته صدأً عن سبيل الله إلا قاتلت ضعفه في سبيل الله ، ومنذ ذلك اليوم انضم إلى موكب الدعوة فارسٌ فارسٌ في ساحات القتال ، عبادةً قواماً قرأه لكتاب الله في المساجد. فقد كان يضع المصحف على وجهه ويقول: كتاب ربي كلامي ربي ، وهو يبكي من خشية الله! وبر عكرمة بما قطعه للرسول صلى الله عليه وسلم من عهد ، فما خاض المسلمون معركة بعد إسلامه إلا وخاضها معهم ، ولا خرجوا في بعثٍ إلا كان طليعتهم. وفي يوم اليرموك أقبل عكرمة على القتال إقبال الظامىء على الماء البارد في اليوم القانظ ، ولما اشتد الكرب على المسلمين في أحد المواقف ، نزل عن جواده وكسر غمد سيفه وأوغل في صفوف الروم ، فبادر إليه خالد بن الوليد وقال: لا تفعل يا عكرمة ، فإن قتلك سيكون شديداً على المسلمين. فقال: إليك عني يا خالد ، فلقد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة! أما أنا وأبي فقد كنا من أشد الناس على رسول الله ، فدعني أكفر عما سلف مني ، ثم قال: لقد قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة وأفر من الروم اليوم ، إن هذا لن يكون أبداً. ثم نادى في المسلمين: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمائة من المسلمين فقاتلوا دون فسطاط خالد رضي الله عنه (والفسطاط: بيت من الشعر والمراد به مكان قيادة الجيش) أشد القتال وذادوا عنه أكرم الذود. ولما انجلت معركة اليرموك عن ذلك النصر المؤزر للمسلمين كان يتمدد على أرض اليرموك ثلاثة مجاهدين أثنختهم الجراح هم ، الحارث بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، فدعا الحارث بماءٍ ليشربه فلما قُدّم له نظر إليه عكرمة ، فقال: ادفعوه إليه! فلما قرّبوه منه نظر إليه عياش ، فقال: ادفعوه إليه! فلما دنوا من عياش وجدوه قد قضى نحبه ، فلما عادوا إلى صاحبيه وجدوهما قد لحقا به. رضي الله عنهم أجمعين وسقاها من حوض الكوثر شربة لا يظمأون بعدها وحباهم خضراء الفردوس يرتعون فيها أبداً.هـ. ولقد قال الأستاذ عبد الله المطلق في محاضرة: (حسن الخاتمة) ما نصه: (نبه النبي - صلى الله عليه وسلم - على بشائر تدل على حسن الخاتمة ، إذا كانت وفاة العبد مع واحدة منها كان ذلك قألاً طيباً وبشارةً حسنة ، منها: 1- نُطقه بكلمة التوحيد عند الموت ، فقد روى الحاكم عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة». 2- أن يموت شهيداً من أجل إعلاء كلمة الله ، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}. 3- أن يموت غازياً في سبيل الله ، أو مُحَرِّماً بحج ، قال - صلى الله عليه وسلم -: «من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد! ومن مات في سبيل الله فهو شهيد» ، وقال في المُحَرِّم الذي وَقَصَّتْه نَاقَتُهُ: «اغسِلوه بماءٍ وسِدْرٍ ، وكفّنوه في ثوبيه ولا تُحْمَرُوا رأسه ، فإنه يُبعثُ يوم القيامة مُلبياً». 4- روى حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله: «مَنْ قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام صوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة». 5- الموت في سبيل الدفاع عن الخمس التي حفظتها الشريعة وهي: الدين والنفس والمال والعرض والعقل. عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد! ومن قُتِلَ دون أهله فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتِلَ دون دمه فهو شهيد».

6- أن يموت صابراً مُحْتَسِباً بسبب أحد الأمراض الوبائية ، وقد نبّه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بعضها ، فمنها: أ- الطاعون: روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الطاعون شهادة لكل مسلم». ب- السُّلُّ: روى راشد بن حبيش قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قتل المسلم شهادة ، والطاعون شهادة ، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة ، والسُّلُّ شهادة». ج- داء البطن: روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ومن مات في البطن فهو شهيد». د- ذات الجنب: روى جابر بن عتيك عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وصاحبُ ذات الجنب شهيد»، وسيأتي بتمامه بعد قليل. 7- موت المرأة في نَفْسِهَا بسبب ولدها: روى عُبادة بن الصامت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة ، يجرُّها ولدها بسرره إلى الجنة». 8- الموت بالغرق والحرق والهدم: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله - عز وجل -». وعن جابر بن عتيك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الشهداء سبعةٌ سوى المقاتل في سبيل الله: المطعون شهيد والغرق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد والحرق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة». 9- الموت ليلة الجمعة أو نهارها: روى عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من مسلمٍ يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وَقَّاهُ اللهُ فتنةَ القبر». 10- عَرَقُ الجبين عند الموت: فقد روى بريدة بن الحصين - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «المؤمن يموت بعرق الجبين». هـ. إن مثل هذه البطولات النادرة والمآثر الفريدة والمناقب المتفردة لتستحق من الكتاب والشعراء المسلمين الكثير والكثير! ومن هنا كانت قصيدة: (عكرمة بن أبي جهل) إسهامة من الإسهامات! وعسى الله أن يتقبلها مني!

وتغـنن بالإطراء والأمداح	حيّ البطولة والحجاي اصاح
وابذله للكتاب والشراح	وافخر بعكرمة ، وطرز مجده
هو مؤمن بالواحد الفتاح	هو من صحاب (محمد) ورجاله
والآن يعبد هادي الأرواح	هو زائل الشرك الذي كم شأنه!
ومضى يوحد فائق الإصباح	هو فارق الكفر الصراح وذمه
تاوي إلى التمكين والإصلاح	ففي نقلة نوعية قدسية
في موكب أندى من الأفراح؟	واسأله يوم الفتح كيف شعوره

وإذا ترى المغوار في (بدر) رمى
 والسيف في يده يُؤدّب من طغى
 وهناك في (أحد) تشمّر زائداً
 والخذق احتفلت به فوق الثرى
 وإذا ترى المرتد يفرق واجماً
 وعلى جواد النصر عكرمة الهدى
 ولئن نسيتُ فلسفتُ أنسى حاله
 وإذا بأمر حكيم تطلب أمنه
 من أن خير الناس أمن زوجها
 فأتى به المولى حنيفاً مسلماً
 وروى أحاديث النبي نصوصها
 وهناك في (اليرموك) قاتل مقبلاً
 لكنهم طعنوه أشرس طعنهم
 سبعين كانت غيلة طعناتهم
 واستشهد البطل الشجاع مجاهداً
 بجراجه ونباله ورمحاً
 وأسأل دماء لظفت بصرفاح
 عن دينه في غدوة ورواح
 مستبسلاً ومُدججاً بسلاح
 من خيل جيش أذنت بضباح
 يغري العدا متجملاً بوشاح
 قبل الهداية بين أهل الراح
 والأمم مشتهر لدى الشراح
 فليحي في الدنيا طليق سراح
 يحيا لنيل كرامة وفلاح
 في غاية الإتقان والإيضاح
 يُزري بكفر - في الديار - بواح
 ورموه في بحبوحة الأدواح
 ضاعت كمثال فراشة المصباح
 فعليه رضوان من الفتاح

الكومودو البشري!

(لعل هذا العنوان لا يكون مستهجنًا إذا نحن علمنا حقيقة صاحبه المقيتة وحاله المزري ببني الإنسان! والحقيقة أن تنين الكومودو عندما يعض ضحيته عضة واحدة في يدها أو ساقها أو أم ذيلها ، وينتظرها إلى أن يستشري سمه الذعاف في جسمها ، فإنها تسقط على الأرض لا حراك فيها ولا حياة! وأن المسألة بعد العضة الوحيدة تلك مسألة وقت فقط! ومن هنا فإنه يجلس على مقربة منها يتابعها وهو على يقين أنها ساقطة ساقطة طال الزمان أم قصر! وأسأل: هل يلومه أحد في هذا؟ هل يتهمه أحد بالقسوة والغلظة والوحشية؟ بالطبع لا! لماذا؟ والجواب: لأن الله علمه هذا ، وسن ذلك له! (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى!) ولكن عندما نجد من بيننا من بني البشر من يفعل الشيء ذاته ، فهي إذن محنة لا يعلم إلا الله مداها! والكومودو البشري الذي أعني هو نوع من المدراء الأخرسة الأوباش الأراذل الوضيعين الوقحين! لا يهتم من هو ولا يهتم أين يعمل ولا متى يعمل ولا بين من الناس يعمل! ولكن المهم أنه يصنع صنيع الكومودو وبالضبط! حيث يخلق لموظفه أي سبب ليخضم من راتبه قسراً وجبراً ودون حق له في ذلك. ويقوم بإعلام الموظف آخر اليوم حتى يستمر في كرده وغيظه إلى اليوم الثاني! ومن هنا رحت أطلب الكومودو البشري أن يكون مساوياً للكومودو في أنه لا ينبغي أن يتشفى يوماً بأكمله! وربما لو أخذنا فكرة علمية مبسطة عن تنين الكومودو لتبين لنا أن الكومودو البشري فاقه في الشر والكيد والمكر والدهاء! ولقد تابعت عشرات الحلقات عنه في قناة ناشيونال جيوغرافيك وعلمت الكثير والكثير! جاء في صحيفة البيان 30 - 7 - 2019م ما نصه: (رسم العلماء خريطة جينوم تنين كومودو أكبر سحلية في العالم واكتشفوا أسراراً مذهلة وراء سرعة هذه السحلية المثيرة للإعجاب وقوة تحملها من خلال زيادة عملية التمثيل الغذائي إلى مستويات تشبه الثدييات. وقال باحثون إنهم حددوا التعديلات الجينية المهمة التي قد تدعم قوة هذه السحالي المفترسة التي تعيش في العديد من الجزر الإندونيسية ، بما في ذلك جزيرة كومودو وتستطيع أن تسقط فريسة كبيرة مثل جاموس الماء بلدغة سامة. ويبلغ طول تنانين كومودو نحو ثلاثة أمتار ، وتمتلك أسناناً مقوسة ومدببة ولساناً متشعباً أصفر ، وأطرافاً قوية وذليلاً طويلاً! وقال بينوا برونو مدير معهد جلاستون لأبحاث الأمراض القلب والأوعية الدموية التابع لجامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو وأحد مؤلفي الدراسة التي نشرت في دورية (نيتشر إيكولوجي أند إيفولوشن) "هذا حيوان مفترس يعيش في جزر منعزلة وهو عملاق للغاية. إنه حيوان رائع! وأضاف: الزواحف هي إلى حد كبير ملعب للتطور. هناك تنوع كبير في الحجم والشكل والسلوك وعلم وظائف الأعضاء. ورسم الفريق خريطة الجينوم باستخدام عينات دم من تنيني كومودو من حديقة حيوان أتلانتا. واكتشف الباحثون تكيفات جينية تشمل توليد الطاقة في الخلايا بما يساعد في التحكم في وظائف القلب وغيره من العضلات ، والتي قد تساعد في تعزيز قدرات السحلية الهوائية. وعادة ما تفتقر الزواحف إلى القدرات الهوائية لكونها من ذوات الدم البارد وسرعان ما تصاب بالإرهاق من المجهود البدني على النقيض من الثدييات ذات الدم الحار. لكن تنانين كومودو هي الاستثناء الوحيد بين الزواحف وتستطيع أن تصل إلى مستوى من الأيض قريب للغاية من الثدييات). هـ. وكتب الأستاذ علاء علي عبد في صحيفة الغد العدد الخاص بيوم 14 - 11 - 2019م ما نصه: (تضم البيئة من حولنا الكثير من المخلوقات التي ربما لا نعلم عنها الشيء الكثير أو ربما لا نعلم عنها شيء مطلقاً ، ومن هذه الحيوانات ما يعرف بتنين الكومودو. فهذا الحيوان يمكن اعتباره من أنواع السحالي العملاقة. كان إلى حد قريب يعتقد أن الموطن الأصلي لتنين الكومودو في الجزر الإندونيسية ، لكن علماء البيئة اكتشفوا مؤخراً أن موطن هذا الحيوان المفترس هو أستراليا ، وقد انتقلت تلك الحيوانات لأندونيسيا وتحديداً في جزر الكومودو الأندونيسية التي أخذت اسمها منها منذ زمن بعيد. وتنين الكومودو ينتمي للحيوانات السامة: كان يعتقد لفترة طويلة أن خطورة عضة هذا الحيوان تكمن بالعدد الهائل من

البكتيريا التي يحتويها لعابه. فليس مستغرباً على هذا الوحش الخطير أن يمتلئ فمه بالكائنات الحية الدقيقة التي تأتيه من كم الحيوانات التي يصطادها وتكون تلك الكائنات الدقيقة قادر على قتل أي فريسة تتعرض لها. لكن الحقيقة اكتشفها براين فري ، الباحث في علم السموم بجامعة ميلبورن الأسترالية ؛ حيث اكتشف أن تنين الكومودو يعد من السحالي السامة النادرة حول العالم. فقد تبين أن سم تنين الكومودو يؤدي لتناقص ضغط الدم لدى الضحية بشكل متسارع وتصاب بنوع من الصدمة التي تجعلها لا تقوى على الحراك فضلا عن القتال. كما وتبين أن سم تنين الكومودو يحتوي على مركبات وجدت في أكثر الأفاعي سمية في أستراليا. ويمكن لتنين الكومودو أن يأكل فريسة تزن 80 % من وزنه في جلسة واحدة: لا يعد تنين الكومودو ضخ الحجم فحسب ؛ حيث يصل طوله لـ 2.6م ووزنه حوالي 90 كغم ، ولكنه أيضاً يمتلك شهية توازي هذا الحجم. فقد تبين أنه عندما يبدأ بتناول طعامه تكون لديه القدرة على تناول ما يعادل 80 % من وزنه في وجبة واحدة. بعد أن ينتهي تنين الكومودو من وجبته يذهب للجلوس بالشمس لضمان استمرارية عملية الهضم بشكلها الطبيعي ، وعند الإخراج فهو يقوم بإخراج فضلات تحتوي على أسنان وقرور وشعر الفرائس التي تناولها ؛ حيث إن معدته لا تستطيع هضم هذه الأشياء. ونظراً لكون عملية الهضم لدى تنين الكومودو تتم بشكل بطيء ، فضلاً عن أن الوجبة التي يتناولها تكون ضخمة جداً فإنه يستطيع العيش بدون طعام مدة شهر كامل. وتنين الكومودو لا يهتم باصطياد فرائسه دانماً: الصيد بالنسبة لتنين الكومودو من النشاطات التي بالكاد يقوم بها ، فهو يعتمد في غذائه على الجيف وبقايا الفرائس للحيوانات الأخرى. علماً بأن تنين الكومودو بإمكانه تمييز وجود جيفة ما من على بعد عشرة أمتار تقريباً. هذا الأمر دفع سكان المناطق القريبة من عيش تنين الكومودو أن يستعوضوا عن المقابر العادية على الرمال إلى بناء مقابر على أرضية طينية ومن ثم يضعون صفوفاً من الحجارة الإسمنتية لحماية موتاهم. ويمكن لتنين الكومودو أن يأكل صغار الكومودو لو شعر بالجوع: تتميز إناث تنين الكومودو بقدرتها على الولادة بدون الحاجة لوجود ذكر ، لكن هذه الميزة ليست الوحيدة لدى هذه السحالي العملاقة. فقد تبين أنه في حال عدم توفر الجيف أو الفرائس التي يمكن اصطيادها فإن تنين الكومودو البالغ لا يمانع بتناول أحد صغار الكومودو كوجبة تسد رمقه ، لذا فإن الصغار يقومون بطريقتين لحماية أنفسهم من التعرض للاقتراس ؛ أولهما الصعود لأعالي الشجر لفترات طويلة حتى لا يكونوا فريسة سهلة للتنين البالغ. والطريقة الثانية يقوم الصغار بتجميع الفضلات حول أنفسهم مما يبعد تنين الكومودو البالغ عنها وكأنه (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مَبْرُوحٌ أَلَّا يَقْرَبُوا مِنْ هَذِهِ الرَّائِحَةِ الْكَرْيِهِةِ).هـ. قال الله تعالى: مُتَّبِعُونَ * فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ). قال علماء التفسير: لما ركب فرعون في جنوده طالباً بني إسرائيل يقفوا أثرهم كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل: كان في خيوله مائة ألف. فحلَّ أدهم ، وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وست مائة ألف ؛ فالله أعلم. والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فأدركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس ، وعان كلٌّ من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والمحاماة! فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون: إنا لمدركون. وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر ؛ فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه ؛ وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه ، والجبال عن يسرتهم ، وعن أيماهم وهي شاهقة منيفة ، وفرعون قد غالقهم وواجههم وعانوه

في جنوده وجيوشه وعُدده وعُدده وهم منه في غاية الخوف والدُّعر لما قاسوا في سلطانه من الإهانة والمنكر، فشكوا إلى نبيِّ الله ما هم فيه قد شاهدوه وعايَنوه ، فقال لهم الرسول الصَّادق المصدوق: كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ! وكان في السَّاقَةِ فتَقَدَّمَ إلى المَقْدَمَةِ ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بأواجه ، ويتزايد زيد أواجه وهو يقول: ههنا أمرت. ومعه أخوه هارون ويوشع بن نون ، وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعلمانهم وعبَّادهم الكبار ، وقد أوحى الله إليه وجعله نبياً بعد موسى وهارون - عليهما السلام - ومعهم أيضاً مؤمن آل فرعون وهم وقوف، وبنو إسرائيل بكمالهم عليهم عكوف. ويقال: إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مراراً في البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ، ويقول لموسى عليه السلام: يا نبي الله أههنا أمرت. فيقول: نعم. فلما تفاقم الأمر وضاق الحال واشتدَّ الأمر واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحديدهم وغضبهم وحنقهم وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؛ فعند ذلك أوحى الحليم العظيم أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ فَلَمَّا ضْرِبَهُ - يقال: إنه قال له: انقلق بإذن القدير ربُّ العرش الكريم إلى موسى الكليم فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْقَلَقَ اللَّهُ. ويقال: إنه كنَّاه بأبي خلد. فالله أعلم. قال الله تعالى ويقال: إِنَّهُ انْقَلَقَ اثْنِي عَشْرَ طَرِيقًا لِكُلِّ سَبْطٍ طَرِيقٍ يَسِيرُونَ فِيهِ ، حتى قيل: فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ إنه صار أيضاً شبابيك لِيَرَى بعضهم بعضاً ، وفي هذا نظر ؛ لأن الماء جرم شفاف إذا كان من ورانه ضياء حكاه. وهكذا كان ماء البحر قائماً مثل الجبال مكفوفاً بالقدرة العظيمة الصَّادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون ، وأمر الله ريح الدبور ، فلقحت حال البحر فأذهبت حتى صار يابساً لا يعلق سنايك الخيول والدَّواب).هـ. ومن أراد المزيد فليطالع كتاب: وماذا بعد الظلم لعبد الحميد السحبياني. فإلى الكومودو البشري ، الذي لا يرحم من حوله من الناس ، ولا يتعامل بقيم الإنسان ، أنشد من شعري هذه القصيدة!

ارحم ضحاياك ، عز الكيد والثار	يا ظالماً ما له - في الناس - أغرار
مازلت تنقم في سر وفي علن	حتى قلاك الورى والحين والدار
مازلت تنفث سُماً لا يقاومه	جسم قوي - على الأمراض - جبار
مازلت تطعن في الأعراض منتقماً	ولم يردك عما خضت إنكار
مازلت تختال في زهو وفي صلف	كأما أنت - فوق الأرض - ديار
مازلت توقع بين الناس دون حيا	حتى جفا غيبٌ منهم وخضار
مازلت تخترع الأسباب واهية	وكم أعانك من في غيهم ساروا!
مازلت تشعل نار الحرب ساعة	وذات يوم ستكوي الظالم النار

يوماً تدور على الطاغى دوائره
إن (الكومودو) إذا ما عض مشتقياً
وبعدُ ينتشر السم الذعاف ، فلا
فتاك سُنة رب الناس علمها
ولا يعد ظلوماً ففى تفننه
وذاك مطعمه فى غابة زخرت
إن يفترسن يحي مزهواً بصحته
يعض ثم يُنيل الصيد فرصته
فى عالم الغاب لا حياة للضعفا
وتلك حكمة ربي فى عوالمه
(كومودو) ماذا ترى فيما ظفرت به
ماذا أفادك من ظلم تقارفه
أما استحييت من البلاء تنثره
أقصر فكلّ سيشكو ضعف قوته
وللدعاء إذا عاينت صولته
فلا تكون عذابات ولا ثمار
حتى تصيب ضحايا العض أضرار
يبقى معاشن له الحياة إشعار
ذاك (الكومودو) ، فلا يُلام كرار!
فالاصطيد له حردس وأفكار
بالطير والوعل كم فى الغاب أسرار!
بين الأوابد ، والاصيد مكار
يبقى القوي ، وللقانون أنصار
لا الوعل يبقى ولا المعزى ولا الفار
تُبدي الأوابد ما تخفيه أوكار
من المكائد فيها الأذكياء حاروا؟
فيه لمن ظلموا أذى وأخطار؟
فوق الخلائق من على الهدى غاروا؟
لربه ، ومليك الناس قهار
إن جن ليل ، وإن غالته أسحار

تَنَامُ أَنْتَ قَرِيرَ الْبَالِ مَبْتَسِماً
وَدَمْعُ مَنْ ظَلَمُوا يَا وَغْدَ مَغْزَارِ
يُغْلَفُونَ بِدَمْعِ الْعَيْنِ دَعْوَتَهُمْ
وَاللَّهُ نَاصِرَ مَنْ ذَلَمُوا وَمَنْ ظَلَمُوا
لَوْ بَعْدَ حِينٍ ، وَوَعْدُ اللَّهِ مُرْتَصِداً
فِي مَوْعِدٍ رَبَّنَا الْجَبَّارِ حُدُودَهُ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ أَرَاكَ مُتَصِفاً
فَإِنْ تَكُنْ هَكَذَا لِلْمُنْتَهَى أَبَداً
فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُؤَلِّيَكَ نِقْمَتَهُ
وَدَمْعُ مَنْ ظَلَمُوا يَا وَغْدَ مَغْزَارِ
وَاللَّهُ نَاصِرَ مَنْ ذَلَمُوا وَمَنْ ظَلَمُوا
لَوْ بَعْدَ حِينٍ ، وَوَعْدُ اللَّهِ مُرْتَصِداً
فِي مَوْعِدٍ رَبَّنَا الْجَبَّارِ حُدُودَهُ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ أَرَاكَ مُتَصِفاً
فَإِنْ تَكُنْ هَكَذَا لِلْمُنْتَهَى أَبَداً
فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُؤَلِّيَكَ نِقْمَتَهُ

عُرسان في ليلة!

(هذا هو أبو عبد الله ، رجل ميسور الحال من بلاد الشام ، يعمل في التجارة! أورد قصته الأستاذ علي الطنطاوي – رحم الله الجميع -. وكان قد وثق القصة ولعله كان طرفاً فيها وشخصية من شخصياتها! يقول: نشأ خلاف مع أبي عبد الله وزوجه ، فقرر أن يتزوج ، وطلب الزواج من فتاة ، فوعده أبوها خيراً ، ولكنه أبطأ أسبوعين! فقرر أبو عبد الله سؤال بيت آخر ، ووافق الثاني بعد مشاورة ابنته في نصف ساعة! واتفقا على كل شيء ، وبينما كان أبو عبد الله في الطريق إلى بيته عازماً على إعداد بيت الزوجية الجديد ، إذا بالشاب مسعود ابن الرجل الأول يأتي مخبراً بموافقة أبيه على الزواج ، معللاً التأخير بأنه كان بسبب المشاورة والإقناع! فاستحيا أبو عبد الله أن يرد أو يعتذر ، بل قرر الزواج منهما معاً. ويكون الأمر عرسين وعروسين في ليلة واحدة! وبالفعل أخذ الأولى عصراً إلى منزلها ، والثانية عشاءً إلى منزلها. وأعلم الأولى بالقصة فوافقت وفرحت وأعطته عقداً من الذهب وبعض الأساور يهديها إياها. فلما ذهب إلى الثانية وأعلمها بالقصة وأهداها عقد صاحبته ، قررت الذهاب معه إليها والتعرف عليه واتخاذها صديقةً وصاحبة! وتخلّلت أبا عبد الله يبتهج فيقول:)

إن تعريسي بـاثنتين لعيـدُ	فليبارك عرسي الملا والغيدُ
وليهنيني كل صـب عفيـفٍ	زلزل العشق عيشه والخود
وليشاركني فرحتي كل شـهم	رأيه في أس الأمور سـديد
(أم عبد الله) اسـتهانت بعزمي	وأنا عن توقيرها لا أحيـد
لعبت بالنار التي أحرقتنا	واحتوانا شـواظها والصـهود
وأنا كم ناصحتـها دون يـأس	بكأليمات زانهـن الصـمود!
لم أكن أسعى لافتراق وبُعدٍ	خطه شـيطانٌ رجـيم مريد
لم أعقد أمراً أراه يسـيراً	يخرّب البيـت العامر التعقيد
والخلاف في كل دار وبيـتٍ	سن هـذا رب الأنـام المجيد

والحكايات قائمٌ وحصـيد
ولـه في دفع الأذى مجهود
والخلافات شاقها التمديد
ترتقي فيه الأنسـات الغـيد
لا يقال: بالوجد مات الفقيد!
قلت: عندي بيت ، وعندي النقود!
أنت جـد يسـعى وراك الجدود
رب رأي أتى به المقصود
مبدأ الشورى نهجـه محمود
ربما أعيـت ما انتوؤه الردود
والحيـا من إعلانـه معهود!
والسبيل بحثٌ وجهدٌ جهيد
والمعـين المـهـيمن المعبود
قال: أبشـر ، وقولـه مشهود
ثم قال: إن العروس تريد

ليس بيتٌ - من الخلاف - بناج
والذكي من في الخلافات بأسى
فإذا ما نار الشقاق استدامت
فـالزواج حـلٌ مـريـحٌ يسـيرٌ
وأنا قـررتُ الزواج لأحيـا
وتساءلت: من سترضى بكهل؟
قيل: هل أموال تعيد التصابي؟
قلت: يا فضلى فكـري واستخيري
واستشيري الأهل الكرام ، وجدّي
لكن القوم لم يردوا جواباً
ربما رفضي ببيتـه عروسٌ
فالتسـت أخـرى حـصـاناً رزاناً
وانطلقـت شـرقاً وغرباً بنفسـي
وأبو الأخرى لم يسـوف بتاتاً
أسأل البنـت ، فاصطبر يا عزيزي

واحتفى بي فيما لقيت الوجود
ووعدت صهري بأني أزيد!
فقريباً تنفك عني القيود
إن ذا من رب الخلائق جود
قال: عندي خُبرٌ مرجى سعيد
قلت: ماذا تريد يا (مسعود)؟
وكلامي هذا وربّي أكيد
ولساني عن نطقه معقود
وعذابٌ يكو الضمير شديد
ليس تقوى على مداها الأسود
وأتاني من خلتي تأييد
مسـتـبيناً شـروطه والبنود
بيننا ، والمليك ربي شهيد
قلت: حقاً هذا صنيع فريد
واحتواه الإطراء والتغريد

قلت: مرحى بمن ستصبح زوجي
ثم أنهينا الاتفاق سوياً
وانطلقت للبيت ببسم ثغري
حيث أحيا كل زوج طليق
فإذا بي بزائر عند بابي
إنه ابن الصهر المرشح قبلاً
قال: أختي قد ارتضك حليلاً
فاحتواني تعجبي واندهاشي
مأزق عاتٍ ليس منه خروج
ما صنيعي في أزمةٍ فاجأتني
قلت: أرضى بالزوجتين نصيباً
وعرضت على النسبيين عرضي
فإذا بالقبول يسري اتفاقاً
قيل: تأتي فعلاً غريباً فريداً
ثم تم العرسُ الذي شمع نوراً

في ديار لَمَّا تعش مثل هذا
 نالتِ الأولى حظها بعد عصر
 ثم بالأخرى قد دخلت عشاء
 أنني بعد الفجر أمضي لشغلي
 ولزوجي الأولى أبيت الخفايا
 وتوقعت الشر يُذهب صفوي
 لكن المولى قد هداها فقالت:
 صاح بلغ أحلى سلامي إليها
 إنها أختي ، والحليل أخونا
 ولزوجي الأخرى حملت التحايا
 فانبرت تُطري ضربتيها ، وتلقي
 قلت: حمداً لله رب البرايا
 رب ألف بين القلوب ، وحقق
 من ناجي سوى المليك قديراً
 في زمان أودى به التعقيد
 ثم قلت: فأتأذني ، سأعود
 لي اتفاق عذب ورأي رشيد
 ثم قبل الغروب عود حميد
 لم تخفني عقبى ولا مردود
 والشقاق من بعد ذاك يسود
 تهنئاتي أساوي والعقود
 وعليه أراه زور وورود
 بيننا الود والصفاء والسعود
 والهدايا والمدح والتمجيد
 كلمات صنوان والتقصيد!
 من له الإطراءات والتحميد
 أمنيات في القلب منها الوليد
 جل ربي الفرد العزيز الحميد!

سُمَيَّة بنت خَيْط

(إنه لشرف كبير لأي شاعر مسلم أن يكتب عن الصحابية الجليلة ، سُمَيَّة بنت خَيْط ، زوجة ياسر ، وأم عمار رضي الله عنهم! فإذا كان بعض شعراء الجاهلية المعاصرة تزخر أغلب دواوينهم بالكتابة عن المغنين والمغنيات والقينات ، والراقصين والراقصات ، والفاجرين والفاجرات ، فإن الشاعر المسلم حريٌّ به أن يتناول الصحابيات الجليلات في شعره! فمن سمية ومن أبوها وماذا عن سيرتها العطرة؟! لقد كانت سمية كانت مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة ، فزوجه من سمية ، فولدت له عمّاراً ، ولما ظهرت في مكة دعوة الإسلام سبقت إليها سمية وابنها عمار ، ثم لحق بهما زوجها ؛ وهي أول شهيدة في الإسلام. فعن مجاهد بن جبر المكي قال: {أول شهيد في الإسلام سميّة والدّة عمّار بن ياسر وكانت عجوزاً كبيرةً ضعيفةً ، ولما قُتل أبو جهل يوم بدرٍ ؛ قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمّارٍ: {قتل الله قاتل أمك}. ذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة ، وقال: إسناده صحيح. حيث عُدبت هي وزوجها وابنها وأوذوا أيما إيذاء ، واستشهد على إثر تلك الحادثة زوجها ، ولحقته هي ببضع دقائق أو ساعات ، ونجا ابنهما بعد أن نطق بالكفر مكرهاً هروباً من أذى قريش ، وقد نزل قرآن يتلى إلى يوم القيامة بشأن ابنهم الذي أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فبراه الله ؛ وكانت أمه أول شهيدة في الإسلام ، فمن هي؟ وما هي قصتها؟ ألا إنها من السابقين الأولين الذين دخلوا في الإسلام ، فقد كانت سميّة رضي الله عنها سابعة سبعة في الإسلام. عن مجاهد بن جبر المكي قال: {أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة ؛ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وأبو بكر ؛ وبلال الحبشي ؛ وخباب بن الأرت ؛ وصهيب الرومي وعمّار بن ياسر ؛ وسميّة بنت خياط ؛ فأما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر فمنعهما قومهما ؛. وأما الآخرون فألبسوا أدرع الحديد ثم صهروا في الشمس وجاء أبو جهل إلى سميّة فطعنها بحربة فقتلها}. ذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة ، وقال: مرسل صحيح السند. وأما عن زوجها رضي الله عنهما ، فهو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس ؛ وقد قدم ياسر بن عامر زوج سمية من اليمن إلى مكة قبل زواجه منها ، وكان مجيؤه بهدف طلب أخ له ، وكان معه حينها أخواه الحارث ومالك ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة ، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقد كانت سمية أمّة عند أبي حذيفة ، فزوجه لعمار بن مالك ، فولدت له عمّار ، فأعتقه أبو حذيفة. وما كادت تسمع بدعوة النبي حتى دخلت في دين الله تعالى ، فأسلمت سمية بنت الخياط هي وزوجها ياسر بن عامر وابنها عمار بن ياسر وأخوه عبد الله رضي الله عنهم جميعاً ؛ سرّاً ثم جهروا بإسلامهم ، فلما علم بنو مخزوم بإسلامهم غضبوا عليهم غضباً شديداً ؛ وصبوا عليهم العذاب الشديد. بعد أن أعلن آل ياسر إسلامهم ابتدأت قصة عذابهم حتى يتركوا الدين الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ، فصبروا رضوان الله عليهم ، واحتملوا الأذى في سبيل ألا يعودوا إلى الكفر ، واحتسبوا أجرهم عند الله سبحانه وتعالى ، وقد لحق سمية أذى شد، يد وقد كانت رضي الله عنها كبيرة في السن ، ومع ذلك صبرت وثبتت أمام تعذيب أبي جهل. وكان النبي عليه الصلاة والسلام كلما مرّ بآل ياسر ، وهم في البطحاء يُعذبون على يد المشركين كان يدعو لهم بالصبر والثبات. عن جابر بن عبد الله قال: مرّ رسول الله صَلَّى اللهُ

عليه وآله وسلم بياسرٍ وعَمَارٍ وأمّ عمارَ ، وهم يُؤذونَ في الله تعالى ، فقال لهم: {صبراً آل ياسرٍ ، فإنّ موعدكم الجنة}. رواه الطبرني في الأوسط ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد بسند صحيح ؛ والألباني في فقه السيرة ، وقال: حسن صحيح. وأخذ أهل مكة يعذبون من أسلم. فقام آل بنى المغيرة بتعذيب سمية ؛ لترجع عن دينها ، ولكن هيهات هيهات ، فالإيمان قد استقر في قلبها ، فلا يزحزحه أى تعذيب أو اضطهاد. عن جابر بن عبد الله قال: مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بياسرٍ وعَمَارٍ وأمّ عمارَ وهم يُؤذونَ في الله سبحانه وتعالى فقال لهم: {صبراً آل ياسرٍ ، فإنّ موعدكم الجنة}. رواه الطبرني في الأوسط ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد بسند صحيح ؛ والألباني في فقه السيرة ، وقال: حسن صحيح. وإن كان صبر الرجال المسلمين على العذاب الشديد عجباً ، فأعجب منه أن تصبر عليه امرأة عجوز ، وصبرها على التمسك بدينها يهون إلى جانبه الصبر على الألم ، مهما زاد واشتد. وذات يوم مر عليها أبو جهل فسمعها تردد كلمات الإيمان: أحد. أحد. الله أكبر ؛ الله أكبر ؛ فأمرها أن تكفر بمحمد ودينه ، فامتنعت ، فأخذ حرباً فطعنها بها ، فسقطت شهيدة ، وكانت رضى الله عنها كبيرة السن ، عظيمة الإيمان ، ضعيفة الجسم ، قوية اليقين ، رمزاً للصمود ، وأمارة على قوة العقيدة ، فلما كان يوم بدر قتل أبو جهل. وعن مجاهد بن جبر المكي قال { أولّ شهيدٍ في الإسلامِ سميّةُ والدّةِ عَمَارِ بنِ ياسرٍ وكانت عجوزاً كبيرةً ضعيفةً ولما قُتِلَ أبو جهلٍ يوم بدرٍ ؛ قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمَارٍ {قتلَ اللهُ قاتِلَ أمك}. ذكره ابن سعد في الطبقات ؛ وابن حجر العسقلاني في الإصابة ؛ وقال: إسناده صحيح. وتحت عنوان: (صمود الصحابيات) يقول الأستاذ الفاضل ماجد إسلام البنكاني ما نصه بتصريف زهيد: (إن الإسلام قد أكرم المرأة أيماً إكرام ، أمّاً كانت ، أو بنتاً ، أو زوجاً ، أو أختاً ، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم بعض النساء اللاتي كان لهن دور بارز وفعال في تاريخ البشرية كأم موسى ، ومريم بنت عمران ، وامرأة فرعون ، وذكر الله تعالى أيضاً بعضاً ممنهن من المبايعات والمهاجرات ، كما في سورة الممتحنة . فقد ذكر الله من ثباتهن وإيمانهن وقد برزت المرأة في الصدر الأول من الإسلام ، وفي القرن الأول وهو خير القرون ، بالصبر واليقين ، وفي وقوفها بجانب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، في تسكين النفس وتهدئة الروح ، وفي ثباتها ، ووقوفها في خندق واحد مع زوجها ومع أبيها ، وأخيها ، وضحت بمالها ونفسها ، ووقفت كالطوت الشامخ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أمثال خديجة ، وعائشة ، وفاطمة ، وأسماء ، وأم سليم ، وأمثالهن كثير رضي الله عنهن وأرضاهن جميعاً. وقد كانت الصحابيات مثلاً فريداً للنساء إلى قيام الساعة ، في الدعوة ، والدفاع عن الحق ، وعن هذا الدين العظيم ، وفي حمل راية الإسلام. لأن المرأة سلاح ذو حدين ، فإذا صلحت وأدت وظيفتها الأصلية ، وهدفتها المرسوم ، كانت لبنة صالحة في بناء مجتمع إسلامي متماسك قوي الأخلاق ، متين الدعائم. (هـ. من أجل ذلك كله كانت قصيدتنا: (سُمِيّة بنت خياط) بهذا العنوان بهذي الأبيات لتبين تلك البطولة النادرة والصمود الأسطوري في مواجهة الجاهلية وأهلها! إنها بحق مثلٌ يُحتذى ، وقدوة تتبع في التحدي! لقد أثبتت أن دين الله أعلى من حياتها بصدق! وكانت البطلة سُمِيّة بنت خياط - بهذا الاعتبار - أول شهيدة في الإسلام وفي خير قرن وزمان!)

سُمِيّة - في البطولة - لا تبارى وإن عقلت تأملها لحاراً

لذا انبهرت فراسته انبهارا
يعود مقلدو الفضلى حيارى
قياس يُورث النفس البوارا
وفي اسلامها اتخذت قرارا
وكان صمود همتها شعاعا
بكل الكيد قد ملئت مزارا
فقد حملت قلبهم شعاعا
فزادتها احتمالا وابتشارا
قرباتٍ ، ولم يرعوا جوارا
تُقاسمكم حياة والديارا؟
لقد بات الذي جئتم شئنا
على امرأة فتشهر الاضطبارا؟
لها كل تكم بحمقكم الخسارا
فمن للمستضام إذا استجارا؟
من الكفار ينتصر انتصارا

تفوق خيال مُطلع عليها
وتعضل - بالمقلد - أن يُحاكي
وكيف يُقاس من هزلوا بفضلي؟
وإحدى سبعة - بالسلم - دانوا
وواجهت المخاطر والبلايا
وذاقت - من بني مخزوم - كأساً
وعذبها العتاة بكل بأس
رحى التعذيب كم دارت عليها!
على أيدي غلاظ لم يُراعوا
أليست هذه ابنتكم ، وكانت
لماذا يا غثا هانت عليكم؟
وهل يُبدي الرجال قوى التحدي
عجوز عظمها وهنت قواه
وغذب زوجها وابن ان ظملاً
له المولى يرد قوى الطواغي

ومرّ نبينا والقوم هلكى
فقال: الصبر ، والعقبى جنان
وموعدا هناك ، فلا تخافوا
ألا يا آل ياسر لا تبالوا
ضربتم في الشجاعة خير سهم
أعود إلى (سومية) خير زوج
وخير شهيدة في خير قرن
لها ولأهلها المختار يدعو
تقبل ربنا منهم جميعاً
من التعذيب أورثهم صغارا
وإن (العدن) تنتظر الخيارا
وإن لنا مع الكفار ثارا
وليس صمودكم أبداً يبارى
وكنتم قدوة ترعى الذمرا
ومن أضحت بعزتها منارا
ونسبتنا لها أمست فخارا
بأن لا يدخلوا في الحشر نارا
وأورثنا الرشاد والآذكارا

شجاعة إبراهيم مصطفى

(في تسعينات القرن المنصرم ، عام 1993م صليث الجمعة في أحد المساجد ، ولم أكن أدري أنه - بكل صدق وموضوعية وواقعية وحيدة - أحد مساجد الضرار وما أكثرها! ودارت الخطبة حول إثبات أن الأئمة الأربعة أبا حنيفة ومالكاً وأحمد والشافعي كانوا قد أحدثوا فتنة في الأمة المسلمة! وأن مذاهبهم الأربعة كانت أشبه ما تكون بأربعة أديان! وأنهم اخترعوا مذاهب متناقضة ومناهج متضاربة يسير عليها الناس! وعندما خرجنا من المسجد ، تجاذبتُ مع أحد أصدقائي أطراف الحديث حول هذه الخطبة وخطيبها - عليه من الله ما يستحق - بصوت لا يكاد يُسمع ، فإذا نحن بطرف ثالث كان قد أقحم نفسه بالقوة في حوارنا ، وحول موضوع الحوار إلى وجهةٍ أخرى لا علاقة لنا بها أصلاً! وإذا نحن بمجموعةٍ من الأشخاص على شاكلة ذلك الطفيلي المعتوه وكانوا جهلاء سفهاء! ووجدنا أنفسنا - أنا وصديقي وأحد أصهاري إبراهيم مصطفى رزق - نغرق في خضم من الأسئلة التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل! وأحاط بي أنا شخصياً هؤلاء جميعاً إحاطة السوار بالمعصم! وكأني أنا المستهدف وحدي! واحترتُ كيف أسكتهم أو أقنعهم أو أهرب منهم! فسألت سؤالاً غاية في السهولة لأصرفهم عن الموضوع ، فقلت: أتحدى أن يكون منكم من يذكر لي أحدكم نواقض الموضوع! وكنتُ على يقين أنه لن يظن إلى ناقض الردة حسب كتب الفقه الأولى كتب السلف الذين كانوا ينظرون إلى ناقض الردة أنه ينقض كل شيء من الإسلام والإيمان إلى المناسك! فاستشاطوا غيظاً ، ووصلوا معي إلى الذروة! وبدأت الأيدي تتحرك وتصمت الألسنة. الأمر الذي دعا إبراهيم مصطفى إلى أن يصيح فيهم صيحة عالية مدوية قائلاً: (هو أنتم فاكيرين أنه لوحده؟! لا يا حبيبي أنت وهو! ونشر ذراعيه جانباً وجعلني خلفه وقال لهم: الرجل منكم من يلمسه لمسة ، وأنا والله أخليه نصفين! كفوا عن الاستهبال! لقد هزمتكم ولم تستطيعوا الرد عليه! الزموا حدودكم وإلا ندمتم ندماً لا حدود له!) وكان صوت إبراهيم قد جعل بعض الناس يفحون نواذهم أو ينظرون من شرفاتهم ويساءلون: ما الذي يجري هنالك؟ فخافوا وتراجعوا ، وأدركتُ ساعتها كلمة الصحابي الجليل والخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: (يذع الله بالسلطان ما لا يذع بالقرآن!) فكان موقفاً من مواقف إبراهيم مصطفى الجريئة يستحق قصيدة عصماء كتبت أبياتها الأولى بعد عودتنا إلى البيت ، ثم أكملتُ بعد سنوات! ونحن إذا عدنا لأسلافنا الكرام وجدناهم كانوا كذلك ، يدافعون عن المظلوم ولا يسلمونه للظالمين ، وإلا لعد ذلك خذلاناً ، نهاهم عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - في غير ما حديث من أحاديثه الشريفة العطرة! وإذا كان حفظ المسلم عن غيبة يغتابه فيها أحدهم كان حرياً أن يعتق رقبتَه من النار ، فما بالنا بالمسلم الذي يقدم نفسه فداءً لأخيه غير مبال بما قد تتمخض عنه العواقب والنتائج؟! عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من ذبَّ عن عرض أخيه ، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار). وعن القاسم بن عبد الرحمن الشامي قال: (سمعت ابن أم عبد يقول: من اغتیب عنده مؤمن فنصره ، جزاه الله بها خيراً في الدنيا والآخرة ، ومن اغتیب عنده مؤمن فلم ينصره ، جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شراً ، وما التقم أحد لقمة شراً من اغتیب مؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه ، وإن قال فيه بما لا يعلم فقد بهته. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: من رد عن عرض أخيه. جاء في (دليل الفالحين في شرح رياض

(الصالحين) ما نصه: (أي: في الإيمان وهو المسلم، أي: بأن يمنع من يريد اغتياب المؤمن عنها ، إما قبل الوقوع بالزجر والردع عنها ، وإما بعده لرد ما قاله عليه. وإن كان ذلك الإنسان بخلافه كما يأتي فيما بعد ، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. وذلك: لأنه رد مريد الغيبة عن عذابها لو فعلها فجوزي بردها عنه في الآخرة ورد عن المغتاب ما يلقيه مما رمى به ممن اغتابه ، فردّها الله عنه (رواه الترمذي وقال حديث حسن). ورواه البيهقي في السنن من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أيضاً بلفظ: من رد عن عرض أخيه ، كان له حجاباً من النار. وفي الجامع الكبير للسيوطي بعد إبراده باللفظ الذي أورده المصنف رواه أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة. وباللفظ الثاني رواه عبد بن حميد بن زنجويه والروياتي والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني وابن النجار في عمل يوم وليلة ، ورواه الطبراني والخرائطي من حديث أبي الدرداء بلفظ: "من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار" وفي رواية: "كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة". ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة من حديث أم الدرداء بلفظ: "من رد عن عرض أخيه كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة. ورواه ابن أبي الدنيا، من حديث أسماء بنت يزيد بلفظ: "من رد عن عرض أخيه بالغيبة ، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار". اهـ. وإنه مما يثج الصدر ويطيب خاطر هذا الحديث الذي هو أصل في هذا الباب! (عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ذب عن عرض أخيه بالغيبة ، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار). وعن القاسم بن عبد الرحمن الشامي قال: (سمعت بن أم عبد يقول: من اغتياب عنده مؤمن فنصره ، جزاه الله بها خيراً في الدنيا والآخرة ، ومن اغتياب عنده مؤمن فلم ينصره ، جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شراً ، وما التقم أحد لقمة شراً من اغتياب مؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه وإن قال فيه بما لا يعلم فقد بهته). ولقد أخرج الإمام الطبراني في مسنده الكبير عن يعقوب بن عتبة ، أن أبا جهل - لعنه الله - اعترض لرسول الله بالصفاء فأذاه ، وكان حمزة صاحب قنص وصيد وكان يومئذ في قنصه ، فلما رجع قالت له امرأته - وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل برسول الله - : يا أبا عمارة لو رأيت ما صنع هذا - تعني أبا جهل - بابن أخيك ، فغضب حمزة ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته ، وهو معلق قوسه في عنقه حتى دخل المسجد ، فوجد أبا جهل في مجلس من مجالس قريش ، فلم يكلمه حتى علا رأسه بقوسه فشجه ، فقام رجال من قريش إلى حمزة يمسكونه عنه ، فقال حمزة: ديني محمد أشهد أن لا إله إلا الله ، فو الله لا أنتهي عن ذلك ، فامنعوني من ذلك إن كنتم صادقين ، فلما أسلم حمزة - رضي الله عنه - عزّ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون ، وثبت لهم بعض أمرهم ، وهابت قريش ، وعلموا أن حمزة سيمنعه! وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل مستصرخ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال جارية له يا رسول الله! فقال: ويحك ما لك؟ قال شراً أبصر لسبيده جارية له ، فغار فجب مذاكيره! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليّ بالرجل" فطلب فلم يقدر عليه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب فأنت حر ، فقال يا رسول الله ، على من نصرتي؟ قال: "على كل مؤمن"! أو قال: "كل مسلم"! رواه أبو داود وحسنه الألباني. والمواقف في هذا الباب كثيرة ، والأحاديث في الحث على التناصر كثيرة أيضاً ، والذي يهمنا من خلال هذا الموضوع: كيف نتناصر ونتعاون بيننا نحن المسلمين؟! خاصة في وقت ازدادت فيه غربة المسلم وكثر الشر والفساد والظلم ، وتكالبت الأمم علينا. والواجب علينا نصره المسلمين في كل مكان

بالمال والنفس ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وكذلك ندعو لهم إذا لم نقدر على ما سبق ، فإن الدعاء عبادة عظيمة. والذب عن المسلم والدفاع عنه إذا انتهك عرضه ، أو ذكر بسوء في غيبته ، واجب شرعي وأخلاقي! فيقال لمن يذكره بالسوء: اتق الله واسكت عن قول الشر. فإن سكت عنه وإلا قام من عنده وتركه ، فهذا من النصرة التي يقدمها المسلم لأخيه. وإذا ظلم مسلم في مال أو أرض أو نحوه وجبت مناصرته والقيام معه حتى يأخذ حقه! وتحت عنوان: (المروعة) يقول الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبب ما نصه: (ما الفرق بين المروعة والعقل؟ الفرق بينهما ، يمكن أن يتلخص في أن العقل يأمرك بالأنفع ، والمروعة تأمرك بالأرفع ، المروعة تسمو بك ، والعقل يأمرك بما ينفعك ، ولو كان ذلك يغض من مرتبتك بعض الشيء. ونسأل: كيف نحصل هذه المروعة؟ كيف نصل إليها؟ المروعة ليست ميراثاً ، وليست شيئاً يكتسب من غير تعب ولا كد. إنما المروعة تحتاج إلى صبر ومكابدة ومصابرة ، وتحتاج إلى مجاهدة ؛ ولهذا قال من قال من السلف - رضي الله تعالى عنهم -: إن أكمل الناس مروعة هو أعظمهم ضبطاً للنفس ومجاهدة لها. ولذلك كانت هذه المروعة صعبة على الصغار - وأعني بالصغار صغار النفوس - الذين يجرون على شهواتهم ومطلوبات نفوسهم وأهوائهم ، صعبة المحل ، ولو لم تكن كذلك لما ترك اللئام للكرام منها ، لم يتركوا منها بيته ليلة ، وأحفظ من بعض الأشعار التي يقال عنها الأشعار النبطية ، وكنت قد سمعتها قديماً تذكر المروعة ، وتذكر الأخلاق ، ولكني أكره هذا الشعر المعروف بالشعر النبطي ، فلا أستحسن قوله في هذا المجلس ، وإلا فهي تحمل معان جميلة ، ولولا المشقة لكان الناس جميعاً في المراتب العالية ، ولكن ذلك يحتاج إلى بذل في الأموال ، يحتاج إلى توضيحات ، يحتاج إلى كد من أجل أن يصل الإنسان إلى القمة ، يحتاج إلى نفوس كبار. ولذلك فإن الكبير يحمل همّاً كبيراً ، لا يحمل هم أكلة يأكلها ، أو شربة يشربها أو لذة يقضيها ، إنما يحمل همّاً كبيراً ، يحمل هم أهله ، وأن يحملهم على ما يجمل ، وألا يحتاجوا إلى غيره ، ويحمل همّ جيرانه ، ألا يبيت وهو شبعان ، وجاره جائع ، ويحمل هم مجتمعه ، ويحمل هم أمته. إنه يعيش نفساً كبيرة ، تستوعب المجتمع برمته ، فالحمد والمكارم ليست قضايا هينة المطلب).هـ. وإذن فالمروعة التي حباها الله تعالى لعبده إبراهيم مصطفى تعتبر مروعة نادرة في زماننا! فله درك يا إبراهيم لقد دافعت مخلصاً ووفيت في هذا الموقف تمام الوفاء! أسأل الله أن يأجرك عليه وأن يجزيك حقاً عني خير ما جزى صاحباً عن صاحبه ، وصديقاً عن صديقه ، وصفيّاً عن صفيه! لقد كانت قصيدتي هذه ترجمة للموقف!

وأخفت بالصوت المهيب رجالاتي

صَدَقْتَ أَلْفَ ظَاظِ الْكَلَامِ فِعَالًا

لتصد قوماً - في العدا - جهالاتي

وَزَأَرْتَ كَالْأَسَدِ الْهَاصِرِ مَغَاضِبًا

فخوى النقاش تكلفاً وخبالاتي

لَمْ يَفْقَهُوا أَدَبَ الْحَوَارِ وَلَا الْحَيَاةِ

فأتوا مغالطة خبت وضلالاتي

صَالُوا وَجَالُوا دُونَ أَيِّ قَوَاعِدٍ

هـاجوا ومـاجوا دون أي مـبرر
وأنا أحاول أن أصد هـجومهم
هي لم تكن حرباً يهـيـج أوارها
بل فتنة أشـعلتم نيرانها
وتبعتموه كـأنكم عبـدانـه
فكسرت أنف الجعظـري مـقاطعاً
فإذا به متلعثمـاً يهـذي كـمن
فأبنت جهـلاً يعتريه مـقطـراً
فتمـيزوا غيظاً ، وراهـن جمـعهم
فإذا بأسـة تـحـيـر سـامعاً
فتوعـدونـي أن قهـرت جمـيعهم
فتحلـقوا حـولي كـل ضـحية
فاحترت كيف أفر من هذا البلا
لكن تجمهـرهم تعقب همتي
فإذا بـإبراهيم يـوهن كـيدهم
فأتوا خزعة تجـرّ وبـالـا
وأجنب المتصـارعين نـزالـا
هي لم تكن يا مغرضين قـتـالـا
وكبيركم حمل اللـواء ، وغـالـي
فمنحتموه مهابة وجـلالـا
لمـا سألـت - وقد أصاخ - سـؤالـا
جعل الجـواب تمحكـاً وهـزالـا
وهزمت فظـاً أحـمقاً مجـهـالـا
أن لا يكـون مزمجـراً مـحتـالـا
فأجبتـها حتـى أفـض مجـالـا
إن احتـجـاجي خـيب الأـمالـا
بين الضـباع تواجـه الأهـوالـا
والجـبن شـرّ من هـجـاً وفـعالـا
فرايـتني برمـاحهم مـقتـالـا
مستصحباً في حربـه سـربـالـا

أرغى وأزبد مسـ تهيناً بالعثا
قال: اعلـموا أن ليس (أحمد) وحده
وأنا الفداء له بكل صراحة
أنا لست أسلمه لكم ولمركم
من مسـه فلسوف يلقى حتفه
هيا اذهبوا لرحالكم وشؤونكم
كفوا الأيادي جملة عن صاحبي
فتفرقوا عني ، وعادوا القهقري
كلّ تظاهر بالمضـا ، لكنـه
لما رأوا بأساً يـروح ويغتدي
يا ربّ (إبراهيم) صان كرامتي
من غير ربي يستجيب توسّلي

وبما أعدوا ، ثم صال وجالا
يا مبطلون ، كفاكم (استهبالا)!
وهو الذي كم قدّم الأفضالا!
أمسى الذي تتوقعون مُحالا
أنا لست أضرب ها هنا أمثالا
واستسـمحو أقـوامكم والآلا
كـيلا تُرى أفـرادكم أوصالا
- بعد انهزام الجمع - عود تكالي
عن درب (إبراهيم) حاد ومالا
لم يُصـبحوا في صدّه أبطالا
فارزقه منك كرامة ونوالا
وتبتلي سـبحانه وتعالى؟

شايّ بالنعناع

(في إحدى المداعبات قلت لابني عبد الرحمن: اصنع لنا شايّاً خفيفاً زانداً سكره! فقال: أكيد بالنعناع! وأنشد على الارتجال وبدون أدنى إعدادٍ منه أو تهيئة:

(نعنغ كؤوسَ الشاي قبل شرابها لا خير في شاي بلا نعناع!)

فقلت له: أكمل فقال: إلى هنا فقط! أكمل أنت! فوعده بعد أن كتبت بيته من البحر الكامل بسرعة قبل أن يطير كالعطر! وكانت هذه القصيدة وفاء له بوعده قطعه على نفسي أن أكمل! ويحسن بنا أن نبين فوائد النعناع لمن كان لا يعلمها! بحيث إذا لم تعجبه القصيدة وهذا وارد ، فلينتفع بما توصل إليه العلم في بيان فوائد النعناع! أما عن النعناع وجماله وأثره الصحي الساحر ، فهناك في (موقع مستشفيات مغربية) وجدنا مكونات النعناع: تحتوي كل 100 جرام من النعناع بحسب معلومات وزارة الزراعة الأمريكية على المواد الغذائية التالية: الدهون المشبعة: 0.24 ، والسعرات الحرارية 70 ، والدهون: 0.94 ، والكاربوهيدرات: 14.89 ، والألياف: 8 ، والبروتينات: 3.75 ، والبوتاسيوم ، بقيمة 458 ملي جرام ، والصوديوم ، بقيمة 30 ملي جرام ، والكالسيوم ، بقيمة 199 ملي جرام ، والماغنسيوم ، بقيمة 63 ملي جرام ، والحديد ، بقيمة 11.87 ملي جرام ، والزنك ، 1.09 ملي جرام ، وحمض الفوليك ، بقيمة 105 ميكروجرام ، وفيتامين (ج) ، بقيمة 13.3 ملي جرام ، وفيتامين (ب2) ، بقيمة 0.175 ملي جرام ، وفيتامين (ب) ، بقيمة 0.0781 ملي جرام ، وفيتامين (ب3) ، بقيمة 0.948 ملي جرام ، وفيتامين (ب6) ، بقيمة 0.158 ملي جرام ، وفيتامين (أ) ، بقيمة 4054 وحدة دولية).هـ. وفي موقع البوابة (الإليكتروني) ووجدنا أن لهذه النبتة فوائد كثيرة على صحة الإنسان ، ومن هذه الفوائد: (تسكين الآلام العصبية ، ويعالج الإضطرابات المرارية ، ويسكن الأم أسفل البطن ، وآلام الحيض ؛ فيهدئ عضلات الرحم ، ويطرد الغازات المعوية ، ويعتبر النعنع مضاد للالتهابات ، وهو طارد لمرض الإنتهاب الكبدي ، ويعمل النعناع على بث القوة والنشاط في الجسم ، ويستعمل لأمراض التهابات المفاصل والروماتيزم ، وشرب النعناع بشكل مستمر يعمل على تنشيط المخ والقلب والدورة الدموية ، ويقوي الكبد والبنكرياس ، ويلين الأمعاء ، ويطرد الديدان والبكتيريا والطفيليات التي قد تصيب جسم الإنسان ، ويعالج المغص والإسهال ، ويقضي على الحموضة ، ويعمل على إزالة روائح الفم الكريهة ، ويخفف النعنع عند مضغه من آلام الأسنان واللثة ، وعند الغرغرة بماء النعنع يعالج ذلك التهاب الحنجرة ، وغلي أوراق النعناع أو إضافتها إلى الشاي تساعد من يعاني من الزكام ؛ بتوسيع الشعب الهوائية لمن يعاني من صعوبة في الهضم ، شرب النعنع يعمل على يساعد على الهضم ويخفف من التشنجات المعوية ، ويساعد على فتح الشهية ، ويعالج أمراض القولون العصبي عند الكبار والصغار ، ويسرع عملية الشفاء من أمراض الانفلونزا ونزلات البرد ، ويعالج مرض السل وهو طارد للبلغم والسعال ، وأنزيمات النعناع تساعد على الوقاية من السرطان ، كسرطان الرئة و الجلد و البروستات ، يعالج الاكتئاب والتعب والقلق والتوتر ، وشم أوراق النعناع الطازجة تساعد من يعانون من الغثيان ، سواء غثيان السفر أو غثيان الحمل ، وشم أوراقه أيضاً يحسن من الذاكرة

ويعزز النعناع المناعة ويقويها ؛ لاحتوائه على مواد مغذية كالكالسيوم ، الفوسفور ، وفيتامينات
 ي ، د ، سي ، ويساعد على تحفيز حرق الدهون في الجسم).هـ. وجزى الله خير الجزاء من أمدونا
 وأفادونا بهذه المعلومات القيمة عن النعناع! والله أنا أحب النعناع على الشاي منذ صغري ، ولم
 أكن أتصور أن به كل هذه الفوائد الجمّة! وما كنتُ أتصور أن الأطباء العرب الأقدمين كابن النفيس
 وابن البيطار وداود الأنطاكي والتركماني كانوا يعالجون مرضاهم بالنعناع ، وكانوا قد ذكروه كثيراً
 في كتاباتهم العذبة العلمية الطبية! أردتُ بهذه المقدمة المستفيضة تبين فوائد النعناع الجمّة!

(نعنع كـوؤس الشاي قبل شرابها	لا خيرَ في شاي بلا ننعناع!)
لا فضَّ فوك الشعْرُ غرّدَ باسمًا	وأشاد بالتقسيم والإبداع
وتشـرّفتْ أبياتُه وبحـورُه	لمّا صدحت بجاذب الإيقاع
وصدقت في تشخيص ما صورته	مثل الأماجد صفوة الصنعاع
بيـتٌ يُشـع حـلاوة وطـلاوة	ويزيل لوعة حائر ملتاع
ويبيد أوجاع الحياة وضنكها	إذ ليس يُبقي لاعج الأوجاع
فالشاي بالنعناع أطيب ما احتسى	عبدٌ أصيب بغصةٍ وصُداع
والأمـرُ مدروسٌ وبعـدُ مجرّب	هو ليس محتاجاً إلى الإقناع
واسأل عن النعناع قوماً طبّبا	فيما مضى في هذه الأصقاع
والتركماني الطيب دليلاً	فيما نخط حقيقة بـيراع
وابن النفيس له بذاك مقالة	أسرت قرائح خيرة الأتباع
وجحافل الطب البديل كذا ارتأوا	والأمـرُ مشتهراً بدون نزاع
لا شيء كالنعناع يُبهج خاطرًا	ويمد بالترويح والإمتاع

ولتجعل النعناع مثل شراب!

وانذهب بها للأهل والأشياء

أكرم بالابن الطيب المطواع!

وارزقه أجمل عيشة وطباع

كي لا يذوقوا حرقاة الأطماع!

فأعدّ كأسك يا بُني نديّة

تطفو عليها غضة أوراقه

إنني علمتُك للأوامر طيعاً

للهم وفقه ، وأصلح شأنه

واجعله شهماً يحتوي إخوانه

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده. وفي ظني لم يُحمد ربنا في خاتمة كتاب كحمد أبي الفرج ابن الجوزي في تبصرته: الحمد لله الذي سير بقدرته الفلك والفلك ، ودبر بصنعة النور والحلك ، اختار آدم فحسده الشيطان وغبطه الملك ، وافتخروا بالتسبيح والتقدیس ، فأما إبليس فهلك (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ، تعالى عن وزير ، وتنزه عن نظير ، قبل من خلقه اليسير ، وأعطى من رزقه الكثير أنشأ السحاب الغزير ، يحمل الماء النмир ، ليعم عباده بالخير ويمير ، فكلما قصر القطر في الوقع صاح الرعد بصوت الأمير ، وكلما رق تصدح بالمدح على جنبات الغدير ، فالجماد أظلمت مسالك الغيث لاح البرق يوضح وينير ، فقامت الورق على الدوح تنطق بلسان حالها ، والنبات يتكلم بحركاته وبأشكاله ، والكل إلى التوحيد يشير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، أحمده وهو بالحمد جدير ، وأقر بأنه مالك التصوير والتصبير ، وأصلي على محمد رسوله البشير النذير ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق وعلى عمر ذي العدل الغزير ، وعلى عثمان مجهز جيش العسرة في الزمان العسير ، وعلى عليّ المخصوص بالموالاة يوم الغدير ، وعلى عمه العباس المستسقى به الماء النмир ، جد سيدنا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أدام الله أيامه إدامة رضوى وثبير ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وألهما القيام بحقك ، وبارك لنا في الحلال من رزقك ، وعد علينا في كل حال برفقك ، وانفعني بما أقول والقارئ من خلقك ، برحمتك يا أرحم الراحمين. الحمد لله الذي نصب من كل كائن على وحدانيته برهانا ، وتشرف على خلقه كما شاء عزّ خليقته كما شاء عزاً وسلطاناً ، واختار المتقين فوهب لهم بنعمته أمناً وإيماناً عم المذنبين برحمته عفواً وغفرانا ، ولم يقطع أرزاق أهل المعصية جوداً وامتناناً ، وأعاد شؤم الحسد على الحاسد لأنه ارتكب عدواناً ، (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا) روح أهل الإخلاص بنسيم قربه ، وحذر يوم القصاص بجسيم كربه ، وحفظ السالك نحو رضاه في سره ، وأكرم المؤمن به إذ كتب الإيمان في قلبه ، حكم في بريته فأمر ونهى ، وأقام بمعونته ما ضعف ووهى ، وأيقظ بموعظته من غفل وسها ، ودعا المذنب إلى توبة لغفران ذنبه أرسل شمالاً ودبوراً فأنشر زرعاً لم يكن منشوراً ، وجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً ، بين شرقه وغربه رد عيون العقول عن صفته وأعشاه ، وأنذر بيوم محاسبته من يخشاها ، وخلق لآدم حواء (فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به) ، ليس بجسم فيشبه الأجسام ، ولا بمتجوف فيحتاج إلى الشراب والطعام ، ولا تحدث له صفة فيتطرق عليها انعدام نصفه بالنقل ، من غير كيف والسلام ولعن الله الجهمي والمشبه! أحمده حمد عبد لربه ، معتذراً إليه من ذنبه ، وأقر بتوحيده إقرار مخلص من قلبه ، وأصلي على رسوله محمد وآله وصحبه ، أبي بكر الصديق ضجيعه في تربه ، وعمر الذي لا يسير ربه ، وعثمان الشهيد لا في صف حربه ، وعلى علي معينه ومغيثه في كربه ، وعمه العباس المقدم على أهله وحزبه ، اللهم أصلح كلاً منا بإصلاح قلبه ، وأنعم عليه بغفران ذنبه ، وانفعني وكل قارئ بجسده ولبه. الحمد لله الذي لم يزل عليماً عظيماً علياً جباراً قهاراً قادراً قوياً ، رفع سقف السماء بصنعة ، فاستوى مبنياً ، وسطح المهاد بقدرته وسقاه كلما عطش ربا ، وأخرج صنوف النباتات فكسى كل نبت زياً ، قسم الخلائق سعيداً وشقيماً ، وقسم الرزق بينهم فترى

فقيراً وغنياً ، والعقل فجعل منهم ذكياً وغيباً ، ألهم إدريس الاحتيال على جنته ، فهو يتناول من لذاتها ويلبس حلياً (وذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً!) فهو الذي جاد على أوليائه بإسعاده ، وبين لهم مناهج الهدى بفضله وإرشاده ، ورمى المخالفين له بطرده وإبعاده ، وأجرى البرايا على مشيئته ومراده ، واطلع على سر العبد صلاحه وقضى عليه بفساده ، فهو الباطن الظاهر وهو القاهر فوق عباده ، أحمدته على إصداره وقلبه وتصريفه وقدره وإبراده ، حمد معترف له بإنشائه وإيجاده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجلو قلب قائلها من رين سواده! شهادة تغفر بها الذنوب وتستتر بها العيوب! يا مُبارزاً بالذنوب خذ حذرَكَ وتوق عقابه بالنتقى فقد أُنذرك ، وخذل الهوى فإنه كما ترى صيرك ، قبل أن يغضب الإله ويضيق حبسه (ويحذركم الله نفسه)! اجتهد في تقوية يقينك ، قبل خسر موازينك ، وقم بتضرعك وخيفتك قبل نشر دواوينك ، وابدل قواك في ضعفك ولينك ، قبل أن يدنو العذاب فتجد مسّه (ويحذركم الله نفسه)! لما سمع المتيقظون هذا التحذير فتحوا أبواب القلوب لنزول الخوف ، فأحزن الأبدان وقلقل الأرواح ، فعاشت اليقظة بموت الهوى وارتفعت الغفلة بحلول الهيبة ، وانهزم الكسل بجيش الحذر ، فتهذبت الجوارح من الزلل ، والعزائم من الخلل ، فلا سكون للخائف ، ولا قرار للعارف ، كلما ذكر العارف تقصيره ندم على مصابه ، وإذا تصور مصيره حذر مما في كتابه ، وإذا خطر العتاب بفنائه فالموت من عتابه ، فهو رهين القلق بمجموع أسبابه ، يا من يرجو الثواب بغير عمل ، ويرجئ التوبة بطول الأمل ، أتقول في الدنيا قول الزاهدين ، وتعمل فيها عمل الراغبين ، لا بقليل منها تقنع ، ولا بكثير منها تشبع ، تكره الموت لأجل ذنوبك ، وتقيم على ما تكره ، الموت له تغلبك نفسك على ما تظن ، ولا تغلبها على ما تستيقن ، لا تثق من الرزق بما ضمن لك ، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك ، تستكثر من معصية غيرك ما تحقره من نفسك ، أما تعلم أن الدنيا كالحية لين لمسها والسم الناقع في جوفها ، يهوي إليها الصبي الجاهل ، ويحذرُها ذو اللب العاقل ، كيف تقرّ بالدنيا عينٌ من عرفها؟ وما أبعد أن يُفطم عنها من ألفها. سبحانك ربي عصمت أهل محبتك من فتنة الدنيا! سبحان من أظهر العجائب في مصنوعاته ، ودل على عظمته بمبتدعاته ، وحث على تصفيح عبّره وآياته ، وأظهر قدرته في البناء والنقض ، والهشيم والغض ، (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)! وهلك كل الهلاك وأدبر ، من نسي سعد من تدبير ، وسلم من تفكّر ، وفاز من نظر واستعبر ، ونجا من بحر الهوى من تصبّر ، الموت مع الشعر المبيض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)! يا أرباب الغفلة اذكروا ، يا أهل الإعراض ارجعوا. احضروا يا غافلين عن المنعم ، اشكروا يا أهل الهوى ، خلوا الهوى واصبروا ، فالدنيا قنطرة فُجوزوا واعبروا ، وتأملوا هلال الهدى ، فإن غم عليكم فاقدروا ، فقد نادى منادي الصلاح حي على الفلاح ، فأسمع أهل الطول والعرض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)! والصلاة والسلام على رسول الحق وحبیب الصدق محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وبعد! فنختتم ديواننا السابع: (من وحي الذكريات) أملين أن يحوز إعجاب من قرأ وتذوق! واعددين بأن لا يكون الأخير! وسوف نستمر في الكتابة إن شاء الله لنا وقدر ، حتى يأتي الله تعالى بأمره! والله يقول الحق وهو سبحانه يهدي السبيل!

فهرس المحتويات – ديوان: (من وحي الذكريات)

الصفحة	القافية	البحر	اسم القصيدة	مسلسل
7	داء			الإهـ
9	ة	دم	ة	المـ
13	ة	يـ	تـ تـ احـ	الافـ
15	بالنعماء	الخفيف	خياران أحلاهما مُر!	1
19	التطبيلا	الكامل	حملٌ بين الذؤبان!	2
24	انتحابي	الخفيف	مع سبق الإصرار والترصد	3
29	وقبولاً	الكامل	جيرمان جاكسون – ولادة جديدة	4
33	الواحد الحكيم	البسيط	يا هذه اعذلي بين رضيعيك	5
38	جهولاً	الكامل	نحن بالعدل أولى	6
41	من عدم	البسيط	ما نقص مالاً من صدقة	7
45	كفيلٌ	الكامل	وهل في مثل هذا مزاح؟!	8
49	يجبُ	البسيط	الحُكم بعد المداولة	9
54	وبرهانٌ	البسيط	دخلت الإسلام من باب الحجاب ، ومنه خرجت!	10
57	سمة	الرمل	أبتاه لا تفعل!	11
59	مكتنبٌ	البسيط	نعم الميثة! ونعمت الميثة!	12
67	ألحاني	الكامل	شِعْرٌ يُوَيْبُنُ صاحبه	13
74	من بذلوا	البسيط	بين الطالب ومعلميه	14
77	ليس تنبهمُ	البسيط	مُتٌ غيرَ مأسوف عليك!	15
79	والدارُ	الكامل	سهام	16
84	غيرَ محترم	البسيط	ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب	17
91	مستطاباً	الوافر	وهل من مات يعود إلى الدنيا؟	18
99	ذوي الكمالِ	الوافر	رفقاً رُدينة	19
103	بابتذالِ	الوافر	سالي والدنية في الدين!	20
114	والقيم	البسيط	فلما نجاهم إلى البر	21

121	احتمالي	الوافر	عندما تثمر التربية	22
127	ونخشى النارا	الكامل	واصنعي ما بدا لك!	23
129	ثم قم	البسيط	إبراهيم مصطفى في ذمة الله!	24
136	ويباري	الكامل	الدواوين الشعرية النافقة	25
138	والإكرام	الكامل	أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً	26
148	الصبا	الرمل	لا لوم على متشاعر	27
149	والذهبا	البسيط	تحية من سويداء الفؤاد	28
150	يا سُكاري	الرمل	صليبية جديدة (معارضة للشاعر سالم النوبي)	29
152	الصمودُ	الوافر	رسالة إلى ليبد بن الأعصم	30
156	الإحساسُ	الكامل	رسالة إلى عبد الله بن سبأ	31
162	ومن خانوا	البسيط	رسالة إلى المتاجرين بالقيم	32
168	وحورٍ	الكامل	اللاشعر المتفلت	33
185	لمسؤولٍ	البسيط	حسابي مع حاقد	34
195	وأحوالٍ	البسيط	تغير الحال أم الخال؟!	35
199	لعلي	الوافر	ويمضي حديث الزمن	36
200	الدرب السوي	الكامل	نسمة في سماء الهداية	37
201	والوقائعُ	الطويل	نشيد وردة في ربيع العمر	38
202	الرغيدِ	الوافر	أخا الأوطان ، ماذا أسميها؟	39
203	الفردُ الصمدُ	الكامل	لتبيننه للناس ، وكفى يا أخية	40
204	خطيرٍ	المديد	أريج البطولة	41
205	الصدورِ	الخفيف	كوني برداً وسلاماً	42
206	وتبييني	البسيط	وما أسالكم عليه من أجر	43
207	والكروبُ	الوافر	الأمير الطيان	44
208	المدى	الكامل	الخنساء الشاعرة	45
209	وعن أمم	البسيط	نهج نهج البردة 1425هـ	46
223	ومنجدي	الكامل	إلى مظلوم مقهور	47

229	فاستعدا	الرمل	رسالة إلى سائق متهور	48
236	الكذب	الرمل	الأشقاء الأعداء	49
239	والكرب	البسيط	إلى مسلمي العالم	50
242	وشقاء	الكامل	بصفة تائب ، فاحتسبها!	51
243	والروح	البسيط	وليس التفاح كالحنظل	52
244	وشفاء	الكامل	صفعة أورثت توبة!	53
245	في القدر	البسيط	هنيئاً لك الإسلام ، يا لينة!	54
248	شرقوا	البسيط	محاوراتٌ عابر سبيل	55
249	الدعاية	الخفيف	مأساة حقيقية في موسم العرض	56
250	وأوجاعا	البسيط	من أتون ترجمة الوهم	57
251	لغة الضاد	المتدارك	أيها الحادي	58
252	قد هانت	المتدارك	النار الرماد	59
253	المرتزقة	المتدارك	غيرة القلب	60
254	وسيتحمل	المتدارك	للشاعر أمل	61
255	الهدى	المتقارب	مسؤولية أمة الإسلام	62
256	اللييب	الوافر	شب عن الطوق	63
257	ومكسب	الطويل	أبو غياث المكي	64
262	مطعون	البسيط	بكانية إسماعيل سليم	65
267	والأمداح	الكامل	عكرمة بن أبي جهل (رضي الله عنه)	66
272	أغراز	البسيط	الكومودو البشري!	67
277	والغيد	الخفيف	غُرسان في ليلة!	68
281	لحارا	الوافر	سُمَيَّة بنتُ حَيَّاط	69
285	رجالا	الكامل	شجاعة إبراهيم مصطفى	70
290	والإبداع	الكامل	شايّ بالنعناع	71
293	ة	م	ات	الخ
295	رس		ه	الف

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه ، ولله الحمد والفضل والشكر والمنة والثناء الجميل الحسن!

تنوية هام

**حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر
باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)**

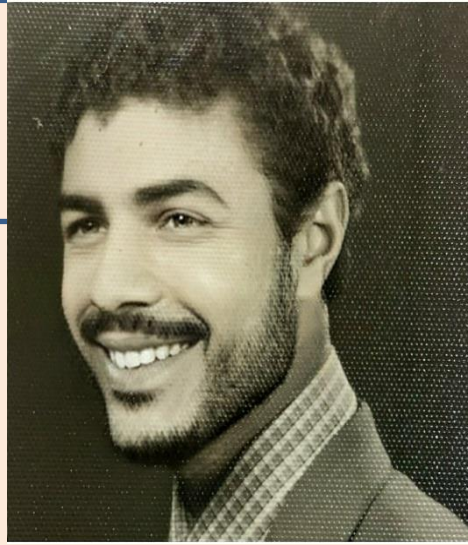
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م

بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

800 - 811

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - عادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالعابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فض فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقيلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانية شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن نندع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعريّة سليمانيّة (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانيّة في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!